الكامل في التاريخ

للإمام العلامة عمدة المؤرخين أبي الحسن علي بن أبي الكرم
محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني
المعروف "بابن الأثير" الجزري الملقب بعز الدين
المتوفى سنة "٦٣٠" هـ

من سنة ١٢٧ لغاية سنة ٢١٧ للهجرة

راجعه وصححه
الدكتور محمد يوسف الدقاقه

المجلد الخامس

منشورات
لنشر كتب السنة والجماعة
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائة

ذكر مسير مروان إلى الشام وخلع ابراهيم

وفي هذه السنة سار مروان إلى الشام لمحاربة ابراهيم بن الوليد ، وكان السبب في ذلك ما قد ذكرنا بعضه من مسير مروان بعد مقتل الوليد وانكاره قتله وغلبته على الجزيرة ثم مبايعته ليزيد بن الوليد وما ولاه يزيد من عمل أبيه ، فلما مات يزيد بن الوليد سار مروان في جنود الجزيرة وخلف ابنه عبد الملك في جمع عظيم بالرقة ، فلما انتهى مروان إلى قنسرين لقي بها بشر بن الوليد ـ وكان ولاه أخوه يزيد قنسرين ـ ومعه أخوه مسرور بن الوليد فتصافوا ، ودعاهم مروان إلى بيعته فمال إليه يزيد بن عمر بن هبيرة في القيسية وأسلموا بشراً ، وأخاه مسروراً فأخذهما مروان فحبسهما ، وسار ومعه أهل قنسرين متوجهاً إلى حمص ، وكان أهل حمص قد امتنعوا حين مات يزيد من بيعة ابراهيم ، وعبد العزيز فوجه إليهم ابراهيم عبد العزيز وجند أهل دمشق فحاصرهم في مدينتهم ، وأسرع مروان السير فلما دنا من حمص رحل عبد العزيز عنها وخرج أهلها إلى مروان فبايعوه وساروا معه ، ووجه إبراهيم بن الوليد الجنود من دمشق مع سليمان ابن هاشم فنزل عين الجرفي مائة وعشرين ألفاً ونزلها مروان في ثمانين الفاً ، فدعاهم مروان إلى الكف عن قتاله وإطلاق ابني الوليد الحكم ، وعثمان من السجن وضمن لهم أنه لا يطلب أحداً من قتلة الوليد فلم يجيبوه وجدوا في قتاله فاقتتلوا ما بين ارتفاع النهار إلى العصر وكثر القتل بينهم ، وكان مروان ذا رأي ومكيدة فأرسل ثلاثة آلاف فارس فساروا خلف عسكره وقطعوا نهراً كان هناك وقصدوا عسكر ابراهيم ليغيروا فيه فلم يشعر سليمان ومن معه وهم مشغولون بالقتال إلا بالخيل والبارقة والتكبير في عسكرهم من خلفهم فلما رأوا ذلك انهزموا ووضع أهل حمص السلاح فيهم لحنقهم عليهم فقتلوا منهم سبعة عشر الفاً ، وكف أهل الجزيرة وأهل قنسرين عن قتلهم ، وأتوا مروان من

اسرائهم بمثل القتلى وأكثر فأخذ مروان عليهم البيعة لولدي الوليد وخلى عنهم ولم يقتل منهم إلا رجلين يزيد بن العقار ، والوليد بن مصاد الكلبيين وكانا ممن ولي قتل الوليد فحبسهما حتى هلكا في حبسه ، وهرب يزيد بن خالد بن عبد الله القسري فيمن هرب مع سليمان إلى دمشق واجتمعوا مع ابراهيم ، وعبد العزيز بن الحجاج فقال بعضهم لبعض : إن بقي ولدا الوليد حتى يخرجهما مروان ويصير الأمر إليهما لم يستبقيا أحداً من قتلة أبيهما والرأي قتلهما ، فرأى ذلك يزيد بن خالد فأمر أبا الاسد مولى خالد بقتلهما ، فأخرج يوسف بن عمر فضرب رقبته وأرادوا قتل أبي محمد السفياني فدخل بيتاً من بيوت السجن وأغلقه وألقى خلفه الفرش والوسائد واعتمد على الباب فلم يقدرواعلى فتحه فأرادوا إحراقه فلم يؤتوا بنار حتى قيل : قد دخلت خيل مروان المدينة فهربوا وهرب ابراهيم واختفى ، وانتهب سليمان ما في بيت المال فقسمه في أصحابه وخرج من المدينة .

ذكر بيعة مروان بن محمد بن مروان

وفي هذه السنة بويع بدمشق لمروان بالخلافة ، وكان سبب ذلك أنه لما دخل دمشق وهرب ابراهيم بن الوليد ، وسليمان ثار من بدمشق من موالي الوليد إلى دار عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك فقتلوه ونبشوا قبر يزيد بن الوليد وصلبوه على باب الجابية ، وأُتِيَ مروان بالغلامين الحكم ، وعثمان ابني الوليد مقتولين ، وبيوسف بن عمر فدفنهم ، وأُتِيَ بأبي محمد السفياني في قيوده فسلم عليه بالخلافة ـ ومروان يسلم عليه يومئذ بالإمرة ـ فقال له مروان : مه فقال : انهما جعلاها لك بعدهما ، وأنشده شعراً قاله الحكم في السجن وكانا قد بلغا وولد لأحدهما وهو الحكم ، فقال الحكم :

ألا مَـنْ مُـبْـلغ مَـروانَ عـنِّـي ... وَعَمِّي الغمـرَ طـالَ بـه[1] حَنِينا
بـأني قـد ظُلمتُ وصـارَ قـومي ... على قَتلِ الـوَليـدِ مُشـايعينـا[2]
أيـذهبُ كلهمُ[3] بـدمي ومـالي ... فـلا غَثّـاً أصبتُ ولا سمينـا
ومـروانٌ بـأرضِ بـنـي نـزارٍ ... كَلْيثِ الغـاب مُفترسٌ عَـرينـا

---

(١) في الطبري «طال بذا» .

(٢) في الطبريس« متابعينا » .

(٣) في الطبري « كلبهم » .

أَتُنْكَث بَيْعَتِي مِنْ أَجلِ أمِّي ... فقد بايعتُم قَبْلي هَجينا
فإن أهلك أنا وَوَلي عَهْدي ... فمروانُ أمِيرُ المؤمنينا[١]

ثم قال : ابسط يدك أبايعك ، وسمعه من مع مروان ، وكان أول من بايعه معاوية بن يزيد بن حصين بن نمير ، ورؤوس أهل حمص ، والناس بعده ، فلما استقر له الأمر رجع إلى منزله بحران وطلب منه الامان لابراهيم بن الوليد ، وسليمان بن هشام فأمنهما فقدما عليه ، وكان سليمان بتدمر بمن معه من اخوته ، وأهل بيته ، ومواليه الذكوانية فبايعوا مروان بن محمد .

ذكر ظهور عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

وفي هذه السنة ظهر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بالكوفة ودعا إلى نفسه ، وكان سبب ذلك أنه قدم على عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والي الكوفة فأكرمه وأجازه وأجرى عليه وعلى اخوته كل يوم ثلاثمائة درهم فكانوا كذلك حتى هلك يزيد بن الوليد وبايع الناس أخاه ابراهيم بن الوليد وبعده عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، فلما بلغ خبر بيعتهما عبد الله بن عمر بالكوفة بايع الناس وزاد في العطاء وكتب ببيعتهما إلى الآفاق فجاءته البيعة ثم بلغه امتناع مروان بن محمد من البيعة ومسيره إليهما إلى الشام فحبس عبدالله بن معاوية عنده وزاده فيما كان يجري عليه وأعدَّه لمروان بن محمد إن هو ظفر بابراهيم بن الوليد ليبايع له ويقاتل به مروان ، فماج الناس وورد مروان الشام وظفر بابراهيم فانهزم إسماعيل بن عبدالله القسري إلى الكوفة مسرعاً وافتعل كتاباً على لسان ابراهيم بأمرة الكوفة وجمع اليمانية وأعلمهم ذلك فأجابوه وامتنع عبد الله بن عمر عليه وقاتله ، فلما رأى الأمر كذلك خاف أن يظهر أمره فيفتضح ويقتل فقال لأصحابه : إني أكره سفك الدماء فكفوا أيديكم فكفوا ، وظهر أمر ابراهيم وهربه ووقعت العصبية بين الناس .

وكان سببها أن عبد الله بن عمر كان أعطى مضر ، وربيعة عطايا كثيرة ولم يعط جعفر بن نافع بن القعقاع بن شور الذهلي ، وعثمان بن الخيبري من تيم اللات بن

---

(١) ترك المصنف أبياتا ذكرها ابن جرير في تاريخه .

ثعلبة شيئاً وهما من ربيعة فكانا مغضبين ، وغضب لهما ثمامة بن حوشب بن رويم الشيباني ، وخرجوا من عند عبد الله بن عمر ـ وهو بالحيرة ـ إلى الكوفة فنادوا يا آل ربيعة فاجتمعت ربيعة وتنمروا ، وبلغ الخبر عبد الله بن عمر فأرسل إليهم أخاه عاصماً فأتاهم ـ وهم بدير هند ـ فألقى نفسه بينهم وقال : هذه يدي لكم فاحكموا فاستحيوا ورجعوا وعظموا عاصماً وشكروه ، فلما كان المساء أرسل عبد الله بن عمر إلى عمر بن الغضبان بن القبعثري بمائة ألف فقسمها في قومه بني همام بن مرة بن ذهل الشيباني ، وإلى ثمامة بن حوشب بمائة ألف قسمها في قومه ، وأرسل إلى جعفر بن نافع بمال ، وإلى عثمان بن الخيبري بمال[1] .

فلما رأت الشيعة ضعف عبد الله بن عمر طمعوا فيه ودعوا الى عبدالله بن معاوية واجتمعوا في المسجد وثاروا وأتوا عبد الله بن معاوية وأخرجوه من داره وأدخلوه القصر ومنعوا عاصم بن عمر عن القصر فلحق بأخيه بالحيرة ، وجاء ابن معاوية الكوفيون فبايعوه فيهم عمر بن الغضبان ، ومنصور بن جمهور ، واسماعيل بن عبد الله القسري أخو خالد ، وأقام أياماً يبايعه الناس وأتته البيعة من المدائن ، وفم النيل واجتمع إليه الناس ، فخرج إلى عبد الله بن عمر بالحيرة فقيل لابن عمر : قد أقبل ابن معاوية في الخلق فأطرق ملياً ، وأتاه رئيس خبازيه فأعلمه بادراك الطعام فأمره باحضاره فأحضره فأكل هو ومن معه وهو غير مكترث ـ والناس يتوقعون أن يهجم عليهم ابن معاوية ـ وفرغ من طعامه ، وأخرج المال ففرقه في قواده ثم دعا مولى له كان يتبرك به ويتفاءل باسمه ، كان اسمه اماميموناً ، واما رباحاً ، أو فتحاً ، أو اسماً يتبرك به فأعطاه اللواء وقال له : امض به إلى موضع كذا فأركزه وادع أصحابك وأقم حتى آتيك ففعل ، وخرج عبد الله فإذا الأرض بيضاء من أصحاب ابن معاوية ، فأمر ابن عمر منادياً فنادى من جاء برأس فله خمسمائة فأُتي برؤوس كثيرة وهو يعطي ما ضمن ، وبرز رجل من أهل الشام فبرز إليه القاسم بن عبد الغفار العجلي فسأله الشامي فعرفه فقال : قد ظننت أنه لا يخرج إليّ رجل من بكر بن وائل والله ما أريد قتالك ولكن أحببت أن القي إليك حديثاً ، أخبرك أنه ليس معكم رجل من أهل اليمن لا اسماعيل ، ولا منصور ، ولا غيرهما إلا وقد كاتب ابن عمر وكاتبته مضر وما أرى لكم يا ربيعة كتاباً ولا رسولاً وأنا رجل من قيس فإن أردتم الكتاب أبلغته ونحن غداً بازائكم فإنهم اليوم لا يقاتلونكم ، فبلغ الخبر ابن

---

(٢) عينه ابن جرير « عشرة آلاف » .

معاوية فأخبر به عمر بن الغضبان فأشار عليه أن يستوثق من اسماعيل ، ومنصور ، وغيرهما فلم يفعل ، وأصبح الناس من الغد غادين على القتال ، فحمل عمر بن الغضبان على ميمنة ابن عمر فانكشفوا ، ومضى اسماعيل ، ومنصور من فورهما إلى الحيرة فانهزم أصحاب ابن معاوية إلى الكوفة وابن معاوية معهم فدخلوا القصر ، وبقي من بالمسيرة من ربيعة ، ومضر ومن بازائهم من أصحاب ابن عمر فقال لعمر بن الغضبان : ما كنا نأمن عليكم ما صنع الناس بكم فانصرفوا ، فقال ابن الغضبان : لا أبرح حتى أقتل فأخذ أصحابه بعنان دابته فأدخلوه الكوفة ، فلما أمسوا قال لهم ابن معاوية : يا معشر ربيعة قد رأيتم ما صنع الناس بنا وقد علقنا دماءنا في أعناقكم فإن قاتلتم قاتلنا معكم وإن كنتم ترون الناس يخذلوننا وإياكم فخذوا لنا ولكم أماناً ، فقال له عمر بن الغضبان : ما نقاتل معكم وما نأخذ لكم أماناً كما نأخذ لأنفسنا ، فأقاموا في القصر والزيدية على أفواه السكك يقاتلون أصحاب ابن عمر أياماً ، ثم ان ربيعة أخذت أماناً لابن معاوية ولأنفسهم وللزيدية ليذهبوا حيث شاؤوا ، وسار ابن معاوية من الكوفة فنزل المدائن فأتاه قوم من أهل الكوفة فخرج بهم فغلب على حلوان ، والجبال ، وهمذان ، واصبهان ، والري ، وخرج إليه عبيد أهل الكوفة وكان شاعراً مجيداً ، فمن قوله :

ولا تركَبَنَّ الصنيعَ الذي ... تَلُومُ أخاكَ على مثله
ولا يُعجِبَنك قَولُ امرِئٍ ... يخالفُ ما قال في فعله

ذكر رجوع الحرث بن سريج إلى مرو

وفي هذه السنة رجع الحرث إلى مرو ـ وكان مقيماً عند المشركين مدة ـ وقد تقدم سبب عوده ، وكان قدومه مرو في جُمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ، فلقيه الناس بكشميهن فلما لقيهم قال : ما قرت عيني منذ خرجت إلى يومي هذا وما قرة عيني إلا أن يطاع الله ، ولقيه نصر وأنزله وأجرى عليه كل يوم خمسين درهماً فكان يقتصر على لون واحد وطلق أهله ، وأولاده ، وعرض عليه نصر ان يوليه ويعطيه مائة الف دينار فلم يقبل ، وأرسل إلى نصر أني لست من الدنيا واللذات في شيء إنما أسألك كتاب الله والعمل بالسنة وأن تستعمل أهل الخير فإن فعلت ساعدتك على عدوك ، وأرسل الحرث إلى الكرماني إن أعطاني نصر العمل بالكتاب وما سألته عضدته وقمت بأمر الله وإن لم يفعل

أعنتك ان ضمنت لي القيام بالعدل ، والسنة ، ودعا بني تميم إلى نفسه فأجابه منهم ومن غيرهم جمع كثير واجتمع إليه ثلاثة آلاف وقال لنصر : إنما خرجت من هذه البلدة منذ ثلاث عشرة سنة انكاراً للجور وأنت تريدني عليه .

ذكـر انتفاض أهل حمـص

وفي هذه السنة انتفض أهل حمص على مروان ،وكان سبب ذلك أن مروان لما عاد إلى حران بعد فراغه من أهل الشام أقام ثلاثة أشهر فانتفض عليه أهل حمص وكان الذي دعاهم إلى ذلك ثابت بن نعيم وراسلهم وأرسل أهل حمص إلى من بتدمر من كلب فأتاهم الاصبغ بن ذؤالة الكلبي ، وأولاده ، ومعاوية السكسكي ـ وكان فارس أهل الشام ـ وغيرهما في نحو من ألف من فرسانهم فدخلوا ليلة الفطر ، فجد مروان في السير إليه ومعه ابراهيم المخلوع ، وسليمان بن هشام وكان قد أمنهما وكان يكرمهما فبلغهما بعد الفطر بيومين ـ وقد سد أهلها أبوابها ـ فأحدق بالمدينة ووقف بازاء باب من أبوابها فنادى مناديه الذين عند الباب ما دعاكم إلى النكث ؟ قالوا : إنّا على طاعتك لم ننكث قال : فافتحوا الباب ففتحوا الباب فدخله عمر بن الوضاح في الوضاحية وهم نحو من ثلاثة آلاف فقاتلهم من في البلد فكثرتهم خيل مروان فخرج من بها من باب تدمر فقاتلهم من عليه من أصحاب مروان فقتل عامـة من خرج منـه ، وأفلت الأصبغ بن ذؤالة ، وابنه فرافصة ؛ وقتل مروان جماعة من أسرائهم ، وصلب خمسمائة من القتلى حول المدينة ، وهدم من سورها نحو غلوة ، وقيل : ان فتح حمص وهدم سورها كان في سنة ثمان وعشرين .

ذكـر خلاف أهل الغـوطة

في هذه السنة خالف أهل الغوطة وولوا عليهم يزيد بن خالد القسري وحصروا دمشق ـ وأميرها زامل بن عمرو ـ فوجه إليهم مروان من حمص أبا الورد بن الكوثر بن زفر بن الحرث ، وعمر بن الوضاح في عشرة آلاف ، فلما دنوا من المدينة حملواعليهم وخرج عليهم من بالمدينة فانهزموا واستباح أهل مروان عسكرهم ، واحرقوا المزة ، وقرى من اليمانية ، وأخذ يزيد بن خالد فقتل وبعث زامل برأسه إلى مروان بحمص ، وممن قتل في هذه الحرب عمر بن هانيء العبسي مع يزيد وكان عابداً كثير المجاهدة .

ذكـر خلاف أهل فلسطين

وفيها خرج ثابت بن نعيم بعد أهل حمص والغوطة وكان خروجه في أهل فلسطين وانتفض على مروان أيضاً ، وأتى طبرية فحاصرها وعليها الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم ابن اخي عبد الملك فقاتله أهلها أياماً ، فكتب مروان بن محمد إلى أبي الورد يأمره بالمسير إليهم فسار إليهم ، فلما قرب منهم خرج أهل طبرية على ثابت فهزموه واستباحوا عسكره وانصرف إلى فلسطين منهزماً وتبعه أبو الورد فالتقوا واقتتلوا فهزمه أبو الورد ثانية وتفرق أصحابه ، وأسر ثلاثة من أولاده وبعث بهم إلى مروان ، وتغيب ثابت وولده رفاعة واستعمل مروان على فلسطين الدماحن[1] بن عبد العزيز الكناني فظفر بثابت وبعثه إلى مروان موثقاً بعد شهرين فأمر به وبأولاده الثلاثة فقطعت أيديهم وأرجلهم وحملوا إلى دمشق فألقوا على باب المسجد ثم صلبهم على أبواب دمشق .

وكان مروان بديرأيوب فبايع لابنيه عبيد الله ، وعبد الله وزوجهما ابنتي هشام بن عبد الملك وجمع لذلك بني امية ، واستقام له الشام ما خلا تدمر فسار إليها فنزل القسطل وبينه وبين تدمر أياماً وكانوا قد غوروا المياه فاستعمل المزاد ، والقرب ، والابل ، وكلمه الابرش بن الوليد ، وسليمان بن هشام ، وغيرهما وسألوه أن يرسل إليهم فأذن لهم في ذلك[2] وسار الأبرش وخوفهم وحذرهم فأجابوا إلى الطاعة وهرب نفر منهم إلى البر ممن لم يثق بمروان ، ورجع الابرش إلى مروان ومعه من أطاع بعد أن هدم سورها ، وكان مروان قد سير يزيد بن عمر بن هبيرة بين يديه إلى العراق لقتال الضحاك الخارجي ، وضرب على أهل الشام بعثاً وأمرهم باللحاق بيزيد ، وسار مروان إلى الرصافة فاستأذنه سليمان بن هشام ليقيم أياماً ليقوى من معه ويستريح ظهره فأذن له ، وتقدم مروان إلى قرقيسيا وبها ابن هبيرة ليقدمه إلى الضحاك فرجع عشرة آلاف ممن كان مروان قد أخذه من أهل الشام لقتال الضحاك فأقاموا بالرصافة ودعوا سليمان إلى خلع مروان فأجابهم .

---

(١) في الطبري « الرماحس ».

(٢) في الطبري « وسألوه أن يعذر اليهم ويحتج عليهم فأجابهم إلى ذلك ».

ذكر خلع سليمان بن هشام بن عبد الملك مروان بن محمد

وفي هذه السنة خلع سليمان بن هاشم بن عبد الملك مروان بن محمد وحاربه ، وكان السبب في ذلك ما ذكرنا من قدوم الجنود عليه وتحسينهم له خلع مروان وقالوا له : أنت أوضأ[١] عند الناس من مروان وأولى بالخلافة ، فأجابهم إلى ذلك وسار باخوته ومواليه معهم فعسكر بقنسرين وكاتب أهل الشام فأتوه من كل وجه ، وبلغ الخبر مروان فرجع إليه من قرقيسيا وكتب إلى ابن هبيرة يأمره بالمقام ، واجتاز مروان في رجوعه بحصن الكامل وفيه جماعة من موالي سليمان ، وأولاد هشام فتحصنوا منه فأرسل إليهم إني أحذركم أن تعرضوا لاحد ممن يتبعني من جندي بأذى فإن فعلتم فلا أمان لكم عندي فأرسلوا إليه إنّا نستكف ، ومضى مروان فجعلوا يغيرون على من يتبعه من أخريات الناس وبلغه ذلك فتغيظ عليهم ، واجتمع إلى سليمان نحو من سبعين الفاً من أهل الشام ، والذكوانية ، وغيرهم وعسكر بقرية خساف من أرض قنسرين ، وأتاه مروان فواقعه عند وصوله فاشتد بينهم القتال وانهزم سليمان ومن معه واتبعتهم خيل مروان تقتل وتأسر واستباحوا عسكرهم ، ووقف مروان موقفاً ، ووقف ابناه موقفين ، ووقف كوثر صاحب شرطته موقفاً وأمرهم أن لا يؤتوا بأسير إلا قتلوه الا عبداً مملوكاً ، فأحصي من قتلاهم يومئذ ما ينوف على ثلاثين ألف قتيل ، وقتل ابراهيم بن سليمان ، وأكثر ولده[٢] وخالد بن هشام المخزومي خال هشام بن عبد الملك، وادعى كثير من الاسراء للجند أنهم عبيد فكف عن قتلهم وأمر ببيعهم فيمن يزيد مع من أصيب من عسكرهم ، ومضى سليمان حتى انتهى إلى حمص وانضم إليه من أفلت ممن كان معه فعسكر بها وبنى ما كان مروان أمر بهدمه من حيطانها ، وسار مروان إلى حصن الكامل حنقاً على من فِيه فحصرهم وأنزلهم على حكمه فمثل بهم وأخذهم أهل الرقة فداووا جراحاتهم فهلك بعضهم وبقي أكثرهم وكانت عدتهم نحواً من ثلاثمائة ، ثم سار إلى سليمان ، ومن معه فقال بعضهم لبعض : حتى متى ننهزم من مروان ؟ فتبايع سبعمائة[٣] من فرسانهم على الموت وساروا بأجمعهم مجمعين على أن يبيتوه إن

---

(١) في الطبري « أرضى »

(٢) في الطبري « وقتل إبراهيم بن سليمان أكبر ولده » .

(٣) في الطبري « تسعمائة » .

أصابوا منه غرة ، وبلغه خبرهم فتحرز منهم وزحف إليهم في الخنادق على احتراس وتعبية فلم يمكنهم أن يبيتوه ، فكمنوا في زيتون على طريقه فخرجوا عليه ـ وهو مسير على تعبية ـ فوضعوا السلاح فيمن معه وانتدب لهم(١) ونادى خيوله فرجعت إليه فقاتلوه من لدن ارتفاع النهار إلى بعد العصر وانهزم اصحاب سليمان وقتل منهم نحو من ستة آلاف ، فلما بلغ سليمان هزيمتهم خلف أخاه سعيداً بحمص ومضى هو إلى تدمر فأقام بها ونزل مروان على حمص فحصر أهلها عشرة أشهر ونصب عليهم نيفاً وثمانين منجنيقاً يرمي بها الليل والنهار وهم يخرجون إليه كل يوم فيقاتلونه وربما يلببون(٢) نواحي عسكره ، فلما تتابع عليهم البلاء طلبوا الامان على أن يمكنوه من سعيد بن هشام، وابنيه عثمان ، ومروان ، ومن رجل كان يسمى السكسكي كان يغير على عسكره ، ومن رجل حبشي كان يشتم مروان وكان يشد في ذكره ذكر حمار ثم يقول : يا بني سليم يا أولاد كذا وكذا هذا لواؤكم فأجابهم إلى ذلك ، فاستوثق من سعيد ، وابنيه ، وقتل السكسكي ، وسلم الحبشي إلى بني سليم فقطعوا ذكره وانفه ومثلوا به ، فلما فرغ من حمص سار نحو الضحاك الخارجي ، وقيل : إن سليمان بن هشام لما انهزم من وقعة خساف أقبل هارباً حتى صار إلى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بالعراق فخرج معه إلى الضحاك فبايعه وحرض على مروان فقال بعض شعرائهم :

ألم تر أن الله أظهر دينه ... وصلت قريش خلف بكر بن وائل

فلما رأى النضر بن سعيد الحرشي ـ وكان قد ولي العراق على ما نذكره إن شاء الله ـ ذلك علم أنه لا طاقة له بعبد الله بن عمر فسار إلى مروان ، فلما كان بالقادسية خرج إليه ابن ملجان خليفة الضحاك بالكوفة فقاتله فقتله النضر ، واستعمل الضحاك على الكوفة المثنى بن عمران العائذي ثم سار الضحاك في ذي القعدة الى الموصل واقبل ابن هبيرة حتى نزل بعين التمر فسار إليه المثنى بن عمران فاقتتلوا اياماً فقتل المثنى وعدة من قواد الضحاك ، وانهزمت الخوارج ومعهم منصور بن جمهور وأتوا الكوفة فجمعوا من بها منهم وساروا نحو ابن هبيرة فلقوه فقاتلهم اياماً وانهزمت الخوارج واتى ابن هبيرة الى الكوفة وسار إلى واسط ، ولما بلغ الضحاك ما لقي أصحابه أرسل

---

(١) في الطبري «وانتبذ لهم».
(٢) في الطبري « وربما بيتوا ».

عبيدة بن سوار التغلبي إليهم فنزل الصراة وبلغ ذلك ابن هبيرة فرجع إليهم فالتقوا بالصراة ؛ وسيرد خبر خروج الضحاك بعدها إن شاء الله تعالى (الحرشي) بفتح الحاء المهملة وبالشين المعجمة .

ذكر خروج الضحاك محكماً

وفي هذه السنة خرج الضحاك بن قيس الشيباني محكماً ودخل الكوفة ، وكان سبب ذلك أن الوليد حين قتل خرج بالجزيرة حروري يقال له : سعيد بن بهدل الشيباني في مائتين من أهل الجزيرة فيهم الضحاك فاغتنم قتل الوليد واشتغال مروان بالشام فخرج بأرض كفرتوثا ، وخرج بسطام البيهسي وهو مفارق لرأيه في مثل عدتهم من ربيعة فسار كل واحد منهما إلى صاحبه ، فلما تقاربا أرسل سعيد بن بهدل الخيبري ـ وهو أحد قواده ـ في مائة وخمسين فارساً فأتاهم وهم غارون فقتلوا فيهم وقتلوا بسطاماً وجميع من معه إلا أربعة عشر رجلاً ، ثم مضى سعيد بن بهدل إلى العراق لما بلغه أن الإختلاف بها فمات سعيد بن بهدل في الطريق واستخلف الضحاك بن قيس من بعده فبايعه الشراة فأتى أرض الموصل ثم شهرزور واجتمعت إليه الصفرية حتى صار في أربعة آلاف ، وهلك يزيد بن الوليد وعامله على العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ومروان بالحيرة ، فكتب مروان إلى النضر بن سعيد الحرشي ـ وهو أحد قواد ابن عمر ـ بولاية العراق فلم يسلم ابن عمر إليه العمل ، فشخص النضر إلى الكوفة وبقي ابن عمر بالحيرة فتحاربا أربعة أشهر ، وأمد مروان النضر بابن الغزيل واجتمعت المضرية مع النضر عصبية لمروان حيث طلب بدم الوليد ـ وكانت أم الوليد قيسية من مضر ـ وكان أهل اليمن مع ابن عمر عصبية له حيث كانوا مع يزيد في قتل الوليد حين أسلم خالد القسري إلى يوسف فقتله ، فلما سمع الضحاك باختلافهم أقبل نحوهم وقصد العراق سنة سبع وعشرين ، فأرسل ابن عمر الى النضر ان هذا لا يريد غيري وغيرك فهلم نجتمع عليه فتعاقدا عليه واجتمعا بالكوفة وكان كل منهما يصلي بأصحابه ، وأقبل الضحاك فنزل بالنخيلة في رجب واستراح ثم تعبوا للقتال يوم الخميس من غد يوم نزوله فاقتتلوا قتالاً شديداً فكشفوا ابن عمر وقتلوا أخاه عاصماً وجعفر بن العباس الكندي أخا عبيد الله ودخل ابن عمر خندقه وبقي الخوارج عليهم إلى الليل ثم انصرفوا ، ثم اقتتلوا يوم الجمعة فانهزم أصحاب ابن عمر فدخلوا خنادقهم ، فلما أصبحوا يوم السبت تسلل

أصخابه نحو واسط ورأوا قوماً لم يروا أشد بأساً منهم ، وكان ممن لحق بواسط النضر بن سعيد الحرشي ، واسماعيل بن عبد الله القسري أخو خالد ، ومنصور بن جمهور ، والاصبغ بن ذؤالة ، وغيرهم من الوجوه ، وبقي ابن عمر فيمن عنده من أصحابه لم يبرح فقال له أصحابه : قد هرب الناس فعلام تقيم ؟ فبقي يومين لا يرى الا هارباً فرحل عند ذلك إلى واسط ، واستولى الضحاك على الكوفة ودخلها ، ولم يأمنه عبيد الله بن العباس الكندي على نفسه فصار مع الضحاك وبايعه وصار في عسكره ، فقال أبو عطاء السنديّ له يعيره باتباعه الضحاك وقد قتل أخاه :

فقُلْ لِعُبَيدِ الله لو كان جعفرٌ ... هو الحيُّ لم يجنح وأنتَ قتِيلُ
ولم يتبَعِ المُرَّاقَ والثارُ فيهمُ ... وفي كفِّهِ عَضْبُ الذبابِ صَقِيلُ
إلى مَعْشَرٍ رَدُّوا أخاكَ وأكفروا ... أباكَ فماذا بعدَ ذاك تقولُ

فلما بلغ عبيد الله هذا البيت من قول أبي عطاء : قال : أقول عض ببظر أمك :

فلا وصلَتْكَ الرَّحْمُ من ذي قَرابَةٍ ... وطالبِ وِتْرٍ والذَّليلُ ذَلِيلُ
تَركتَ أخا شَيْبَانَ يسلبُ بَزَّه ... ونجاكَ خَوَّارُ العِنانِ مَطولُ

ووصل ابن عمر إلى واسط فنزل بدار الحجاج بن يوسف ؛ وعادت الحرب بين عبد الله والنضر إلى ماكانت عليه قبل قدوم الضحاك إلى النضر يطلب أن يسلم إليه ابن عمر ولاية العراق بعهد مروان له وابن عمر يمتنع ، وسار الضحاك من الكوفة إلى واسط واستخلف ملجان الشيباني[1] ، ونزل الضحاك باب المضمار فلما رأى ذلك ابن عمر ، والنضر تركا الحرب بينهما واتفقا على قتال الضحاك فلم يزالوا على ذلك شعبان ، وشهر رمضان ، وشوال والقتال بينهم متواصل ، ثم ان منصور بن جمهور قال لابن عمر : ما رأيت في الناس مثل هؤلاء فلم تحاربهم وتشغلهم عن مروان اعطهم الرضا واجعلهم بينك وبين مروان فإنهم يرجعون عنا إليه ويوسعونه شراً فإن ظفروا به كان ما أردت وكنت عندهم آمناً وإن ظفر بهم وأردت خلافه وقتاله قاتلته وأنت مستريح ، فقال ابن عمر : لا تعجل حتى ننظر ، فلحق بهم منصور وناداهم إني أريد أن أسلم

---

(١) في الطبري « ملحان » بالحاء المهلمة .

واسمع كلام الله وهي حجتهم[١] فدخل اليهم وبايعهم ، ثم ان عبد الله بن عمر بن عبد العزيز خرج إليهم في شوال فصالحهم وبايع الضحاك ومعه سليمان بن هشام بن عبد الملك .

ذكر خلع أبي الخطار أمير الاندلس وإمارة ثوابة

وفي هذه السنة خلع أهل الاندلس أبا الخطار الحسام بن ضرار أميرهم ، وسبب ذلك انه لما قدم الاندلس اميراً أظهر العصبية لليمانية على المضرية ، فاتفق في بعض الأيام أنه اختصم رجل من كنانة ورجل من غسان فاستعان الكناني بالصميل بن حاتم بن ذي الجوشن الضبابي فكلم فيه أبا الخطار فاستغلظ له أبو الخطار فأجابه الصميل فأمر به فأقيم وضرب قفاه فمالت عمامته فلما خرج قيل له : نرى عمامتك مالت فقال : إن كان لي قوم فسيقيمونها ـ وكان الصميل من أشراف مضر فلما دخل الاندلس مع بلج شرف فيها بنفسه وأوليته ـ فلما جرى له ما ذكرناه جمع قومه وأعلمهم فقالوا له : نحن تبع لك ، فقال : أريد أن اخرج أبا الخطار من الأندلس فقال له بعض أصحابه : افعل واستعن بمن شئت ولا تستعن بأبي عطاء القيسي ـ وكان من أشراف قيس ـ وكان يناظر الصميل في الرياسة ويحسده .

وقال له غيره : الرأي انك تأتي أبا عطاء وتشد أمرك به فإنه تحركه الحمية وينصرك وإن تركته مال إلى أبي الخطار وأعانه عليك ليبلغ فيك ما يريد ، والرأي أيضاً أن تستعين عليه بأهل اليمن فضلاً عن معد ففعل ذلك وسار من ليلته إلى أبي عطاء ـ وكان يسكن مدينة أستجة ـ فعظمه ابو عطاء وسأله عن سبب قدومه فأعلمه فلم يكلمه حتى قام فركب فرسه ولبس سلاحه وقال له : انهض الآن حيث شئت فأنا معك وأمر أهله وأصحابه باتباعه فساروا إلى مرو وبها ثوابة بن سلمة الحداني وكان مطاعاً في قومه وكان ابو الخطار قد استعمله على اشبيلية وغيرها ثم عزله ففسد عليه ، فدعاه الصميل إلى نصره ووعده أنهم إذا اخرجوا أبا الخطار صار اميراً فأجاب إلى نصره ودعا قومه فأجابوه ، فساروا إلى شدونة وسار إليهم أبو الخطار من قرطبة واستخلف بها انساناً فالتقوا واقتتلوا في رجب من هذه السنة وصبر الفريقان ثم وقعت الهزيمة على أبي

---

(١) في الطبري « وهي محنتهم » .

الخطار وقتل اصحابه أشد قتل وأسر ابو الخطار ، وكان بقرطبة أمية بن عبد الملك بن قطن فأخرج منها خليفة أبي الخطار وانتهب ما وجد لهما فيها ، ولما انهزم ابو الخطار سار ثوابة بن سلمة ، والصميل الى قرطبة فملكاهـا واستقر ثوابة في الامارة ، فثار به عبد الرحمن بن حسان الكلبي وأخرج ابا الخطار من السجن فاستجاش اليمانية فاجتمع له خلق كثير وأقبل بهم الى قرطبة ، وخرج إليه ثوابة فيمن معه من اليمانية والمضرية مع الصميل ، فلما تقاتل الطائفتان نادى رجل من مضر يا معشر اليمانية ما بالكم تتعرضون للحرب على أبي الخطار وقد جعلنا الأمير منكم ـ يعني ثوابة ـ فإنه من اليمن ولو أن الأمير منا لقد كنتم تعتذرون في قتالكم لنا وما نقول هذا إلا تحرجاً من الدماء ورغبة في العافية للعامة ، فلما سمع الناس كلامه قالوا : صدق والله الأمير منا فما بالنا نقاتل قومنا فتركوا القتال وافترق الناس ، فهرب أبو الخطار فلحق بباجة ورجع ثوابة إلى قرطبة فسمي ذلك العسكر عسكر العافية .

ذكـر شيعة بني العباس

في هذه السنة توجه سليمان بن كثير ، ولاهز بن قريظ ، وقحطبة إلى مكة فلقوا ابراهيم بن محمد الامام بها واوصلوا إلى مولى له عشرين ألف دينار ، ومائتي ألف درهم ، ومسكاً ، ومتاعاً كثيراً ، وكان معهم أبو مسلم فقال سليمان لابراهيم : هذا مولاك ، وفيها كتب بكير بن ماهان إلى إبراهيم الإمام أنه في الموت وانه قد استخلف أبا سلمة حفص بن سليمان وهو رضا للامر ، فكتب إبراهيم لأبي سلمة يأمره بالقيام بأمر أصحابه ، وكتب إلى أهل خراسان يخبرهم أنه قد أسند أمرهم إليه ، ومضى أبو سلمة إلى خراسان فصدقوه وقبلوا أمره ودفعوا إليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة وخمس أموالهم .

ذكــر عدة حوادث

وحج بالناس هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو عامل مروان على مكة ، والمدينة ، والطائف ، وكان العامل على العراق النضر بن الحرشي ، وكان من أمره ، وأمر ابن عمر ، والضحاك الخارجي ما ذكرنا ، وكان بخراسان نصر بن سيار وبها من ينازعه فيها الكرماني ، والحرث بن سريج .

وفيها مات سويد بن غفلة ، وقيل : سنة إحدى وثلاثين ، وقيل : سنة اثنتين وثلاثين وعمره مائة وعشرون سنة ، وعبد الكريم بن مالك الجزري ، وقيل : غير ذلك .

وفيها مات أبو حصين عثمان بن حصِين الأسدي الكوفي (حصين) بفتح الحاء وكسر الصاد .

وفيها مات أبو اسحاق عمرو بن عبد الله السَبِيعي الهمداني ، وقيل : سبنة ثمان وعشرين وعمره مائة سنة .

(السبيعي) بفتح السين وكسر الباء ، وفيها توفي عبد الله بن دينار ، وقيل : سنة ست وثلاثين ، وفيها مات محمد بن واسع الأزدي البصري وكنيته أبو بكر ، وداود بن أبي هند ـ واسم أبي هند دينار مولى بني قشير أبو محمد ـ ، وفيها توفي أبو بحر عبد الله بن اسحاق مولى الخضر ـ وكان إماماً في النحو واللغة تعلم ذلك من يحيى بن النعمان ـ وكان يعيب الفرزدق في شعره وينسبه إلى اللحن فهجاه الفرزدق يقول :

فلو كان عبد الله مولى هجوته ... ولكن عبد الله مولى مواليا

فقال له أبو عبد الله : لقد لحنت أيضاً في قولك موالياً ينبغي أن تقول : مولى موال .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائة
ذكـر قتل الحرث بن سريج وغلبة الكرماني على مرو

قد تقدم ذكر أمان يزيد بن الوليد للحرث بن سريج وعوده من بلاد المشركين إلى بلاد الاسلام وما كان بينه وبين نصر من الاختلاف ، فلما ولي ابن هبيرة العراق كتب إلى نصر بعهده على خراسان فبايع لمروان بن محمد ، فقال الحرث : إنما أمنني يزيد ولم يؤمنني مروان ولا يجيز مروان أمان يزيد فلا آمنه فخالف نصراً فأرسل إليه نصر يدعوه إلى الجماعة وينهاه عن الفرقة وأطماع العدو فلم يجبه إلى ما أراد وخرج فعسكر، وأرسل إلى نصر اجعل الأمر شورى فأبى نصر ، وأمر الحرث جهم بن صفوان رأس الجهمية ـ وهو مولى راسب ـ أن يقرأ سيرته وما يدعو إليه على الناس فلما سمعوا ذلك كثروا وكثر جمعه .

وأرسل الحرث إلى نصر ليعزل سالم بن أحـوز عن شرطته ويغير عماله ، ويقر الامر بينهما أن يختاروا رجالاً يسمون لهم قوماً يعملون بكتاب الله ، فاختار نصر مقاتل بن سليمان ، ومقاتل بن حيان ، واختار الحرث المغيرة بن شعبة الجهضمي ، ومعاذ بن جبلة ، وأمر نصر كاتبه أن يكتب ما يرضي هؤلاء الأربعة من السنن وما يختارونه من العمال فيوليهم ثغر سمرقند ، وطخارستان ، وكان الحرث يظهر أنه صاحب الرايات السود فأرسل إليه نصر إن كنت تزعم أنكم تهدمون سور دمشق وتزيلون ملك بني أمية فخذ مني خمسمائة رأس ، ومائتي بعير ، واحمل من الاموال ما شئت وآلة الحرب وسر فلعمري لئن كنت صاحب ما ذكرت إني لفي يدك وإن كنت لست ذلك فقد أهلكت عشيرتك ، فقال الحرث : قد علمت أن هذا حق ولكن لا يبايعني عليه من صحبني فقال نصر : فقد ظهر انهم ليسـوا على رأيك فـاذكر الله في عشـرين ألفاً من ربيعـة واليمن يهلكون فيما بينكم ، وعرض عليه نصر أن يوليه ما وراء النهر ويعطيه ثلاثمائة

ألف فلم يقبل ، فقال له نصر : فابدأ بالكرماني فإن قتلته فأنا في طاعتك فلم يقبل ، ثم تراضيا بأن حكما جهم بن صفوان ، ومقاتل بن حيان فحكما بأن يعتزل نصر وأن يكون الأمر شورى فلم يقبل نصر فخالفه الحرث ، واتهم نصر قوماً من أصحابه أنهم كاتبوا الحرث فاعتذروا إليه فقبل عذرهم ، وقدم عليه جمع من أهل خراسان حين سمعوا بالفتنة منهم عاصم بن عمير الصريمي ، وأبو الذيال الناجي ، ومسلم بن عبد الرحمن ، وغيرهم ، وأمر الحرث أن تقرأ سيرته في الاسواق ، والمساجد ، وعلى باب نصر فقرئت فأتاه خلق كثير ، وقرأها رجل على باب نصر فضربه غلمان نصر فنابذهم الحرث وتجهزوا للحرب ، ودل رجل من أهل مرو الحرث على نقب في سورها فمضى الحرث إليه فنقبه ودخل المدينة من ناحية باب بالين فقاتلهم جهم بن مسعود الناجي فقتل جهم وانتهبوا منزل سالم بن أحوز وقتلوا من كان يحرس باب بالين وذلك يوم الاثنين[١] لليلتين بقيتا من جُمادى الآخرة، وعدل الحرث في سكة السعد فرأى أعين مولى حيان فقاتله فقتل أعين ، وركب سالم حين أصبح وأمر منادياً فنادى من جاء برأس فله ثلاثمائة فلم تطلع الشمس حتى انهزم الحرث وقاتلهم الليل كله ، وأتى سالم عسكر الحرث فقتل كاتبه ـ واسمه يزيد بن داود ـ وقتل الرجل الذي دل الحرث على النقب .

وأرسل نصر إلى الكرماني فأتاه على عهد وعنده جماعة فوقع بين سالم بن أحوز ، ومقدام بن نعيم كلام فأغلظ كل واحد منهما لصاحبه فأعان كل واحد منهما نفر من الحاضرين فخاف الكرماني أن يكون مكراً من نصر فقام وتعلقوا به فلم يجلس وركب فرسه ورجع وقال : أراد نصر الغدر بي ، وأسر يومئذ جهم بن صفوان وكان مع الكرماني فقتل ، وأرسل الحرث ابنه حاتماً إلى الكرماني فقال له محمد بن المثنى : هما عدواك دعهما يضطربان ، فلما كان الغد ركب الكرماني إلى باب ميدان يزيد فقاتل أصحاب نصر ، وأقبل الكرماني إلى باب حرب بن عامر ، ووجه أصحابه إلى نصر يوم الاربعاء فترامـوا ثم تحاجزوا ولم يكن بينهم يوم الخميس قتال ، والتقوا يوم الجمعة فانهزم الأزد حتى وصلوا إلى الكرماني فأخذ اللواء بيده فقاتل به وانهزم أصحاب نصر وأخذوا لهم ثمانين فرسا ، وصرع تميم بن نصر وأخذوا له برذونين وسقط سالم بن أحوز فحمل إلى عسكر نصر ، فلما كان بعض الليل خرج نصر من مرو ، وقيل : عصمة بن

---

(١) في الطبري « ليلة الاثنين ».

عبد الله الأسدي فكان يحمي أصحاب نصر واقتتلوا ثلاثة أيام فانهزم أصحاب الكرماني في آخر يوم وهم الازد ، وربيعة ، فنادى الخليل بن غزوان يا معشر ربيعة ، واليمن قد دخل الحرث السوق وقتل ابن الأقطع - يعني نصر بن سيار - ففت في أعضاد المضرية - وهم أصحاب نصر - فانهزموا ، وترجل تميم بن نصر فقاتل ، فلما هزمت اليمانية مضر أرسل الحرث إلى نصران اليمانية يعيرونني بانهزامكم وأنا كاف فاجعل حماة أصحابك بازاء الكرماني ، فأخذ عليه نصر العهود بذلك ، وقدم على نصر عبد الملك بن سعد العودي[1]، وأبو جعفر عيسى بن حرز[2] من مكة فقال نصر لعبد الحكم العوذي - وهم بطن من الأزد : - أما ترى ما فعل سفهاء قومك ؟ فقال : بل سفهاء قومك طالت ولايتها بولايتك دون ربيعة ، واليمن ، فنظروا في ربيعة ، واليمن علماء وسفهاء فغلب السفهاء العلماء ، فقال أبو جعفر عيسى لنصر : أيها الامير حسبك من الولاية وهذه الامور فإنه قد أظلك أمر عظيم[3] سيقوم رجل مجهول النسب يظهر السواد ويدعو إلى دولة تكون فيغلب على الامر وأنتم تنظرون فقال نصر : ما أشبه أن يكون كما تقول لقلة الوفاء وسوء ذات البين ، فقال : إن الحرث مقتول مصلوب وما الكرماني من ذلك ببعيد .

فلما خرج نصر من مرو غلب عليها الكرماني وخطب الناس فأمنهم وهدم الدور ونهب الاموال فأنكر الحرث عليه ذلك فهمَّ الكرماني به ثم تركه ؛ واعتزل بشر بن جرموز الضبي في خمسة آلاف وقال للحرث : إنما قاتلت معك طلب العدل فأما إذا أنت مع الكرماني فما تقاتل إلا ليقال غلب الحرث وهؤلاء يقاتلون عصبية فلست مقاتلاً معك فنحن الفئة العادلة لا نقاتل إلا من يقاتلنا ، وأتى الحرث مسجد عياض وأرسل إلى الكرماني يدعوه إلى أن يكون الأمر شورى فأبى الكرماني فانتقل الحرث عنه وأقاموا أياماً ، ثم إن الحرث أتى السور فثلم فيه ثلمة ودخل البلد وأتى الكرماني فاقتتلوا فاشتد القتال بينهم فانهزم الحرث وقتلوا ما بين الثلمة وعسكرهم - والحرث على بغل - فنزل عنه وركب فرساً وبقي في مائة فقتل عند شجرة زيتون أو غبيراء وقتل أخوه سوادة وغيرهما .

---

(١) في الطبري « عبد الحكيم بن سعيد العوذي » .

(٢) في الطبري « بن جرز » .

(٣) في الطبري « قد أطل أمر عظيم » .

وقيل : كان سبب قتله أن الكرماني خرج إلى بشر بن جرموز الذي ذكرنا اعتزاله ومعه الحرث بن سريج فأقام الكرماني أياماً بينه وبين عسكر بشر فرسخان ثم قرب منه ليقاتله فندم الحرث على اتباع الكرماني وقال : لا تعجل إلى قتالهم فأنا أردهم عليك فخرج في عشرة فوارس فأتى عسكر بشر فأقام معهم ، وخرج المضرية أصحاب الحرث من عسكر الكرماني إليه فلم يبق مع الكرماني مضري غير سلمة بن أبي عبد الله فإنه قال : لم أر الحرث إلا غادراً وغير المهلب بن أياس، فإنه قال : لم أر الحرث قط إلا في خيل تطرد ، فقاتلهم الكرماني مراراً يقتتلون ثم يرجعون إلى خنادقهم مرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء ، ثم إن الحرث ارتحل بعد أيام فنقب سور مرو ودخلها وتبعه الكرماني فدخلها أيضاً ، فقالت المضرية للحرث تركنا الخنادق فهو يومنا وقد فررت غير مرة فترجل فقال : أنا لكم فارساً خير مني لكم راجلاً ، فقالوا : لا نرضى إلا أن تترجل وترجل فاقتتلوا هم والكرماني فقتل الحرث ، وأخوه ، وبشر بن جرموز ، وعدة من فرسان تميم وانهزم الباقون ، وصلب الحرث وصفت مرو لليمن فهدموا دور المضرية فقال نصر بن سيار للحرث حين قتل :

يا مُدْخِلِ الذلِّ على قومِهِ ... بُعداً وسُحقاً لك من هالِكِ
شُؤمُكَ أرْدَى مُضراً كلها ... وحزّ[١] من قَومِك بالحارِك
ما كانت الأزدُ وأشياعُها ... تطمع في عمرو ولا مالِكِ
ولا بنو سعدٍ[٢] إذا ألجَمُوا ... كل طِمرٍ لونُهُ حالِكِ

عمرو ، ومالك ، وسعد بطون من تميم ، وقيل : بل قال هذه الأبيات نصر لعثمان بن صدقة ، وقالت أم كثير الضبية :

لا بَارَكَ اللَّهُ في أنثى وعذّبها[٣] ... تزوجتْ مُضَرِيّاً آخِرَ الدهرِ
أبلغْ رِجالَ تميمٍ قولَ موجَعَةٍ ... أحِلَلْتُمُوها بِدَار الذلِّ والفقرِ
إنْ أنتم لَم تَكِرُّوا بعد جَوْلَتِكُمْ ... حتى تعدوا[٤] رجال الأزدِ في الظهرِ

---

(١) في الطبري « وغض » .
(٢) في الطبري « ولا بني سعد » .
(٣) في بعض الاصول « وعن بها » .
(٤) في الطبري « حتى تُعيدوا » .

إني استحييتُ لكم من بعدِ[1] طاعَتِكُم ... هـذا المزُونيّ يَجْنيكُم[2] على قَهْـرِ

ذكـر شيعة بني العباس

وفي هذه السنة وجه ابراهيم الإمام أبا مسلم الخراساني ـ واسمه عبد الرحمن بن مسلم ـ إلى خراسان وعمره تسع عشرة سنة ، وكتب إلى أصحابه إني قد أمرته بأمري فاسمعوا له وأطيعوا فإني قد أمرته على خراسان وما غلب عليه بعد ذلك ، فأتاهم فلم يقبلوا قوله وخرجوا من قابل فالتقوا بمكة عند ابراهيم فأعلمه أبو مسلم أنهم لم ينفذوا كتابه وأمره فقال ابراهيم : قد عرضت هذا الأمر على غير واحد وأبوه علي ، وكان قد عرضه على سليمان بن كثير فقال : لا ألي على اثنين أبداً، ثم عرضه على ابراهيم بن سلمة فأبى فأعلمهم أنه قد أجمع رأيه على أبي مسلم وأمرهم بالسمع والطاعة له ، ثم قال له : إنك رجل منا أهل بيت احفظ وصيتي انـظر هذا الحي من اليمن فـالزمهم واسكن بين أظهرهم فان الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم ، واتهم ربيعة في أرمهم ، وأما مضر فانهم العدو القريب الدار ، واقتل من شككت فيه ، وإن استطعت أن لا تـدع بخراسان من يتكلم بالعربية فافعل ، وأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله ، ولا تخالف هذا الشيخ ـ يعني سليمان بن كثير ـ ولا تعص، وإذا أشكل عليك أمر فاكتف به مني ، وسيرد من خبر أبي مسلم غير هذا إن شاء الله تعالى .

ذكـر قتل الضحاك الخارجي

قد ذكرنا محاصرة الضحاك بن قيس الخارجي عبدالله بن عمر بن عبد العـزيز بواسط ، فلما طال عليه الحصار أُشير عليه بأن يدفعه عن نفسه إلى مروان ، فأرسل ابن عمر إليه أن مقامكم علي ليس يسيء ، هذا مروان فسيروا إليه فإن قتلته فأنا معك فصالحه وخرج إليه وصلى خلفه فانصرف إلى الكوفة وأقام ابن عمر بواسط وكاتب أهل الموصل الضحاك ليقدم عليهم ليمكنوه منها فسار في جماعة من جنوده بعد عشرين شهراً حتى انتهى إليها ـ وعليها يومئذٍ لمروان رجل من بني شيبان يقال له : القطران بن أكمة ـ ففتح أهل الموصل البلد فدخله الضحاك وقاتلهم القطران ومن معه من أهله وهم عدة يسيرة

---

(١) في الطبري « بذل ».
(٢) في الطبري «يجبيكم».

حتى قتلوا واستولى الضحاك على الموصل وكورها .

وبلغ مروان خبره وهو محاصر حمص مشتغل بقتال أهلها فكتب إلى ابنه عبدالله وهو خليفته بالجزيرة يأمره أن يسير إلى نصيبين فيمن معه يمنع الضحاك عن توسط الجزيرة، فسار إليها في سبعة آلاف أو ثمانية آلاف ، وسار الضحاك إلى نصيبين فحصر عبدالله فيها ، وكان مع الضحاك ما يزيد على مائة ألف ، ووجه قائدين من قواده إلى الرقة في أربعة آلاف أو خمسة آلاف فقاتله من بها فوجه إليهم مروان من رحلهم عنها ، ثم إن مروان سار إلى الضحاك فالتقوا بنواحي كفرتوثا من أعمال ماردين فقاتله يومه أجمع ، فلما كان عند المساء ترجل الضحاك ومعه من ذوي الثبات وأرباب البصائر نحو من ستة آلاف ولم يعلم أكثر أهل عسكره بما كان فأحدقت بهم خيول مروان وألحوا عليهم في القتال حتى قتلوهم عند العتمة ، وانصرف من بقي من أصحاب الضحاك عند العتمة إلى عسكرهم ولم يعلموا بقتل الضحاك ولم يعلم به مروان أيضاً ، وجاء بعض من عاينه إلى أصحابه فأخبرهم فبكوا وناحوا عليه ، وخرج قائد من قواده إلى مروان فأخبره فأرسل معه النيران والشمع فطافوا عليه فوجدوه قتيلاً وفي وجهه وفي رأسه أكثر من عشرين ضربة فكبروا فعرف عسكر الضحاك انهم قد علموا بقتله، وبعث مروان رأسه إلى مدائن الجزيرة فطيف به فيها، وقيل : ان الضحاك والخيبري إنما قتلا سنة تسع وعشرين .

ذكر قتل الخيبري وولاية شيبان

ولما قتل الضحاك أصبح أهل عسكره فبايعوا الخيبري وأقاموا يومئذٍ وغادوا القتال من بعد الغد وصافوا مروان وصافهم ، وكان سليمان بن هشام بن عبد الملك مع الخيبري وكان قبله مع الضحاك وقد ذكرنا سبب قدومه، وقيل : بل قدم على الضحاك - وهو بنصيبين - في أكثر من ثلاثة آلاف من أهل بيته ومواليه تزوج أخت شيبان الحروري الذي بويع بعد قتل الخيبري فحمل الخيبري على مروان في نحو من أربعمائة فارس من الشراة فهزم مروان وهو في القلب وخرج مروان من العسكر منهزماً ودخل الخيبري ومن معه عسكره ينادون بشعارهم ويقتلون من أدركوا حتى انتهوا إلى خيمة مروان نفسه فقطعوا أطنابها وجلس الخيبري على فرشه ، وميمنة مروان وعليها ابنه عبد الله ثابتة

وميسرته ثابتة وعليها إسحاق بن مسلم العقيلي ، فلما رأى أهل العسكر قلة من مع الخيبري ثار إليه عبيدهم بعمد الخيم فقتلوا الخيبري وأصحابه جميعاً في خيمة مروان وحولها، وبلغ مروان الخبر وقد جاز العسكر بخمسة أميال أو ستة منهزماً|فانصرف إلى عسكره ورد خيوله عن مواقعها وبات ليلته في عسكره ، وانصرف أهل عسكر الخيبري فولوا عليهم شيبان وبايعوه فقاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس وأبطل الصف منذ يومئذ .

ذكر خبر أبي حمزة الخارجي مع طالب الحق

كان اسم أبي حمزة الخارجي المختار بن عوف الازدي السلمي البصري ، وكان أول أمره أنه كان من الخوارج الاباضية يوافي كل سنة مكة يدعو الناس إلى خلاف مروان بن محمد فلم يزل كذلك حتى وافى عبد الله بن يحيى المعروف بطالب الحق في آخر سنة ثمان وعشرين فقال له : يا رجل أسمع كلاماً حسناً وأراك تدعو إلى حق فانطلق معي فإني رجل مطاع في قومي ، فخرج حتى ورد حضر موت فبايعه أبو حمزة على الخلافة ودعا إلى خلاف مروان ، وآل مروان ، وكان أبو حمزة اجتاز مرة بمعدن بني سليم - والعامل عليه كثير بن عبد الله - فسمع كلام أبي حمزة فجلده أربعين سوطاً ، فلما ملك ابو حمزة المدينة وافتتحها تغيب كثير حتى كان من أمرهما ما كان.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة سير مروان يزيد بن هبيرة إلى العراق لقتال من به من الخوارج في قول، وحج بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو عامل مكة والمدينة ، وكان بالعراق عمال الضحاك الخارجي ، وعبدالله بن عمر بن عبد العزيز ؛ وعلى قضاء البصرة ثمامة بن عبد الله بن أنس ، وبخراسان نصر بن سيار - والفتنة بها قائمة .

وفيها مات عاصم بن ابي النجود صاحب القراآت ، ويعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس الثقفي المدني ، وفيها توفي جابر بن يزيد الجعفي - وكان من غلاة الشيعة يقول بالرجعة -.

وفيها مات محمد بن مسلم بن تدروس أبو الزبير المكي ، وجامع بن شداد ، وأبو

قبِيل المعافري ـ واسمه حيي بن هانىء المضري ـ (قبيـل) بفتح القـاف وكسر البـاء الموحدة ، وسعيد بن مسروق الثوري والد سفيان وكان ثقة في الحديث .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائة
ذكر شيبان الحروري إلى أن قتل

وهو شيبان بن عبد العزيز أبو الدلف اليشكري ، وكان سبب هلاكه أن الخوارج لما بايعوه بعد قتل الخيبري أقام يقاتل مروان وتفرق عن شيبان كثير من أصحاب الطمع فبقي في نحو أربعين ألفاً ، فأشار عليهم سليمان بن هشام أن ينصرفوا الى الموصل فيجعلوها ظهرهم فارتحلوا وتبعهم مروان حتى انتهوا إلى الموصل فعسكروا شرقي دجلة[1] وعقدوا جسوراً عليها من عسكرهم إلى المدينة فكانت ميرتهم ومرافقهم منها ، وخندق مروان بازائهم ، وكان الخوارج قد نزلوا بالكار ومروان بخصة ، وكان أهل الموصل يقاتلون مع الخوارج فأقام مروان ستة أشهر يقاتلهم ؛ وقيل : تسعة أشهر ،وأتي مروان بابن أخ لسليمان بن هشام يقال له : أمية بن معاوية بن هشام ـ وكان مع عمه سليمان في عسكر شيبان أسيراً فقطع يديه وضرب عنقه وعمه ينظر اليه ، وكتب مروان إلى يزيد بن عمر بن هبيرة يأمره بالمسير من قرقيسيا بجميع من معه إلى العراق ـ وعلى الكوفة المثنى بن عمران العائذي عائذة قريش وهو خليفة للخوارج بالعراق فلقي ابن هبيرة بعين التمر فاقتتلوا قتالاً شديداً وانصرفت الخوارج ثم اجتمعوا بالكوفة بالنخيلة فهزمهم ابن هبيرة ، ثم اجتمعوا بالبصرة فأرسل شيبان إليهم عبيدة بن سوار في خيل عظيمة فالتقوا بالبصرة فانهزمت الخوارج وقتل عبيدة واستباح ابن هبيرة عسكرهم فلم يكن لهم همة بالعراق ، واستولى ابن هبيرة على العراق ، وكان منصور بن جمهور مع الخوارج فانهزم وغلب على الماهين وعلى الجبل أجمع ، وسار ابن هبيرة الى واسط فأخذ ابن عمر فحبسه ، ووجه نباتة بن حنظلة إلى سليمان بن حبيب وهو على

---

(١) في بعض النسخ « فسكروا شرقي دجة » .

كور الاهواز فسمع سليمان الخبر فأرسل إلى نباتة داود بن حاتم فالتقوا بالمرتان[١] على شاطىء دجيل فانهزم الناس وقتل داود بن حاتم وكتب مروان إلى ابن هبيرة لما استولى على العراق يأمره بإرسال عامر بن ضبارة المري إليه فسيَّره في سبعة آلاف أو ثمانية آلاف ، فبلغ شيبان خبره فأرسل الجون بن كلاب الخارجي في جمع فلقوا عـامراً بالسن فهزموه ومن معه فدخل السن وتحصن فيه ، وجعل مروان يمده بـالجنود على طريق البر حتى ينتهوا إلى السن فكثر جمع عامر ، وكان منصور بن جمهور يمد شيبان من الجبل بالأموال فلما كثر من مع عامر نهض إلى الجون والخوارج فقاتلهم فهزمهم وقتل الجون ، وسار ابن ضبارة مصعداً إلى الموصل ، فلما انتهى خبر قتل الجون إلى شيبان ومسير عامر نحوه كره أن يقيم بين العسكرين فارتحل بمن معه من الخوارج وقدم عامر على مروان بالموصل فسيره في جمع كثير في أثر شيبان فإن أقام أقام وان سار سار وأن لا يبدأه بقتال فإن قاتله شيبان قاتله وإن أمسك أمسك عنه وإن ارتحل اتبعه فكان على ذلك حتى مر على الجبل وخرج على بيضاء فارس بها عبد الله بن معاوية بن حبيب بن جعفر في جموع كثيرة فلم يتهيأ الامر بينهما فسار حتى نزل جيرفت من كرمان ، وأقبل عامر بن ضبارة حتى نزل بازاء ابن معاوية أياماً ثم ناهضه وقاتله فانهزم ابن معاوية فلحق بهراة ، وسار ابن ضبارة بمن معه فلقي شيبان بجيرفت فـاقتتلوا قتالاً شـديداً فانهزمت الخوارج واستبيح عسكرهم ومضى شيبان إلى سجستان فهلك بها وذلك في سنة ثلاثين ومائة .

وقيل : بل كان قتال مروان ، وشيبان على الموصل مقدار شهر ثم انهـزم شيبان حتى لحق بفارس وعامر ابن ضبارة يتبعه ، وسار شيبان إلى جزيرة ابن كاوان ثم خرج منها إلى عمان فقتله جلندي بن مسعود بن جيفر بن جلندي الأزدي سنة أربع وثلاثين ومائة ونذكره هناك إن شاء الله تعالى ، وركب سليمان ومن معه من أهله ومواليه السفن إلى السند ، ولماولي السفاح الخلافة حضر عنده سليمان فأكرمه وأعطاه يده فقبلها ، فلما رأى ذلك سديف مولى السفاح أقبل عليه وقال :

لا يَغُرنـكَ مـا تـرى من رِجـالٍ … إن تـحـتَ الـضلوع داء دويـا

فضعِ السيفَ وارفعِ السوطَ حتى … لا تـرى فـوقَ ظَهْـرِهَـا أمـويًـا

---

(١) في الطبري « بالمريان »

فأقبل عليه سليمان وقال : قتلتني أيها الشيخ وقام السفاح فدخل فأخذ سليمان فقتل ، وانصرف مروان بعد مسير شيبان عن الموصل إلى منزله بحران فأقام بها حتى سار إلى الزّاب .

ذكـر إظهار الدعوة العباسية بخراسان

وفي هذه السنة شخص أبو مسلم الخراساني من خراسان إلى ابراهيم الامام وكان يختلف منه إلى خراسان ويعود إليه ،فلما كانت هذه السنة كتب ابراهيم إلى أبي مسلم يستدعيه ليسأله عن اخبار الناس فسار نحوه في النصف من جُمادى الآخرة مع سبعين نفساً من النقباء ، فلما صاروا بالدانقان من أرض خراسان عرض له كامل فسأله عن مقصده فقال: الحج ثم خلا به أبو مسلم فدعاه فأجابه ، ثم سار أبو مسلم إلى نسا ـ وعاملها سليمان بـن قيس السلمي[١] لنصر بن سيار ـ فلما قرب منها أرسل الفضل بن سليمان الطوسي إلـى أسيد بن عبد الله الخزاعي ليعلمه قدومه فدخل قرية من قرى نسا فلقي رجلاً من الشيعة فسأله عن أسيد فانتهره وقال له : انه كان في هذه القرية شراً سعى إلى العامل برجلين قيل : إنهما داعيان فأخذهما وأخذ الأحجم بن عبد الله ، وغيلان بن فضالة ، وغالب بن سعيد ، ومهاجر بن عثمان ، فانصرف الفضل إلى أبي مسلم وأخبره فتنكب الطريق وأرسل طرخان الحمال[٢] يستـدعي أسيداً ومن قـدر عليه من الشيعة فدعا له أسيداً فأتاه فسأله عن الاخبار فقـال : قدم الأزهر بن شعيب ، وعـبد الملك بن سعد بكتب الإمام إليك فخلفا الكتب عندي وخرجا فأُخذا فلا أدري من سعى بهما قال : فأين الكتب ؟ فأتاه بها ، ثم سار حتى أتى قومس وعليها بيهس بن بديل العجلي فأتاهم بيهس فقال : أين تريدون ؟ قالوا : الحج ، وأتاه وهو بقومس كتاب إبراهيم الإمام إليه ،وإلى سليمان بن كثير يقول لأبي مسلم فيه :إني قد بعثت إليك براية النصر فارجع من حيث لقيك كتابي ووجه إلى قحطبة بما معك يوافيني به في الموسم فـانصرف أبـو مسلم إلى خراسـان ووجه قحـطبة إلى الإمـام بمـا معـه من الأمـوال والعروض ، فلما كانوا بنيسابور[٣] عرض لهم صاحب المسلحة فسألهم عن حالهم

---

(١) في الطبري « عاصم بن قيس السُلمي » .

(٢) في الطبري « طرخان الجمال » .

(٣) في الطبري « بنسا » .

فقالوا : أردنا الحج فبلغنا عن الطريق شيء خفناه فأمر المفضل بن السرقي السلمي بإزعاجهم فخلا به أبو مسلم وعرض عليه أمرهم فأجابه وأقام عندهم حتى ارتحلوا على مهل ، فقدم أبو مسلم مرو فدفع كتاب الامام إلى سليمان بن كثير يأمره فيه بإظهار الدعوة فنصبوا أبا مسلم وقالوا : رجل من أهل البيت ودعوا الى طاعة بني العباس وأرسلوا إلى من قرب منهم وبعد ممن أجابهم فأمروه بإظهار أمرهم والدعاء إليهم ، فنزل أبو مسلم قرية من قرى مرو يقال لها : فنين على أبي الحكم عيسى بن أعين النقيب ووجه منها أبا داود النقيب ومعه عمرو بن أعين إلى طخارستان فما دون بلخ فأمرهما بإظهار الدعوة في شهر رمضان وكان نزوله في هذه القرية في شعبان ، ووجه نصر بن صبيح[1] التميمي ، وشريك بن غضي التميمي إلى مرو الروذ بإظهار الدعوة في رمضان ، ووجه أبا عاصم عبد الرحمن بن سليم إلى الطالقان ، ووجهه الجهم[2] بن عطية إلى العلاء بن حريث بخوارزم بإظهار الدعوة في رمضان لخمس بقين منه فإن أعجلهم عدوهم دون الوقت بالأذى والمكروه فقد حلّ لهم أن يدفعوا عن أنفسهم ويجردوا السيوف ويجاهدوا أعداء الله ومن شغله منهم عدوهم عن الوقت فلا حرج عليهم أن يظهروا بعد الوقت .

ثم تحول أبو مسلم من عند أبي الحكم فنزل قرية سفيذنج فنزل على سليمان بن كثير الخزاعي لليلتين خلتا من رمضان ، والكرماني ، وشيبان يقاتلان نصر بن سيار فبث أبو مسلم دعاته في الناس وأظهر أمره فأتاه في ليلة واحدة أهل ستين قرية ، فلما كان ليلة الخميس لخمس بقين من رمضان من السنة عقد اللواء الذي بعث به الإمام الذي يُدعى الظل على رمح طوله أربعة عشر ذراعاً وعقد الراية التي بعث بها إليه وهي التي تدعى السحاب على رمح طوله ثلاث عشرة ذراعاً وهو يتلو ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ﴾[3] ولبسوا السواد هو ، وسليمان بن كثير ، وإخوة سليمان ، ومواليه ، ومن كان أجاب الدعوة من أهل سفيذنج وأوقدوا النيران لليلتهم لشيعتهم من سكان ربع خرقان ـ وكانت علامتهم ـ فتجمعوا إليه حين

---

(١) في الطبري « نضر بن صبيح » .

(٢) في الطبري « أبا الجهم » .

(٣) سورة الحج ٣٩.

أصبحوا معدين ، وتأول الظل ، والسحاب إن السحاب يطبق الأرض وإن الأرض كما لا تخلو من الظل كذلك لا تخلو من خليفة عباسي إلى آخر الدهر ، وقدم على أبي مسلم الدعاة بمن أجاب الدعوة فكان أول من قدم عليه أهل التقادم[١] مع أبي الوضاح في تسعمائة راجل وأربعة فرسان ، ومن أهل هرمز فره جماعة ، وقدم أهل التقادم مع أبي القاسم محرز بن ابراهيم الجوباني في ألف وثلاثمائة راجل وستة عشر فارساً فيهم من الدعاة أبو العباس المروزي ، فجعل أهل التقادم يكبرون من ناحيتهم ويجيبهم أهل التقادم بالتكبير فدخلوا عسكر أبي مسلم بسفيذنج بعد ظهوره بيومين ، وحصن أبو مسلم حصن سفيذنج ورمَّه وسدّ دروبها ، فلما حضر عيد الفطر أمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يصلي به وبالشيعة ونصب له منبراً بالعسكر وأمره أن يبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة ـ وكان بنو أمية يبدأون بالخطبة قبل الصلاة وبالأذان والإقامة ـ وأمر أبو مسلم أيضاً سليمان بن كثير بست تكبيرات تباعاً ثم يقرأ ويركع بالسابعة ويكبر في الركعة الثانية خمس تكبيرات تباعاً ثم يقرأ ويركع بالسادسة ويفتح الخطبة بالتكبير ثم يختمها بالقرآن ـ وكان بنو أمية يكبرون في الأولى أربع تكبيرات يوم العيد وفي الثانية ثلاث تكبيرات ـ فلما قضى سليمان الصلاة انصرف أبو مسلم والشيعة إلى طعام قد أعده لهم فأكلوا مستبشرين .

وكان أبو مسلم ـ وهو في الخندق ـ إذا كتب إلى نصر بن سيار كتاباً يكتب للأمير نصر فلما قوي أبو مسلم بمن اجتمع إليه يبدأ بنفسه فكتب إلى نصر أما بعد فإن الله تباركت أسماؤه عير أقواماً في القرآن فقال: ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً استكباراً في الأزض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً ﴾ فتعاظم نصر الكتاب وكسر له إحدى عينيه وقال : هذا كتاب ما له جواب[٢] ، وكان من الأحداث ، وأبو مسلم بسفيذنج ـ أن نصراً وجه مولى له يقال له يزيد في خيل عظيمة لمحاربة أبي مسلم بعد ثمانية عشر شهراً من ظهوره فوجه إليه أبو مسلم مالك بن الهيثم الخزاعي ومعه مصعب

---

(١) في الطبري « أهل السقادم » .

(٢) في الطبري « هذا كتاب له جواب » .

بن قيس فالتقوا بقرية ألين فدعاهم مالك إلى الرضا من آل رسول الله ﷺ فاستكبروا عن ذلك فقاتلهم مالك وهو في نحو مائتين من أول النهار إلى العصر.

وقدم على أبي مسلم صالح بن سليمان الضبي ، وابراهيم بن زيد[1] وزياد بن عيسى فسيرهم إلى مالك فقوي بهم ـ وكان قدومهم إليه مع العصر ـ فقال مولى نصر : إن تركنا هؤلاء الليلة أتتهم امدادهم فاحملوا على القوم فحملوا عليهم واشتد القتال ، فحمل عبد الله الطائي على مولى نصر فأسره وانهزم اصحابه ، فأرسل الطائي بأسيره إلى أبي مسلم ومعه رؤوس القتلى فنصب الرؤوس وأحسن إلى يزيد مولى نصر وعالجه حتى اندمل جراحه وقال له : إن شئت أن تقيم معنا فقد أرشدك الله وإن كرهت فارجع إلى مولاك سالماً وأعطنا عهد الله انك لا تحاربنا ولا تكذب علينا وان تقول فينا ما رأيت فرجع إلى مولاه ، وقال أبو مسلم : إن هذا سيرد عنكم أهل الورع ، والصلاح فما نحن عندهم على الإسلام ـ وكذلك كان عندهم يرجفون عليهم بعبادة الأوثان ، واستحلال الدماء ، والأموال ، والفروج ـ فلما قدم يزيد على نصر قال : لامر حبا فوالله ما استبقاك القوم الا ليتخذوك حجة علينا ، فقال يزيد ، وهو والله ما ظننت وقد استحلفوني أن لا أكذب عليهم وأنا أقول : انهم والله يصلون الصلاة لمواقيتها بأذان واقامة ، ويتلون القرآن ، ويذكرون الله كثيراً ، ويدعون إلى ولاية رسول الله ﷺ وما أحسب أمرهم إلا سيعلو ولولا أنك مولاي لارجعت إليك ولأقمت معهم ؛ فهذه أول حرب كانت بينهم .

وفي هذه السنة غلب خازم بن خزيمة على مرو الروذ وقتل عامل نصر بن سيار ، وكان سبب ذلك أنه لما أراد الخروج بمرو الروذ ـ وهو من شيعة بني العباس ـ منعه بنو تميم فقال : إنما أنا رجل منكم أريد أن أغلب على مرو فإن ظفرت فهي لكم وإن قتلت فقد كفيتم أمري فكفوا عنه فعسكر بقرية يقال لها : كنج رستاق ؛ وقدم عليه من عندي أبي مسلم النضر بن صبيح وبسام بن ابراهيم فلما أمسى خازم بيت أهل مرو روذ فقتل بشر بن جعفر السعدي عامل نصر بن سيار عليها في أول ذي القعدة وبعث بالفتح إلى أبي مسلم مع ابنه خزيمة بن خازم وعبد الله بن سعيد، وشبيب بن واج وقد قيل في أمر أبي مسلم غير ما ذكرنا . والذي قيل : ان ابراهيم الإمام زوج أبا مسلم لما توجه إلى

---

(١) في الطبري « ابراهيم بن يزيد » .

خراسان ابنة أبي النجم وساق عنه صداقها وكتب إلى النقباء بالسمع والطاعة ؛ وكان أبو مسلم من أخل خطرنية من سواد الكوفة وكان قهرماناً لادريس بن معقل العجلي فصار أمره ومنتهى ولائه لمحمد بن علي ثم لابنه ابراهيم بن محمد ثم للائمة من ولد محمد ، فقدم خراسان وهو حدث السن فلم يقبله سليمان بن كثير وخاف أن لا يقوى على أمرهم فرده ، وكان أبو داود خالد بن ابراهيم غائباً خلف نهر بلخ فلما رجع إلى مرو أقرؤوه كتاب الامام ابراهيم فسأل عن أبي مسلم فأخبروه أن سليمان بن كثير رده ، فجمع النقباء وقال لهم : أتاكم كتاب الإمام فيمن بعثه إليكم فرددتموه فما حجتكم في رده ؟ فقال سليمان : حداثة سنه وتخوفاً أن لا يقدر على هذا الامر فخفنا على من دعونا وعلى انفسنا ، فقال أبو داود : هل فيكم أحد ينكر أن الله تعالى بعث محمداًﷺ واصطفاه وبعثه إلى جميع خلقه ؟ قالوا : لا . قال : أفتشكّون أن الله أنزل عليه كتابه فيه حلاله ، وحرامه ، وشرائعه ، وأنباؤه واخبر بما كان قبله وبما يكون بعده ؟ قالوا : لا . قال : افتشكّون أن الله قبضه إليه بعد أن أدى ما عليه من رسالة ربه ؟ قالوا : لا . قال : أفتظنّون أن العلم الذي أُنزل اليه رفع معه أو خلفه ؟ قالوا : بل خلفه قال : أفتظنونه خلفه عند غير عترته وأهل بيته الأقرب فالأقرب ؟ قالوا : لا . قال : أفتشكون أن أهل هذا البيت معدن العلم وأصحاب ميراث رسول اللهﷺ الذي علمه الله ؟ قالوا : اللهم لا قال : فأراكم قد شككتم في أمركم ورددتم عليهم علمهم ولو لم يعلموا ان هذا الرجل الذي ينبغي له أن يقوم بأمرهم لم يبعثوه إليكم وهو لايتهم في نصرتهم وموالاتهم والقيام بحقهم ، فبعثوا إلى أبي مسلم فردوه من قومس بقول أبي داود وولوه أمرهم وأطاعوه ، فلم يزل في نفس أبي مسلم على سليمان بن كثير ولم يزل يعرفها لابي داود ، وبث الدعاة في اقطار خراسان فدخل الناس أفواجاً وكثروا وفشت الدعاة بخراسان كلها ، وكتب إليه ابراهيم الإمام أن يوافيه في موسم سنة تسع وعشرين ليأمره بأمره في إظهار دعوته وأن يقدم معه قحطبة بن شبيب ويحمل إليه ما اجتمع عنده من الأموال ففعل ذلك وسار في جماعة من النقباء، والشيعة فلقيه كتاب الإمام يأمره بالرجوع الى خراسان وإظهار الدعوة بها ؛ وذكر قريباً مما تقدم من تسيير المال مع قحطبة وان قحطبة سار فنزل بنواحي جرجان فاستدعى خالد بن برمك، واباعون فقدما عليه ومعهما ما اجتمع عندهما من مال الشيعة فأخذ منهما وسار نحو ابراهيم الامام .

ذكر مقتل الكرماني

قد ذكرنا مقتل الحرث بن سريج وان الكرماني قتله ولما قتله خلصت لـه مرو وتنحّى نصر عنها ، فأرسل نصر إليه سالم بن أحوز في رابطته وفرسانه فوجد يحيى بن نعيم الشيباني واقفاً فـي ألف رجل من ربيعة ، ومحمد بن المثنى في سبعمائة من فرسان الازد ، وابن الحسن بن الشيخ في ألف من فتيانهم، والجرمي السعدي[1] في الف من ابناءاليمن، فقال سالم لمحمد بن المثنى ، يا محمد قل لهذا الملاح : ليخرج إلينا ـ يعني الكرماني ـ فقال محمد : يا ابن الفاعلة لأبي علي تقول هذا واقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم سالم بن أحوز وقتل من أصحابه زيادة على مائة ومن اصحاب الكرماني زيادة على عشرين ، فلما قدم أصحاب نصر عليه منهزمين قال له عصمةبن عبد الله الأسدي : يا نصر شأمت العرب فاما إذ فعلت ما فعلت فشمر عن ساق فوجه عصمة في جمع فوقف موقف سالم فنادى يا محمد بن المثنى لتعلمن أن السمك لا يأكل اللخم. (واللخم) دابة من دواب المـاء تشبـه السبع يـأكل السمـك فقـال لـه محمد : يا ابن الفاعلة قف لنا إذاً وأمر محمدالسعدي[2]فخرج إليه في أهـل اليمن فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهزم عصمة حتى أتى نصراً وقد قتل من أصحابه أربعمائة ، ثم أرسل نصر مالك بن عمرو التميمي في أصحابه فنادى يا ابن المثنى ابرز إلي فبرز إليه فضربه مالك على حبل عاتقه فلم يصنع شيئاً وضربه محمد بعمود فشدخ رأسه والتحم القتال فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهزم أصحاب نصر وقد قتل منهم سبعمائة ومن أصحاب الكرماني ثلاثمائـة ، ولم يزل الشـر بينهم حتى خرجـوا إلى الخندقين فـاقتتلوا قتالاً شديداً ، فلما استيقن أبو مسلم أن كلا الفريقين قد أثخن صاحبه وانه لا مدد لهم جعل يكتب إلى شيبان ثم يقول للرسول: اجعل طريقك على مضر فإنهم سيأخذون كتبك فكانوا يأخذونها فيقرأون فيها إني رأيت اليمن لا وفاء لهم ولا خير فيهم فلا تثقن بهم ولا تظهر إليهم فإني أرجو أن يريك الله في اليمانية ما تحب ولئن بقيت لا أدع لها شعراً ولا ظفراً ، ويرسل رسولاً آخر بكتاب فيه ذكر مضر بمثل ذلك ويأمر الرسول أن يجعل طريقه على اليمانية حتى صار هوى الفريقين معه ، ثم جعل يكتب إلى نصر بن سيار وإلى الكرماني : إن الامام أوصاني بكم ولست أعدو رأيه فيكم، وكتب إلى الكور بإظهار الأمر

---

(١) في الطبري « والحزمي السعدي » .

(٢) في الطبري « السغدي » .

فكان أول من سود أسد بن عبد الله الخزاعي[١] بنسا ، ومقاتل بن حكيم ، وابن غزوان ونادوا يا محمد يا منصور، وسود أهل ابيورد ، وأهل مرو الروذ ، وقرى مرو ، وأقبل أبو مسلم حتى نزل بين خندق الكرماني وخندق نصر وهابه الفريقان ، وبعث إلى الكرماني إني معك فقبل ذلك الكرماني فانضم أبو مسلم إليه فاشتد ذلك على نصر بن سيار ، فأرسل الى الكرماني ويحك لا تغتر فوالله إني لخائف عليك وعلى أصحابك منه فادخل مرو ونكتب كتاباً بيننا بالصلح ، وهو يريد أن يفرق بينه وبين أبي مسلم ـ فدخل الكرماني منزله وأقام أبو مسلم في العسكر ، وخرج الكرماني حتى وقف في الرحبة في مائة فارس وعليه قرطق وأرسل إلى نصر اخرج لنكتب بيننا ذلك الكتاب فأبصر نصر منه غرة فوجه إليه ابن الحرث ابن سريج في نحو من ثلاثمائة فارس في الرحبة فالتقوا بها طويلاً ، ثم ان الكرماني طعن في خاصرته فخر عن دابته وحماه أصحابه حتى جاءهم ما لا قبل لهم به فقتل نصر بن سيار الكرماني وصلبه وصلب معه سمكة ، وأقبل ابنه علي وقد جمع جمعاً كثيراً فصار إلى أبي مسلم واستصحبه معه فقاتلوا نصر بن سيار حتى أخرجوه من دار الامارة فمال إلى بعض دور مرو وأقبل أبو مسلم حتى دخل مرو وأتاه علي ابن الكرماني وأعلمه أنه معه وسلم عليه بالامرة وقال له: مرني بأمرك فإني مساعدك على ما تريد فقال : أقم على ما أنت عليه حتى آمرك بأمري ، ولما نزل أبو مسلم بين خندق الكرماني ، ونصر ورأى نصر قوته كتب إلى مروان بن محمد يعلمه حال أبي مسلم وخروجه وكثرة من معه فإنه يدعو إلى ابراهيم بن محمد وكتب بأبيات شعر :

أَرَى بَيْنَ الرَّمَادِ وَمِيضَ نَارٍ ... وأخشى أن يكون له ضرام[٢]
فَإِنَّ النارَ بالعودَين تُذْكَى ... وإنَّ الحَرْبَ مَبْدؤها كَلامُ
فقُلتُ من التَّعَجُّبِ لَيْتَ شِعْري ... أأيقاظٌ أمَيَّةُ أم نِيامُ

فكتب إليه مروان أن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب واحسم الثؤلول قبلك ، فقال نصر : أما صاحبكم فقد أعلمكم انه لا نصر عنده ، فكتب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة يستمده وكتب له بأبيات شعر :

أبلغْ يَزيدَ وخَيرُ القَوْلِ أصدَقُهُ ... وقد تَيقَّنتُ أن لا خيرَ في الكَذِبِ[٣]

---

(١) في الطبري : « أسيد بن عبد الله الخزاعي » .
(٢) في الطبري : « جمر » .
(٣) في الطبري : « وقد تبيَّنت الَّا خير في الكذب » .

إنّ خُراسانَ أرْضٌ قد رَأيتُ بها ... بَيْضاً لو افرخَ قد حُدِّثتَ بالعَجبِ
فِراخ عامَينِ إلا أنَّها كبِرَت ... لما يَطِرنَ وقد سُرْبِلنَ بالزَّغبِ
إلا تدارك بخيلِ اللهِ معلمةً[1] ... ألهبن نيرانَ حربٍ أيَّما لَهبِ

فقال يزيد : لا تكثر فليس له عندي رجل[2] ، فلما قرأ مروان كتاب نصر تصادف وصول كتابه وصول رسول لأبي مسلم إلى ابراهيم وقد عاد من عند ابراهيم ومعه جواب أبي مسلم يلعنه ابراهيم ويسبه حيث لم ينتهز الفرصة من نصر ، والكرماني إذ أمكناه ويأمره أن لا يدع بخراسان متكلماً بالعربية إلا قتله ، فلما قرأ الكتاب كتب إلى عامله بالبلقاء ليسير إلى الحميمة وليأخذ ابراهيم بن محمد فيشده وثاقاً ويبعث به اليه ففعل ذلك فأخذه مروان وحبسه .

ذكر تعاقد أهل خراسان على أبي مسلم

وفي هذه السنة تعاقدت عامة قبائل العرب بخراسان على قتال أبي مسلم ، وفيها تحول أبو مسلم من معسكره باسفيذنج إلى الماخوان ، وكان سبب ذلك أن ابا مسلم لما ظهر أمره سارع إليه الناس وجعل أهل مرو يأتونه ولا يعرض لهم نصر ولا يمنعهم ، وكان الكرماني وشيبان لا يكرهان أمر أبي مسلم لأنه دعا إلى خلع مروان وأبو مسلم في خباء ليس له حرس ولا حجاب وعظم أمره عند الناس وقالوا : ظهر رجل من بني هاشم له حلم ووقار ، وسكينة ، فانطلق فتية من أهل مرو نساك يطلبون الفقه إلى أبي مسلم فسألوه عن نسبه فقال : خبري خير لكم من نسبي وسألوه أشياء من الفقه فقال : امركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر خير لكم من هذا ونحن إلى عونكم أحوج منا إلى مسألتكم فاعفونا فقالوا : ما نعرف لك نسباً ولا نظنك تبقى إلا قليلاً حتى تقتل وما بينك وبين ذلك إلا أن يتفرغ أحد هذين الأميرين ، فقال أبومسلم أنا أقتلهما إن شاء الله فأتوا نصراً فأخبروه فقال : جزاكم الله خيراً مثلكم من يفتقد هذا ويعرفه ، وأتوا شيبان فاعلموه فأرسل إليه نصر إنا قد أشجى بعضنا بعضاً فاكفف عني حتى أقاتله وإن شئت

---

(١) في الطبري :
« فإن يطرنَ ولم يُحتل لهن بها ... يلهبن نيران حربٍ أيّما لهب» .

(٢) في الطبري : « لا غلبة إلا بكثرة وليس عندي رجل » .

فجامعني إلى حربه حتى أقتله أو أنفيه ثم نعود إلى أمرنا الذي نحن عليه ، فهم شيبان أن يفعل ذلك فأتى الخبر أبا مسلم فكتب إلى علي بن الكرماني إنك موتور قتل أبوك ونحن نعلم أنك لست على رأي شيبان وإنما تقاتل لثارك ، فامتنع شيبان من صلح نصر فدخل على شيبان فثناه عن رأيه ، فأرسل نصر إلى شيبان إنك لمغرور والله ليتفاقمن هذا الأمر حتى يستصغر في جنبه كل كبير ، وقال شعراً يخاطب به ربيعة ، واليمن ويحثهم على الاتفاق معه على حرب أبي مسلم :

أبلغ ربيعـةَ في مـرو وفي يَمـنٍ ... أن آغْضبوا قبلَ أن لا ينفعَ الغضبُ
مـا بالُكم تنشبـونَ الحربَ بينكُمْ ... كأن أهلَ الحِجَىٰ عن رأيكم غيبُ
وتتركـونَ عَـدواً قـد أحـاط بكم ... ممن تـأشّبَ لا دينٌ ولا حسبُ
لا عربٌ مثلكُـم في الناس نعرفهم ... ولا صـريحٌ مـوالٍ إن هم نُسبـوا
مَنْ كانَ يسألني عن أصلِ دينِهمُ ... فـإن دينَهُـم أنْ تهلكَ العـربُ
قـومٌ يقولـونَ قولاً مـا سمعتُ بـه ... عن النبي ولا جـاءتْ بـهِ الكتبُ

فبيناهم كذلك إذ بعث أبو مسلم النضر بن نعيم الضبي إلى هراة وعليها عيسى بن عقيل بن معقل الليثي فطرده عنها فقدم على نصر منهزماً ، وغلب النضر على هراة فقال يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيباني لابن الكرماني ، وشيبان ، اختاروا إما أنكم تهلكون انتم قبل مضر أو مضر قبلكم قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : إن هذا الرجل إنما ظهر أمره منذ شهر وقد صار في عسكره مثل عسكركم قالوا : فما الرأي ؟ قال : صالحوا نصراً فإنكم إن صالحتموه قاتلوا نصراً وتركوكم لأن الأمر في مضر ، وإن لم تصالحوا نصراً صالحوه وقاتلوكم فقدموا مضر قبلكم ولو ساعة من نهار فتقر أعينكم بقتلهم ، فأرسل شيبان إلى نصر يدعوه إلى الموادعة فأجابه وأرسل سالم بن أحوز بكتاب الموادعة ، فأتى شيبان وعنده ابن الكرماني ، ويحيى بن نعيم فقال سالم لابن الكرماني : يا أعور ما أخلقك أن تكون الاعور الذي يكون هلاك مضر على يده ثم توادعوا سنة وكتبوا كتاباً ، إني ما صالحت نصراً إنما صالحه شيبان وأنا لذلك كاره وإنما موتور بقتله أبي ولا أدع قتاله فعاود القتال ولم يعنه شيبان وقال : لا يحل الغدر .

فأرسل ابن الكرماني إلى أبي مسلم يستنصره فأقبل حتى نزل الماخوان وكان مقامه بسفيذنج اثنين وأربعين يوماً ، ولما نزل الماخوان حفر بها خندقاً وجعل للخندق

بابين فعسكر به ، واستعمل على الشرط أبا نصر مالك بن الهيثم ، وعلى الحرس أبا اسحق خالد بن عثمان ، وعلى ديوان الجند كامل بن مظفر أبا صالح ، وعلى الرسائل أسلم بن صبيح ، وعلى القضاء القاسم بن مجاشع النقيب ، وكان القاسم يصلي بأبي مسلم فيقص القصص بعد العصر فيذكر فضل بني هاشم ومعايب بني أمية ، ولما نزل أبو مسلم الماخوان أرسل إلى ابن الكرماني إني معك على نصر ، فقال ابن الكرماني : إني أحب أن يلقاني أبو مسلم فأتاه أبو مسلم فأقام عنده يومين ثم رجع إلى الماخوان وذلك لخمس خلون من المحرم سنة ثلاثين ومائة ، وكان أول عامل استعمله أبو مسلم على شيء من العمل داود بن كرار فرد أبو مسلم العبيد عنه واحتفر لهم خندقاً في قرية شوال وولي الخندق داود بن كرار .

فلما اجتمعت للعبيد جماعة وجههم إلى موسى بن كعب بأبيورد وأمر أبو مسلم كامل بن مظفر أن يعرض الجند ويكتب أسماءهم وأسماء آبائهم ونسبتهم إلى القرى ويجعل ذلك في دفتر فبلغت عدتهم سبعة آلاف رجل ، ثم إن القبائل من مضر ، وربيعة ، واليمن توادعوا على وضع الحرب وأن تجتمع كلمتهم على محاربة أبي مسلم ، وبلغ أبا مسلم الخبر فعظم عليه وناظر فإذا الماخوان سافلة الماء فتخوف أن يقطع نصر عنه الماء فتحول إلى ألين ـ وكان مقامه بالماخوان أربعة أشهر ـ فنزل ألين وخندق بها .

وعسكر نصر بن سيار على نهر عياض ، وجعل عاصم بن عمرو ببلاشن جرد وأبا الذيال بطوسان ، فأنزل أبو الذيال جنده على أهلها وكان عامة أهلها مع أبي مسلم في الخندق فآذوا أهل طوسان وعسفوهم ، وسير إليهم أبو مسلم جنداً فلقوا أبا الذيال فهزموه وأسروا من أصحابه نحواً من ثلاثين رجلاً فكساهم أبو مسلم وداوى جراحهم وأطلقهم ، ولما استقر بأبي مسلم معسكره بألين أمر محرز بن ابراهيم أن يسير في جماعة ويخندق بجيرنج ويجتمع عنده جمع من الشيعة ليقطع مادة نصر من مرو الروذ ، وبلخ وطخارستان ففعل ذلك واجتمع عنده نحو من ألف رجل فقطع المادة عن نصر .

ذكر غلبة عبد الله بن معاوية على فارس وقتله

وفي هذه السنة غلب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر على فارس

وكورها ، وقد تقدم ذكر ظهوره بالكوفة وانهزامه وخروجه من الكوفة نحو المدائن ، فلما وصل إليها أتاه أناس من أهل الكوفة وغيرها فسار إلى الجبال وغلب عليها وعلى حلوان ، وقومس ، واصبهان ، والري وخرج إليه عبيد أهل الكوفة وأقام بأصبهان ، وكان محارب بن موسى مولى بني يشكر عظيم القدر بفارس فجاء إلى دار الإمارة باصطخر فطرد عامل ابن عمر عنها وبايع الناس لعبد الله بن معاوية .

وخرج محارب إلى كرمان فأغار عليها ، وانضم إلى محارب قواد من أهل الشام فسار إلى مسلم بن المسيب ـ وهو عامل ابن عمر بشيراز ـ فقتله في سنة ثمان وعشرين ، ثم خرج محارب إلى أصبهان إلى عبد الله بن معاوية فحوله إلى اصطخر فأقام بها وأتاه الناس بنو هاشم وغيرهم وجبى المال وبعث العمال ؛ وكان معه منصور بن جمهور ، وسليمان بن هشام بن عبد الملك ، وأتاه شيبان بن الحلس بن عبد العزيز الخارجي على ما تقدم وأتاه أبو جعفر المنصور ، وأتاه عبد الله ، وعيسى أولاد علي بن عبد الله بن عباس .

ولما قدم ابن هبيرة على العراق أرسل نباتة بن حنظلة الكلابي إلى عبد الله بن معاوية ، وبلغ سليمان بن حبيب أن ابن هبيرة استعمل نباتة على الاهواز فسرح داود بن حاتم فأقام بكربج دينار يمنع نباتة من الأهواز فقاتله فقتل داود ، وهرب سليمان من الأهواز إلى سابور وفيها الأكراد قد غلبوا عليها فقاتلهم سليمان وطردهم عن سابور وكتب إلى ابن معاوية بالبيعة ، ثم إن محارب بن موسى اليشكري نافر ابن معاوية وفارقه وجمع جمعاً فأتى سابور فقاتله يزيد بن معاوية أخو عبد الله فانهزم محارب وأتى كرمان فأقام بها حتى قدم محمد بن الأشعث فصار معه ثم نافره فقتله ابن الأشعث وأربعة وعشرين ابناً له ، ولم يزل عبد الله بن معاوية باصطخر حتى أتاه ابن ضبارة مع داود بن يزيد بن عمر بن هبيرة ، وسير ابن هبيرة أيضاً معن بن زائدة من وجه آخر فقاتلهم معن عند مرو شاذان ومعن يقول :

ليس أمير القوم بالخب الخدع ... فر من الموت وفي الموت وقع

وانهزم ابن معاوية فكف معن عنهم وقتل في المعركة رجل من آل أبي لهب وكان يقال : يقتل رجل من بني هاشم بمرو الشاذان ، وأسروا أسرى كثيرة فقتل ابن ضبارة

منهم عدة كثيرة ، وهرب منصور بن جمهور إلى السند ، وعبد الرحمن بن يزيد إلى عمان ، وعمرو بن سهل بن عبد العزيز بن مروان الى مصر ، وبعث ببقية الأسرى إلى ابن هبيرة فأطلقهم ، ومضى ابن معاوية إلى خراسان فسار معن بن زائدة يطلب منصور ابن جمهور فلم يدركه فرجع ، وكان مع ابن معاوية من الخوارج ، وغيرهم خلق كثير فأسر منهم أربعون ألفاً فيهم عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس فسبه[١] ابن ضبارة وقال له : ما جاء بك إلى ابن معاوية وقد عرفت خلافه لأمير المؤمنين ؟ فقال : كان علي دين فأتيته[٢] فشفع فيه حرب بن قطن الهلالي[٣] وقال : هو ابن أختنا فوهبه له ، فعاب عبد الله بن علي عبد الله بن معاوية ورمى أصحابه باللواط فسيره ابن ضبارة إلى ابن هبيرة ليخبره أخبار ابن معاوية ، وسار في طلب عبد الله بن معاوية إلى شيراز فحصره فخرج عبد الله ابن معاوية منها هارباً ومعه أخواه الحسن ، ويزيد ابنا معاوية ، وجماعة من أصحابه وملك المفازة على كرمان وقصد خراسان طمعاً في أبي مسلم لأنه يدعو إلى الرضا من آل محمد وقد استولى على خراسان فوصل إلى نواحي هراة وعليها أبو نصر مالك بن الهيثم الخزاعي فأرسل إلى ابن معاوية يسأله عن قدومه فقال : بلغني أنكم تدعون إلى الرضا من آل محمد فأتيتكم فأرسل إليه مالك انتسب نعرفك فانتسب له فقال : أما عبد الله ، وجعفر فمن أسماء آل رسول الله ﷺ : وأما معاوية فلا نعرفه في أسمائهم فقال : إن جدي كان عند معاوية لما ولد له أبي فطلب إليه أن يسمي ابنه باسمه ففعل فأرسل إليه معاوية بمائة ألف درهم ، فارسل إليه مالك لقد اشتريتم الإسم الخبيث بالثمن اليسير ولا نرى لك حقاً فيما تدعو إليه ، ثم أرسل إلى أبي مسلم يعرفه خبره فأمره بالقبض عليه وعلى من معه فقبض عليهم وحبسهم ، ثم ورد عليه كتاب أبي مسلم يأمره بإطلاق الحسن ، ويزيد ابني معاوية وقتل عبد الله بن معاوية فأمر من وضع فراشاً على وجهه فمات وأخرج فصُلِّيَ عليه ودفن ، وقبره بهراة معروف يزار رحمه الله .

---

(١) في الطبري « فنسبه ».

(٢) في الطبري « فأديته » .

(٣) في الطبري « الكناني » .

ذكر أبي حمزة الخارجي وطالب الحق

وفي هذه السنة قدم أبو حمزة بلج بن عقبة الأزدي الخارجي من الحج من قبل عبد الله بن يحيى الحضرمي طالب الحق محكماً للخلاف على مروان بن محمد ، فبينما الناس بعرفة ما شعروا إلا وقد طلعت عليهم أعلام وعمائم سود على رؤوس الرماح وهم سبعمائة ففزع الناس حين رأوهم وسألوهم عن حالهم فأخبروهم بخلافهم مروان ، وآل مروان ، فراسلهم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ـ وهو يومئذ على مكة ، والمدينة ـ وطلب منهم الهدنة فقالوا : نحن بحجنا أضن وعليه أشح ، فصالحهم على أنهم جميعاً آمنون بعضهم من بعض حتى ينفر الناس النفر الأخير ، فوقفوا بعرفة على حدة فدفع بالناس عبد الواحد فنزلِ بمنى في منزل السلطان ونزل أبو حمزة بقرن الثعالب[١] ، فأرسل عبد الواحد إلى أبي حمزة الخارجي عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي ، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر ، وعبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، وربيعة بن أبي عبد الرحمن في رجال أمثالهم فدخلوا على أبي حمزة وعليه ازار قطن غليظ فتقدمهم إليه عبد الله بن الحسن ، ومحمد بن عبد الله فنسبهما فانتسبا له فعبس في وجوههما وأظهر الكراهة لهما ، ثم سأل عبد الرحمن بن القاسم ، وعبيد الله بن عمر فانتسبا له فهش إليهما وتبسم في وجوههما وقال : والله ما خرجنا إلا لنسير بسيرة أبويكما ، فقال له عبد الله بن الحسن : والله ما خرجنا لتفضل بين آبائنا ولكن بعثنا إليك الأمير برسالة وهذا ربيعة يخبركها ، فلما ذكر له ربيعة نقض العهد قال : أبو حمزة معاذ الله أن ننقض العهد أو نخيس به[٢] لا والله لا أفعل ولو قطعت رقبتي هذه ولكن تنقضي الهدنة بيننا وبينكم ، فرجعوا إلى عبد الواحد فأبلغوه ، فلما كان النفر الأول نفر عبد الواحد فيه وخلى مكة فدخلها أبو حمزة بغير قتال فقال بعضهم في عبد الواحد :

زارَ الحَجيجَ عصابةٌ قَدْ خالفوا ... دِينَ الإِلٰـهِ فَفَرَّ عبدُ الواحِدِ

---

(١) في الطبري « بقرين الثعالب » .

(٢) في الطبري « أو نحبس » .

تَـركَ الحلائـلَ والإمـارَةَ هـاربـاً ومضى يُخَبِّط كالبَعيرِ الشارِدِ[١]

ثم مضى عبد الواحد حتى دخل المدينة فضرب على أهلها البعث وزادهم في العطاء عشرة عشرة واستعمل عليهم عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان فخرجوا فلما كانوا بالحرة تلقتهم جزر منحورة فمضوا .

ذكر ولاية يوسف بن عبد الرحمن الفهري بالاندلس

وفي هذه السنة توفي ثوابة بن سلمة أمير الأندلس وكانت ولايته سنتين وشهوراً ، فلما توفي اختلف الناس فالمضرية أرادت أن يكـون الأمير منهم ، واليمـانية أرادت كذلك أن يكون الأمير منهم فبقوا بغير أمير ، فخاف الصميل الفتنة فأشار بأن يكون الوالي من قريش فرضوا كلهم بذلك ، فاختار لهم يوسف بن عبد الرحمن الفهري - وكان يومئذ بالبيرة - فكتبوا إليه بما اجتمع عليه الناس من تأميره فامتنع فقالوا له : إن لم تفعل وقعت الفتنة ويكون إثم ذلك عليك ، فأجاب حينئذ وسار إلى قرطبـة فدخلهـا وأطاعه الناس .

فلما انتهى إلى أبي الخطار موت ثوابة وولاية يوسف قال : إنما أراد الصميل أن يصير الأمر إلى مضر وسعى في الناس حتى ثارت الفتنة بين اليمـن ، ومضر ، فلما رأى يوسف ذلك فارق قصر الإمارة بقرطبة وعاد إلى منزله ، وسار أبو الخطار إلى شقنده فاجتمعت إليه اليمانية واجتمعت المضرية إلى الصميل وتزاحفوا واقتتلوا أياماً كثيرة قتالاً لم يكن بالأندلس أعظم منه ، ثم أجلت الحرب عن هزيمة اليمانية ومضى أبو الخطار منهزماً فاستتر في رحى كانت للصميل فدل عليه فأخذه الصميل وقتله ، ورجع يوسف بن عبد الرحمن إلى القصر وازداد الصميل شرفاً ، وكان اسم الإمارة ليوسف والحكم إلى الصميل ، ثم خرج على يوسف بن عبد الرحمن بن علقمة اللخمي بمدينة أربونة فلم يلبث إلا قليلاً حتى قتل وحمل رأسه إلى يوسف ، وخرج عليه عذرة المعروف بالذمي - فإنما قيل له ذلك لأنه استعان بأهل الذمة - فوجه إليه يوسف عامر بن عمرو - وهو الذي تنتسب إليه مقبرة عامر من أبواب قرطبة - فلم يظفر به وعاد مفلولاً ، فسار إليه

---

(١) زاد الطبري بيتاً آخراً وهو :

لـو كـان والِـدُهُ تَـنَـصَّـل عـرقُـه لَـصَـفَـتْ مضـارِبُـهُ بـعـرق الـوالـد

يوسف بن عبد الرحمن فقاتله فقتله واستباح عسكره ، وقد وردت هذه الحادثة من جهة اخرى وفيها بعض الخلاف وسنذكرها سنة تسع وثلاثين ومائة عند دخول عبد الرحمن الأموي الأندلس .

ذكـر عدة حوادث

وحج بالناس عبد الواحد وهو كان العامل على مكة ، والمدينـة ، والطائف ، وكان على العراق يزيد بن عمر بن هبيرة ، وعلى قضاء الكوفة الحجاج بن عـاصم المحاربي ، وعلى قضاء البصرة عباد بن منصور ، وكان على خراسان نصر بن سيار ـ والفتنة بها ـ .

وفيها مات سالم أبو نصر .

وفيها مات يحيى بن يعمر العدوي بخراسان ـ وكان قد تعلم النحو من أبي الاسود الدؤلي ، وكان من فصحاء التابعين .

وفيها مات أبو الزناد عبد الله بن ذكوان .

وفيها مات وهب بن كيسان ، ويحيى بن أبي كثير اليمامي أبو نصر ، وسعيد بن أبي صالح ، وأبو اسحاق الشيباني ، والحرث بن عبـد الرحمن ، ورقبـة بن مصقلة الكوفي ، ومنصور بن زاذان مولى عبد الرحمن بن أبي عقيل الثقفي ـ وشهد جنازته المسلمون ، واليهود ، والنصارى ، والمجوس لاتفاقهم على صلاحه ـ ، وقيل : مات سنة احدى وثلاثين .

ثم دخلت سنة ثلاثين ومائة

ذكر دخول أبي مسلم مرو والبيعة بها

وفي هذه السنة دخل أبو مسلم مدينة مرو في ربيع الآخر ، وقيل : في جُمادى الاولى ، وكان السبب في ذلك في اتفاق ابن الكرماني معه ان ابن الكرماني ، ومن معه ، وسائر القبائل بخراسان لما عاقدوا نصراً على أبي مسلم عظم عليه وجمع أصحابه لحربهم ، فكان سليمان بن كثير بازاء ابن الكرماني ، فقال له سليمان ان أبا مسلم يقول لك : أما تأنف من مصالحة نصر وقد قتل بالأمس أباك وصلبه وما كنت أحسبك تجامع نصراً في مسجد تصليان فيه فأحفظه هذا الكلام فرجع عن رأيه وانتقض صلح العرب ، فلما انتقض صلحهم بعث نصر إلى أبي مسلم يلتمس منه أن يدخل مع مضر ، وبعث أصحاب ابن الكرماني وهم ربيعة ، واليمن إلى أبي مسلم بمثل ذلك فراسلوه بذلك أياماً ، فأمرهم أبو مسلم أن يقدم عليه وفد الفريقين حتى يختار أحدهما ففعلوا ، وامر أبو مسلم الشيعة أن يختاروا ربيعة ، واليمن فإن السلطان في مضر - وهم أصحاب مروان وعماله وقتلة يحيى بن زيد - فقدم الوفدان فجلس أبو مسلم وأجلسهم وجمع عنده من الشيعة سبعين رجلاً فقال لهم : ليختاروا أحد الفريقين ، فقام سليمان كثير من الشيعة فتكلم - وكان خطيباً مفوهاً - فاختار ابن الكرماني وأصحابه ، ثم قام أبو منصور طلحة بن رزيق النقيب فاختارهم أيضاً ، ثم قام مرثد بن شقيق السلمي فقال : إن مضر قتلة آل النبيﷺ وأعوان بني أمية ، وشيعة مروان الجعدي وعماله ودماؤنا في أعناقهم وأموالنا في أيديهم ، ونصر بن سيار عامل مروان يتعد أموره[1] ويدعو له على منبره ويسميه أمير المؤمنين ونحن نبرأ الى الله عز وجل من أن يكون نصرٌ على هدى وقد اخترنا علي بن الكرماني ، وأصحابه فقال السبعون : القول ما قال مرثد بن شقيق ،

---

(١) في الطبري : « ونصر بن سيار عامل مروان على خراسان ينفذ أموره » .

فنهض وفد نصر عليهم الكآبة والذلة .

ورجع وفد ابن الكرماني منصورين ، ورجع أبو مسلم من ألين إلى الماخوان وأمر أبو مسلم الشيعة أن يبنوا المساكن فقد أغناهم الله[١] من اجتماع كلمة العرب عليهم، ثم أرسل إلى أبي مسلم علي بن الكرماني ليدخل مدينة مرو من ناحيته وليدخل هو وعشيرته من الناحية الأخرى ، فأرسل إليه أبو مسلم إني لست آمن أن تجتمع يدك ويد نصر على محاربتي ولكن ادخل أنت فانشب الحرب مع أصحاب نصر ، فدخل ابن الكرماني فانشب الحرب ، وبعث أبو مسلم شبل بن طهمان النقيب في خيل فدخلوها ، ونزل شبل بقصر بخار اخذاه وبعث إلى أبي مسلم ليدخل إليهم ، فسار من الماخوان وعلى مقدمته أسيد بن عبد الله الخزاعي ، وعلى ميمنته مالك بن الهيثم الخزاعي ، وعلى ميسرته القاسم بن مجاشع التميمي ، فدخل مرو ـ والفريقان يقتتلان ـ فأمرهما بالكف وهو يتلو من كتاب الله عز وجل : ﴿ ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه ﴾[٢] الآية، ومضى أبو مسلم إلى قصر الإمارة وأرسل إلى الفريقين أن كفوا ولينصرف كل فريق إلى عسكره ففعلوا وصفت مرو لأبي مسلم فأمر بأخذ البيعة من الجند وكان الذي يأخذها أبو منصور طلحة بن رزيق ـ وكان أحد النقباء عالماً بحجج الهاشمية ومعايب الأموية ـ ، وكان النقباء اثني عشر رجلاً اختارهم محمد بن علي من السبعين الذين كانوا استجابوا له حين بعث رسوله إلى خراسان سنة ثلاث ومائة أو أربع ومائة ووصف له من العدل صفة .

وكان منهم من خزاعة سليمان بن كثير ، ومالك بن الهيثم ، وزياد بن صالح ، وطلحة بن رزيق ، وعمرو بن أعين ، ومن طيء قحطبة[٣] بن شبيب بن خالد بن معدان ، ومن تميم موسى بن كعب أبو عيينة ، ولاهز بن قريظ، والقاسم بن مجاشع[٤]، وأسلم بن سلام[٥] ، ومن بكر بن وائل أبو داود[٦] بن ابراهيم الشيباني ،

---

(١) في الطبري : « ويستعدوا للشتاء فقد أعفاهم الله ».
(٢) سورة القصص ١٥ .
(٣) في الطبري : « قحطبة واسمه زياد بن شبيب » .
(٤) وزاد الطبري : « كلهم من بني امرىء القيس» .
(٥) في الطبري : « وأسلم بن سلام أبو سلام » .
(٦) في الطبري : « ابو داود خالد بن ابراهيم » .

وأبو علي الهروي ، ويقال : شبل بن طهمان مكان عمرو بن أعين ، وعيسى بن كعب ، وأبو النجم إسماعيل ابن عمران[١] مكان أبي علي الهروي ـ وهو ختن أبي مسلم ـ ولم يكن في النقباء أحد والده حي غير أبي منصور طلحة بن رزيق بن سعد[٢] وهو أبو زينب الخزاعي ـ وكان قد شهد حرب ابن الاشعث وصحب المهلب وغزا معه ، وكان أبو مسلم يشاوره في الأمور ويسأله عنها وعما شهد من الحروب ، وكانت البيعة أبايعكم على كتاب الله وسنة رسوله محمدﷺ والطاعة للرضا من أهل بيت رسول اللهﷺ وعليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، والطلاق، والعتاق، والمشي إلى بيت الله الحرام وعلى أن لا تسألوا رزقاً ولا طعماً[٣] حتى يبتدئكم به ولاتكم (رزيق) بتقديم الراء على الزاي .

ذكر هرب نصر بن سيار من مرو

ثم أرسل أبو مسلم لاهز بن قريظ في جماعة إلى نصر بن سيار يدعوه إلى كتاب الله عزوجل والرضا من آل محمد، فلما رأى ما جاءه من اليمانية، والربيعية، والعجم وانه لا طاقة له بهم أظهر قبول ما أتاه به وانه يأتيه ويبايعه ، وجعل يرشيهم لما هم من الغدر والهرب إلى أن أمسوا وأمر أصحابه أن يخرجوا من ليلتهم إلى مكان يأمنون فيه ، فقال له سالم بن أحوز : لا يتهيأ لنا الخروج الليلة ولكننا نخرج القابلة ، فلما كان الغد عبىء أبو مسلم أصحابه وكتائبه إلى بعد الظهر وأعاد إلى نصر لاهز بن قريظ وجماعة معه فدخلوا على نصر فقال : ما أسرع ما عدتم فقال له لاهز بن قريظ : لا بد لك من ذلك فقال نصر : إذا كان لا بد من ذلك فإني أتوضأ وأخرج إليه وأرسل إلى أبي مسلم فإن كان هذا رأيه وأمره أتيته وأتهيأ إلى أن يجيء رسولي ، فقام نصر فلما قام قرأ لاهز بن قريظ ﴿ إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين﴾[٤] فدخل نصر منزله وأعلمهم أنه ينتظر انصراف رسوله من عند أبي مسلم ، فلما جنه الليل خرج من خلف حجرته ومعه تميم ابنه ، والحكم بن نميلة النميري ، وامرأته المرزبانة وانطلقوا هراباً ، فلما استبطأه لاهز ، وأصحابه دخلوا منزله فوجدوه قد هرب ، فلما بلغ ذلك أبا مسلم

---

(١) في الطبري : « وابو النجم عمران بن اسماعيل » .
(٢) في الطبري : « أسعد » .
(٣) في الطبري : « ولا طمعاً » .
(٤) سورة القصص ٢٠ .

سار إلى معسكر نصر وأخذ ثقات أصحابه وصناديدهم فكتفهم ، وكان فيهم سالم بن أحوز صاحب شرطة نصر ، والبختري كاتبه ، وابنان له ، ويونس بن عبدويه[٢] ومحمد ابن قطن ، ومجاهد بن يحيى بن حضين ، وغيرهم فاستوثق منهم بالحديد وكانوا في الحبس عنده ، وسار أبو مسلم ، وابن الكرماني في طلب نصر ليلتهما فأدركا امرأته قد خلفها وسار ، فرجع أبو مسلم ، وابن الكرماني إلى مرو وسار نصر إلى سرخس واجتمع معه ثلاثة آلاف رجل ، ولما رجع أبو مسلم سأل من كان أرسله إلى نصر ما الذي ارتاب به نصر حتى هرب ؟ قالوا : لا ندري قال : فهل تكلم أحد منكم بشيء ؟ قالوا : تلا لاهز هذه الآية ﴿ إن الملأ يأتمرون بك ﴾ قال : هذا الذي دعاه إلى الهرب ؛ ثم قال يا لاهز تدغل في الدين ثم قتله ، واستشار أبو مسلم أبا طلحة في أصحاب نصر فقال : اجعل سوطك السيف وسجنك القبر فقتلهم أبو مسلم وكان عدتهم أربعة وعشرين رجلاً ، وأما نصر فإنه سار من سرخس إلى طوس فأقام بها خمسة عشر يوماً وبسرخس يوماً ثم سار إلى نيسابور فأقام بها ، ودخل ابن الكرماني مرو مع أبي مسلم وتابعه على رأي وعاقده عليه، (يحيى بن حُضَين) بضم الحاء المهملة وفتح الضاد المعجمة وآخره نون .

ذكر قتل شيبان الحروري

وفي هذه السنة قتل شيبان بن سلمة الحروري، وكان سبب قتله أنه كان هو ، وعلي بن الكرماني مجتمعين على قتال نصر لمخالفة شيبان نصراً لأنه من عمال مروان وشيبان يرى رأي الخوارج ومخالفة ابن الكرماني نصراً لأن نصراً قتل أباه الكرماني وان نصراً مضري وابن الكرماني يماني وبين الفريقين من العصبية ما هو مشهور ، فلما صالح ابن الكرماني أبا مسلم على ما تقدم وفارق شيبان تنحى شيبان عن مرو إذ علم أنه لا يقوى لحربهما وقد هرب نصر إلى سرخس ، ولما استقام الأمر لأبي مسلم أرسل إلى شيبان يدعوه إلى البيعة فقال شيبان : أنا أدعوك إلى بيعتي ؛ فأرسل إليه أبو مسلم إن لم تدخل في أمرنا فارتحل عن منزلك الذي أنت به ، فأرسل شيبان إلى ابن الكرماني يستنصره فأبى ، فسار شيبان إلى سرخس واجتمع إليه جمع كثير من بكر بن وائل فأرسل إليه أبو مسلم تسعة من الازد يدعوه ويسأله أن يكف فأخذ الرسل فسجنهم ، فكتب أبو

(١) في الطبري : «ويونس بن عبد ربه» .

مسلم إلى بسام بن ابراهيم مولى بني ليث بابيورد يأمره أن يسير إلى شيبان فيقاتله فسار إليه فقاتله فانهزم شيبان واتبعه بسام حتى دخل المدينة فقتل شيبان وعدة من بكر بن وائل فقيل لأبي مسلم : إن بساماً ارتد ثانية وهو يقتل البريء بالسقيم فاستقدمه فقدم عليه واستخلف على عسكره رجلاً ، فلما قتل شيبان مر رجل من بكر بن وائل برسل أبي مسلم فقتلهم ، وقيل : إن أبا مسلم وجه إلى شيبان عسكراً من عنده عليهم خزيمة بن خازم ، وبسام بن ابراهيم .

ذكر قتل ابني الكرماني

وفي هذه السنة قتل أبو مسلم علياً ، وعثمان ابني الكرماني ، وكان سبب ذلك أن أبا مسلم كان وجه موسى بن كعب إلى ابيورد فافتتحها وكتب إلى أبي مسلم بذلك ، ووجه أبا داود إلى بلخ وبها زياد بن عبد الرحمن القشيري فلما بلغه قصد أبي داود بلخ خرج في أهل بلخ ، وترمذ ، وغيرهما ومن كورطخارستان إلى الجوزجان فلما دنا أبو داود منهم انصرفوا منهزمين إلى ترمذ ودخل أبو داود مدينة بلخ ، فكتب إليه أبو مسلم يأمره بالقدوم عليه ووجه مكانه يحيى بن نعيم أبا الميلاء على بلخ ، فلما قدم يحيى مدينة بلخ كاتبه زياد بن عبد الرحمن أن يرجع وتصير أيديهم واحدة فأجابه فرجع زياد ، ومسلم بن عبد الرحمن بن مسلم الباهلي ، وعيسى بن زرعة السلمي ، وأهل بلخ ، وترمذ ، وملوك طخارستان وما وراء النهر ودونه فنزلوا على فرسخ من بلخ وخرج إليهم يحيى بن نعيم بمن معه فصارت كلمتهم واحدة مضر ، وربيعة ، واليمن ، ومن معهم من العجم على قتال المسودة وجعلوا الولاية عليهم لمقاتل بن حيان النبطي كراهة أن يكون من واحد من الفرق الثلاثة ، وأمر أبو مسلم أبا داود بالعود فأقبل بمن معه حتى اجتمعوا على نهر السرجنان ، وكان زياد وأصحابه قد وجهوا أبا سعيد القرشي مسلحة لئلا يأتيهم أصحاب أبي داود من خلفهم وكانت أعلام أبي داود سوداً فلما اقتتل أبو داود ، وزياد ، وأصحابهما أمر أبو سعيد أصحابه أن يأتوا زياداً ، وأصحابه فأتوهم من خلفهم ، فلما رأى زياد ومن معه أعلام أبي سعيد وراياته سوداً ظنوه كميناً لأبي داود فانهزموا وتبعهم ابو داود فوقع عامة أصحاب زياد في نهر السرجنان وقتل عامة رجالهم المتخلفين ونزل أبو داود معسكرهم وحوى ما فيه ، ومضى زياد ويحيى ، ومن معهما إلى ترمذ .

واستصفى أبو داود أموال من قتل ومن هرب واستقامت له بلخ ، وكتب إليه أبو مسلم يأمره بالقدوم عليه ووجه النضر بن صبيح المري على بلخ ، وقدم أبو داود على أبي مسلم واتفقا على أن يفرقا بين علي ، وعثمان ابني الكرماني فبعث أبو مسلم عثمان عاملاً على بلخ فلما قدمها استخلف الفرافصة بن ظهير العبسي على بلخ وأقبلت المضرية من ترمذ عليهم مسلم بن عبد الرحمن الباهلي فالتقوا هم وأصحاب عثمان فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم أصحاب عثمان وغلب مسلم على بلخ ، وبلغ عثمان ، والنضر بن صبيح الخبر وهما بمرو الروذ فأقبلا نحوهم فهرب أصحاب عبد الرحمن من ليلتهم فلم يمعن النضر في طلبهم رجاء أن يفوتوا ولقيهم أصحاب عثمان فاقتتلوا قتالاً شديداً ولم يكن النضر معهم فانهزم أصحاب عثمان وقتل منهم خلق كثير ، ورجع أبو داود من مرو إلى بلخ ، وسار أبو مسلم ومعه علي بن الكرماني إلى نيسابور .

واتفق رأي أبي مسلم ورأي أبي داود على أن يقتل أبو مسلم علياً ويقتل أبو داود عثمان ، فلما قدم أبو داود بلخ بعث عثمان عاملاً على الجبل فيمن معه من أهل مرو ، فلما خرج من بلخ تبعه أبو داود فأخذه وأصحابه فحبسهم جميعاً ثم ضرب أعناقهم صبراً ، وقتل أبو مسلم في ذلك اليوم علي بن الكرماني ، وقد كان أبو مسلم أمره أن يسمي له خاصته ليوليهم ويأمر لهم بجوائز وكسوات فسماهم له فقتلهم جميعاً .

ذكر قدوم قحطبة من عند الامام ابراهيم

وفي هذه السنة قدم قحطبة بن شبيب على أبي مسلم من عند إبراهيم الإمام ومعه لواؤه الذي عقد له ابراهيم ، فوجهه أبو مسلم في مقدمته وضم إليه الجيوش وجعل إليه العزل والاستعمال وكتب إلى الجنود بالسمع والطاعة له .

ذكر مسير قحطبة إلى نيسابور

لما قتل شيبان الخارجي ، وابنا الكرماني على ما تقدم وهرب نصر بن سيار من مرو وغلب أبو مسلم على خراسان بعث العمال على البلاد فاستعمل سباع بن النعمان الأزدي على سمرقند ، وأبا داود خالد بن ابراهيم على طخارستان ، ومحمد بن الأشعث على الطبسين ، وجعل مالك بن الهيثم على شرطه ، ووجه قحطبة إلى طوس

ومعه عدة من القواد ، منهم أبو عون عبد الملك بن يزيد ، وخالد بن برمك ، وعثمان بن نهيك ، وخازم بن خزيمة ، وغيرهم ، فلقي قحطبة من بطوس فهزمهم وكان من مات منهم في الزحام أكثر ممن قتل فبلغ عدة القتلى بضعة عشرة ألفاً ، ووجه أبو مسلم القاسم بن مجاشع إلى نيسابور على طريق المحجة ، وكتب إلى قحطبة يأمره بقتال تميم بن نصر بن سيار ، والنابىء بن سويد ، ومن لجأ إليهما من أهل خراسان ـ وكان أصحاب شيبان بن سلمة الخارجي قد لحقوا بنصر ـ ووجه أبو مسلم علي بن معقل في عشرة آلاف رجل إلى تميم بن نصر وأمره أن يكون مع قحطبة ، وسار قحطبة إلى السوذقان وهو معسكر تميم بن نصر ، والنابىء وقد عبىء أصحابه وزحف إليهم فدعاهم إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ وإلى الرضا من آل محمد فلم يجيبوه فقاتلهم قتالاً شديداً فقتل تميم بن نصر في المعركة ، وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة واستبيح عسكرهم ـ وكان عدة من معه ثلاثين ألفاً ـ وهرب النابىء بن سويد فتحصن بالمدينة فحصره قحطبة ونقبوا سورها ودخلوا المدينة فقتلوا النابىء ومن كان معه وبلغ الخبر نصر بن سيار بنيسابور بقتل ابنه، ولما استولى قحطبة على عسكرهم سيَّر إلى خالد بن برمك ما قبض منه وسار هو إلى نيسابور ، وبلغ ذلك نصر بن سيار فهرب منها فيمن معه فنزل قومس وتفرق عنه أصحابه فسار إلى نباتة بن حنظلة بجرجان ، وقدم قحطبة نيسابور بجنوده فأقام بها رمضان وشوال .

ذكر قتل نباتة بن حنظلة

وفي هذه السنة قتل نباتة بن حنظلة عامل يزيد بن هبيرة على جرجان ، وكان يزيد ابن هبيرة بعثه إلى نصر فأتى فارس، وأصبهان، ثم سار إلى الري، ومضى إلى جرجان ـ وكان نصر بقومس على ما تقدم فقيل له : ان قومس لا تحملنا فسار إلى جرجان فنزلها مع نباتة وخندقوا عليهم ، وأقبل قحطبة إلى جرجان في ذي القعدة فقال قحطبة : يا أهل خراسان أتدرون إلى من تسيرون ومن تقاتلون ؟ إنما تقاتلون بقية قوم حرقوا بيت الله تعالى ، وكان الحسن بن قحطبة على مقدمة أبيه فوجه جمعاً إلى مسلحة نباتة وعليها رجل يقال له : ذؤيب فبيتوهم فقتلوا ذؤيباً وسبعين رجلاً من أصحابه فرجعوا إلى الحسن ، وقدم قحطبة فنزل بازاء نباتة وأهل الشام في عدة لم ير الناس مثلها فلما

رآهم أهل خراسان هابوهم حتى تكلموا بذلك وأظهروه فبلغ قحطبة قولهم فقام فيهم فقال: يا أهل خراسان هذه البلاد كانت لآبائكم الأولين وكانوا ينصرون على عدوهم لعدلهم وحسن سيرتهم حتى بدلوا وظلموا فسخط الله عز وجل عليهم فانتزع سلطانهم وسلط عليهم اذل أمة كانت في الارض عندهم فغلبوهم على بلادهم وكانوا بذلك يحكمون بالعدل ويوفون بالعهد وينصرون المظلوم ثم بدلوا وغيروا وجاروا في الحكم وأخافوا أهل البر والتقوى من عترة رسول الله ﷺ فسلطكم عليهم لينتقم منهم بكم لتكونوا أشد عقوبة لانكم طلبتموهم بالثار ، وقد عهد إلى الإمام انكم تلقونهم في مثل هذه العدة فينصركم الله عز وجل عليهم فتهزمونهم وتقتلونهم ، فالتقوا في مستهل ذي الحجة سنة ثلاثين يوم الجمعة فقال لهم قحطبة قبل القتال : إن الإمام أخبرنا أنكم تنصرون على عدوكم هذا اليوم من هذا الشهر ـ وكان على ميمنته ابنه الحسن ـ فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل نباتة وانهزم أهل الشام فقتل منهم عشرة آلاف وبعث إلى أبي مسلم برأس نباتة وابنه حية .

ذكر وقعة أبي حمزة الخارجي بقديد

في هذه السنة لسبع بقين من صفر كانت الوقعة بقديد بين أهل المدينة وأبي حمزة الخارجي ، قد ذكرنا أن عبد الواحد بن سليمان ضرب البعث على أهل المدينة واستعمل عليهم عبد العزيز بن عبد الله فخرجوا ، فلما كانوا بالحرة لقيتهم جزر منحورة فتقدموا ، فلما كانوا بالعقيق تعلق لواؤهم بسمرة فانكسر الرمح فتشاءم الناس بالخروج، وأتاهم رسل أبي حمزة يقولون : إننا والله ما لنا بقتالكم حاجة دعونا نمضي إلى عدونا ، فأبى أهل المدينة ولم يجيبوه إلى ذلك وساروا حتى نزلوا قديداً ـ وكانوا مترفين ليسوا بأصحاب حرب ـ فلم يشعروا إلا وقد خرج عليهم أصحاب أبي حمزة من الفضاض فقتلوهم ، وكانت المقتلة بقريش ـ وفيهم كانت الشوكة ـ فأصيب منهم عدد كثير ، وقدم المنهزمون المدينة فكانت المرأة تقيم النوائح على حميمها ومعها النساء فما تبرح النساء حتى تأتيهم الأخبار عن رجالهن فيخرجن امرأة امرأة كل واحدة منهن تذهب لقتل رجلها فلا تبقى عندها امرأة لكثرة من قتل ، وقيل : إن خزاعة دلت أبا حمزة على أصحاب قديد ، وقيل : كان عدة القتلى سبعمائة .

ذكر دخول أبي حمزة المدينة

وفي هذه السنة دخل أبو حمزة المدينة ثالث عشر صفر ومضى عبد الواحد منها إلى الشام، وكان أبو حمزة قد أعذر اليهم وقال لهم : ما لنا بقتالكم حاجة تدعونا نمضي إلى عدونا فأبى أهل المدينة فلقيهم فقتل منهم خلقاً كثيراً ، ودخل المدينة فرقي المنبر وخطبهم وقال لهم : يا أهل المدينة مررت زمان الأحول ـ يعني هشام بن عبد الملك ـ وقد أصاب ثماركم عاهة فكتبتم إليه تسألونه أن يضع عنكم خراجكم ففعل فزاد الغني غنى والفقير فقراً فقلتم له : جزاك الله خيراً فلا جزاكم الله خيراً ولا جزاه خيراً ، واعلموا يا أهل المدينة أنّا لم نخرج من ديارنا اشراً ولا بطراً ولا عبثاً ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه ولا لثأر قديم نيل ولكنّا لما رأينا مصابيح الحق قد عطلت وعنف القائل بالحق وقتل القائم بالقسط ضاقت علينا الأرض بما رحبت وسمعنا داعياً يدعو إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن فأجبنا داعي الله ﴿ ومن لا يُجِبْ داعي الله فليس بمعجز في الأرض ﴾[1] فأقبلنا من قبائل شتى ونحن قليلون مستضعفون في الأرض فآوانا وأيدنا بنصره فأصبحنا بنعمته إخواناً ، ثم لقينا رجالكم بقديد فدعوناهم إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن فدعونا إلى طاعة الشيطان وحكم بني مروان فشتانَ لعمر الله ما بين الغي والرشد ، ثم اقبلوا يهرعون وقد ضرب الشيطان فيهم بحرانه وغلت بدمائهم مراجله وصدق عليهم ظنه وأقبل أنصار الله عز وجل عصائب وكتائب بكل مهند ذي رونق فدارت رحانا واستدارت رحاهم بضرب يرتاب به المبطلون ، وأنتم يا أهل المدينة ان تنصروا مروان ، وآل مروان يسحتكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ويشف صدور قوم مؤمنين ، يا أهل المدينة أو لكم خير أول وآخركم شر آخر ، يا أهل المدينة أخبروني عن ثمانية أسهم فرضها الله عز وجل في كتابه على القوي ، والضعيف ، فجاء تاسع ليس له فيها سهم فأخذها لنفسه مكابراً محارباً ربه ، يا أهل المدينة بلغني أنكم تنتقصون أصحابي قلتم : شباب أحداث وأعراب حفاة ويحكم وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ إلا شباباً أحداثاً وأعراباً حفاة هم والله مكتهلون في شبابهم غضة عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أقدامهم ، وأحسن السيرة مع أهل المدينة واستمال حتى سمعوه يقول : من زنى

---

(١) سورة الاحقاف ٣٢ .

فهو كافر ومن سرق فهو كافر ومن شك في كفرهما فهو كافر ، وأقام أبو حمزة بالمدينة ثلاثة أشهر .

ذكر قتل أبي حمزة الخارجي

ثم ان أبا حمزة ودع أهل المدينة وقال لهم : يا أهل المدينة إنا خارجون إلى مروان فإن نظفر نعدل في اخوانكم ونحملكم على سنة نبيكم وإن يكن ما تتمنون فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، ثم سار نحو الشام ، وكان مروان قد انتخب من عسكره أربعة آلاف فارس واستعمل عليهم عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي ـ سعد هوازن ـ وأمره أن يجد السير وأمره أن يقاتل الخوارج فإن هو ظفر بهم يسير حتى يبلغ اليمن ويقاتل عبد الله بن يحيى طالب الحق ، فسار ابن عطية فلقي أبا حمزة بوادي القرى فقال أبو حمزة لأصحابه : لا تقاتلوهم حتى تختبروهم فصاحوا بهم ما تقولون في القرآن والعمل به ؟ فقال ابن عطية : نضعه في جوف الجواليق فقال : فما تقولون في مال اليتيم ؟ قال ابن عطية : نأكل ماله ونفجر بأمه ـ في أشياء سألوه عنها ـ فلما سمعوا كلامه قاتلوه حتى أمسوا وصاحوا ويحك يا ابن عطية إن الله قد جعل الليل سكناً فاسكن فأبى وقاتلهم حتى قتلهم ، وانهزم أصحاب أبي حمزة من لم يقتل وأتوا المدينة فلقيهم أهل المدينة فقتلوهم ، وسار ابن عطية إلى المدينة فأقام شهراً ، وفيمن قتل مع أبي حمزة عبد العزيز القاري المدني ـ المعروف بيشكست النحوي ـ وكان من أهل المدينة ـ يكتب مذهب الخوارج فلما دخل أبو حمزة المدينة انضم إليه فلما قتل الخوارج قتل معهم .

ذكر قتل عبد الله بن يحيى

ولما أقام ابن عطية بالمدينة شهراً سار نحو اليمن واستخلف على المدينة الوليد ابن عروة بن محمد بن عطية واستخلف على مكة رجلاً من أهل الشام وقصد اليمن، وبلغ عبد الله بن يحيى طالب الحق مسيره ـ وهو بصنعاء ـ فأقبل إليه بمن معه فالتقى هو ، وابن عطية فاقتتلوا فقتل ابن يحيى وحمل رأسه إلى مروان بالشام ومضى ابن عطية الى صنعاء .

ذكر قتل ابن عطية

ولما سار ابن عطية إلى صنعاء دخلها وأقام بها فكتب إليه مروان يأمره أن يسرع إليه السير ليحج بالناس فسار في اثني عشر رجلاً بعهد مروان على الحج ومعه أربعون ألفاً ، وسار وخلف عسكره وخيله بصنعاء ونزل الجرف فأتاه ابنا جهانة[١] المراديان في جمع كثير وقالوا له ولأصحابه : أنتم لصوص فأخرج ابن عطية عهده على الحج وقال : هذا عهد أمير المؤمنين بالحج وأنا ابن عطية قالوا : هذا باطل فأنتم لصوص فقاتلهم ابن عطية قتالاً شديداً حتى قتل .

ذكر ايقاع قحطبة بأهل جرجان

وفي هذه السنة قتل قحطبة بن شبيب من أهل جرجان ما يزيد على ثلاثين ألفاً ، وسبب ذلك أنه بلغه عنهم بعد قتل نباتة بن حنظلة أنهم يريدون الخروج عليه ، فلما بلغه ذلك دخل إليهم واستقرر منهم فقتل منهم من ذكرنا ؛ وسار نصر ـ وكان بقومس ـ حتى نزل خوار الري وكاتب ابن هبيرة يستمده ـ وهو بواسط ـ مع ناس من وجوه أهل خراسان وعظم الأمر عليه وقال له : إني قد كذبت أهل خراسان حتى ما أحد منهم يصدقني فأمدني بعشرة آلاف قبل أن تمدني بمائة ألف لا تغني شيئاً ، فحبس ابن هبيرة رسل نصر ، فأرسل نصر إلى مروان إني وجهت قوماً من أهل خراسان إلى ابن هبيرة ليعلموه أمر الناس قبلنا وسألته المدد فحبس رسلي ولم يمدني بأحد ، وإنما أنا بمنزلة من أخرج من بيته إلى حجرته ثم اخرج من حجرته إلى داره ثم من داره إلى فناء داره فإن أدركه من يعينه فعسى أن يعود إلى داره وتبقى له وإن أخرج إلى الطريق فلا دار له ولا فناء ، فكتب مروان إلى ابن هبيرة يأمره أن يمد نصراً وكتب إلى نصر يعلمه ذلك ، وجهز ابن هبيرة جيشاً كثيفاً وجعل عليهم ابن غطيف وسيّرهم إلى نصر .

ذكر عدة حوادث

غزا الصائفة هذه السنة الوليد بن هشام فنزل العمق وبنى حصن مرعش .

وفيها وقع الطاعون بالبصرة .

---

(١) في الطبري « ابن جمانة »

وحج بالناس هذه السنة محمد بن عبد الملك بن مروان ـ وكان هو أمير مكة ، والمدينة ، والطائف ـ وكان بالعراق يزيد بن عمر بن هبيرة ، وكان على قضاء الكوفة الحجاج بن عاصم المحاربي ، وعلى قضاء البصرة عباد بن منصور ، وكان الامير بخراسان على ما وصفت ؛ قلت : قد ذكر أبو جعفر ههنا ان محمد بن عبد الملك حج بالناس وكان أمير مكة ، والمدينة ، وذكر فيما تقدم أن عروة بن الوليد كان على المدينة ؛ وذكر في آخر سنة احدى وثلاثين أن عروة أيضاً كان على المدينة ، ومكة ، والطائف وأنه حج بالناس تلك السنة .

وفي هذه السنة مات أبو جعفر يزيد بن القعقاع القاري مولى عبد الله بن عباس المخزومي بالمدينة ، وقيل : سُمِّي مولى أبي بكر بن عبد الرحمن بقديد .

وفيها توفي أيوب بن أبي تميمة السختياني ، وقيل : سنة تسع وعشرين وعمره ثلاث وستون سنة ، واسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري ، وقيل : سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وقيل : سنة أربع وثلاثين ومائة ويكنى أبا نجيح ، وفيها توفي محمد بن مخرمة بن سليمان وله سبعون سنة ، وأبو وجرة السعدي يزيد بن عبيد ، وأبو الحويرث ، ويزيد بن أبي مالك الهمداني ، ويزيد بن رومان ، وعكرمة بن عبد الرحمن ابن الحرث بن هشام، وعبد العزيز بن رُفَيع ـ بضم الراء المهملة وفتح الفاء وبالعين المهملة ـ وهو أبو عبد الله المكي الفقيه ـ وكان قد قارب مائة سنة وكان لا يثبت معه امرأة لكثرة نكاحه ـ واسماعيل بن أبي حكيم كاتب عمر بن عبد العزيز ، ويزيد بن أبان ـ وهو المعروف بيزيد الرشك ـ وكان قساماً بالبصرة ، وحفص بن سليمان بن المغبرة وكان مولده سنة ثمانين يروي قراءة عاصم عنه .

ثم دخلت سنة احدى وثلاثين ومائة

ذكر موت نصر بن سيار

وفي هذه السنة مات نصر بن سيار بساوة قرب الري ، وكان سبب مسيره إليها أن نصراً سار بعد قتل نباتة إلى خوار الري ـ وأميرها أبو بكر العقيلي ـ ووجه قحطبة ابنه الحسن إلى نصر في المحرم من سنة احدى وثلاثين ومائة ، ثم وجه أبا كامل ، وأبا القاسم محرز بن ابراهيم ، وأبا العباس المروزي إلى الحسن ابنه ، فلما كانوا قريباً من الحسن انحاز أبو كامل وترك عسكره وأتى نصراً فصار معه وأعلمه مكان الجند الذين فارقهم فوجه إليهم نصر جنداً فهرب جند قحطبة منهم وخلفوا شيئاً من متاعهم فأخذه أصحاب نصر ، فبعث به نصر إلى ابن هبيرة فعرض له ابن غطيف بالري[1] فأخذ الكتاب من رسول نصر والمتاع وبعث به إلى ابن هبيرة ، فغضب نصر وقال : أما والله لاد عن ابن هبيرة فليعرفن انه ليس بشيء ولا ابنه ، وكان ابن غطيف في ثلاثة آلاف قد سيره ابن هبيرة إلى نصر فأقام بالري فلم يأت نصراً وسار نصر حتى نزل الري وعليها حبيب بن يزيد النهشلي ، فلما قدمها نصر سار ابن غطيف منها إلى همذان ـ وفيها مالك ابن أدهم بن محرز الباهلي ـ فعدل ابن غطيف عنها إلى أصبهان إلى عامر بن ضبارة ، فلما قدم نصر الري أقام بها يومين ثم مرض وكان يحمل حملاً فلما بلغ ساوة مات فلما مات بها دخل أصحابه همذان ، وكانت وفاته لمضي اثنتي عشرة ليلة من شهر ربيع الاول ، وكان عمره خمساً وثمانين سنة ، وقيل : إن نصراً لما سار من خوار الري متوجهاً نحو الري لم يدخل الري ولكنه سلك المفارة التي بين الري ، وهمذان فمات بها .

---

(١) في الطبري « فعرض له عطيف بالري » .

ذكر دخول قحطبة الري

ولما مات نصر بن سيار بعث الحسن بن قحطبة خزيمة بن خازم إلى سمنان ، وأقبل قحطبة من جرجان وقدم أمامه زياد بن زرارة القشيري ـ وكان قد ندم على اتباع أبي مسلم ـ فانخزل عن قحطبة فأخذ طريق اصبهان يريد أن يأتي عامر بن ضبارة ، فوجه قحطبة المسيب بن زهير الضبي فلحقه من غد بعد العصر فقاتله فانهزم زياد وقتل عامة من معه ورجع المسيب بن زهير إلى قحطبة ؛ ثم سار قحطبة إلى قومس وبها ابنه الحسن وقدم خزيمة بن خازم سمنان ، فقدم قحطبة ابنه الحسن إلى الري وبلغ حبيب ابن يزيد النهشلي[1] ومن معه من أهل الشام مسير الحسن فخرجوا عن الري ودخل الحسن في صفر فأقام حتى قدم أبوه ، ولما قدم قحطبة الري كتب إلى أبي مسلم يعلمه بذلك ، ولما استقر أمر بني العباس بالري هرب أكثر أهلها لميلهم إلى بني أمية لانهم كانوا سفيانية فأمر أبو مسلم بأخذ أملاكهم وأموالهم ، ولما عادوا من الحج أقاموا بالكوفة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ثم كتبوا إلى السفاح يتظلمون من أبي مسلم فأمر برد أملاكهم ، فأعاد أبو مسلم الجواب يعرف حالهم وأنهم أشد الاعداء فلم يسمع قوله وعزم على أبي مسلم برد أملاكهم ففعل . ولما دخل قحطبة الري وأقام بها أخذ أمره بالحزم ، والاحتياط ، والحفظ ، وضبط الطرق ـ وكان لا يسلكها أحد الا بجواز منه ـ فأقام بالري وبلغه أن بدستبى قوماً من الخوارج وصعاليك تجمعوا بها فوجه إليهم أبا عون في عسكر كثيف فنازلهم ودعاهم إلى كتاب الله وسنة رسوله وإلى الرضا من آل رسول الله ﷺ فلم يجيبوه فقاتلهم قتالاً شديداً حتى ظفر بهم فتحصن عدة منهم حتى أمنهم أبو عون فخرجوا إليه وأقام معه بعضهم وتفرق بعضهم ، وكتب أبو مسلم الى اصبهبذ طبرستان يدعوه إلى الطاعة وأداء الخراج فأجابه إلى ذلك .

وكتب إلى المصمغان صاحب دنباوند بمثل ذلك فأجابه إنما أنت خارجي وإن أمرك سينقضي فغضب أبو مسلم وكتب إلى موسى بن كعب وهو بالري يأمره بالمسير إليه وقتاله إلى أن يذعن بالطاعة ، فسار إليه وراسله فامتنع من الطاعة وأداء الخراج ، فأقام موسى ولم يتمكن من المصمغان لضيق بلاده ، وكان المصمغان يرسل إليه كل يوم عدة

---

(١) في الطبري « حبيب بن بديل النهشلي ».

كثيرة من الديلم يقاتله في عسكره وأخذ عليه الطرق ومنع الميرة وكثرت في أصحاب موسى الجراح والقتل ، فلما رأى أنه لا يبلغ غرضاً عاد إلى الري ، ولم يزل المصمغان ممتنعاً إلى أيام المنصور فأغزاه جيشاً كثيفاً عليهم حماد بن عمرو ففتح دنباوند على يده ، ولما ورد كتاب قحطبة على أبي مسلم بنزوله الري ارتحل أبو مسلم ـ فيما ذكر ـ عن مرو فنزل نيسابور ، وأما قحطبة فإنه سيَّر ابنه الحسن بعد نزوله الري بثلاث ليالٍ إلى همذان فلما توجه إليها سار عنها مالك بن أدهم ومن كان بها من أهل الشام ، وأهل خراسان إلى نهاوند فأقام بها وفارقه ناس كثير ، ودخل الحسن همذان وسار منها إلى نهاوند فنزل على أربعة فراسخ من المدينة ، فأمده قحطبة بأبي الجهم بن عطية مولى باهلة في سبعمائة وأطال حتى أطاف بالمدينة وحصرهم .

ذكر قتل عامر بن ضبارة ودخول قحطبة أصبهان

وكان سبب قتله أن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر لما هزمه ابن ضبارة مضى هارباً نحو خراسان وسلك إليها طريق كرمان وسار عامر في أثره ، وبلغ ابن هبيرة مقتل نباتة بن حنظلة بجرجان فلما بلغه خبره كتب إلى ابن ضبارة وإلى ابنه داود بن يزيد ابن عمر بن هبيرة أن يسيرا إلى قحطبة وكانا بكرمان ، فسارا في خمسين ألفاً فنزلوا بأصبهان ـ وكان يقال لعسكر ابن ضبارة عسكر العساكر ـ ، فبعث قحطبة إليهم جماعة من القواد وعليهم جميعاً مقاتل بن حكيم العكي فساروا حتى نزلوا قم ، وبلغ ابن ضبارة نزول الحسن بن قحطبة بنهاوند فسار ليعين من بها من أصحاب مروان ، فأرسل العكي من قُمّ إلى قحطبة يعلمه بذلك ، فأقبل قحطبة من الري حتى لحق مقاتل بن حكيم العكي ثم سار فالتقوا هم وابن ضبارة ، وداود بن يزيد بن هبيرة ، وكان عسكر قحطبة عشرين ألفاً فيهم خالد بن برمك ، وكان عسكر ابن ضبارة مائة ألف ، وقيل : خمسين ومائة ألف ، فأمر قحطبة بمصحف فنصب على رمح ونادى يا أهل الشام إنا ندعوكم إلى ما في هذا المصحف فشتموه وأفحشوه في القول ، فأرسل قحطبة إلى أصحابه يأمرهم بالحملة فحمل عليهم العكي وتهايج الناس ولم يكن بينهم كثير قتال حتى انهزم أهل الشام وقتلوا قتلاً ذريعاً ، وانهزم ابن ضبارة حتى دخل عسكره وتبعه قحطبة فنزل ابن ضبارة ونادى إليَّ إليَّ فانهزم الناس عنه ، وانهزم داود بن هبيرة فسأل عن ابن ضبارة فقيل : انهزم فقال : لعن الله شرنا منقلباً وقاتل حتى قتل وأصابوا عسكره وأخذوا منه ما

لا يعلم قدره من السلاح ، والمتاع ، والرقيق ، والخيل ، وما رؤي عسكر قط كان فيه من أصناف الأشياء ما في هذا العسكر كأنه مدينة ، وكان فيه من البرابط ، والطنابير ، والمزامير ، والخمر ما لا يحصى ، وأرسل قحطبة بالظفر إلى ابنه الحسن وهو بنهاوند وكانت الوقعة بنواحي اصبهان في رجب .

ذكر محاربة قحطبة أهل نهاوند ودخولها

ولما قتل ابن ضبارة كتب قحطبة بذلك إلى ابنه الحسن ـ وهو يحاصر نهاوند ـ فلما أتاه الكتاب كبر هو وجنده ونادوا بقتله ، فقال عاصم بن عمير السعدي : ما نادى هؤلاء بقتله إلا وهو حق فاخرجوا إلى الحسن بن قحطبة فانكم لا تقومون له فتذهبون حيث شئتم قبل أن يأتيه أبوه أو مدد من عنده ، فقالت الرجالة : تخرجون وأنتم فرسان على خيول وتتركوننا، وقال له مالك بن أدهم الباهلي : لا أبرح حتى يقدم عليّ قحطبة .

وأقام قحطبة على أصبهان عشرين يوماً ثم سار فقدم على ابنه بنهاوند فحصرهم ثلاثة أشهر شعبان، رمضان، وشوال ووضع عليهم المجانيق ، وأرسل إلى من بنهاوند من أهل خراسان يدعوهم إليه وأعطاهم الأمان فأبوا ذلك ، ثم أرسل إلى أهل الشام بمثل ذلك فأجابوه وقبلوا أمانه وبعثوا إليه يسألونه أن يشغل عنهم أهل المدينة بالقتال ليفتحوا له الباب الذي يليهم ، ففعل ذلك قحطبة وقاتلهم ففتح أهل الشام الباب فخرجوا ، فلما رأى أهل خراسان ذلك سألوهم عن خروجهم ، فقالوا : اخذنا الأمان لنا ولكم فخرج رؤساء أهل خراسان فدفع قحطبة كل رجل منهم إلى قائد من قواده ثم أمر فنودي من كان بيده أسير ممن خرج إلينا فليضرب عنقه وليأتنا برأسه ففعلوا ذلك ، فلم يبق أحد ممن كان قد هرب من أبي مسلم إلا قتل إلا أهل الشام فإنه وفى لهم وخلى سبيلهم وأخذ عليهم أن لا يمالؤا عليه عدواً ولم يقتل منهم أحداً ؛ وكان ممن قتل من أهل خراسان أبو كامل ، وحاتم بن الحرث بن سريج ، وابن نصر بن سيار ، وعاصم بن عمير ، وعلي بن عقيل ، وبيهس ، ولما حاصر قحطبة نهاوند أرسل ابنه الحسن إلى مرج القلعة فقدم الحسن خازم بن خزيمة إلى حلوان وعليها عبد الله بن العلاء الكندي فهرب من حلوان وخلاها .

ذكـر فتح شهر زور

ثم إن قحطبة وجه أبا عون عبد الملك بن يزيد الخراساني ، ومالك بن طرافة[١] الخراساني في أربعة آلاف إلى شهرزور ـ وبها عثمان بن سفيان على مقدمة عبد الله بن مروان بن محمد ـ فنزلوا على فرسخين من شهر زور في العشرين من ذي الحجة ، وقاتلوا عثمان بعد يوم وليلة من نزولهم فانهزم أصحاب عثمان وقتل وأقام أبو عون في بلاد الموصل ، وقيل : إن عثمان لم يقتل ولكنه هرب إلى عبد الله بن مروان وغنم ابو عون عسكره وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة ، وسير قحطبة العسـاكر إلى أبي عـون فاجتمع معه ثلاثون الفاً .

ولما بلغ خبر أبي عون مروان بن محمد ـ وهو بحران ـ سار منها ومعه جنود أهل الشام ، والجزيرة ، والموصل وحشر معه بنو أمية أبناءهم وأقبل نحو أبي عون حتى نزل الزاب الأكبر ، وأقام أبو عون بشهرزور بقية ذي الحجة والمحرم من سنة اثنتين وثلاثين ومائة وفرض بها بخمسة آلاف .

ذكر مسير قحطبة إلى ابن هبيرة بالعراق

ولما قدم على يزيد بن عمر بن هبيرة أمير العراق ابنه داود منهزماً من حلوان خرج يزيد نحو قحطبة في عدد كثير لا يحصى ومعه حوثرة بن سهيل الباهلي ـ وكان مروان أمد به ابن هبيرة ـ وسار ابن هبيرة حتى نزل جلولاء الوقيعة واحتفر الخندق الذي كـانت العجم احتفروه أيام وقعة جلولاء وأقام ، وأقبل قحطبة حتى نزل قرماسين ثم سار إلى حلوان ثم إلى خانقين وأتى عكبرا وعبر دجلة ومضى حتى نزل دمما دون الانبار وارتحل ابن هبيرة بمن معه منصرفاً مبادراً إلى الكوفة لقحطبة وقدم حوثرة في خمسة عشر ألفاً إلى الكوفة وقيل : إن حوثرة لم يفارق ابن هبيرة ، وأرسل قحطبة طائفة من أصحابه إلى الانبار وغيرها وأمرهم باحدار ما فيها من السفن إلى دمما ليعبروا الفرات فحملوا إليه كل سفينة هناك ، فقطع قحطبة الفرات من دمما حتى صار في غربيه ثم سار يريد الكوفة حتى انتهى إلى الموضع الذي فيه ابن هبيرة وخرجت السنة .

---

(١) في الطبري « مالك بن طريف » .

ذكـــر عدة حوادث

وحج بالناس الوليد بن عروة بن محمد بن عطية السعدي ـ وهو ابن أخي عبد الملك بن محمد الذي قتل أبا حمزة وكان هو على الحجاز ـ ولما بلغ الوليد قتل عمه عبد الملك مضى إلى الذين قتلوه فقتل منهم مقتلة عظيمة وبقر بطون نسائهم وقتل الصبيان وحرق بالنار من قدر عليه منهم ، وكان على العراق يزيد بن عمر بن هبيرة ، وعلى قضاء الكوفة الحجاج بن عاصم المحاربي ، وعلى قضاء البصرة عباد بن منصور الناجي .

وفيها توفي منصور بن المعمر السلمي أبو عتاب الكوفي .

وفيها قتل أبو مسلم الخراساني جبلة بن أبي داود العتكي مولاهم أخا عبد العزيز ابن داود ويكنى أبا مروان .

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائة

ذكر هلاك قحطبة ، وهزيمة ابن هبيرة

وفي هذه السنة هلك قحطبة بن شبيب ، وكان سبب ذلك أن قحطبة لما عبر الفرات وصار في غربيه وذلك في المحرم لثمان مضين منه وكان ابن هبيرة قد عسكر على فم الفرات من أرض الفلوجة العليا على رأس ثلاثة وعشرين فرسخاً من الكوفة وقد اجتمع إليه فل بن ضبارة فأمده مروان بحوثرة الباهلي ، فقال حوثرة وغيره لابن هبيرة : إن قحطبة قد مضى يريد الكوفة فاقصد أنت خراسان ودعه ومروان فإنك تكسره وبالحري أن يتبعك ، قال : ما كان ليتبعني ويدع الكوفة ولكن الرأي أن أبادره إلى الكوفة فعبر دجلة من المدائن يريد الكوفة ، فاستعمل على مقدمته حوثرة وأمره بالمسير إلى الكوفة ـ والفريقان يسيران على جانبي الفرات ـ وقال قحطبة : إن الامام أخبرني أن في هذا المكان وقعة يكون النصر لنا ، ونزل قحطبة الجبارية وقد دلوه على مخاضة فعبر منها وقاتل حوثرة ، ومحمد بن نباتة فانهزم أهل الشام وفقدوا قحطبة ، فقال أصحابه : من كان عنده عهد من قحطبة فليخبرنا به . فقال مقاتل بن مالك العتكي : سمعت قحطبة يقول : إن حدث بي حدث فالحسن ابني أمير الناس فبايع الناس حميد بن قحطبة لأخيه الحسن ـ وكان قد سيره أبوه في سرية ـ فأرسلوا إليه فأحضروه وسلموا إليه الأمر ، ولما فقدوا قحطبة بحثوا عنه فوجدوه في جدول وحرب بن سالم بن أحوز قتيلين فظنوا أن كل واحد منهما قتل صاحبه .

وقيل : ان معن بن زائدة ضرب قحطبة لما عبر الفرات على حبل عاتقه فسقط في الماء فأخرجوه فقال : شدوا يدي إذا أنا متّ وألقوني في الماء لئلا يعلم الناس بقتلي ، وقاتل أهل خراسان فانهزم محمد بن نباتة ، وأهل الشام ، ومات قحطبة وقال قبل موته : إذا قدمتم الكوفة فوزير آل محمد أبو سلمة الخلال فسلموا هذا الأمر إليه ، وقيل : بل

غرق قحطبة ، ولما انهزم ابن نباتة وحوثرة لحقوا بابن هبيرة فانهزم ابن هبيرة بهزيمتهم ولحقوا بواسط وتركوا عسكرهم وما فيه من الأموال ، والسلاح ، وغير ذلك ، ولما قام الحسن بن قحطبة بالأمر أمر بإحصاء ما في العسكر ، وقيل : إن حوثرة كان بالكوفة فبلغه هزيمة ابن هبيرة فسار إليه فيمن معه .

ذكر خروج محمد بن خالد بالكوفة مسوداً

وفي هذه السنة خرج محمد بن خالد بن عبد الله القسري بالكوفة وسود قبل أن يدخلها الحسن بن قحطبة وأخرج عنها عامل ابن هبيرة ثم دخلها الحسن ، وكان من خبره أن محمداً خرج بالكوفة ليلة عاشوراء مسوداً ، وعلى الكوفة زياد بن صالح الحارثي ، وعلى شرطه عبد الرحمن بن بشير العجلي ، وسار محمد الى القصر فارتحل زياد ومن معه من أهل الشام ودخل محمد القصر ، وسمع حوثرة الخبر فسار نحو الكوفة فتفرق عن محمد عامة من معه لما بلغهم الخبر وبقي في نفر يسير من أهل الشام ، ومن اليمانيين من كان هرب من مروان وكان معه مواليه ، وأرسل أبو سلمة الخلال ـ ولم يظهر بعد ـ إلى محمد يأمره بالخروج من القصر تخوفاً عليه من حوثرة ومن معه . ولم يبلغ أحداً من الفريقين هلاك قحطبة ـ فأبى محمد أن يخرج ، وبلغ حوثرة تفرق أصحاب محمد عنه فتهيأ للمسير نحوه ، فبينا محمد في القصر إذ أتاه بعض طلائعه فقال له : قد جاءت خيل من أهل الشام فوجه إليهم عدة من مواليه فناداهم الشاميون نحن بجيلة وفينا مليح بن خالد البجلي جئنا لندخل في طاعة الأمير فدخلوا ، ثم جاءت خيل أعظم من تلك فيها جهم بن الأصفح الكناني ، ثم جاءت خيل أعظم منها مع رجل من آل بحدل ، فلما رأى ذلك حوثرة من صنع أصحابه ارتحل نحو واسط بمن معه وكتب محمد بن خالد من ليلته إلى قحطبة ـ وهو لا يعلم بهلاكه ـ يعلمه أنه قد ظفر بالكوفة ، فقدم القاصد على الحسن بن قحطبة فلما دفع إليه كتاب محمد بن خالد قرأه على الناس ثم ارتحل نحو الكوفة ، فأقام محمد بالكوفة يوم الجمعة ، ويوم السبت ، والأحد وصبحه الحسن يوم الاثنين .

وقد قيل : إن الحسن بن قحطبة أقبل نحو الكوفة بعد هزيمة ابن هبيرة وعليها عبد الرحمن بن بشير العجلي فهرب عنها فسود محمد بن خالد وخرج في أحد عشر رجلاً

وبايع الناس ودخلها الحسن من الغد ، فلما دخلها الحسن هو ، وأصحابه أتوا أبا سلمة ـ وهو في بني سلمة ـ فاستخرجوه فعسكر بالنخيلة يومين ثم ارتحل إلى حمام أعين ووجه الحسن بن قحطبة إلى واسط لقتال ابن هبيرة ، وبايع الناس أبا سلمة حفص بن سليمان مولى السبيع ـ وكان يقال له وزير آل محمد ـ واستعمل محمد بن خالد بن عبد الله على الكوفة وكان يقال له الأمير حتى ظهر أبو العباس السفاح ، ووجه ابن قحطبة إلى المدائن في قراد ، وبعث المسيب بن زهير ، وخالد بن برمك إلى ديرقني ، وبعث المهلبي ، وشراحيل إلى عين التمر ، وبسام بن ابراهيم بن بسام الى الأهواز وبها عبد الواحد بن عمر بن هبيرة ، فلما أتى بسام الأهواز خرج عنها عبد الواحد إلى البصرةَ بعد أن قاتله وهزمه بسام ،وبعث إلى البصرة سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب عاملاً عليها فقدمها ـ وكان عليها سلم بن قتيبة الباهلي عاملاً لابن هبيرة وقد لحق به عبد الواحد بن هبيرة ـ كما تقدم ذكره ـ فأرسل سفيان بن معاوية إلى سلم يأمره بالتحول من دار الإمارة ويعلمه ما أتاه من رأي أبي سلمة ، وامتنع وجمع معه قيساً، ومضر، ومن بالبصرة من بني أمية ، وجمع سفيان جميع اليمانية ، وحلفاءهم من ربيعة، وغيرهم وأتاهم قائد من قواد ابن هبيرة كان بعثه مدداً لسلم في ألفي رجل من كلب ، فأتى سلم سوق الإبل ووجه الخيول في شكك البصرة ونادى من جاء برأس فله خمسمائة ومن جاء بأسير فله ألف درهم ؛ ومضى معاوية بن سفيان بن معاوية في ربيعة وخاصته فلقيه خيل تميم فقتل معاوية وأتي برأسه إلى سلم فأعطى قاتله عشرة آلاف[1] وانكسر سفيان بقتل ابنه فانهزم ، وقدم على سلم بعد ذلك أربعة آلاف من عند مروان فأرادوا نهب من بقي من الأزد فقاتلهم قتالاً شديداً وكثرت القتلى بينهم وانهزمت الازد ونهبت دورهم وسبيت نساؤهم وهدموا البيوت ثلاثة أيام ، ولم يزل سلم بالبصرة حتى أتاه قتل ابن هبيرة فشخص عنها ، واجتمع من بالبصرة من ولد الحرث بن عبد المطلب إلى محمد بن جعفر فولوه أمرهم فوليهم أياماً يسيرة حتى قدم البصرة أبو مالك عبد الله بن أسيد الخزاعي من قبل أبي مسلم ، فلما قدم أبو العباس ولّاها سفيان بن معاوية ، وكان حرب سفيان ، وسلم بالبصرة في صفر ، وفيها عزل مروان عن المدينة الوليد بن عروة واستعمل أخاه يوسف بن عروة في شهر ربيع الأول (انقضت الدولة الأموية) .

---

(١) في الطبري « ألف درهم » .

ذكر ابتداء الدولة العباسية وبيعة أبي العباس

في هذه السنة بويع أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بالخلافة في شهر ربيع الأول ، وقيل : في ربيع الآخر لثلاث عشرة مضت منه ، وقيل : في جُمادى الأولى ، وكان بدء ذلك وأوله أن رسول الله ﷺ أعلم العباس بن عبد المطلب أن الخلافة تؤول إلى ولده ، فلم يزل ولده يتوقعون ذلك ويتحدثون به بينهم ، ثم ان أبا هاشم بن الحنفية خرج إلى الشام فلقي محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فقال له : إن هذا الأمر الذي يرتجيه الناس فيكم فلا يسمعنه منكم أحد ، وقد تقدم في خبر ابن الأشعث قول خالد بن يزيد بن معاوية لعبد الملك بن مروان : أما إذا كان الفتق من سجستان فليس عليك منه بأس إنما كنا نتخوف لو كان من خراسان ، وقال محمد بن علي بن عبد الله : لنا ثلاثة أوقات ، موت الطاغية يزيد بن معاوية ، ورأس المائة ، وفتق افريقية فعند ذلك يدعو لنا دعاة ثم تقبل أنصارنا من المشرق حتى ترد خيلهم المغرب ويستخرجون ما كنز الجبارون ؛ فلما قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية ونقضت البربر بعث محمد بن علي إلى خراسان داعياً وأمره أن يدعو إلى الرضا ولا يسمي أحداً ، وقد ذكرنا فيما تقدم خبر الدعاة ، وخبر أبي مسلم .

وقبض مروان على ابراهيم بن محمد وكان مروان لما أرسل المقبض عليه وصف للرسول صفة أبي العباس لأنه كان يجد في الكتب أن من هذه صفته يقتلهم ويسلبهم ملكهم وقال له : ليأتيه بإبراهيم بن محمد ، فقدم الرسول فأخذ أبا العباس بالصفة فلما ظهر ابراهيم وأمن قيل للرسول : إنما أمرت بابراهيم وهذا عبد الله فترك أبا العباس وأخذ ابراهيم فانطلق به إلى مروان ، فلما رآه قال : ليس هذه الصفة التي وصفت لك فقالوا : قد رأينا الصفة التي وصفت وإنما سميت إبراهيم فهذا ابراهيم فأمر به فحبس وأعاد الرسل في طلب أبي العباس فلم يروه ، وكان سبب مسيره من الحميمة أن ابراهيم لما أخذه الرسول نعى نفسه إلى أهل بيته وأمرهم بالمسير إلى الكوفة مع أخيه أبي العباس عبد الله بن محمد وبالسمع له وبالطاعة وأوصى إلى أبي العباس وجعله الخليفة بعده فسار أبو العباس ومن معه من أهل بيته ، ومنهم أخوه أبو جعفر المنصور وعبد الوهاب ، ومحمد ابنا أخيه ابراهيم وأعمامه داود ، وعيسى ، وصالح وإسماعيل وعبد الله ، وعبد الصمد بنو علي بن عبد الله بن عباس ، وابن عمه داود ، وابن أخيه عيسى

بن موسى بن محمد بن علي ، ويحيى بن جعفر بن تمام بن عباس حتى قدموا الكوفة في صفر وشيعتهم من أهل خراسان بظاهر الكوفة بحمام أعين فأنزلهم أبو سلمة الخلال دار الوليد بن سعد مولى بني هاشم في بني داود[1] وكتم أمرهم نحواً من أربعين ليلة من جميع القواد ، والشيعة ، ـ وأراد فيما ذكر ـ أن يحول الأمر إلى آل أبي طالب لما بلغه الخبر عن موت ابراهيم الإمام فقال له أبو الجهم : ما فعل الامام ؟ قال لم يقدم بعد فألح عليه فقال : ليس هذا وقت خروجه لأن واسطاً لم تفتح بعد ، وكان أبو سلمة إذا سئل عن الامام يقول : لا تعجلوا ، فلم يزل ذلك من أمره حتى دخل أبو حميد محمد ابن ابراهيم الحميري من حمام أعين يريد الكناسة فلقي خادماً لابراهيم الإمام يقال له : سابق الخوارزمي فعرفه فقال له : ما فعل ابراهيم الإمام ؟ فأخبره أن مروان قتله وأن ابراهيم أوصى إلى أخيه أبي العباس واستخلفه من بعده وأنه قدم الكوفة ومعه عامة أهل بيته ، فسأله أبو حميد أن ينطلق به إليهم فقال له سابق : الموعد بيني وبينك غداً في هذا الموضع وكره سابق أن يدله عليهم إلا بإذنهم ، فرجع أبو حميد إلى أبي الجهم فأخبره وهو في عسكر أبي سلمة فأمره أن يلطف للقائهم ، فرجع أبو حميد من الغد إلى الموضع الذي وعد فيه سابقاً فلقيه فانطلق به إلى أبي العباس وأهل بيته، فلما دخل عليهم سأل أبو حميد من الخليفة منهم ؟ فقال داود بن علي : هذا إمامكم وخليفتكم وأشار إلى أبي العباس فسلم عليه بالخلافة وقبل يديه ورجليه وقال : مرنا بأمرك وعزاه بإبراهيم الإمام ، ثم رجع وصحبه ابراهيم بن سلمة رجل كان يخدم بني العباس إلى أبي الجهم فأخبره عن منزلهم وأن الإمام أرسل إلى أبي سلمة يسأله مائة دينار يعطيها الجمال كراء الجمال التي حملتهم فلم يبعث بها إليهم ، فمشى أبو الجهم ، وأبو أحمد ، وابراهيم بن سلمة إلى موسى بن كعب وقصوا عليه القصة وبعثوا إلى الإمام بمائتي دينار مع ابراهيم بن سلمة ، واتفق رأي جماعة من القواد على أن يلقوا الامام .

فمضى موسى بن كعب ، وابو الجهم ، وعبد الحميد بن ربعي ، وسلمة بن محمد ، وابراهيم بن سلمة ، وعبد الله الطائي ، واسحاق بن ابراهيم ، وشراحيل ، وعبد الله بن بسام ، وأبو حميد محمد بن ابراهيم ، وسليمان بن الاسود ، ومحمد بن الحصين إلى الامام أبي العباس ، وبلغ ذلك أبا سلمة فسأل عنهم فقيل : إنهم دخلوا

---

(١) في الطبري « في بني أود ».

الكوفة في حاجة لهم ، وأتى القوم أبا العباس فقال : وايكم عبـد الله بن محمد بن الحارثية ؟ فقالوا : هذا فسلموا عليه بالخلافة وعزوه في ابراهيم ، ورجع موسى بن كعب ، وأبو الجهم وأمر أبو الجهم الباقين فتخلفوا عند الامام ، فأرسل أبو سلمة إلى أبي الجهم أين كنت ؟ قال : ركبت إلى امامي ، فركب أبو سلمة الى الامام فأرسل أبو الجهم إلى أبي حميد أن ابا سلمة قد أتاكم فلا يدخلن على الإمام إلا وحده ، فلما انتهى إليهم ابن سلمة منعوه أن يدخل معه أحد فدخل وحده فسلم بالخلافة على أبي العباس ، فقال له أبو حميد : على رغم أنفك يا ماص بظر أمه فقال له أبو العباس : مَهْ وأمر أبا سلمة بالعود إلى معسكره فعاد .

وأصبح الناس يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول فلبسوا السلاح واصطفوا لخروج أبي العباس وأتوا بالدواب فركب برذوناً أبلق وركب من معه من أهل بيته فدخلوا دار الامارة ، ثم خرج إلى المسجد فخطب وصلى بالناس ثم صعد المنبر حين بويع له بالخلافة فقام في أعلاه وصعد عمه داود بن علي فقام دونه فتكلم أبو العباس فقال : الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه وكرمه وشرفه وعظمه واختاره لنا فأيده بنا وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوام به والذابين عنه والناصرين له فالزمنا كلمة التقوى وجعلنا أحق بها وأهلها ، وخصنا برحم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابته ، وأنشأنا من آبائنا وأنبتنا من شجرته واشتقنا من نبعته ، جعله من أنفسنا عزيزاً عليه ما عنتنا حريصاً علينا بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً ، ووضعنا من الاسلام وأهله بالموضع الرفيع وأنزل بذلك على أهل الاسلام كتاباً يتلى عليهم فقال تبارك وتعـالى فيما أنـزل من محكم كتابه: ﴿إنما يريدُ الله ليذهِبَ عنكمُ الرِجس أهلَ البيتِ ويطهركم تطهيراً﴾[1] وقال تعالى ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾[2] وقال : ﴿ وأَنذرْ عشيرَتَك الأقربين﴾[3] وقال : ﴿ وما أفاءَ الله على رسولِه من أهلِ القرى فلله وللرسول ولذي القُربى واليتامى ﴾[4] وقال : ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول

---

(١) سورة الأحزاب ٣٢ .

(٢) سورة الشورى ٢٣ .

(٣) سورة الشعراء ٢١٤ .

(٤) سورة الحشر ٧ .

ولذي القربى واليتامى﴾(١) فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا وأوجب عليهم حقنا ومودتنا وأجزل من الفيء والغنيمة نصيبنا تكرمة لنا وفضلاً علينا والله ذو الفضل العظيم ، وزعمت الشامية(٢) الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة ، والسياسة ، والخلافة منا فشاهت وجوههم ، بمَ ولِمَ أيّها الناس وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم وبصرهم بعد جهالتهم وأنقذهم بعد هلكتهم وأظهر بنا الحق ودحض الباطل وأصلح بنا منهم ما كان فاسداً ورفع بنا الخسيسة وتمم بنا النقيصة وجمع الفرقة حتى عاد الناس بعد العداوة أهل التعاطف والبر والمواساة في دنياهم وإخواناً على سرر متقابلين في آخرتهم ، فتح الله ذلك منة وبهجة لمحمد صلى الله عليه وسلم فلما قبضه الله إليه وقام بالأمر من بعده أصحابه وأمرهم شورى بينهم حووا مواريث الأمم فعدلوا فيها ووضعوها مواضعها وأعطوها أهلها وخرجوا خماصاً منها ، ثم وثب بنو حرب وبنو مروان فانبذوها(٣) وتداولوها فجاروا فيها واستأثروا بها وظلموا أهلها بما ملأ الله لهم حيناً حتى أسفوه فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا ورد علينا حقنا وتدارك بنا أمتنا وولي نصرنا والقيام بأمرنا ليمن بنا على الذين استضعفوا في الأرض ، وختم بنا كما افتتح بنا ، وإني لأرجو أن لا يأتيكم الجور من حيث جاءكم الخير ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله ، يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا ومنزل مودتنا ، أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك ولم يثنكم عنه تحامل أهل الجور عليكم حتى أدركتم زماننا وأتاكم الله بدولتنا فأنتم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا ، وقد زدتكم في أعطياتكم مائة درهم فاستعدوا فأنا السفاح المبيح والثائر المنيح(٤) وكان موعوكاً فاشتد عليه الوعك فجلس على المنبر .

وقام عمه داود على مراقي المنبر فقال : الحمد لله شكراً الذي أهلك عدونا وأصار إلينا ميراثنا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، أيها الناس الآن اقشعت حنادس الدنيا وانكشف غطاؤها وأشرقت أرضها وسماؤها وطلعت الشمس من مطلعها وبزغ القمر من مبزغه وأخذ القوس باريها وعاد السهم إلى منزعه ورجع الحق إلى نصابه

---

(١) سورة الأنفال ٤١ .

(٢) في الطبري : « السبائية » .

(٣) في الطبري « فابتزوها » .

(٤) في الطبري «والثائر المبير» .

في أهل بيت نبيكم أهل الرأفة والرحمة بكم والعطف عليكم ، أيها الناس إنا والله ما خرجنا في طلب هذا الأمر لنكثر لجيناً ولا عقياناً ولا نحفر نهراً ولا نبني قصراً وإنما أخرجتنا الأنفة من ابتزازهم حقنا والغضب لبني عمنا وما كرهنا من أموركم ، فلقد كانت أموركم ترفضنا ونحن على فرشنا ويشتد علينا سوء سيرة بني أمية فيكم واستنزالهم[1] لكم واستئثارهم بفيئكم وصدقاتكم ومغانمكم عليكم ، لكم ذمة الله تبارك وتعالى . وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وذمة العباس رحمه الله علينا أن نحكم فيكم بما أنزل الله ونعمل فيكم بكتاب الله ونسير في العامة والخاصة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تباً تباً لبني حرب بن أمية ، وبني مروان آثروا في مدتهم العاجلة على الآجلة والدار الفانية على الدار الباقية فركبوا الآثام وظلموا الأنـام وانتهكوا المحـارم وغشوا بالجرائم وجاروا في سيرتهم في العباد وسنتهم في البلاد ومرحوا في أعنة المعاصـي وركضوا في ميدان الغي جهلاً باستدراج الله وأمناً لمـكر الله فأتاهم بأس الله بياتاً وهم نائمون فأصبحوا أحاديث ومزقوا كل ممزق فبعداً للقوم الظالمين ، وأدالنا الله من مروان وقد غره بالله الغرور أرسل لعدو الله في عنانه حتى عثر في فضل خطامه وظن عدو الله أن لن نقدر عليه فنادى حزبه وجمع مكايده ورمى بكتائبه فوجد أمامه ووراءه وعن يمينه وشماله من مكر الله وبأسه ونقمته ما أمات باطله ومحا ضلاله وجعل دائرة السوء به وأحيا شرفنا وعزنا ورد إلينا حقنا وإرثنا .

أيها الناس إن أمير المؤمنين نصره الله نصراً عزيزاً إنما عاد إلى المنبر بعد الصلاة لأنه كاره أن يخلط بكلام الجمعة غيره ، وإنما قطعه عن استتمام الكلام شدة الوعك فادعوا الله لأمير المؤمنين بالعافية ، فقد بدلكم الله مروان عدو الرحمن وخليفة الشيطان المتبع السفلة الذين أفسدوا في الأرض بعد إصلاحها بـإبدال الـدين وانتهاك حـريم المسلمين الشاب المكتمل المتمهل المقتدي بسلفه الأبرار الأخيـار الذين أصلحـوا الأرض بعد فسادها بمعالم الهدى ومناهج التقوى ـ فعج الناس له بالدعاء ـ ثم قال : يا أهل الكوفة إنَّا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا حتى أباح الله لنا شيعتنا أهل خراسان فأحيا بهم حقنا وأبلج بهم حجتنا وأظهر بهم دولتنا وأراكم الله بهم مـا كنتم تنتظرون ، فأظهر فيكم الخليفة من هاشم وبيَّض به وجوهكم وأدالكم على أهل الشام

---

(١) في الطبري « واستذلالهم » .

ونقل إليكم السلطان وأعز الإسلام ومنَّ عليكم بإمام منحه العدالة وأعطاه حسن الإيالة فخذوا ما آتاكم الله بشكر والزموا طاعتنا ولا تخدعوا عن أنفسكم فإن الأمر أمركم وإن لكل أهل بيت مصراً وانكم مصرنا ، ألا وإنه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد وأشار بيده إلى أبي العباس السفاح ، واعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم عليه السلام ، والحمد لله على ما أبلانا وأولانا ، ثم نزل أبو العباس ، وداود بن علي أمامه حتى دخل القصر وأجلس أخاه أبا جعفر المنصور يأخذ البيعة على الناس في المسجد فلم يزل يأخذها عليهم حتى صلى بهم العصر ثم المغرب وجنهم الليل فدخل .

وقيل : إن داود بن علي لما تكلم قال في آخر كلامه : أيها الناس إنه والله ما كان بينكم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم خليفة إلا علي بن أبي طالب ، وأمير المؤمنين الذي خلفي ثم نزلا ، وخرج أبو العباس بعسكر بحمام أعين في عسكر أبي سلمة ونزل معه في عمرته بينهما ستر ، وحاجب السفاح ـ يومئذ ـ عبد الله بن بسام ، واستخلف على الكوفة وأرضها عمه داود بن علي ، وبعث عمه عبد الله بن علي إلى أبي عون بن يزيد بشهرزور ، وبعث ابن أخيه عيسى بن موسى إلى الحسن بن قحطبة وهو يومئذ يحاصر ابن هبيرة بواسط ، وبعث يحيى بن جعفر بن تمام بن عباس إلى حميد بن قحطبة بالمدائن ، وبعث أبا اليقظان عثمان بن عروة بن محمد بن عمار بن ياسر إلى بسام بن ابراهيم بن بسام بالأهواز ، وبعث سلمة بن عمرو بن عثمان إلى مالك بن الطواف ، وأقام السفاح بالعسكر أشهراً ثم ارتحل فنزل المدينة الهاشمية بقصر الإمارة ـ وكان تنكر لأبي سلمة قبل تحوله حتى عرف ذلك .

وقد قيل : إن داود بن علي ، وابنه موسى لم يكونوا بالشام عند مسير بني العباس إلى العراق إنما كانا بالعراق أو بغيره فخرجا يريدان الشام فلقيهما أبو العباس وأهل بيته يريدون الكوفة بدومة الجندل ، فسألهم داود عن خبرهم فقص عليه أبو العباس قصتهم وأنهم يريدون الكوفة ليظهروا بها ويظهروا أمرهم ، فقال له داود : يا أبا العباس تأتي الكوفة وشيخ بني أمية مروان بن محمد بحران مطل على العراق في أهل الشام ،

والجزيرة وشيخ العرب يزيد بن عمر بن هبيرة بالعراق في جند العرب فقال : يا عمي من أحب الحياة ذل ، ثم تمثل بقول الأعشى :

فمـا ميتَـةٌ إن مِتُّهـا غيـرَ عـاجـز ... بعـارٍ إذا ما غالتِ النفسَ غُولُهـا

فالتفت داود إلى ابنه موسى فقال : صدق والله ابن عمك فارجع بنا معه نعش أعزاء ونمت كرماءفرجعوا جميعاً ، فكان عيسى بن موسى يقول إذا ذكر خروجهم من الحميمة يريدون الكوفة : ان نفراً أربعة عشر رجلاً خرجوا من دارهم وأهلهم يطلبون ما طلبنا لعظيمة همتهم ، كبيرة أنفسهم ، شديدة قلوبهم .

ذكر هزيمة مروان بالـزاب

قد ذكرنا أن قحطبة أرسل أبا عون عبد الملك بن يزيد الأزدي إلى شهرزور وانه قتل عثمان بن سفيان وأقام بناحية الموصل وإن مروان بن محمد سار إليه من حران حتى بلغ الزاب وحفر خندقاً وكان في عشرين ومائة ألف ، وسار أبو عون إلى الزاب فوجه أبو سلمة إلى أبي عون عيينة بن موسى ، والمنهال بن فتان[1] واسحاق بن طلحة كل واحد في ثلاثة آلاف ، فلما ظهر أبو العباس بعث سلمة بن محمد في ألفين ، وعبد الله الطائي في ألف وخمسمائة ، وعبد الحميد بن ربعي الطائي في ألفين ، ووداس بن نضلة في خمسمائة إلى أبي عون ثم قال : من يسير إلى مروان من أهل بيتي ؟ فقال عبد الله بن علي : أنـا فسيره إلى أبي عون فقدم عليه فتحول أبو عون عن سرادقه وخلاه له وما فيه ، فلما كان لليلتين خلتا من جُمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة سأل عبد الله ابن علي عن مخاضة فدل عليها بالتراب فأمر عيينة بن موسى فعبر في خمسة آلاف فانتهى إلى عسكر مروان فقاتلهم حتى أمسوا ورجع إلى عبد الله بن علي ، وأصبح مروان فعقد الجسر وعبر عليه فنهاه وزراؤه عن ذلك فلم يقبل وسير ابنه عبد الله فنزل أسفل من عسكر عبد الله بن علي ، فبعث عبد الله بن علي المخارق في أربعة آلاف نحو عبد الله بن مروان فسرح إليه ابن مروان الوليد بن معاوية بن مـروان بن الحكم فالتقيـا فانهـزم أصحاب المخارق وثبت هو فأسر هو وجماعة وسيَّرهم إلى مروان مع رؤوس القتلى ، فقال مروان : ادخلوا علي رجلاً من الأسرى فأتوه بالمخارق وكان نحيفاً ، فقال : أنت

---

(١) في بعض النسخ « والمنهال بن قتان » بالقاف وهو تصحيف .

المخارق قال : لا أنا عبد من عبيد أهل العسكر قال : فتعرف المخارق ؟ قال : نعم، قال : فانظر هل تراه في هذه الرؤوس؟ فنظر إلى رأس منها فقال : هو هذا فخلى سبيله ،فقال رجل مع مروان حين نظر المخارق وهو لا يعرفه : لعن الله أبا مسلم حين جاءنا بهؤلاء يقاتلنا بهم ، وقيل : إن المخارق لما نظر إلى الرؤوس قال : ما أرى رأسه فيها ولا أراه إلا قد ذهب فخلى سبيله .

ولما بلغت الهزيمة عبد الله بن علي أرسل إلى طريق المنهزمين من يمنعهم من دخول العسكر لئلا ينكر قومهم وأشار عليه أبو عون أن يبادر مروان بالقتال قبل أن يظهر أمر المخارق فيفت ذلك في أعضاد الناس ، فنادى فيهم بلبس السلاح والخروج إلى الحرب فركبوا ، واستخلف على عسكره محمد بن صول وسار نحو مروان ، وجعل على ميمنته أبا عون ، وعلى ميسرته الوليد بن معاوية ، وكان عسكره عشرين ألفاً ، وقيل : اثني عشر ألفاً ، وقيل : غير ذلك ، فلما التقى العسكران قال مروان لعبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز : ان زالت اليوم الشمس ولم يقاتلونا كنا الذين ندفعها إلى المسيح عليه السلام وان قاتلونا فأقبل الزوال فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، وأرسل مروان إلى عبد الله يسأله الموادعة فقال عبد الله : كذب ابن رزيق لا تزول الشمس حتى أوطئه الخيل إن شاء الله فقال مروان لأهل الشام : قفوا لا تبدؤهم بالقتال وجعل ينظر إلى الشمس ؛ فحمل الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم ـ وهو ختن مروان بن محمد على ابنته ـ فغضب وشتمه .

وقاتل ابن معاوية أبا عون فانحاز أبو عون إلى عبد الله بن علي فقال لموسى بن كعب : يا عبد الله مر الناس فلينزلوا فنودي الأرض فنزل الناس وأشرعوا الرماح وجثوا على الركب فقاتلوهم وجعل أهل الشام يتأخرون كأنهم يدفعون ، ومشى عبد الله بن علي فدعا[1] وهو يقول : يا رب حتى متى نقتل فيك ؟ ونادى يا أهل خراسان يا لثارات ابراهيم يا محمد يا منصور واشتد بينهم القتال .

فقال مروان لقضاعة : انزلوا، فقالوا : قل لبني سليم فلينزلوا ، فأرسل إلى السكاسك أن احملوا فقالوا :قل لبني عامر فليحملوا ،فأرسل إلى السكون أن احملوا

---

(١) في الطبري « قدما » .

فقالوا : قل لغطفان فليحملوا ، فقال لصاحب شرطته :انزل، فقال: والله ما كنت لأجعل نفسي غرضاً قال : اما والله لأسوأنك فقال : وددت والله أنك قدرت على ذلك ، وكان مروان ذلك اليوم لا يدبر شيئاً إلا كان فيه الخلل ، فأمر بالاموال فأخرجت وقال للناس : اصبروا وقاتلوا فهذه الاموال لكم فجعل ناس من الناس يصيبون من ذلك ، فقيل له : ان الناس قد مالوا على هذا المال ولا نأمنهم أن يذهبوا به ، فأرسل إلى ابنه عبد الله أن سر في أصحابك إلى قوم عسكرك فاقتل من أخذ من المال فامنعهم ، فمال عبد الله برايته وأصحابه فقال الناس : الهزيمة الهزيمة فانهزم مروان وانهزموا وقطع الجسر وكان من غرق يومئذٍ اكثر ممن قتل ، فكان ممن غرق يومئذٍ ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن المخلوع فاستخرجوه في الغرقى فقرأ عبد الله ﴿ وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون ﴾ وقيل: بل قتله عبد الله بن علي بالشام ، وقتل في هذه الوقعة سعيد بن هشام بن عبد الملك ، وقيل : بل قتله عبد الله بالشام ، وأقام عبد الله بن علي في عسكره سبعة أيام فقال رجل من ولد سعيد بن العاص يعير مروان :

لَجَّ الفِرارُ بمروان فقلتُ له ... عاد الظلومُ ظَليماً هَمُّه الهَرَبُ
اينَ الفرارُ وتركُ المُلكِ إذ ذهبت ... عنك الهُوَينا فلا دين ولا حَسَبُ
فراشَةُ[1] الحلم فرعونُ العِقابِ وإن ... تَطلُبْ نداه فكلبٌ دونه كَلبُ

وكتب يومئذ عبد الله بن علي إلى السفاح بالفتح وحوى عسكر مروان بما فيه فوجد سلاحاً كثيراً وأموالاً ولم يجد فيه امرأة إلا جارية كانت لعبد الله بن مروان ، فلما أتى الكتاب السفاح صلى ركعتين ثم قال ﴿ فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر ـ إلى قوله ـ وعلمه مما يشاء ﴾ وأمر لمن شهد الوقعة بخمسمائة دينار ورفع أرزاقهم إلى ثمانين، وكانت هزيمة مروان بالزاب يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من جُمادى الآخرة ، وكان فيمن قتل معه يحيى بن معاويةُ بن هشام بن عبد الملك ـ وهو أخو عبد الرحمن صاحب الأندلس ـ فلما تقدم إلى القتال رأى عبد الله بن علي فتى عليه أبهة الشرف يقاتل مستقتلاً فناداه يا فتى لك الأمان ولو كنت مروان بن محمد فقال : إن لم أكنه فلست بدونه قال : فلك الأمان ولو كنت من كنت فأطرق ثم قال :

---

(١)في الطبري « فراشه الحلم ».

أذل الحياة وكره الممات ... وكلا أراه طعاماً وبيلا
فإن لم يكن غير إحداهما ... فسيرٌ إلى الموت سيراً جميلا

ثم قاتل حتى قتل فإذا هو مسلمة بن عبد الملك .

ذكر قتل ابراهيم بن محمد بن علي الإمام

قد ذكرنا سبب حبسه واختلف الناس في موته فقيل : إن مروان حبسه بحران وحبس سعيد بن هشام بن عبد الملك وابنيه عثمان ، ومروان ، وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، والعباس بن الوليد بن عبد الملك ، وأبا محمد السفياني هلك منهم في وباء وقع بحران العباس بن الوليد ، وابراهيم بن محمد بن علي الامام ، وعبد الله بن عمر ، فلما كان قبل هزيمة مروان من الزاب بجمعة خرج سعيد بن هشام ، وابن عمه ، ومن معه من المحبوسين فقتلوا صاحب السجن وخرجوا فقتلهم أهل حران ومن فيها من الغوغاء ، وكان فيمن قتله أهل حران شراحيل بن مسلمة بن عبد الملك ، وعبد الملك ابن بشر التغلبي ، وبطريق أرمينية الرابعة ـ واسمه كوشان ـ وتخلف أبو محمد السفياني في الحبس فلم يخرج فيمن خرج ومعه غيره لم يستحلوا الخروج من الحبس فقدم مروان منهزماً من الزاب[1] فجاء فخلى عنهم ، وقيل : إن مروان هدم على ابراهيم بيتاً فقتله .

وقد قيل : إن شراحيل بن مسلمة بن عبد الملك كان محبوساً مع ابراهيم فكانا يتزاوران فصار بينهما مودة فأتى رسول من شراحيل إلى ابراهيم يوماً بلبن فقال : يقول لك اخوك : إني شربت من هذا اللبن فاستطبته فاحببت أن تشرب منه فشرب منه فتكسر جسده من ساعته ـ وكان يوماً يزور فيه شراحيل فأبطأ عليه ـ فأرسل إليه شراحيل إنك قد أبطأت فما حبسك ؟ فأعاد إبراهيم إني لما شربت اللبن الذي أرسلت به قد أسهلني فأتاه شراحيل فقال : والله الذي لا إله إلا هو ما شربت اليوم لبناً ولا أرسلت به إليك فإنا لله وإنَّا إليه راجعون احتِيل والله عليك ، فبات ابراهيم ليلته وأصبح ميتاً من الغد فقال ابراهيم بن هرثمة[2] يرثيه :

(١) هو الزاب الأعلى بين الموصل والأربل .
(٢) في الطبري « بن هرمة » .

قد كنتُ أحسِبُني جَلداً فَضعضَعَني قبرٌ بحرَّان فيه عِصمةُ الـدينِ
فيـه الإمـامُ وخيـرُ النـاس كلّهم بين الصفائح والأحجـار والطينِ
فيـه الإمامُ الـذي عمّتْ مُصيبتهُ وعَيَّلَتْ كـلَّ ذي مـال ومِسكينِ
فلا عفا الله عن مـروانَ مظلمـةً لكن عفـا الله عمَّن قـال آمينِ

وكان ابراهيم خيراً فاضلاً كريماً قدم المدينة مرة ففرق في أهلها مالاً جليلاً ، وبعث إلى عبد الله بن الحسن بن الحسن بخمسمائة دينار ، وبعث إلى جعفر بن محمد بألف دينار فبعث إلى جماعة العلويين بمال كثير ، فأتاه الحسين بن زيد بن علي ـ وهو صغير ـ فأجلسه في حجره قال : من أنت ؟ قال : أنا الحسين بن زيد بن علي فبكى حتى بل رداءه وأمر وكيله بإحضار ما بقي من المال فأحضر أربعمائة دينار فسلمها إليه وقال : لو كان عندنا شيء آخر لسلمته إليك ؛ وسير معه بعض مواليه إلى أمه ريطة بنت عبد الملك بن محمد ابن الحنفية يعتذر إليها ، وكان مولده سنة اثنتين وثمانين ، وأمه أم ولد بربرية اسمها سلمى ، وكان ينبغي أن يقدم ذكر قتله على هزيمة مروان وانما قدمنا ذلك لتتبع الحادثة بعضها بعضاً .

ذكر قتل مروان بن محمد بن مروان بن الحكم

وفي هذه السنة قتل مروان بن محمد ، وكان قتله ببوصير من أعمال مصر لثلاث بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وكان مروان لما هزمه عبد الله بن علي بالزاب أتى مدينة الموصل وعليها هشام بن عمرو التغلبي ، وبشر بن خزيمة الأسدي فقطعا الجسر فناداهم أهل الشام هذا أمير المؤمنين مروان فقالوا : كذبتم أمير المؤمنين لا يفر وسبه أهل الموصل وقالوا : يا جعدي يا معطل الحمد لله الذي أزال سلطانكم وذهب بدولتكم الحمد لله الذي أتانا بأهل بيت نبينا ، فلما سمع ذلك سار إلى بلد فعبر دجلة وأتى حران وبها ابن أخيه أبان بن يزيد بن محمد بن مروان عامله عليها فأقام بها نيفاً وعشرين يوماً ، وسار عبد الله بن علي حتى أتى الموصل فدخلها وعزل عنها هشاماً واستعمل عليها محمد بن صول ، ثم سار في أثر مروان بن محمد فلما دنا منه عبد الله حمل مروان أهله وعياله ومضى منهزماً وخلف بمدينة حران ابن أخيه ابان بن يزيد وتحته أم عثمان ابنة مروان .

وقدم عبد الله بن علي حران فلقيه ابان مسوداً مبايعاً له فبايعه له ودخل في طاعته فأمنه ومن كان بحران ، والجزيرة ، ومضى مروان إلى حمص فلقيه أهلها بالسمع والطاعة فأقام بها يومين أو ثلاثة ثم سار منها، فلما رأوا قلة من معه طمعوا فيه وقالوا: مرعوباً منهزماً فاتبعوه بعد ما رحل عنهم فلحقوه على أميال فلما رأى غبرة الخيل كَمِن لهم فلما جاوزوا الكمين صافهم مروان فيمن معه وناشدهم فأبوا إلا قتاله فقاتلهم وأتاهم الكمين من خلفهم فانهزم أهل حمص وقتلوا حتى انتهوا إلى قريب المدينة ، وأتى مروان دمشق وعليها الوليد بن معاوية بن مروان فخلفه بها وقال : قاتلهم حتى يجتمع أهل الشام ، ومضى مروان حتى أتى فلسطين فنزل نهر أبي فطرس ـ وقد غلب على فلسطين الحكم بن ضبعان الجذامي ـ فأرسل مروان إلى عبد الله بن يزيد بن روح بن زنباع الجذامي فأجاره ـ وكان بيت المال في يد الحكم ـ .

وكان السفاح قد كتب إلى عبدالله بن علي يأمره باتباع مروان فسار حتى أتى الموصل فتلقاه من بها مسودين وفتحوا له المدينة، ثم سار إلى حران فتلقاه ابان بن يزيد مسوداً كما تقدم فأمنه وهدم عبدالله الدار التي حبس فيها ابراهيم ثم سار من حرّان إلى منبج وقد سودوا فأقام بها وبعث إليه أهل قنسرين ببيعتهم ، وقدم عليه أخوه عبد الصمد بن علي أرسله السفاح مدداً له في أربعة آلاف فسار بعد قدوم عبد الصمد بيومين إلى قنسرين ـ وكانوا قد سودوا ـ فأقام يومين ، ثم سار إلى حمص وبايع أهلها وأقام بها أياماً ، ثم سار إلى بعلبك فأقام يومين ، ثم سار فنزل مزة دمشق ـ وهي قرية من قرى الغوطة ـ وقدم عليه أخوه صالح بن علي مدداً فنزل مرج عذراء في ثمانية آلاف ، ثم تقدم عبد الله فنزل على الباب الشرقي ، ونزل صالح على باب الجابية ونزل أبو عون على باب كيسان ، ونزل بسام بن ابراهيم على باب الصغير ، ونزل حميد بن قحطبة على باب توما ، وعبد الصمد ، ويحيى بن صفوان ، والعباس بن يزيد على باب الفراديس ، وفي دمشق الوليد بن معاوية فحصروه ودخلوها عنوة يوم الاربعاء لخمس مضين من شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وكان أول من صعد سور المدينة من باب شرقي عبد الله الطائي ، ومن ناحية باب الصغير بسام بن ابراهيم فقاتلوا بها ثلاث ساعات وقتل الوليد ابن معاوية فيمن قتل، وأقام عبد الله بن علي في دمشق خمسة عشر يوماً، ثم سار يريد فلسطين فلقيه أهل الأردن وقد سودوا وأتى نهر أبي فطرس ـ وقد ذهب مروان ـ فأقام عبد الله بفلسطين ، ونزل بالمدينة يحيى بن جعفر الهاشمي فأتاه كتاب السفاح يأمره بإرسال

صالح بن علي في طلب مروان ، فسار صالح من نهر أبي فطرس في ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ومعه ابن فتان ، وعامر بن اسماعيل ، فقدم صالح أبا عون ، وعامر ابن اسماعيل الحارثي فساروا حتى بلغوا العريش فأحرق مروان ما كان حوله من علف وطعام ، وسار صالح فنزل النيل ثم سار حتى أتى الصعيد ، وبلغه أن خيلاً لمروان يحرقون الأعلاف فوجه إليهم فأخذوا وقدم بهم على صالح وهو بالفسطاط ، وسار فنزل موضعاً يقال له : ذات السلاسل[1] وقدم أبو عون عامر بن اسماعيل الحارثي ، وشعبة بن كثير المازني في خيل أهل الموصل فلقوا خيلاً لمروان فهزموهم وأسروا منهم رجالاً فقتلوا بعضاً واستحيوا بعضاً فسألوهم عن مروان فأخبروهم بمكانه على أن يؤمنوهم وساروا فوجدوه نازلاً في كنيسة في بوصير فوافوه ليلاً وكان أصحاب أبي عون قليلين فقال لهم عامر بن إسماعيل : إن أصبحنا ورأوا قلتنا أهلكونا ولم يَنجُ منا أحد وكسر جفن سيفه وفعل أصحابه مثله وحملوا على أصحاب مروان فانهزموا ، وحمل رجل على مروان فطعنه ـ وهو لا يعرفه ـ وصاح صائح صرع أمير المؤمنين فابتدروه فسبق إليه رجل من أهل الكوفة كان يبيع الرمان فاحتز رأسه فأخذه عامر فبعث به إلى أبي عون وبعثه أبو عون إلى صالح فلما وصل إليه أمر أن يقص لسانه فانقطع لسانه فأخذه هر فقال صالح : ماذا ترينا الأيام من العجائب والعبر هذا لسان مروان قد أخذه هر ؛ وقال شاعر :

قَـد فتـحَ اللَّهُ مصـرَ عنـوةً لكُم ... وأهلكَ الفاجرَ الجعدي إذ ظلما
فَـلاَكَ مـقـولَـهُ هـر يجـرره ... وكان ربُّـكَ من ذي الكفرِ منتقما

وسيَّره صالح إلى أبي العباس السفاح ، وكان قتله لليلتين بقيتا من ذي الحجة ، ورجـع صالـح إلى الشام وخلف أبـا عون بمصـر وسلم إليه السـلاح ، والأموال ، والرقيق ، ولما وصل الرأس إلى السفاح كان بالكوفة فلما رآه سجد ثم رفع رأسه فقال : الحمد لله الذي أظهرني عليك وأظفرني بك ولم يبق ثاري قبلك وقبل رهطك أعداء الدين ، وتمثل :

لو يَشربونَ دَمي لم يَرْوِ شاربَهم ... ولا دماؤهم للغـيـظِ تَـرْوِيـنـي

---

(١) في الطبري « ذات الساحل » .

ولما قتل مروان هرب ابناه عبد الله ، وعبيد الله إلى أرض الحبشة فلقوا من الحبشة بلاء ، قاتلهم الحبشة فقتل عبيد الله ونجا عبد الله في عدة ممن معه فبقي إلى خلافة المهدي ، فأخذه نصر بن محمد بن الأشعث عامل فلسطين فبعث به إلى المهدي ، ولما قتل مروان قصد عامر الكنيسة التي فيها حرم مروان ـ وكان قد وكل بهن خادماً وأمره أن يقتلهن بعده ـ فأخذه عامر وأخذ نساء مروان ، وبناته فسيَّرهن إلى صالح ابن علي بن عبد الله بن عباس ، فلما دخلن عليه تكلمت ابنة مروان الكبرى فقالت : يا عم أمير المؤمنين حفظ الله لك من أمرك ما تحب حفظه نحن بناتك وبنات أخيك وابن عمك فليسعنا من عفوكم ما وسعكم من جورنا قال : والله لا أستبقي منكم واحداً ألم يقتل أبوك ابن أخي ابراهيم الإمام؟ ألم يقتل هشام بن عبد الملك زيد بن علي بن الحسين وصلبه في الكوفة ؟ ألم يقتل الوليد بن يزيد يحيى بن زيد وصلبه بخراسان ؟ ألم يقتل ابن زياد الدعي مسلم بن عقيل ؟ ألم يقتل يزيد بن معاوية الحسين بن علي وأهل بيته ؟ ألم يخرج إليه بحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا فوقفهن موقف السبي ؟ ألم يحمل رأس الحسين وقد قرع دماغه فما الذي يحملني على الابقاء عليكن ؟ قالت : فليسعنا عفوكم فقال : أما هذا فنعم وإن أحببت زوجتك ابني الفضل فقالت : وأي عز خير من هذا بل تلحقنا بحران فحملهن إليها فلما دَخَلْنَها ورأينَ منازل مروان رفعن أصواتهن بالبكاء ، قيل : كان يوماً بكير بن ماهان مع أصحابه قبل أن يقتل مروان يتحدث إذ مر به عامر بن إسماعيل ـ وهو لا يعرفه ـ فأتى دجلة واستقى من مائها ثم رجع فدعاه بكير فقال : ما اسمك يا فتى ؟ قال : عامر بن إسماعيل بن الحرث قال : فكن من بني مسلية قال : فأنا منهم قال : أنت والله تقتل مروان فكان هذا القول هو الذي قوى طمع عامر في قتل مروان ، ولما قتل مروان كان عمره اثنتين وستين سنة ، وقيل : تسعاً وستين سنة ، وكانت ولايته من حين بويع إلى أن قتل خمس سنين وعشرة أشهر وستة عشر يوماً ، وكان يكنى أبا عبد الملك ، وكانت أمه أم ولد كردية كانت لابراهيم بن الأشتر أخذها محمد بن مروان يوم قتل ابراهيم فولدت مروان ، فلهذا قال عبد الله بن عياش المشرف[1] للسفاح : الحمد لله الذي أبدلنا بحمار الجزيرة وابن أمة النخع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عبد المطلب ، وكان مروان يلقب

---

(١) في الطبري « المنتوف » .

بالحمار ، والجعدي لأنه تعلم من الجعد بن درهم مذهبه في القول بخلق القرآن والقدر وغير ذلك ، وقيل : إن الجعد كان زنديقاً وعظه ميمون بن مهران فقال : لشاه قباذ أحب إليَّ مما تدين به فقال له : قتلك الله وهو قاتلك وشهد عليه ميمون وطلبه هشام فظفر به وسيَّره إلى خالد القسري فقتله ، فكان الناس يذمون مروان بنسبته إليه ، وكان مروان أبيض أشهل شديد الشهلة ضخم الهامة كَثَّ اللحية أبيضها ربعة وكان شجاعاً حازماً إلا أن مدته انقضت فلم ينفعه حزمه ولا شجاعته (عياش) بالياء تحتها نقطتان والشين المعجمة .

ذكر من قتل من بني أمية

دخل سديف على السفاح وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك وقد أكرمه فقال سديف :

لا يَغُرنك ما ترى من رجالٍ ... إن تحتَ الضلوعِ داءً دويّا
فضعِ السيفَ وارفعِ السوطَ حتى ... لا ترى فوقَ ظَهرِها أمويّا

فقال سليمان : قتلتني يا شيخ ودخل السفاح وأخذ سليمان فقتل ، ودخل شبل ابن عبد الله مولى بني هاشم على عبد الله بن علي وعنده من بني أمية نحو تسعين رجلاً على الطعام فأقبل عليه شبل فقال :

أصبحَ الملكُ ثابت الآساسِ ... بالبهاليلِ من بني العباسِ
طلبوا وتر هاشم فشفوها ... بعد ميلٍ من الزمانِ وباسِ
لا تقيلنَّ عبد شمسٍ عثارا ... واقطعن كل رَقلة وغراسِ
ذلّها أظهرَ التوددَ منها ... وبها منكم كحزٍّ المواسي
ولقد غاظني وغاظَ سوائي ... قربُهم من نمارق وكراسي
أنزلوها بحيث أنزلها الله ... بدار الهوان والاتعاسِ
واذكروا مصرعَ الحسين وزيداً ... وقتيلاً بجانب المهراسِ
والقتيل الذي بحرّان أضحى ... ثاوياً بين غُربةٍ وتناسي

فأمر بهم عبد الله فضربوا بالعمد حتى قتلوا وبسط عليهم الانطاع فأكل الطعام عليها وهو يسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعاً ، وأمر عبد الله بن علي بنبش قبور بني

أمية بدمشق ، فنبش قبر معاوية بن أبي سفيان فلم يجدوا فيه إلا خيطاً مثل الهباء ، ونبش قبر يزيد بن معاوية بن ابي سفيان فوجدوا فيه حطاماً كأنه الرماد ونبش قبر عبد الملك بن مروان فوجدوا جمجمته ، وكان لا يوجد في القبر إلا العضو بعد العضو غير هشام بن عبد الملك فانه وجد صحيحاً لم يبل منه إلا ارنبة أنفه فضربه بالسياط وصلبه وحرقه وذراه في الريح ؛ وتتبع بني أمية من أولاد الخلفاء وغيرهم فأخذهم ولم يفلت منهم إلا رضيع أو من هرب إلى الاندلس فقتلهم بنهر أبي فطرس ، وكان فيمن قتل محمد بن عبد الملك بن مروان ، والغمر بن يزيد بن عبد الملك ، وعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، وسعيد بن عبد الملك ، وقيل : انه مات قبل ذلك ، وأبو عبيدة بن الوليد بن عبد الملك ، وقيل : إبراهيم بن يزيد المخلوع قتل معهم ، واستصفى كل شيء لهم من مال وغير ذلك فلما فرغ منهم قال :

بني اميــةَ قــد أفنيتُ جمعَـكُم — فكيفَ لي منكُم بالأولِ الماضي
يطيبُ النفسَ أن النارَ تجمعُكم — عوضتم من لظاها شرَ معتـاضِ
منيتُم لا أقــالَ الـلّهُ عثـرتَـكُم — بليث غاب إلى الأعداء نهاضِ
إن كان غيظي لفوتٍ منكم فلقد — منيت منكم بمـا ربي به راضِ

وقيل : إن سديفاً أنشد هذا الشعر للسفاح ومعه كانت الحادثة وهو الذي قتلهم ، وقتل سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس بالبصرة أيضاً جماعة من بني أمية عليهم الثياب الموشية المرتفعة وأمر بهم فجروا بأرجلهم فألقوا على الطريق فأكلهم الكلاب ، فلما رأى بنو أمية ذلك اشتد خوفهم وتشتت شملهم واختفى من قدر على الاختفاء ، وكان ممن اختفى منهم عمرو بن معاوية بن عمرو بن سفيان بن عتبة بن أبي سفيان قال : وكنت لا آتي مكاناً إلا عرفت فيه فضاقت عليّ الأرضْ فقدمت على سليمان بن علي ، ـ وهـو لا يعرفني ـ فقلت : لفـظتني البلاد إليـك ودلني فضلك عليـك فـإمـا قتلتني فاسترحت واما رددتني سالماً فأمنت فقال : ومن أنت ؟ فعرفته نفسي فقال : مرحباً بك ما حاجتك ؟ فقلت : إن الحرم اللواتي أنت أولى الناس بهن وأقربهم إليهن قد خفن لخوفنا ومن خاف خيف عليه قال : فبكى كثيراً ثم قال : يحقن الله دمك ويوفر مالك ويحفظ حرمك ثم كتب إلى السفاح يا أمير المؤمنين انه قد وفد وافد من بني أمية علينا

وإنًّا إنما قتلناهم على عقوقهم لا على ارحامهم فإننا يجمعنا واياهم عبد مناف والرحم تبل ولا تقتل وترفع ولا توضع فإن رأى أمير المؤمنين أن يهبهم لي فليفعل وإن فعل فيجعل كتاباً عاماً إلى البلدان ، نشكر الله تعالى على نعمه عندنا وإحسانه إلينا فأجابه إلى ما سأل فكان هذا أول أمان بني أمية .

ذكر خلع حبيب بن مرة المري

وفي هذه السنة بيض حبيب بن مرة المري وخلع هو ، ومن معه من أهل الثنية ، وحوران ـ وكان خلعهم قبل خلع أبي الورد ـ فسار إليه عبدالله وقاتله دفعات ، وكان حبيب من قواد مروان وفرسانه ، وكان سبب تبييضه الخوف على نفسه وقومه فبايعته قيس ، وغيرهم ممن يليهم ، فلما بلغ عبدالله خروج أبي الورد وتبييضه دعا حبيباً إلى الصلح فصالحه وأمنه ومن معه وسار نحو أبي الورد .

ذكر خلع أبي الورد وأهل دمشق

وفيها خلع أبو الورد مجزة بن الكوثر بن زفر بن الحرث الكلابي ـ وكان من أصحاب مروان وقواده ـ وكان سبب ذلك أن مروان لما انهزم قام أبو الورد بقنسرين فقدمها عبد الله بن علي فبايعه أبو الورد ودخل فيما دخل فيه جنده ، وكان ولد مسلمة بن عبد الملك مجاورين له ببالس ، والناعورة ، فقدم بالس قائد من قواد عبد الله بن علي فبعث بولد مسلمة ، ونسائهم فشكا بعضهم ذلك إلى أبي الورد فخرج من مزرعة له يقال لها خساف فقتل ذلك القائد ومن معه وأظهر التبييض والخلع لعبد الله ودعا أهل قنسرين إلى ذلك فبيضوا أجمعهم ـ والسفاح يومئذ بالحيرة وعبد الله بن علي مشتغل بحرب حبيب بن مرة المري بأرض البلقاء ، وحوران ، والبثنية على ما ذكرناه ـ فلما بلغ عبد الله تبييض أهل قنسرين وخلعهم صالح حبيب بن مرة وسار نحو قنسرين للقاء أبي الورد فمر بدمشق فخلف بها أبا غانم عبد الحميد بن ربعي الطائي في أربعة آلاف ـ وكان بدمشق لاهل عبد الله وأمهات أولاده وثقله ـ فلما قدم حمص انتقض له أهل دمشق وبيضوا وقاموا مع عثمان بن عبد الأعلى بن سراقة الأزدي فلقوا أبا غانم ومن معه فهزموه وقتلوا من أصحابه مقتلة عظيمة وانتهبوا ما كان عبد الله خلف من ثقله ولم يعرضوا لأهله

واجتمعوا على الخلاف ، وسار عبد الله وكان قد اجتمع مع أبي الورد جماعة من أهل قنسرين وكاتبوا من يليهم من أهل حمص، وتدمر فقدم منهم ألوف عليهم أبو محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية ودعوا إليه وقالوا : هذا السفياني الذي كان يذكر - وهم في نحو من أربعين ألفاً - فعسكروا بمرج الاخرم ، ودنا منهم عبد الله بن علي ووجه اليهم أخاه عبد الصمد بن علي في عشرة آلاف ، وكان أبو الورد هو المدبر لعسكر قنسرين وصاحب القتال فناهضهم القتال وكثر القتل في الفريقين وانكشف عبد الصمد ومن معه وقتل منهم ألوف ولحق بأخيه عبد الله فأقبل عبد الله ومعه جماعة القواد فالتقوا ثانية بمرج الأخرم فاقتتلوا قتالاً شديداً وثبت عبد الله فانهزم أصحاب أبي الورد وثبت هو في نحو من خمسمائة من قومه وأصحابه فقتلوا جميعاً ، وهرب أبو محمد ومن معه حتى لحقوا بتدمر ، وامن عبد الله أهل قنسرين وسودوا وبايعوه ودخلوا في طاعته ، ثم انصرف راجعاً إلى أهل دمشق لما كان من تبييضهم عليه فلما دنا منهم هرب الناس ولم يكن منهم قتال ، وأمن عبد الله أهلها وبايعوه ولم يأخذهم بما كان منهم ، ولم يزل أبو محمد السفياني متغيباً هارباً ولحق بأرض الحجاز وبقي كذلك إلى أيام المنصور ، فبلغ زياد ابن عبد الله الحارثي - عامل المنصور - مكانه فبعث إليه خيلاً فقاتلوه فقتلوه وأخذوا ابنين له أسيرين ، فبعث زياد برأس أبي محمد بن عبد الله السفياني وبابنيه فأطلقهما المنصور وأمنهما ، وقيل : إن حرب عبد الله ، وأبي الورد كانت سلخ ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين ومائة .

ذكر تبييض أهل الجزيرة وخلعهم

وفي هذه السنة بيض أهل الجزيرة وخلعوا ابا العباس السفاح وساروا إلى حران وبها موسى بن كعب في ثلاثة آلاف من جند السفاح فحاصروه بها - وليس على أهل الجزيرة رأس يجمعهم - فقدم عليهم اسحاق بن مسلم العقيلي من أرمينية - وكان سار عنها حين بلغه هزيمة مروان - فاجتمع عليه أهل الجزيرة ، وحاصر موسى بن كعب نحواً من الشهرين ، ووجه أبو العباس السفاح أخاه أبا جعفر فيمن كان معه من الجنود بواسط محاصرين ابن هبيرة فسار بقرقيسيا ، والرقة وأهلهما قد بيضوا وسار نحو حران فرحل إسحاق بن مسلم إلى الرهاء وذلك سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وخرج موسى بن كعب من حران فلقي أبا جعفر ، ووجه اسحاق بن مسلم أخاه بكار بن مسلم إلى ربيعة

بدارا ، وماردين ـ ورئيس ربيعة يومئذٍ رجل من الحرورية يقال له بريكة ـ فعمد إليهم[١] أبو جعفر فلقيهم فقاتلوه قتالاً شديداً وقتل برمكة في المعركة ، وانصرف بكار إلى أخيه اسحاق بالرها فخلفه اسحاق بها وسار إلى سميساط في عظم عسكره ، وأقبل أبو جعفر إلى الرها وكان بينهم وبين بكار وقعات ، وكتب السفاح إلى عبدالله بن علي يأمره أن يسير في جنوده إلى سميساط فسار حتى نزل بإزاء اسحاق بسميساط ـ واسحاق في ستين ألفاً وبينهم الفرات ـ وأقبل أبو جعفر من الرها وحاصر اسحاق بسميساط سبعة أشهر ـ وكان اسحاق يقول : في عنقي بيعة فأنا لا أدعها حتى أعلم ان صاحبها مات أو قتل ـ فأرسل إليه أبو جعفر أن مروان قد قتل فقال : حتى أتيقن فلما تيقن قتله طلب الصلح والأمان فكتبوا إلى السفاح بذلك وأمرهم أن يؤمنوه ومن معه فكتبوا بينهم كتاباً بذلك ، وخرج إسحاق إلى أبي جعفر وكان عنده من آثر صحابته ، واستقام أهل الجزيرة ، والشام ، وولى أبو العباس أخاه أبا جعفر الجزيرة ، وأرمينية ، واذربيجان فلم يزل عليها حتى استخلف ، وقد قيل : إن عبيدالله بن علي هو الذي أمن اسحاق بن مسلم .

ذكر قتل أبي سلمة الخلال، وسليمان بن كثير

قد ذكرنا ما كان من أبي سلمة في أمر أبي العباس السفاح ومن كان معه من بني هاشم عند قدومهم الكوفة بحيث صار عندهم متهماً وتغير السفاح عليه وهو بعسكره بحمام أعين ثم تحول عنه إلى المدينة الهاشمية فنزل قصر الامارة بها وهو متنكر لأبي سلمة، وكتب إلى أبي مسلم يعلمه رأيه فيه وما كان همَّ به من الغش ، وكتب إليه أبو مسلم إن كان أمير المؤمنين اطلع على ذلك منه فليقتله ، فقال داود بن علي للسفاح : لا تفعل يا أمير المؤمنين فيحتج بها أبو مسلم عليك وأهل خراسان الذين معك أصحابه وحاله فيهم حاله ولكن اكتب إلى أبي مسلم فليبعث إليه من يقتله فكتب إليه ، فبعث أبو مسلم مرار بن أنس الضبي لقتله فقدم على السفاح فاعلمه بسبب قدومه ، فأمر السفاح منادياً فنادى: ان أمير المؤمنين قد رضي عن أبي سلمة ودعاه فكساه، ثم دخل عليه بعد ذلك ليلة فلم يزل عنده حتى ذهب عامة الليل ثم انصرف إلى منزله وحده فعرض له مرار ابن أنس ومن معه من أعوانه فقتلوه وقالوا: قتله الخوارج، ثم أخرج من الغد فصلى

---

(١) في الطبري « فصمد إليهم » .

عليه يحيى بن محمد بن علي ودفن بالمدينة الهاشمية عند الكوفة ، فقال سليمان بن المهاجر البجلي :

إن الـوزيـر وزيـر آل محمـد أودى فمن يشنـاك صـار وزيـرا

وكان يقال لأبي سلمة : وزير آل محمد ولابي مسلم أمير آل محمد[1] فلما قتل أبو سلمة وجه السفاح أخاه أبا جعفر إلى أبي مسلم فلما قدم على أبي مسلم سايره عبيد الله بن الحسن الأعرج ،وسليمان بن كثير ، فقال سليمان بن كثير لعبيد الله : يا هذا إنا كنا نرجو أن يتم أمركم فإذا شئتم فادعونا إلى ما تريدون ، فظن عبيد الله أنه دسيس من أبي مسلم فأتى أبا مسلم فأخبره وخاف إن لم يعلمه أن يقتله ، فأحضر ابو مسلم سليمان ابن كثير وقال له : أتحفظ قول الإمام لي من اتهمته فاقتله ؟ قال : نعم، قال : فإني قد اتهمتك قال : أُنشدكَ بالله قال : لا تناشدني الله فانت منطوٍ على غش الإمام وأمر بضرب عنقه ، ورجع أبو جعفر إلى السفاح فقال : لست خليفة ولا أمرك بشيء إن تركت أبا مسلم ولم تقتله قال : وكيف ؟ قال : والله ما يصنع إلا ما أراد ، قال أبو العباس : فاكتمها ، وقد قيل : إن أبا جعفر إنما سار إلى أبي مسلم قبل أن يقتل أبو سلمة ، وكان سبب ذلك أن السفاح لما ظهر تذاكروا ما صنع أبو سلمة فقال بعض من هناك : لعل ما صنع كان من رأي أبي مسلم فقال السفاح : لئن كان هذا عن رأيه انا لنعرضن بلاء إلا أن يدفعه الله عنا ، وأرسل أخاه أبا جعفر إلى أبي مسلم ليعلم رأيه فسار إليه وأعلمه ما كان من أبي سلمة فأرسل مرار بن أنس فقتله

ذكر محاصرة ابن هبيرة بواسط

قد ذكرنا ما كان من أمر يزيد بن هبيرة والجيش الذين لقوه من أهل خراسان مع قحطبة ثم مع ابنه الحسن وانهزامه إلى واسط وتحصنه بها ، وكان لما انهزم قد وكل بالأثقال قوماً فذهبوا بها فقال له حوثرة : أين تذهب وقد قتل صاحبهم - يعني قحطبة - أتمضي[2] إلى الكوفة ومعك جند كثير فقاتلهم حتى تقتل أو تظفر قال : بل نأتي واسطاً فننظر قال : ما تريد على أن تمكنه من نفسك وتقتل ،وقال يحيى بن حضين انك لو تأتي

---

(١) في الطبري « أمين آل محمد » .

(٢) في الطبري « امض » .

مروان بشيء أحب إليه من هذه الجنود فالزم الفرات حتى تأتيه وإياك وواسطاً فتصير في حصار وليس بعد الحصر إلا القتل فأبى ، وكان يخاف مروان لأنه كان يكتب إليه بالأمر فيخالفه فخاف أن يقتله فأتى واسطاً فتحصن بها ، وسير أبو سلمة إليه الحسن بن قحطبة فحصره ، وأول وقعة كانت بينهم يوم الأربعاء قال أهل الشام لابن هبيرة : إئذن لنا في قتالهم فأذن لهم فخرجوا وخرج ابن هبيرة وعلى ميمنته ابنه داود فالتقوا ، وعلى ميمنة الحسن خازم بن خزيمة ، فحمل خازم على ابن هبيرة فانهزم هو ومن معه وغص الباب بالناس ورُمِي أصحابه بالعرادات، ورجع أهل الشام فكر عليهم الحسن واضطرهم إلى دجلة فغرق منهم ناس كثير فتلقوهم بالسفن وتحاجزوا ، فمكثوا سبعة أيام ثم خرجوا إليهم فاقتتلوا وانهزم أهل الشام هزيمة قبيحة فدخلوا المدينة فمكثوا ما شاء الله لا يقاتلون إلا رمياً ، وبلغ ابن هبيرة ـ وهو في الحصار ـ أن أبا أمية التغلبي قد سود فأخذه وحبسه ، فتكلم ناس من ربيعة في ذلك ومعن بن زائدة الشيباني وأخذوا ثلاثة نفر من فزارة ـ رهط ابن هبيرة ـ فحبسوهم وشتموا ابن هبيرة وقالوا :لا نترك ما في أيدينا حتى يترك ابن هبيرة صاحبنا، وأبى ابن هبيرة أن يطلقه فاعتزل معن ، وعبد الرحمن بن بشير العجلي فيمن معهما فقيل لابن هبيرة : هؤلاء فرسانك قد أفسدتهم وان تماديت في ذلك كانوا أشد عليك ممن حصرك فدعا أبا أمية فكساه وخلى سبيله فاصطلحوا وعادوا إلى ما كانوا عليه ، وقدم أبو نصر مالك بن الهيثم من ناحية سجستان إلى الحسن فأوفد الحسن وفداً إلى السفاح بقدوم أبي نصر عليه وجعل على الوفد غيلان بن عبد الله الخزاعي ، وكان غيلان واجداً على الحسن لأنه سرحه إلى روح بن حاتم مدداً له فلما قدم على السفاح وقال : أشهد أنك أمير المؤمنين وأنك حبل الله المتين وأنك إمام المتقين قال : حاجتك يا غيلان قال : استغفرك قال : غفر الله لك قال غيلان : يا أمير المؤمنين من علينا برجل مُنَّ أهل بيتك قال : أوليس عليكم رجل من أهل بيتي الحسن ابن قحطبة؟ قال : يا أمير المؤمنين مُنَّ علينا برجل من أهل بيتك ننظر إلى وجهه وتقر عيننا به فبعث أخاه أبا جعفر لقتال ابن هبيرة عند رجوعه من خراسان ، وكتب إلى الحسن ان العسكر عسكرك والقواد قوادك ولكن أحببت أن يكون أخي حاضراً فاسمع له وأطع وأحسن مؤازرته ، وكتب إلى مالك بن الهيثم بمثل ذلك ـ وكان الحسن هو المدبر لأمر ذلك العسكر ـ فلما قدم أبو جعفر المنصور على الحسن تحول الحسن عن خيمته وأنزله فيها ، وجعل الحسن على حرس المنصور عثمان بن نهيك ، وقاتلهم

مالك بن الهيثم يوماً فانهزم أهل الشام إلى خنادقهم وقد كمن لهم معن ، وأبو يحيى الجذامي فلما جازهم أصحاب مالك خرجوا عليهم فقاتلهم حتى جاء الليل - وابن هبيرة على برج الخلالين - فاقتتلوا ما شاء الله من الليل وسرح ابن هبيرة إلى معن يأمره بالانصراف فانصرف فمكثوا أياماً .

وخرج أهل واسط أيضاً مع معن ، ومحمد بن نباتة فقاتلهم أصحاب الحسن فهزموهم إلى دجلة حتى تساقطوا فيها ورجعوا وقد قتل ولد مالك بن الهيثم فلما رآه أبوه قتيلاً قال : لعن الله الحياة بعدك ثم حملوا على أهل واسط فقاتلوهم حتى أدخلوهم المدينة ، وكان مالك يملأ السفن حطباً ثم يضرمها ناراً لتحرق ما مرت به فكان ابن هبيرة يجر تلك السفن بكلاليب، فمكثوا كذلك أحد عشر شهراً فلما طال عليهم الحصار طلبوا الصلح ولم يطلبوا حتى جاءهم خبر قتل مروان أتاهم به إسماعيل بن عبد الله القسري ، وقال لهم : علام تقتلون أنفسكم وقد قتل مروان ؟ وتجنى أصحاب ابن هبيرة عليه فقالت اليمانية : لا نعين مروان وآثاره فينا آثاره ، وقالت النزارية : لا نقاتل حتى تقاتل معنا اليمانية - وكان يقاتل معه صعاليك الناس وفتيانهم ، وهمَّ ابن هبيرة بأن يدعو إلى محمد بن عبدالله بن الحسن بن علي فكتب إليه فأبطأ جوابه ، وكاتب السفاح اليمانية من أصحاب ابن هبيرة واطمعهم فخرج إليه زياد بن صالح ، وزياد بن عبيد الله الحارثيان ووعدا ابن هبيرة أن يصلحا له ناحية ابن العباس فلم يفعلا ، وجرت السفراء بين أبي جعفر ، وابن هبيرة حتى جعل له أماناً وكتب به كتاباً مكث ابن هبيرة يشاور فيه العلماء أربعين يوماً حتى رضيه فأنفذه إلى أبي جعفر فأنفذه أبو جعفر إلى أخيه السفاح فأمره بامضائه ، وكان رأي أبي جعفر الوفاء له بما اعطاه ، وكان السفاح لا يقطع أمراً دون أبي مسلم وكان ابو الجهم عيناً لابي مسلم على السفاح ، فكتب السفاح إلى أبي مسلم يخبره أمر ابن هبيرة فكتب ابو مسلم إليه أن الطريق السهل إذا القيت فيه الحجارة فَسُدَ لا والله لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة ، ولما تم الكتاب خرج ابن هبيرة إلى أبي جعفر في ألف وثلاثمائة من البخارية واراد أن يدخل الحجرة على دابته فقام إليه الحاجب سلام بن سليم فقال : مرحباً بك أبا خالد انزل راشداً - وقد أطاف بحجرة المنصور عشرة آلاف من أهل خراسان - فنزل ودعا له بوسادة ليجلس عليها وأدخل القواد ثم أذن لابن هبيرة وحده فدخل وحادثه ساعة ثم قام ثم مكث يأتيه

يوماً ويتركه يوماً فكان يأتيه في خمسمائة فارس وثلاثمائة راجل فقيل لابي جعفر : إن ابن هبيرة ليأتي فيتضعضع له العسكر وما نقص من سلطانه شيء فأمره أبو جعفر أن لا يأتي إلا في حاشيته فكان يأتي في ثلاثين ثم صار يأتي في ثلاثة أو اربعة ، وكلم ابن هبيرة المنصور يوماً فقال له ابن هبيرة : يا هناه أو يا أيها المرء ثم رجع فقال : أيها الأمير إن عهدي بكلام الناس بمثل ما خاطبتك به لقريب فسبقني لساني إلى ما لم ارده ، فألح السفاح على ابي جعفر يأمره بقتل ابن هبيرة وهو يراجعه حتى كتب إليه والله لتقتلنه أو لأرسلن إليه من يخرجه من حجرتك ثم أتولى قتله فعزم على قتله .

فبعث خازم بن خزيمة ، والهيثم بن شعبة بن ظهير وأمرهما بختم بيوت الأموال ثم بعث إلى وجوه من مع ابن هبيرة من القيسية ، والمضرية فأحضرهم ، فأقبل محمد ابن نباتة، وحوثرة بن سهيل في اثنين وعشرين رجلاً، فخرج سلام بن سليم فقال: أين ابن نباتة وحوثرة ؟ فدخلا وقد أجلس ابو جعفر عثمان بن نهيك وغيره في مائة في حجرة دون حجرته فنزعت سيوفهما وكُتِّفا واستدعى رجلين رجلين يفعل بهما مثل ذلك فقال بعضهم : اعطيتمونا عهد الله ثم غدرتم بنا إنا لنرجو أن يدرككم الله وجعل ابن نباتة يضرط في لحية نفسه وقال : كأني كنت انظر إلى هذا .

وانطلق خازم، والهيثم بن شعبة في نحو من مائة إلى ابن هبيرة فقالوا : نريد حمل المال فقال لحاجبه دلهم على الخزائن فأقاموا عند كل بيت نفراً وأقبلوا نحوه وعنده ابنه داود وعدة من مواليه وبُنيّ له صغير في حجره ، فلما أقبلوا نحوه قام حاجبه في وجوههم فضربه الهيثم بن شعبة على حبل عاتقه فصرعه وقاتل ابنه داود وأقبل هو اليه ونحى ابنه من حجره فقال : دونكم هذا الصبي وخر ساجداً فقتل وحملت رؤوسهم إلى أبي جعفر، ونادى بالأمان للناس إلا الحكم بن عبد الملك بن بشر ، وخالد بن سلمة المخزومي ، وعمر بن ذر ، فاستأمن زياد بن عبيد الله لابن ذر فأمنه ، وهرب الحكم وأمن أبو جعفر خالداً فقتله السفاح ولم يجز أمان أبي جعفر ، فقال أبو العطاء السندي يرثي ابن هبيرة :

ألا إن عينا لم تَجُدْ يومَ واسطٍ ... عليك بخارى[1] دمعها لَجَمودُ

---

(١) في الطبري « بجارى ».

عشيـة قام النـائحـاتُ وصفقتْ أكفٌ[١] بـأيْـدي مـأتمٍ وخُـدودُ
فإن تنسَ[٢] مهجورَ الفناءِ فربما أقــامَ بـه بعــد الـوفــودِ وُفـودُ
فــإنـك لم تبعُــدْ على متعهـد بلى كل مَن تحت التراب بعيدُ

ذكر قتل عمال أبي سلمة بفارس

وفي هذه السنة وجه أبو مسلم الخراساني محمد بن الأشعث على فارس وأمره أن يقتل عمال أبي سلمة ففعل ذلك ، فوجه السفاح عمه عيسى بن علي إلى فارس ـ وعليها محمد بن الأشعث ـ فأراد محمد قتل عيسى فقيل له : ان هذا لا يسوغ لك فقال : بلى أمرني أبو مسلم أن لا يقدم أحد علي يدَّعي الولاية من غيره إلا ضربت عنقه ثم ترك عيسى خوفاً من عاقبة قتله ، واستحلف عيسى بالايمان المحرجة أن لا يعلو منبراً ولا يتقلد سيفاً إلا في جهاد فلم يتول عيسى بعد ذلك ولاية ولم يتقلد سيفاً إلا في غزو ، ثم وجه السفاح بعد ذلك اسماعيل بن علي والياً على فارس .

ذكر ولاية يحيى بن محمد الموصل وما قيل فيها

وفي هذه السنة استعمل السفاح أخاه يحيى بن محمد على الموصل عوض محمد ابن صول ، وكان سبب ذلك أن أهل الموصل امتنعوا من طاعة محمد بن صول وقالوا : يلي علينا مولى الخثعم وأخرجوه عنهم فكتب إلى السفاح بذلك ، واستعمل عليهم أخاه يحيى بن محمد وسيره إليها في اثني عشر ألف رجل فنزل قصر الإمارة مجانب مسجد الجامع ولم يظهر لاهل الموصل شيئاً ينكرونه ولم يعترضهم فيما يفعلونه ، ثم دعاهم فقتل منهم اثني عشر رجلاً فنفر أهل البلد وحملوا السلاح فأعطاهم الأمان وأمر فنودي من دخل الجامع فهو آمن ، فأتاه الناس يهرعون إليه فأقام يحيى الرجال على أبواب الجامع فقتلوا الناس قتلاً ذريعاً اسرفوا فيه فقيل : انه قتل فيه أحد عشر ألفاً ممن له خاتم وممن ليس له خاتم خلقاً كثيراً فلما كان الليل سمع يحيى صراخ النساء اللاتي قتل رجالهن فسأل عن ذلك الصوت فأخبر به فقال : اذا كان الغد فاقتلوا النساء ، والصبيان

---

(١) في الطبري « وشققت جيوب » .

(٢) في الطبري « فإن تمس » .

ففعلوا ذلك وقتل منهم ثلاثة أيام، وكان في عسكره قائد معه أربعة آلاف زنجي فأخذوا النساء قهراً ، فلما فرغ يحيى من قتل أهل الموصل في اليوم الثالث ركب اليوم الرابع - وبين يديه الحراب والسيوف المسلولة - فاعترضته امرأة وأخذت بعنان دابته فأراد أصحابه قتلها فنهاهم عن ذلك فقالت له: ألست من بني هاشم؟ ألست ابن عم رسول الله ﷺ؟ أما تأنف للعربيات المسلمات أن ينكحن الزنج فأمسك عن جوابها وسيَّر معها من يبلغها مأمنها - وقد عمل كلامها فيه - فلما كان الغد جمع الزنج للعطاء فاجتمعوا فأمر بهم فقتلوا عن آخرهم ، وقيل : كان السبب في قتل اهل الموصل ما ظهر منهم من محبة بني أمية وكراهة بني العباس ، وإن امرأة غسلت رأسها وألقت الخطمي من السطح فوقع على رأس بعض الخراسانية فظنها فعلت ذلك تعمداً فهجم الدار وقتل أهلها فثار أهل البلد وقتلوه وثارت الفتنة ، وفيمن قتل معروف بن أبي معروف وكان زاهداً عابداً وقد أدرك كثيراً من الصحابة وروى عنهم .

ذكر عدة حوادث

وفيها وجه السفاح أخاه المنصور والياً على الجزيرة ، واذربيجان وارمينية .

وفيها عزل عمه داود بن علي عن الكوفة وسوادها وولاه المدينة ، ومكة ، واليمن ، واليمامة وولى موضعه من عمل الكوفة ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد ، فاستقضى عيسى على الكوفة ابن ابي ليلى ، وكان العامل على البصرة هذه السنة سفيان بن معاوية المهلبي ، وعلى قضائها الحجاج بن ارطاة ، وعلى السند منصور بن جمهور ، وعلى فارس محمد بن الاشعث ، وعلى الجزيرة، وارمينية، واذربيجان ابو جعفر بن محمد بن علي ، وعلى الموصل يحيى بن محمد بن علي ، وعلى الشام عبد الله بن علي ، وعلى مصر أبو عون عبد الملك بن يزيد ، وعلى خراسان ، والجبال أبو مسلم ، وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك .

وحج بالناس هذه السنة داود بن علي .

وفيها مات عبد الله بن أبي نجيح ، واسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري .

وفيها قتل يحيى بن معاوية بن هشام بن عبد الملك مع مروان بن محمد بالزاب ، ويحيى أخو عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس .

وفيها قتل يونس بن مغيرة بن حلين بدمشق لما دخلها عبد الله بن علي وكان عمره عشرين ومائة سنة قتله رجلان من خراسان ولم يعرفاه فلما عرفاه بكيا عليه ، وقيل : بل عضته دابة من دوابه فقتلته ـ وكان ضريراً .

وفيها مات صفوان بن سليم مولى حميد بن عبد الرحمن ، وفيها توفي محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم بالمدينة وكان قاضيها .

وفيها مات همام بن منبه ، وعبد الله بن عوف ، وسعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت الأنصاري ، وخُبَيب بن عبد الرحمن بن خبيب بن يسار الأنصاري ! وهو خال عبيد الله بن عمر العمري ـ (خبيب) بضم الخاء المعجمة وفتح الباء الموحدة ، وعمارة بن أبي حفصة ـ واسم أبي حفصة ثابت مولى العتيك بن الأزد وهو والد حَرَمي كنيته أبو روح (حرمي) بفتح الحاء والراء المهملتين .

وفيها توفي عبد الله بن طاوس بن كيسان الهمداني من عباد أهل اليمن وفقهائهم .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائة

ذكر ملك الروم ملطية

وفي هذه السنة أقبل قسطنطين ملك الروم إلى ملطية ، وكمخ فنازل كمخ فأرسل أهلها إلى أهل ملطية يستنجدونهم فسار إليهم منها ثمانمائة مقاتل فقاتلهم الروم فانهزم المسلمون ونازل الروم ملطية وحصروها ـ والجزيرة يومئذ مفتونة بما ذكرناه وعاملها موسى بن كعب بحران ـ فأرسل قسطنطين إلى أهل ملطية إني لم أحصركم إلا على علم من المسلمين واختلافهم فلكم الأمان وتعودون إلى بلاد المسلمين حتى احترث ملطية فلم يجيبوه إلى ذلك ، فنصب المجانيق فاذعنوا وسلموا البلد على الأمان وانتقلوا إلى بلاد الإسلام ، وحملوا ما أمكنهم حمله وما لم يقدروا على حمله القوه في الآبار والمجاري فلما ساروا عنها أخبر بها الروم ورحلوا عنها عائدين وتفرق أهلها في بلاد الجزيرة ، وسار ملك الروم إلى قاليقلا فنزل مرج الخصى وأرسل كوشان الأرمني فحصرها فنقب اخوان من الأرمن مَن أهل المدينة ردماً كان في سورها فدخل كوشان ومن معه المدينة وغلبوا عليها وقتلوا رجالها وسبوا النساء وساق القائم الى ملك الروم .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة وجه السفاح عمه سليمان والياً على البصرة وأعمالها ، وكور دجلة ، والبحرين ، وعمان ، ومهرجانقذق ، واستعمل عمه اسماعيل بن علي على الاهواز .

وفيها قتل داود بن علي من ظفر به من بني أمية بمكة ، والمدينة ، ولما أراد قتلهم قال له عبد الله بن الحسن بن الحسن : يا أخي إذا قتلت هؤلاء فمن تباهي بملكه ؟ أما يكفيك أن يروك غادياً ورائحاً فيما يذلهم ويسوءهم فلم يقبل منه وقتلهم .

وفيها مات داود بن علي بالمدينة في شهر ربيع الأول واستخلف حين حضرته الوفاة ابنه موسى ، ولما بلغت السفاح وفاته استعمل على مكة ، والمدينة ، والطائف ، واليمامة خاله يزيد بن[1] عبيد الله بن عبد المدان الحارثي ، ووجه محمد بن يزيد بن عبيد الله بن عبد المدان على اليمن ، فلما قدم زياد المدينة وجه ابراهيم بن حسان السلمي ـ وهو أبو حماد الابرص بن المثنى ـ إلى يزيد بن عمر بن هبيرة[2] وهو باليمامة فقتله وقتل أصحابه .

وفيها توجه محمد بن الأشعث إلى أفريقية فقاتل أهلها قتالاً شديداً حتى فتحها .

وفيها خرج شريك بن شيخ المهري ببخارى على أبي مسلم ونقم عليه وقال : ما على هذا اتبعنا آل محمد ان تسفك الدماء وان يعمل بغير الحق وتبعه على رأيه أكثر من ثلاثين ألفاً، فوجه إليه أبو مسلم زياد بن صالح الخزاعي فقاتله وقتله زياد .

وفيها توجه أبو داود خالد بن ابراهيم إلى الختل فدخلها ولم يمتنع عليه حبيش بن الشبل[3] ملكها بل تحصن منه هو وأناس من الدهاقين ، فلما ألح عليه ابو داود خرج من الحصن هو ومن معه من دهاقينه وشاكريته حتى انتهوا إلى أرض فرغانة ثم دخلوا بلد الترك وانتهوا إلى ملك الصين واخذ ابو داود من ظفر به منهم فبعث بهم إلى أبي مسلم .
وفيها قتل عبد الرحمن بن يزيد بن المهلب بالموصل قتله سليمان الذي يقال له الأسود بأمان كتبه له ، وفيها وجه صالح بن علي سعيد بن عبد الله ليغزو الصائفة وراء الدروب ، وفيها عزل يحيى بن محمد عن الموصل واستعمل مكانه إسماعيل بن علي ، وإنما عزل يحيى لقتله أهل الموصل وسوء أثره فيهم ، وحج بالناس هذه السنة زياد بن عبيد الله الحارثي ، وكان العمال من ذكرنا إلا الحجاز، واليمن، والموصل فقد ذكرنا من استعمل عليها؛ وفيها تخالف اخشيد فرغانة وملك الشاش فاستمد اخشيد ملك الصين فأمده بمائة الف مقاتل فحصروا ملك الشاش فنزل على حكم ملك الصين فلم يتعرض له ولأصحابه بما يسوءهم ، وبلغ الخبر أبا مسلم فوجه إلى حربهم زياد بن صالح فالتقوا

---

(١) في الطبري « زياد » .
(٢) في الطبري : «وهو أبو حماد الأبرص إلى المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة» .
(٣) في الطبري « حنش بن سهيل » .

على نهر طراز فظفر بهم المسلمون وقتلوا منهم زهاء خمسين ألفاً وأسروا نحو عشرين ألفاً وهرب الباقون إلى الصين ، وكانت الوقعة في ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين ، وفيها توفي مروان بن أبي سعيد ، وابن المعلى الزرقي الأنصاري ، وعلي بن بَذِيمة مولى جابر بن سمرة السوائي (بذيمة) بفتح الباء الموحدة وكسر الذال المعجمة .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائة

ذكر خلع بسام بن ابراهيم

وفي هذه السنة خلع بسام بن ابراهيم بن بسام ـ وكان من أهل خراسان وسار من عسكر السفاح هو وجماعة على رأيه سراً الى المدائن ، فوجه إليهم السفاح خازم بن خزيمة فاقتتلوا فانهزم بسام وأصحابه وقتل أكثرهم وقتل كل من لحقه منهزماً ، ثم انصرف فمر بذات المطامير وبها أخوال السفاح من بني عبد المدان وهم خمسة وثلاثون رجلاً ومن غيرهم ثمانية عشر رجلاً ومن مواليهم سبعة عشر فلم يسلم عليهم فلما جازهم شتموه وكان في قلبه عليهم لما بلغه من حال المغيرة من الفزع[1] وانه لجأ إليهم وكان من أصحاب بسام ـ فرجع إليهم وسألهم عن المغيرة فقالوا : مر بنا رجل مجتاز لا نعرفه فأقام في قريتنا ليلة ثم خرج عنا فقال لهم : أنتم أخوال أمير المؤمنين يأتيكم عدوه ويأمن في قريتكم فهلا اجتمعتم فأخذتموه فاغلظوا له في الجواب فأمر بهم فضربت أعناقهم جميعاً وهدم دورهم ونهب أموالهم ثم انصرف ، فبلغ ذلك اليمانية فاجتمعوا ودخل زياد بن عبيد الله الحارثي معهم على السفاح فقالوا له : ان خازماً اجترأ عليك واستخف بحقك وقتل أخوالك الذين قطعوا البلاد وأتوك معتزين بك طالبين معروفك حتى صاروا في جوارك قتلهم خازم وهدم دورهم ونهب أموالهم بلا حدث أحدثوه فهمّ بقتل خازم ، فبلغ ذلك موسى بن كعب ، وأبا الجهم بن عطية فدخلا على السفاح وقالا : يا أمير المؤمنين بلغنا ما كان من هؤلاء وانك هممت بقتل خازم ، وإنّا نعيذك بالله من ذلك فان له طاعة وسابقة وهو يحتمل له ما صنع فان شيعتكم من أهل خراسان قد آثروكم على الأقارب والأولاد والآباء والاخوان وقتلوا من خالفكم وأنت أحق من تغمد إساءة مسيئهم فان كنت لا بد مجمعاً على قتله فلا تتول ذلك بنفسك وابعثه لأمر إن قتل

---

(١) في الطبري « المغيرة بن الفزع » .

فيه كنت قد بلغت الذي تريد وإن ظفر كان ظفره لك ، وأشاروا عليه بتوجيهه إلى من بعمان من الخوارج والى الخوارج الذين بجزيرة بركاوان مع شيبان بن عبد العزيز اليشكري ، فأمر السفاح بتوجيهه مع سبعمائة رجل وكتب إلى سليمان بن علي وهو على البصرة بحملهم إلى جزيرة بركاوان[١] وعمان فسار خازم .

ذكر أمر الخوارج وقتل شيبان بن عبد العزيز

فلما سار خازم إلى البصرة في الجند الذين معه وكان قد انتخب من أهله وعشيرته ومواليه ومن أهل مرو الروذ من يثق به ، فلما وصل البصرة حملهم سليمان في السفن وانضم إليه بالبصرة أيضاً عدة بني تميم فساروا في البحر حتى أرسوا بجزيرة بركاوان ، فوجه خازم فضلة بن نعيم[٢] النهشلي في خمسمائة إلى شيبان فالتقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فركب شيبان وأصحابه السفن وساروا إلى عمان ـ وهم صفرية ، فلما صاروا إلى عمان قاتلهم الجلندي وأصحابه ـ وهم أباضية ـ واشتد القتال منهم فقتل شيبان ومن معه ، وقد تقدم سنة تسع وعشرين ومائة قتل شيبان على هذا السياق، ثم سار خازم في البحر بمن معه حتى أرسوا إلى ساحل عمان فخرجوا إلى الصحراء فلقيهم الجلندي وأصحابه واقتتلوا قتالاً شديداً وكثر القتل يومئذ في أصحاب خازم وقتل منهم أخ له من أمه في تسعين رجلاً ، ثم اقتتلوا من الغد قتالاً شديداً فقتل يومئذ من الخوارج تسعمائة وأحرق منهم نحو من تسعين رجلاً ، ثم التقوا بعد سبعة أيام من مقدم خازم على رأي أشار به بعض أصحاب خازم ، أشار عليه أن يأمر أصحابه فيجعلوا على أطراف أسنتهم المشاقة ويرووها بالنفط ويشعلوا فيها النيران ثم يمشوا بها حتى يضرموها في بيوت أصحاب الجلندي وكانت من خشب ، فلما فعل ذلك وأضرمت بيوتهم بالنيران اشتغلوا بها وبمن فيها من أولادهم ، وأهاليهم فحمل عليهم خازم ، وأصحابه فوضعوا فيهم السيف فقتلوهم وقتلوا الجلندي فيمن قتل ، وبلغ عدة القتلى عشرة آلاف وبعث برؤوسهم إلى البصرة فأرسلها سليمان إلى السفاح ، وأقام خازم بعد ذلك أشهراً حتى استقدمه السفاح فقدم .

---

(١) في الطبري « جزيرة ابن كاوان » وفي معجم البلدان « جزيرة كاوان » ولعل ما هنا محرف.

(٢) في الطبري « نضلة بن نعيم » .

ذكر غزوة كش

وفي هذه السنة غزا أبو ذاود خالد بن ابراهيم أهل كش فقتل الاخريد ملكها وهو سامع مطيع وقتل أصحابه ، وأخذ منهم من الأواني الصينية المنقوشة المذهبة ما لم ير مثلها ، ومن السروج ، ومتاع الصين كله من الديباج ، والطرف شيئاً كثيراً فحمله إلى أبي مسلم وهو بسمرقند ، وقتل عدة من دهاقينهم ، واستحيا طاران أخا الاخريد وملكه على كش ، وانصرف أبو مسلم الى مرو بعد أن قتل في أهل الصغد ، وبخارى وأمر ببناء سور سمرقند ؛ واستخلف زياد بن صليح عليها وعلى بخارى ورجع أبو داود إلى بلخ .

ذكر حال منصور بن جمهور

وفي هذه السنة وجه السفاح موسى بن كعب الى السند[1] لقتال منصور بن جمهور ، فسار واستخلف مكانه على شرط السفاح المسيب بن زهير ، وقدم موسى السند فلقي منصوراً في اثني عشر ألفاً فانهزم منصور ومن معه ومضى فمات عطشاً في الرمال ، وقد قيل : أصابه بطنه فمات ، وسمع خليفته على السند بهزيمته فرحل بعيال منصور وثقله فدخل بهم بلاد الخزر .

ذكر عدة حوادث

وفيها توفي محمد بن يزيد بن عبد الله وهو على اليمن فاستعمل السفاح مكانه علي بن الربيع بن عبيد الله ، وفيها تحول السفاح من الحيرة إلى الأنبار في ذي الحجة .

وفيها ضرب المنار من الكوفة إلى مكة والاميال .

وحج بالناس هذه السنة عيسى بن موسى وهو على الكوفة ، وكان على قضاء الكوفة ابن أبي ليلى ، وعلى المدينة ، ومكة ، والطائف ، واليمامة زياد بن عبيد الله ، وعلى اليمن علي بن الربيع الحارثي ، وعلى البصرة وأعمالها ، وكور دجلة ، وعمان

(١) في الطبري « الى الهند » .

سليمان بن علي ، وعلى قضائها عباد بن منصور ، وعلى السند مـوسى بن كعب ، وعلى خراسان ، والجبال أبو مسلم ، وعلى فلسطين صالح بن علي ، وعلى مصر أبو عون ، وعلى الموصل إسماعيل بن علي ، وعلى أرمينية يـزيد بن أسيـد ، وعلى أذربيجان محمد بن صول ، وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك ، وعلى الجزيرة أبو جعفر المنصور ، وكان عامله على اذربيجان ، وارمينية من ذكرنا ، وعلى الشام عبد الله ابن علي .

وفيها توفي محمد بن اسماعيل بن سعد بن أبي وقاص، وسعد بن عمر بن سليم الزرقي .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائة

ذكـر خروج زياد بن صالح

وفي هذه السنة خرج زياد بن صالح وراء النهر فسار أبو مسلم من مرو مستعداً للقائه ، وبعث أبو داود خالد بن ابراهيم نصر بن راشد إلى ترمذ مخافة أن يبعث زياد بن صالح إلى الحصن والسفن فيأخذها ، ففعل ذلك نصر وأقام بها فخرج عليه ناس من الطالقان مع رجل يكنى أبا اسحاق فقتلوا نصراً ، فلما بلغ ذلك أبا داود بعث عيسى بن ماهان في تتبع قتلة نصر فتبعهم فقتلهم ، ومضى أبو مسلم مسرعاً حتى انتهى إلى آمل ومعه سباع بن النعمان الأزدي ـ وهو الذي كان قد أرسله السفاح إلى زياد بن صالح وأمره إن رأى فرصة أن يثب على أبي مسلم فيقتله ـ فأخبر أبو مسلم بذلك فحبس سباعاً بآمل ، وعبر أبو مسلم إلى بخارى فلما نزلها أتاه عدة من قواد زياد قد خلعوا زياداً فاخبروا أبا مسلم أن سباع بن النعمان هو الذي أفسد زياداً فكتب إلى عامله بآمل أن يقتله ، ولما أسلم زياداً قواده ولحقوا بأبي مسلم لجأ إلى دهقان هناك فقتله وحمل رأسه إلى أبي مسلم ، وتأخر أبو داود عن أبي مسلم لحال أهل الطالقان فكتب إليه أبو مسلم يخبره بقتل زياد فأتى كش وأرسل عيسى بن ماهان إلى بسام وبعث جنداً إلى شاغر فطلبوا الصلح فأجيبوا إلى ذلك ، وأما بسام فلم يصل عيسى إلى شيء منه .

وكتب عيسى إلى كامل بن مظفر صاحب أبي مسلم يعتب أبي داود وينسبه إلى العصبية ، فبعث أبو مسلم بالكتب إلى أبي داود وكتب إليه أن هذه كتب العلج الذي صيرته عدل نفسك فشأنك به ، فكتب أبو داود إلى عيسى يستدعيه فلما حضر عنده حبسه وضربه ثم أخرجه فوثب عليه الجند فقتلوه ورجع أبو مسلم الى مرو .

ذكر غزو جزيرة صقلية

وفي هذه السنة غزا عبد الله بن حبيب جزيرة صقلية وغنم بها وسبى وظفر بها ما لم يظفره أحد قبله بعد أن غزا تلمسان ، واشتغل ولاة افريقية بالفتنة مع البربر فأمن الصقلية وعمرها الروم من جميع الجهات وعمروا فيها الحصون والمعاقل وصاروا يخرجون كل عام مراكب تطوف بالجزيرة وتذب عنها وربما طارقوا تجاراً من المسلمين فيأخذونهم .

ذكر عدة حوادث

حج بالناس هذه السنة سليمان بن علي وهو على البصرة وأعمالها ، وكان العمال من تقدم ذكرهم ، وفيها مات أبو خازم الاعرج ، وقيل : سنة اربعين ، وقيل : سنة أربع وأربعين ، وفيها مات عطاء بن عبد الله مولى المطلب ، وقيل : مولى المهلب ، وقيل : هو عطاء بن ميسرة ويكنى أبا عثمان الخراساني ، وقيل : سنة أربع وثلاثين ، وفيها مات يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بفارس وكان أميراً عليها وكان قبل ذلك أميراً على الموصل ، وفيها توفي ثور بن زيد الدؤلي وكان ثقة ، وزياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي وكان من الابطال (عياش) بالياء المثناة من تحت وبالشين المعجمة .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائة
ذكر حج أبي جعفر، وأبي مسلم

وفي هذه السنة كتب أبو مسلم إلى السفاح يستأذنه في القدوم عليه والحج وأن مذ ملك خراسان لم يفارقها إلى هذه السنة ؛ فكتب إليه السفاح يأمره بالقدوم عليه في خمسمائة من الجند ، فكتب أبو مسلم إليه إني قد وترت الناس ولست آمن على نفسي ، فكتب إليه أن أقبل في ألف فانما أنت في سلطان أهلك ودولتك وطريق مكة لا يتحمل العسكر فسار في ثمانية آلاف فرقهم فيما بين نيسابور ، والري وقدم بالاموال ، والخزائن فخلفها بالري وجمع أيضاً أموال الجبل وقدم في ألف ، فأمر السفاح القواد وسائر الناس أن يتلقوه فدخل أبو مسلم على السفاح فأكرمه وأعظمه ، ثم استأذن السفاح في الحج فأذن له وقال : لولا أن أبا جعفر - يعني أخاه المنصور - يريد الحج لاستعملتك على الموسم وأنزله قريباً منه ، وكان ما بين أبي جعفر وأبي مسلم متباعداً لان السفاح كان بعث أبا جعفر إلى خراسان بعدما صفت الأمور له ومعه عهد أبي مسلم بخراسان وبالبيعة للسفاح ، وابني جعفر المنصور من بعده فبايع لهما أبو مسلم ، وأهل خراسان - وكان أبو مسلم قد استخف بأبي جعفر - في مقدمة ذلك فلما رجع أخبر السفاح ما كان من أمر أبي مسلم، فلما قدم أبو مسلم هذه المرة قال أبو جعفر للسفاح : أطعني واقتل أبا مسلم فوالله إن في رأسه لغدرة فقال : يا أخي قد عرفت بلاءه وما كان منه ؛ فقال أبو جعفر : إنما كان بدولتنا والله لو بعثت سنوراً لقام مقامه وبلغ ما بلغ فقال : كيف نقتله ؟ قال : إذا دخل عليك وحادثته ضربته أناس خلفه ضربة ، قتلته بها ، قال : فكيف بأصحابه ؟ قال : أبو جعفر لو قتل لتفرقوا وذلوا فأمره بقتله ، وخرج أبو جعفر، ثم نَدم السفاح على ذلك فأمر أبا جعفر بالكف عنه ، وكان أبو جعفر قبل ذلك بحران وسار منها إلى الأنبار -وبها السفاح - واستخلف على حران مقاتل بن حكيم

العكي ، وحج أبو جعفر ، وأبو مسلم وكان أبو جعفر على الموسم، وفيها مات زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب .

ذكر موت السفاح

في هذه السنة مات السفاح بالأنبار لثلاث عشرة مضت من ذي الحجة، وقيل : لاثنتي عشرة مضت منه بالجدري ، وكان له يوم مات ثلاث وثلاثون سنة ، وقيل : ست وثلاثون ، وقيل : ثمان وعشرون سنة ، وكانت ولايته من لدن قتل مروان إلى أن توفي أربع سنين ، ومن لدن بويع له بالخلافة إلى أن مات أربع سنين وثمانية أشهر ، وقيل : وتسعة أشهر منها ثمانية أشهر يقاتل مروان ، وكان جعداً طويلاً أبيض أقنى الأنف حسن الوجه واللحية ، وأمه ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي ، وكان وزيره أبا الجهم بن عطية ، وصلى عليه عمه عيسى بن علي ودفنه بالأنبار العتيقة في قصره وخلف تسع جباب وأربعة أقمصة، وخمسة سراويلات ، وأربعة طيالسة ، وثلاثة مطارف خز ؛ قال ابن النقاح بيتين من الشعر ووجه برجل إلى عسكر مروان ليقدم على الخيل ليلاً فصبح فيها وشمس في الناس ولا يوجد وهما :

يـا آلَ مـروانَ إن الله مُهلِكُكم ... ومبدلٌ بِكم خوفاً وتشريـداً
لا عَمَّرَ الله من إنشائكم أحـداً ... وبثكم في بلاد الخوف تـطريداً

قال : فعلت ذلك فدخلت قلوبهم مخافة ، قال جعفر بن يحيى : نظر السفاح يوماً في المرآة وكان أجمل الناس وجهاً فقال : اللهم إني لا أقول كما قال سليمان بن عبد الملك : أنا الملك الشاب ولكني أقول : اللهم عمرني طويلاً في طاعتك ممتعاً بالعافية فما استتم كلامه حتى سمع غلاماً يقول لغلام آخر : الأجل بيني وبينك شهران وخمسة أيام فتطيَّر من كلامه وقال : حسبي الله ولا قوة إلا بـالله عليك تـوكلت وبك أستعين فما مضت الايام حتى أخذته الحمى واتصل مرضه فمات بعد شهرين وخمسة أيام .

ذكر خلافـة المنصـور

وفي هذه السنة عقد السفاح عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس لأخيه أبي جعفر عبد الله بن محمد بالخلافة ، من بعده وجعله ولي عهد المسلمين ومن

بعد أبي جعفر ولد أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي ، وجعل العهد في ثوب وختمه بخاتمه وخواتيم أهل بيته ودفعه إلى عيسى بن موسى ، فلما توفي السفاح كان أبو جعفر بمكة فأخذ البيعة لأبي جعفر عيسى بن موسى وكتب إليه يعلمه وفاة السفاح والبيعة له ، فلقيه الرسول بمنزل صفية فقال : صفت لنا إن شاء الله ، وكتب إلى أبي مسلم يستدعيه ـ وكان أبو جعفر قد تقدم ـ فأقبل أبو مسلم إليه ، فلما جلس وألقى إليه كتابه قرأه وبكى واسترجع ونظر إلى أبي جعفر وقد جزع جزعاً شديداً فقال : ما هذاالجزع وقد أتتك الخلافة ؟ قال أتخوف شر عمي عبد الله بن علي ، وشيعة علي قال : لا تخفه فأنا أكفيكه إن شاء الله إنما عامة جنده ومن معه أهل خراسان وهم لا يعصونني فسرى عنه وبايع له أبو مسلم ، والناس وأقبلا حتى قدما الكوفة .

وقيل : إن أبا مسلم هو الذي كان تقدم على أبي جعفر فعرف الخبر قبله فكتب إليه بسم الله الرحمن الرحيم عافاك الله ومتع بك إنه أتاني أمر قطعني[1] وبلغ مني مبلغاً لم يبلغه مني شيء قط وفاة أمير المؤمنين فنسأل الله أن يعظم أجرك ويحسن الخلافة عليك ويبارك لك فيما أنت فيه إنه ليس من أهلك أحد أشد تعظيماً لحقك وأصفى نصيحة لك وحرصا على ما يسرك مني ؛ ثم مكث يومين وكتب إلى أبي جعفر ببيعته وإنما أراد ترهيب أبي جعفر، وقال : ورد أبو جعفر زياد بن عبيد الله إلى مكة وكان عاملاً عليها وعلى المدينة للسفاح ؛ وقيل : كان قد عزله قبل موته عن مكة وولاها العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس .

ولما بايع عيسى بن موسى الناس لأبي جعفر أرسل إلى عبد الله بن علي بالشام يخبره بوفاة السفاح وبيعة المنصور ويأمره بأخذ البيعة للمنصور ، وكان قد قدم قبل ذلك على السفاح فجعله على الصائفة وسير معه أهل الشام ، وخراسان فسار حتى بلغ دلوك ولم يدرك فأتاه موت السفاح فعاد بمن معه من الجيوش وقد بايع لنفسه .

ذكر الفتنة بالاندلس

وفي هذه السنة خرج في الاندلس الحباب بن رواحة بن عبد الله الزهري ودعا

---

(١) في الطبري : « أفظعني » .

إلى نفسه واجتمع إليه جمع من اليمانية فسار إلى الصميل - وهو أمير قرطبة - فحصره بها وضيق عليه ، فاستمد الصميل يوسف الفهري أمير الاندلس - فلم يفعل لتوالي الغلاء ، والجوع على الأندلس ولأن يوسف قد كره الصميل واختار هلاكه ليستريح منه ، وثار بها أيضاً عامر العبدري وجمع جمعاً واجتمع مع الحباب على الصميل وقاما بدعوة بني العباس ،فلما اشتد الحصار على الصميل كتب إلى قومه ليستمدهم فسارعوا إلى نصرته واجتمعوا وساروا إليه ، فلما سمع الحباب بقربهم سار الصميل عن سرقسطة وفارقها فعاد الحباب إليها وملكها ، واستعمل يوسف الفهري الصميل على طليطلة .

ذكر عدة حوادث

كان على الكوفة عيسى بن موسى ، وعلى الشام عبد الله بن علي ، وعلى مصر صالح بن علي ، وعلى البصرة سليمان بن علي ، وعلى المدينة زياد بن عبيد الله الحارثي ، وعلى مكة العباس بن عبد الله بن معبد .

وفيها مات ربيعة بن أبي عبد الرحمن - وهو ربيعة الرأي - وقيل : مات سنة خمس وثلاثين ومائة ، وقيل : سنة اثنتين وأربعين ومائة .

وفيها مات عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وفيها توفي عبد الملك بن عمير بن سويد اللخمي الفرسي ، وإنما قيل له الفرسي بالفاء نسبة الى فرس له، وعطاء بن السائب أبو زيد الثقفي ، وعروة بن رويم .

وفي هذه السنة قدم أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين من مكة فدخل الكوفة فصلى بأهلها الجمعة وخطبهم وسار الى الانبار فأقام بها وجمع إليه أطرافه ، وكان عيسى بن موسى قد أحرز بيوت الأموال ، والخزائن ، والدواوين حتى قدم عليه أبو جعفر فسلم الأمر إليه .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائة
ذكر خروج عبدالله بن علي وهزيمته

قد ذكرنا مسير عبد الله بن علي إلى الصائفة في الجنود وموت السفاح وإرسال عيسى ابن موسى إلى عمه عبد الله بن علي يخبره بموته ويأمره بالبيعة لأبي جعفر المنصور ـ وكان السفاح قد أمر بذلك قبل وفاته ـ فلما قدم الرسول على عبد الله بذلك لحقه بدلوك وهي بأفواه الدروب فأمر منادياً فنادى الصلاة جامعة فاجتمعوا عليه فقرأ عليهم الكتاب بوفاة السفاح ودعا الناس إلى نفسه ، وأعلمهم أن السفاح حين أراد أن يوجه الجنود إلى مروان بن محمد دعا بني أبيه فأرادهم على المسير إليه فقال : من انتدب منكم فسار إليه فهو ولي عهدي فلم ينتدب له غيري وعلى هذا خرجت من عنده وقتلت من قتلت ، وشهد له أبو غانم الطائي وخفاف المرورزي وغيرهما من القواد فبايعوه، وفيهم حميد ابن قحطبة، وغيرهم من أهل خراسان ، والشام، والجزيرة إلا أن حميداً فارقه على ما نذكره ، ثم سار عبد الله حتى نزل حران وبها مقاتل العكي قد استخلفه أبو جعفر لما سار إلى مكة فتحصن منه مقاتل فحصره أربعين يوماً ، وكان أبو مسلم قد عاد من الحج مع المنصور كما ذكرناه فقال للمنصور : إن شئت جمعت ثيابي في منطقتي وخدمتك وإن شئت أتيت خراسان فامددتك بالجنود وإن شئت سرت إلى حرب عبدالله بن علي فأمره بالمسير لحرب عبد الله ، فسار أبو مسلم في الجنود نحو عبد الله فلم يتخلف عنه أحد وكان قد لحقه حميد بن قحطبة فسار معه ، وجعل على مقدمته مالك بن الهيثم الخزاعي ، فلما بلغ عبد الله وهو يحاصر حران إقبال أبي مسلم خشي أن يهجم عليه عطاء العتكي اماماً فنزل إليه فيمن معه وأقام معه أياماً ثم وجهه إلى عثمان بن عبد الأعلى ابن سراقة الأزدي بالرقة ومعه ابناه وكتب معه كتاباً ، فلما قدموا على عثمان دفع العتكي

الكتاب إليه فقتل العتكي وحبس ابنيه فلما هزم عبد الله قتلهما ، وكان عبد الله بن علي قد خشي أن لا يناصحه أهل خراسان فقتل منهم نحواً من سبعة عشر ألفاً ، واستعمل حميد بن قحطبة على حلب وكتب معه كتاباً إلى زفر بن عاصم عاملها يأمره بقتل حميد إذا قدم عليه ، فسار حميد والكتاب معه فلما كان ببعض الطريق قال : إن ذهابي بكتاب لا أعلم ما فيه لغرر فقرأه فلما رأى ما فيه أعلم خاصته ما في هذا الكتاب وقال : من أراد المسير معي منكم فليسر فاتبعه ناس كثير منهم وسار على الرصافة إلى العراق ، فأمر المنصور محمد بن صول بالمسير إلى عبد الله بن علي ليمكر به فلماأتاه قال له : إني سمعت أبا العباس يقول : الخليفة بعدي عمي عبد الله فقال له : كذبت إنما وضعك أبو جعفر فضرب عنقه ، ومحمد بن صول هو جد ابراهيم بن العباس الكاتب الصولي .

ثم أقبل عبدالله بن علي حتى نزل نصيبين وخندق عليه ، وقدم أبو مسلم فيمن معه ، وكان المنصور قد كتب إلى الحسن بن قحطبة ـ وكان خليفته بأرمينية ـ يأمره أن يوافي أبا مسلم فقدم على أبي مسلم بالموصل وأقبل أبو مسلم فنزل ناحية نصيبين فأخذ طريق الشام ولم يعرض لعبد الله ، وكتب إليه إني لم أؤمر بقتالك ولكن أمير المؤمنين ولاني الشام فأنا أريدها ، فقال من كان مع عبد الله من أهل الشام لعبد الله : كيف نكون معك وهذا يأتي بلادنافيقتل من قدر عليه من رجالنا ويسبي ذرارينا ؟ ولكن نخرج إلى بلادنا فنمنعه ونقاتله ، فقال لهم عبد الله : إنه والله ما يريد الشام وما توجه إلا لقتالكم وإن أقمتم ليأتينكم فأبوا إلا المسير إلى الشام وأبو مسلم قريب منهم ،فارتحل عبد الله نحو الشام وتحول أبو مسلم فنزل في معسكر عبد الله بن علي في موضعه وغور ما حوله من المياه وألقى فيها الجيف ، وبلغ عبد الله ذلك فقال لأصحابه : ألم أقل لكم ؟ ورجع فنزل في موضع عسكر أبي مسلم الذي كان به فاقتتلوا خمسة أشهر وأهل الشام أكثر فرساناً وأكمل عدة ، وعلى ميمنة عبد الله بكار بن سلم العقيلي ، وعلى ميسرته حبيب بن سويد الأسدي ، وعلى الخيل عبد الصمد بن علي أخو عبد الله ، وعلى ميمنة أبي مسلم الحسن بن قحطبة ، وعلى ميسرته خازم بن خزيمة فاقتتلوا شهراً، ثم إن أصحاب عبد الله حملوا على عسكر أبي مسلم فأزالوهم عن مواضعهم ورجعوا ، ثم حمل عليهم عبد الصمد بن علي في خيل مجردة فقتل منهم ثمانية عشر رجلاً ورجع في أصحابه ، ثم تجمعوا وحملوا ثانية على أصحاب أبي مسلم فأزالوا صفهم وجالوا جولة

فقيل لأبي مسلم : لو حولت دابتك إلى هذا التل ليراك الناس فيرجعوا فانهم قد انهزموا فقال : إن أهل الحجى لا يعطفون دوابهم على هذه الحال ، وأمر منادياً فنادى يا أهل خراسان ارجعوا فإن العافية[1] لمن اتقى فتراجع الناس، وارتجز أبو مسلم يومئذ يقول :

مَنْ كـانَ ينوي أهله فـلا رجِـعْ فرَّ من الموتِ وفي الموتِ وَقَعْ

وكان قد عمل لأبي مسلم عريش فكان يجلس عليه إذا التقى الناس فينظر إلى القتال فإن رأى خللاً في الجيش سده وأمر مقدم تلك الناحية بالاحتياط وبما يفعل فلا تـزال رسله تختلف إليهم حتى ينصرف النـاس بعضهم عن بعض ، فلما كـان يـوم الثلاثاء ، والأربعاء لسبع خلون من جُمادى الآخرة سنة ست وثلاثين التقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً فمكر بهم أبـو مسلم وأمر الحسن بن قحطبة أن يعبيء الميمنـة أكثرهـا إلى الميسرة وليترك في الميمنة جماعة أصحابه وأشداءهم ، فلما رأى ذلك أهل الشام أعروا ميسرتهم وانضموا إلى ميمنتهم بازاء ميسرة أبي مسلم ؛ وأمر أبو مسلم أهـل القلب فحملوا مع من بقي في ميمنته على ميسرة أهل الشام فحملوا عليهم فحطموهم وجال القلب والميمنة وركبهم أصحاب أبي مسلم فانهزم أصحاب عبد الله فقال عبد الله بن علي لابن سراقة الأزدي : يا ابن سراقة ما ترى ؟ قال : أرى أن تصبر وتقاتل حتى تموت فإن الفرار قبيح بمثلك وقد عتبته[2] على مروان قال : فإني آتي العراق قال : فأنا معك فانهزموا وتركوا عسكرهم فحواه أبو مسلم وكتب بذلك إلى المنصور فأرسل أبا الخصيب مولاه يحصي ما أصابوا من العسكر فغضب من ذلك أبو مسلم ، ومضى عبدالله ، وعبد الصمد ابنا علي ، فأما عبد الصمد فقدم الكوفة فاستأمن له عيسى بن مـوسى فأمنـه المنصور ، وقيل : بل أقام عبد الصمد بن علي بالرصافة حتى قدمها جمهور بن مرار العجلي في خيول أرسلها المنصور فأخذه فبعث به إلى المنصور موثقاً مع أبي الخصيب فأطلقه ، وأما عبد الله بن علي فأتى أخاه سليمان بن علي بالبصرة فأقام عنده زمانـاً متوارياً، ثم ان أبا مسلم أمن الناس بعد الهزيمة وأمر بالكف عنهم .

---

(١) في الطبري « فإن العاقبة » .

(٢) في الطبري «عبته على مروان فقلت : قبح الله مروان جزع من الموت ففر» .

ذكر قتل أبي مسلم الخراساني

وفي هذه السنة قتل أبو مسلم الخراساني قتله المنصور ، وكان سبب ذلك أن أبا مسلم كتب إلى السفاح يستأذنه في الحج على ما تقدم وكتب السفاح إلى المنصور وهو على الجزيرة ، وارمينية ، واذربيجان ان أبا مسلم كتب إلي يستأذنني في الحج وقد أذنت له وهو يريد أن يسألني أن أوليه الموسم فاكتب إلي تستأذنني في الحج فآذن لك فإنك إن كنت بمكة لم يطمع أن يتقدمك ، فكتب المنصور إلى أخيه السفاح يستأذنه في الحج فأذن له فقدم الانبار ، فقال أبو مسلم : أما وجد أبو جعفر عاماً يحج فيه غير هذا وحقدها عليه وحجا معاً ، فكان أبو مسلم يكسو الاعراب ، ويصلح الآبار والطريق ـ وكان الذكر له ـ وكان الأعراب يقولون : هذا المكذوب عليه ؛ فلما قدم مكة ورأى أهل اليمن قال : أي جند هؤلاء ؟ لو لقيهم رجل ظريف اللسان غزير الدمعة ، فلما صدر الناس عن الموسم تقدم أبو مسلم في الطريق على أبي جعفر فأتاه خبر وفاة السفاح فكتب إلى أبي جعفر يعزيه عن أخيه ولم يهنئه بالخلافة ولم يقم حتى يلحقه ولم يرجع ، فغضب أبو جعفر وكتب إليه كتاباً غليظاً ، فلما أتاه الكتاب كتب إليه يهنئه بالخلافة .

وتقدم أبو مسلم فأتى الأنبار فدعا عيسى بن موسى إلى أن يبايع له فأتى عيسى وقدم أبو جعفر ، وخلع عبد الله بن علي فسير المنصور أبا مسلم إلى قتاله كما تقدم فكانا مع الحسن بن قحطبة ؛ فأرسل الحسن إلى أبي أيوب وزير المنصور إني قد رأيت بأبي مسلم أنه يأتيه كتاب أمير المؤمنين فيقرأه ثم يلقي الكتاب من يده إلى مالك بن الهيثم فيقرأه ويضحكان استهزاءً، فلما ألقيت الرسالة إلى أبي أيوب ضحك وقال : نحن لأبي مسلم أشد تهمة منا لعبد الله بن علي إلا أنّا نرجو واحدة نعلم أن أهل خراسان لا يحبون عبد الله وقد قتل منهم من قتل ـ وكان قتل منهم سبعة عشر ألفاً ـ؛ فلما انهزم عبد الله وجمع أبو مسلم ما غنم من عسكره بعث أبو جعفر أبا الخصيب إلى أبي مسلم ليكتب له ما أصاب من الأموال فأراد أبو مسلم قتله فتكلم فيه فخلى سبيله وقال : أنا أمين على الدماء خائن في الأموال وشتم المنصور ، فرجع أبو الخصيب إلى المنصور فأخبره فخاف أن يمضي أبو مسلم إلى خراسان فكتب إليه إني قد وليتك مصر ، والشام فهي خير لك من خراسان فوجه إلى مصر من أحببت وأقم بالشام فتكون بقرب أمير المؤمنين

فإن أحب لقاءك أتيته من قريب ، فلما أتاه الكتاب غضب وقال : يوليني الشام ، ومصر ، وخراسان لي ، فكتب الرسول إلى المنصور بذلك ، وأقبل أبو مسلم من الجزيرة مجمعاً على الخلاف وخرج عن وجهه يريد خراسان ، فسار المنصور من الأنبار إلى المدائن وكتب إلى أبي مسلم في المسير إليه ، فكتب إليه أبو مسلم ـ وهو بالزاب ـ انه لم يبق لأمير المؤمنين اكرمه الله عدو إلا أمكنه الله منه ، وقد كنا نروي عن ملوك آل ساسان أن أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدهماء فنحن نافرون عن قربك حريصون على الوفاء لك ما وفيت حريون بالسمع والطاعة غير أنها من بعيد حيث يقارنها السلامة فإن أرضاك ذلك فأنا كأحسن عبيدك وإن أبيت إلا أن تعطي نفسك إرادتها نقضت ما أبرمت من عهدك ضناً بنفسي ، فلما وصل الكتاب إلى المنصور كتب إلى أبي مسلم قد فهمت كتابك وليست صفتك صفة أولئك الوزراء الغشيشة ملوكهم[1] الذين يتمنون اضطراب حبل الدولة لكثرة جرائمهم فإنما راحتهم في انتشار نظام الجماعة فلم سويت نفسك بهم ؟ فأنت في طاعتك ، ومناصحتك ، واضطلاعك بما حملت من أعباء هذا الأمر على ما أنت به وليس مع الشريطة التي أوجبت منك سمعاً ولا طاعة ، وحمل إليك أمير المؤمنين عيسى بن موسى رسالة لتسكن إليها إن أصغيت ، وأسأل الله أن يحول بين الشيطان ونزغاته وبينك فإنه لم يجد باباً يفسد به نيتك أو كد عنده وأقرب من الباب الذي فتحه عليك .

وقيل : بل كتب إليه أبو مسلم أما بعد فإني اتخذت رجلاً إماماً ودليلاً على ما افترض الله على خلقه وكان في محلة العلم نازلاً وفي قرابته من رسول الله ﷺ قريباً فاستجهلني بالقرآن فحرفه عن مواضعه طمعا في قليل قد نعاه الله إلى خلقه فكان كالذي دلى بغرور ، وأمرني أن أجرد السيف وأرفع الرحمة ولا أقبل المعذرة ولا أقيل العثرة ففعلت توطئة لسلطانكم حتى عرفكم الله من كان يحملكم[2] ثم استنقذني الله بالتوبة فإن يَعفُ عني فقد ما عرف به ونسب إليه وإن يعاقبني فيما قدمت يداي وما الله بظلام للعبيد.

وخرج أبو مسلم مراغماً مشاقاً . وسار المنصور من الأنبار إلى المدائن ، وأخذ

---

(١) في الطبري « الغششة ملوكهم » .
(٢) في الطبري « من كان جهلكم ، وهي أنسب .

أبو مسلم طريق حلوان فقال المنصور لعمه عيسى بن علي ، ومن حضر من بني هاشم : اكتبوا إلى أبي مسلم فكتبوا إليه يعظمون أمره ويشكرونه ويسألونه أن يتم على ما كان منه وعليه من الطاعة ويحذرونه عاقبة البغي ويأمرونه بالرجوع إلى المنصور ، وبعث المنصور الكتاب مع أبي حميد المروروزي وقال له : كلم أبا مسلم بألين ما تكلم به أحداً وَمَنِّهِ وأعلمه أني رافعه وصانع به ما لم يصنعه به أحد إن هو صلح وراجع ما أحب ، فإن أبى أن يرجع فقل له : يقول لك أمير المؤمنين : لست من العباس وإني بريء من محمد ان مضيت مشاقاً ولم تأتني إن وكلت أمرك إلى أحد سواي وإن لم آلِ طلبك وقتالك بنفسي ولو خضت البحر لخضته أو اقتحمت النار لاقتحمتها حتى أقتلك أو أموت قبل ذلك ، ولا تقولن هذا الكلام حتى تيأس من رجوعه ولا تطمع منه في خير ، فسار ابو حميد فقدم على أبي مسلم بحلوان فدفع إليه الكتاب وقال له : ان الناس يبلغونك عن أمير المؤمنين ما لم يقله وخلاف ما عليه رأيه منك حسداً وبغياً يريدون إزالة النعمة وتغييرها فلا تفسد ما كان منك ، وكلمه وقال : يا أبا مسلم إنك لم تزل أمير[1] آل محمد يعرفك بذلك الناس وما ذخر الله لك من الأجر عنده في ذلك أعظم مما أنت فيه من دنياك فلا تحبط أجرك ولا يستهوينك الشيطان فقال له أبو مسلم : متى كنت تكلمني بهذا الكلام ؟ فقال : إنك دعوتنا إلى هذا الأمر وإلى طاعة أهل بيت النبيﷺ بني العباس وأمرتنا بقتال من خالف ذلك فدعوتنا من أرضين متفرقة وأسباب مختلفة فجمعنا الله على طاعتهم وألف ما بين قلوبنا وأعزنا بنصرنا لهم ولم نلق منهم رجلًا إلا بما قذف الله في قلوبنا حتى أتيناهم في بلادهم ببصائر نافذة وطاعة خالصة أفتريد حين بلغنا غاية منانا ومنتهى أملنا أن تفسد أمرنا وتفرق كلمتنا وقد قلت لنا : من خالفكم فاقتلوه وإن خالفتكم فاقتلوني ، فأقبل أبو مسلم على أبي نصر مالك بن الهيثم فقال : أما تسمع ما يقول لي هذا ما كان بكلامه يا مالك قال : لا تسمع قوله ولا يهولنك هذا منه فلعمري ما هذا كلامه ولما بعد هذا أشد مُنه فامض لأمرك ولا ترجع فوالله لئن أتيته ليقتلنك ولقد وقع في نفسه منك شيء لا يأمنك أبداً فقال : قوموا فنهضوا .

فأرسل أبو مسلم إلى نيزك فعرض عليه الكتب وما قالوا فقال : ما أرى أن تأتيه وأرى أن تأتي الري فتقيم بها ما بين خراسان والري لك وهم جندك لا يخالفك أحد فإن

---

(١) في الطبري : « أمين آل محمد » .

استقام لك استقمت له وإن أبى كنت في جندك وكانت خراسان وراءك ورأيت رأيك، فدعا أبا حميد فقال : ارجع إلى صاحبك فليس من رأيي أن آتيه قال : قد عزمت على خلافه ؟ قال : نعم قال : لا تفعل قال : لا أعود إليه أبداً ، فلما يئس من رجوعه معه قال له ما أمره به أبو جعفر فوجم طويلاً ثم قال : قم فكسره ذلك القول ورعبه ؛ وكان أبو جعفر المنصور قد كتب إلى أبي داود خليفة أبي مسلم بخراسان حين اتهم أبا مسلم ان لك إمرة خراسان ما بقيت، فكتب أبو داود إلى أبي مسلم إنَّا لم نخرج لمعصية خلفاء الله وأهل بيت نبيه ﷺ فلا تخالفن امامك ولا ترجعن إلا بإذنه ، فوافاه كتابه على تلك الحال فزاده رعباً وهماً ، فأرسل إلى أبي حميد فقال له : إني كنت عازماً على المضي إلى خراسان ثم رأيت أن أوجه أبا إسحاق إلى أمير المؤمنين فيأتيني برأيه فانه ممن أثق به ، فوجهه فلما قدم تلقاه بنو هاشم بكل ما يحب وقال له المنصور : اصرفه عن وجهه ولك ولاية خراسان واجازه ، فرجع أبو إسحاق وقال لأبي مسلم : ما أنكرت شيئاً رأيتهم معظمين لحقك يرون لك ما يرون لأنفسهم وأشار عليه أن يرجع إلى أمير المؤمنين فيعتذر إليه مما كان منه فاجتمع على ذلك ، فقال له نيزك : قد أجمعت على الرجوع ؟ قال : نعم وتمثل :

ما للرجالِ معَ القضاءِ محالة ... ذهبَ القضاءُ بحيلةِ الأقوامِ

قال : إذا عزمت على هذا فخار الله لك احفظ عني واحدة إذا دخلت عليه فاقتله ثم بايع من شئت فإن الناس لا يخالفونك ، وكتب أبو مسلم إلى المنصور يخبره أنه منصرف إليه ، وسار نحوه واستخلف أبا نصر على عسكره وقال له : أقم حتى يأتيك كتابي فان أتاك مختوماً بنصف خاتم فأنا كتبته وان أتاك بخاتم كله فلم أختمه ، وقدم المدائن في ثلاثة آلاف رجل وخلف الناس بحلوان ، ولما ورد كتاب أبي مسلم على المنصور قرأه وألقاه إلى أبي أيوب وزيره فقرأه وقال له المنصور: والله لئن ملأت عيني لاقتلنَّه ، فخاف أبو أيوب من أصحاب أبي مسلم أن يقتلوا المنصور ويقتلوه معه ، فدعا سلمة بن سعيد بن جابر وقال له : هل عندك شكر ؟ فقال : نعم قال : ان وليتك ولاية تصيب منها مثل ما يصيب صاحب العراق تدخل معك أخي حاتماً ـ وأراد بادخال أخيه معه أن يطمع ولا ينكر ـ وتجعل له النصف قال : نعم، قال له : ان كسكر كانت عام

أول بكذا وكذا[١] ومنها العام أضعاف ذلك فإن دفعتها إليك بما كانت أو بالأمانة أصبت ما يضيق به ذرعاً قال : كيف لي بهذاالمال ؟ قال له أبو أيوب : تأتي أبا مسلم فتلقاه وتكلمه أن يجعل هذا فيما يرفع من حوائجه فان أمير المؤمنين يريد أن يوليه إذا قدم ما وراء بابه ويريح نفسه قال : فكيف لي أن يأذن لي أمير المؤمنين في لقائه ؟ فاستأذن له أبو أيوب في ذلك فأذن له المنصور وأمره أن يبلغ سلامه وشوقه إلى أبي مسلم ، فلقيه سلمة بالطريق وأخبره الخبر وطابت نفسه ـ وكان قبل ذلك كئيباً حزيناً ـ ولم يزل مسروراً حتى قدم ، فلما دنا أبو مسلم من المنصور أمر الناس بتلقيه فتلقاه بنو هاشم والناس ، ثم قدم فدخل على المنصور فقبل يده وأمره أن ينصرف ويروح نفسه لثلاثة ويدخل الحمام فانصرف ، فلما كان الغد دعا المنصور عثمان بن نهيك ، وأربعة من الحرس ،منهم شبيب بن واج ،وأبو حنيفة حرب بن قيس فأمرهم بقتل أبي مسلم اذا صفق بيديه وتركهم خلف الرواق ،وأرسل إلى أبي مسلم يستدعيه وكان عنده عيسى بن موسى يتغدى ـ فدخل على المنصور فقال له المنصور : أخبرني عن نصلين أصبتهما مع عبد الله بن علي قال : هذا أحدهما قال أرنيه فأنضاه وناوله إياه فوضعه المنصور تحت فراشه وأقبل عليه يعاتبه وقال له :أخبرني عن كتابك إلى السفاح تنهاه عن الموات أردت أن تعلّمنا الدين ؟ قال ظننت أن أخذه لا يحل فلما أتاني كتابه علمت أنه وأهل بيته معدن العلم .

قال : فأخبرني عن تقدمك إياي بطريق مكة قال : كرهت اجتماعنا على الماء فيضر ذلك بالناس فتقدمتك للرفق قال : فقولك لمن أشار عليك بالانصراف إليَّ بطريق مكة وحين أتاك موت أبي العباس إلى ان نقدم فنرى رأينا ومضيت فلا أنت أقمت حتى ألحقك ولا أنت رجعت إلي قال : منعني من ذلك ما أخبرتك من طلب الرفق بالناس وقلت : تقدم الكوفة وليس عليك من خلاف قال : فجارية عبد الله أردت ان تتخذها قال : لا ولكني خفت أن تضيع فحملتها في قبة ووكلت بها من يحفظها قال : فمراغمتك[٢] وخروجك إلى خراسان قال : خفت أن يكون قد دخلك مني شيء فقلت: آتي خراسان فاكتب إليك بعذري فأذهب ما في نفسك قال:فالمال الذي

---

(١) في الطبري « إن كسكر كانت عام أول كذا وكذا » .
(٢) في الاصل « فمن أرفقك » .

جمعته بخراسان(١) قال: انفقته بالجند تقوية لهم واستصلاحاً، ألست الكاتب إلي تبدأ بنفسك وتخطب عمتي آمنة ابنة علي وتزعم انك ابن سليط بن عبد الله بن عباس ؟ لقد ارتقيت لا أم لك مرتقى صعباً ، ثم قال : وما الذي دعاك إلى قتل سليمان ابن كثير مع أثره في دعوتنا وهو أحد فتياننا(٢) قبل ان ندخلك في شيء من هذا الأمر؟ قال : أراد الخلاف وعصاني فقتلته .

فلما طال عتاب المنصور قال : لا يقال هذا لي بعد بلائي وما كان مني قال : يا ابن الخبيثة والله لو كانت أمة مكانك لاجزأت إنما عملت في دولتنا وبريحنا فلو كان ذلك إليك ما قطعت فتيلاً فأخذ أبو مسلم بيده يقبلها ويعتذر إليه ، فقال له المنصور : ما رأيت كاليوم والله ما زدتني إلا غضباً ، قال أبو مسلم : دع هذا فقد أصبحت ما أخاف إلا الله تعالى فغضب المنصور وشتمه وصفق بيده على الأخرى فخرج عليه الحرس فضربه عثمان بن نهيك فقطع حمائل سيفه فقال : استبقني لعدوك يا أمير المؤمنين فقال : لا أبقاني الله إذاً أعدوّ أعدى لي منك(٣) ؟ وأخذه الحرس بسيوفهم حتى قتلوه وهو يصيح العفو ، فقال المنصور : يا ابن اللخناء العفو والسيوف قد اعتورتك فقتلوه في شعبان لخمس بقين منه فقال المنصور :

زعمتَ أن الدينَ لا يقتضي ... فاستوفِ بالكيل أبا مجرم
سُقيتَ كأساً وكنت تُسقي بها ... أمر في الحلق من العلقم

وكان أبو مسلم قد قتل في دولته ستمائة ألف صبرا ، فلما قتل أبو مسلم دخل أبو الجهم على المنصور فرأى أبا مسلم قتيلاً فقال : ألا أرد الناس قال : بلى فمر بمتاع يحمل الى رواق آخر وخرج أبو الجهم فقال : انصرفوا فإن الأمير يريد القائلة عند أمير المؤمنين ورأوا المتاع ينقل فظنوه صادقاً فانصرفوا ، وأمر لهم المنصور بالجوائز فأعطى أبا إسحاق مائة ألف ، ودخل عيسى بن موسى على المنصور بعد قتل أبي مسلم فقال : يا أمير المؤمنين أين أبو مسلم ؟ فقال : قد كان ههنا فقال عيسى : قد عرفت نصيحته

---

(١) في الطبري : « بحران » .
(٢) في الطبري « وهو أحد نقبائنا » .
(٣) في الطبري « وأي عدوّ لي أعدىٰ منك » .

وطاعته ورأي الإمام ابراهيم كان فيه فقال : يا أحمق والله ما أعلم في الأرض عدواً أعدى لك منه ها هو ذا في البساط فقال عيسى : إنا لله وإنا إليه راجعون ـ وكان لعيسى فيه رأي ـ فقال له المنصور : خلع الله قلبك وهل كان لكم ملك أو سلطان أو أمر أو نهي مع أبي مسلم ثم دعا المنصور بجعفر بن حنظلة فدخل عليه فقال : ما تقول في أمر أبي مسلم ؟ قال : يا أمير المؤمنين إن كنت أخذت من رأسه شعرة فاقتل ثم اقتل فقال له المنصور : وفقك الله ، فلما نظر إلى أبي مسلم مقتولاً قال : يا أمير المؤمنين عد من هذا اليوم خلافتك ، ثم دعا المنصور بأبي إسحاق فلما دخل عليه قال له : أنت المانع عدو الله على ما أجمع عليه وقد كان بلغه انه أشار عليه باتيان خراسان قال : فكف أبو إسحاق وجعل يلتفت يميناً وشمالاً خوفاً من أبي مسلم فقال له المنصور : تكلم بما أردت فقد قتل الله الفاسق وأمر بإخراجه، فلما رآه أبو اسحاق خرَّ ساجداً لله فأطال ورفع رأسه وهو يقول : الحمد لله الذي أمنني بك اليوم والله ما أمنته يوماً واحداً منذ صحبته وما جئته يوماً قط إلا وقد أوصيت وتكفنت وتحنطت ، ثم رفع ثيابه الظاهرة فإذا تحتها ثياب أكفان جدد وقد تحنط ، فلما رأى أبو جعفر حاله رحمه وقال له : استقبل طاعة خليفتك واحمد الله الذي أراحك من الفاسق هذا ، ثم قال له : فرق عني هذه الجماعة .

ثم كتب المنصور بعد قتل أبي مسلم الى أبي نصر مالك بن الهيثم عن لسان أبي مسلم يأمره بحمل ثقله وما خلف عنده وأن يقدم وختم الكتاب بخاتم أبي مسلم ، فلما رأى الخاتم تاماً علم أن أبا مسلم لم يكتب فقال : فعلتموها وانحدر إلى همذان وهو يريد خراسان، فكتب المنصور لأبي نصر عهده على شهرزور ، وكتب إلى زهير بن التركي ـ وهو على همذان ـ ان مر بك أبو نصر فاحبسه ، فسبق الكتاب إلى زهير وأبو نصر بهمذان فقال له زهير : قد صنعت لك طعاماً فلو أكرمتني بدخول منزلي فحضر عنده فأخذه زهير وحبسه ، وكتب أبو جعفر إلى زهير كتاباً يأمره بقتل أبي نصر ، وقدم صاحب العهد على أبي نصر بعهده على شهرزور فخلى زهير سبيله لهواه فيه فخرج ، ثم وصل بعد يوم الكتاب إلى زهير بقتل أبي نصر فقال : جاءني كتاب بعهده فخليت سبيله ، وقدم أبو نصر على المنصور فقال له : أشرت على أبي مسلم بالمضي إلى خراسان قال : نعم كانت له عندي أياد فنصحت له وان اصطنعني أمير المؤمنين نصحت

له وشكرت فعفا عنه ، فلما كان يوم الراوندية قام أبو نصر على باب القصر وقال : أنا البواب اليوم لا يدخل أحد وأنا حي فسأل عنه المنصور فأخبر به فعلم أن قد نصح له ، وقيل : ان زهيراً سيَّر أبا نصر إلى المنصور مقيداً فمنَّ عليه واستعمله على الموصل، ولما قتل المنصور أبا مسلم خطب الناس فقال : أيها الناس لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية ولا تمشوا في ظلمة الباطل بعد سعيكم في ضياء الحق ، إن أبا مسلم أحسن مبتدئاً وأساء معقباً وأخذ من الناس بنا أكثر مما أعطانا، ورجح قبيح باطنه على حسن ظاهره ، وعلمنا من خبث سريرته وفساد نيته ما لو علمه اللائم لنا فيه لعذرنا في قتله وعنفنا في إمهالنا ، وما زال ينقض بيعته ويخفر ذمته حتى أحل لنا عقوبته وأباحنا دمه فحكمنا فيه حكمه لنا في غيره، ممن شق العصا ولم يمنعنا الحق له من إمضاء الحق فيه ، وما أحسن ما قال النابغة الذبياني للنعمان يعني ابن المنذر :

فمن أطاعك فانفعهُ بطاعتِهِ ... كما أطاعكَ وادْلُلْه على الرشدِ
ومن عصاكَ فعاقبهُ معاقبةً ... تنهى الظلومَ ولا تقعد على ضمدِ

ثم نزل وكان أبو مسلم قد سمع الحديث من عكرمة ، وأبي الزبير المكي ، وثابت البناني ، ومحمد بن علي بن عبد الله بن عباس، والسدير ، وروى عنه ابراهيم بن ميمون الصائغ ، وعبد الله بن المبارك ، وغيرهما ، خطب يوماً فقام إليه رجل فقال: ما هذا السواد الذي أرى عليك ؟ فقال : حدثني ابو الزبير عن جابر بن عبد الله « ان النبيﷺ دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه عمامة سوداء » وهذه ثياب الهيبة ، وثياب الدولة يا غلام اضرب عنقه ، قيل لعبد الله بن المبارك: أبو مسلم كان خيراً أو الحجاج ؟ قال : لا أقول إن أبا مسلم كان خيراً من أحد ولكن الحجاج كان شراً منه ، وكان أبو مسلم نازكاً، شجاعاً ذا رأي ، وعقل، وتدبير وحزم ومروءة وقيل له: بمَ نلت ما أنت فيه من القهر للأعداء ؟ فقال : ارتديت الصبر ، وآثرت الكتمان[1] وحالفت الاحزان ، والاشجان ، وسامحت[2] المقادير ، والاحكام حتى بلغت غاية همتي وأدركت نهاية بغيتي ، ثم قال :

---

(١) في البداية والنهاية ١٠ / ٧٤ ط. دار الكتب العلمية ببيروت : « وآثرت الكتمان » .
(٢) في البداية والنهاية : «وشامخت»، انظر المرجع السابق .

قد نلت بالحزم[١] والكتمان ما عجزت عنه ملوك بني ساسان[٢] اذ حشدوا
ما زلت أضربهم بالسيف فانتبهوا من رقـدة لم ينمهـا قبلهم أحـد
طفقت[٣] اسعى عليهم في ديارهم والقوم في ملكهم بالشام قد رقدوا
ومن رعى غنماً في أرضٍ مسبعةٍ ونـام عنها تـولى رعيهـا الأسـد

وقيل : إن أبا مسلم ورد نيسابور على حمار باكاف وليس معه آدمي فقصد في بعض الليالي داراً لفاذوسيان فدق عليه الباب ففزع أصحابه وخرجوا إليه فقال لهم : قولوا للدهقان : إن أبا مسلم بالباب يطلب منك ألف درهم ، ودابة فقالوا للدهقان ذلك فقال الدهقان : في أي زي هو وأي عدة ؟ فأخبروه أنه وحده في أدون زي فسكت ساعة ثم دعا بألف درهم ، ودابة من خواص دوابه وأذن له وقال : يا أبا مسلم قد أسعفناك بما طلبت وإن عرضت حاجة أخرى فنحن بين يديك فقال : ما نضيع لك ما فعلته ، فلما ملك قال له بعض أقاربه : إن فتحت نيسابور أخذت كل ما تريده من مال الفاذوسيان دهقانها المجوسي ، فقال أبو مسلم : له عندنا يـد ، فلما ملك نيسـابور اتتـه هدايـا الفاذوسيان فقيل له : لا تقبلها واطلب منه الأموال فقال : له عندي يد ولم يتعرض له ، ولا لأحد من أصحابه ، وأمواله ، وهذا يدل على علو همة وكمال مروءة، وفي هذه السنة استعمل المنصور أبا داود على خراسان وكتب إليه بعهده .

ذكر خروج سنباذ بخراسان

وفي هذه السنة خرج سنباذ بخراسان يطلب بدم أبي مسلم ـ وكان مجوسياً من قرية من قرى نيسابور يقال لها : أهروانه ـ كان ظهوره غضباً لقتل أبي مسلم لأنه كان من صنائعه ، وكثر أتباعه ـ وكان عامتهم من أهل الجبال ـ وغلب على نيسابور ، وقومس ، والري ، وتسمى فيروز اصبهبذ ، فلما صار بالري أخذ خزائن أبي مسلم ـ وكان أبو مسلم خلفها بالري حين شخص إلى أبي العباس ـ وسبى الحرم ، ونهب الأموال ولم يعرض للتجار ، وكـان يظهـر أنه يقصـد الكعبة ويهـدمها ، فـوجه إليـه المنصـور جمهـور بن مـرار العجلي في عشـرة آلاف فـارس فـالتقـوا بين همـذان ، والـري

(١) في البداية والنهاية : « نلت بالعزم » . انظر المرجع السابق.
(٢) في البداية والنهاية : « بني مروان » . انظر المرجع السابق .
(٣) في البداية والنهاية : « طفت » . انظر المرجع السابق .

على طرف المفازة وعزم جمهور على مطاولته ، فلما التقوا قدم سنباذ السبايا من النساء المسلمات على الجمال فلما رأين عسكر المسلمين قمن في المحامل ونادين وامحمداه ذهب الاسلام ووقعت الريح في أثوابهن فنفرت الإبل وعادت على عسكر سنباذ فتفرق العسكر ـ وكان ذلك سبب الهزيمة وتبع المسلمون الابل ووضعوا السيوف في المجوس ومن معهم فقتلوهم كيف شاؤوا، وكان عدد القتلى نحواً من ستين ألفاً وسبى ذراريهم، ونساءهم ، ثم قتل سنباذ بين طبرستان ، وقومس ، وكان بين مخرج سنباذ وقتله سبعون ليلة ، وكان سبب قتله أنه قصد طبرستان ملتجئاً إلى صاحبها فأرسل إلى طريقه عاملاً له اسمه طوس فتكبر عليه سنباذ فضرب طوس عنقه ، وكتب إلى المنصور بقتله وأخذ ما معه من الأموال ، وكتب المنصور إلى صاحب طبرستان يطلب منه الأموال فأنكرها فسير الجنود إليه فهرب إلى الديلم .

ذكر خروج ملبد بن حرملة الشيباني

وفي هذه السنة خرج ملبد بن حرملة الشيباني فحكم بناحية الجزيرة فسارت إليه روابط الجزيرة ـ وهو في نحو ألف فارس ـ فقاتلهم وهزمهم وقتل من قتل منهم ، ثم سار إليه يزيد بن حاتم المهلبي فهزمه ملبد بعد قتال شديد وأخذ جارية له كان يطؤها، فوجه إليه المنصور مولاه مهلهل بن صفوان في ألفين من نخبة الجند فهزمهم ملبد واستباح عسكرهم، ثم وجه إليه نزاراً قائداً من قواد خراسان فقتله ملبد وانهزم أصحابه ، ثم وجه زياد بن مشكان في جمع كثير فلقيهم ملبد فهزمهم ، ثم وجه إليه صالح بن صبيح في جيش كثيف وخيل كثيرة وعدة فهزمهم ملبد ، ثم سار إليه حميد بن قحطبة ـ وهو على الجريرة يومئذ ـ فلقيه ملبد فهزمه ، وتحصن منه حميد بن قحطبة وأعطاه مائة ألف درهم على أن يكف عنه ، وقيل : إن خروج ملبد كان سنة ثمان وثلاثين ومائة .

ذكر عدة حوادث

ولم يكن للناس في هذه السنة صائفة لشغل السلطان بحرب سنباذ، وحج بالناس هذه السنة اسماعيل بن علي بن عبدالله بن عباس وهو على الموصل، وكان على المدينة زياد بن عبيد الله ، وعلى مكة العباس بن عبد الله بن معبد، ومات العباس عند انقضاء الموسم فضم إسماعيل عمله إلى زياد بن عبيد الله وأقره المنصور عليه ، وكان

على الكوفة عيسى بن موسى ، وعلى البصرة وأعمالها سليمان بن علي ، وعلى قضائها عمر بن عامر السلمي ، وعلى خراسان أبو داود خالد بن ابراهيم ، وعلى مصر صالح بن علي ، وعلى الجزيرة حميد بن قحطبة ، وعلى الموصل اسماعيل بن علي بن عبد الله ، وهي على ما كانت عليه من الاجتدال .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائة

ذكر خلع جمهور[1] بن مرار العجلي

وفيها خلع جمهور بن مرار المنصور بالري ، وكان سبب ذلك أن جمهور لما هزم سنباذ حوى ما في عسكره وكان فيه خزائن أبي مسلم فلم يوجهها إلى المنصور فخاف فخلع ، ووجه إليه المنصور محمد بن الأشعث في جيش عظيم نحو الري ففارقها جمهور نحو اصبهان ، ودخل محمد الري وملك جمهور اصبهان ؛فأرسل إليه محمد عسكراً وبقي في الري فأشار على جمهور بعض أصحابه أن يسير في نخبة عسكره نحو محمد فانه في قلة فإن ظفر لم يكن لمن بعده بقية فسار إليه مجداً ، وبلغ خبره محمداً فحذر واحتاط وأتاه عسكر من خراسان فقوي بهم فالتقوا بقصر الفيروزان بين الري ، واصبهان فاقتتلوا قتالاً عظيماً ـ ومع جمهور نخبة فرسان العجم ـ فهزم جمهور وقتل من أصحابه خلق كثير وهرب جمهور فلحق باذربيجان ، ثم انه بعد ذلك قتل باسباذروا قتله أصحابه وحملوا رأسه إلى المنصور .

ذكر قتل ملبد الخارجي

قد ذكرنا خروجه في السنة قبلها وتحصن حميدمنه ، ولمابلغ المنصور ظفر ملبد وتحصن حميد منه وجه إليه عبد العزيز بن عبد الرحمن أخا عبد الجبار وضم إليه زياد بن مشكان فأكمن له ملبد مائة فارس فلما لقيه عبد العزيز خرج عليه الكمين فهزموه وقتلوا عامة أصحابه ، فوجه إليه خازم بن خزيمة في نحو ثمانية آلاف من المروروذية فسار خازم حتى نزل الموصل وبعث إلى ملبد بعض أصحابه ، وعبر ملبد دجلة من بلد وسار

---

(١) في الطبري « جهور » .

نحو خازم وسار إليه خازم وعلى مقدمته وطلائعه فضلة[١]بن نعيم بن خازم بن عبدالله النهشلي، وعلى ميمنته زهير بن محمد العامري ، وعلى ميسرته أبو حماد الأبرص ، وخازم في القلب فلم يزل يساير ملبداً وأصحابه إلى الليل وتواقعوا ليلتهم[٢] فلما كان الغد سار ملبد نحو كورة حزه وخازم وأصحابه يسايرونهم حتى غشيهم الليل ، وأصبحوا من الغد فسار ملبد كأنه يريد الهرب فخرج خازم في أثره وتركوا خندقهم ـ وكان خازم قد خندق على أصحابه بالحسك ـ فلما خرجوا منه حمل عليهم ملبد وأصحابه ، فلما رأى ذلك خازم ألقى الحسك بين يديه ويدي أصحابه ، فحملوا على ميمنة خازم فطووها ، ثم حملوا على الميسرة فطووها ثم انتهوا إلى القلب ـ وفيه خازم ـ فنادى خازم في أصحابه الأرض الأرض فنزلوا ، ونزل ملبد وأصحابه وعقروا عامة دوابهم ثم اضطربوا بالسيوف حتى تقطعت ؛ وأمر خازم فضلة بن نعيم أن إذا سطع الغبار ولم يبصر بعضنا بعضاً فارجع إلى خيلك وخيل أصحابك فاركبوها ثم ارموهم بنشاب ففعل ذلك ، وتراجع أصحاب خازم من الميمنة والميسرة ثم رشقوا ملبداً وأصحابه بالنشاب فقتل ملبد في ثمانمائة رجل ممن ترجل ، وقتل منهم قبل أن يترجلوا زهاء ثلاثمائة وهرب الباقون وتبعهم فضلة فقتل منهم مائة وخمسين رجلاً .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة خرج قسطنطين ملك الروم إلى بلاد الاسلام فدخل ملطية عنوة وقهراً وغلب أهلها وهدم سورها وعفا عمن فيها من المقاتلة ، والذرية .

وفيها غزا العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الصائفة مع صالح بن علي ، وعيسى بن علي ، وقيل : كانت سنة تسع وثلاثين فبنى صالح ما كان ملك الروم أخربه من سور ملطية ، وفيها بايع عبدالله بن علي للمنصور وهو مقيم بالبصرة مع أخيه سليمان بن علي .

وفيها وسع المنصور المسجد الحرام ، وحج بالناس هذه السنة الفضل بن صالح ابن علي ، وكان على المدينة ، ومكة ، والطائف زياد بن عبيد الله الحارثي ، وعلى

---

(١) في الطبري « نضلة » بالنون في أوله .

(٢) في الطبري « ثم توافقوا ليلتهم » .

الكوفة وسوادها عيسى بن موسى ، وعلى البصرة سليمان بن علي ، وعلى قضائها سوار ابن عبد الله ، وعلى خراسان أبو داود ، وعلى مصر صالح بن علي .

وفيها توفي السواد بن رفاعة بن أبي مالك القرطبي ، وسعيد بن جُمْهَان أبو حفص الأسلمي يروي عن سفينة حديث « الخلافة ثلاثون » ويونس بن عبيد البصري ، وقيل : توفي سنة تسع وثلاثين ومائة .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائة
ذكر غزو الروم والفداء معهم

في هذه السنة فرغ صالح بن علي ، والعباس بن محمد من عمارة ما أخربه الروم من ملطية ، ثم غزوا الصائفة من درب الحدث فوغلا في أرض الروم ، وغزا مع صالح أختاه أم عيسى ، ولبابة بنتا علي وكانتا نذرتا إن زال ملك بني أمية ان تجاهدا في سبيل الله ، وغزا من درب ملطية جعفر بن حنظلة المهراني ، وفي هذه السنة كان الفداء بين المنصور وملك الروم فاستفدى المنصور اسرى قالي قلا وغيرهم من الروم وبناها وعمرها ورد إليها أهلها ، وندب إليها جنداً من أهل الجزيرة وغيرهم فأقاموا بها وحموها ، ولم يكن بعد ذلك صائفة فيما قيل إلا سنة ست واربعين لاشتغال المنصور بابني عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي إلا أن بعضهم قال : ان الحسن بن قحطبة غزا الصائفة مع عبد الوهاب بن ابراهيم الامام في سنة اربعين وأقبل قسطنطين ملك الروم في مائة ألف فبلغ جيحان فسمع كثرة المسلمين فأحجم عنهم ثم لم يكن بعدها صائفة إلى سنة ست وأربعين .

ذكر دخول عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس

قد ذكرنا في سنة اثنتين وتسعين فتح الأندلس وعزل موسى بن نصير عنها ، فلما عزل عنها وسار إلى الشام استخلف عليها ابنه عبد العزيز وضبطها وحمى ثغورها وافتتح في ولايته مدائن كثيرة ـ وكان خيراً فاضلاً ـ وبقي أميراً إلى سنة سبع وتسعين ، وقيل : ثمان وتسعين فقتل بها وقد تقدم سبب قتله ، فلما قتل بقي أهل الاندلس ستة أشهر لا يجمعهم والٍ ، ثم اتفقوا على أيوب بن حبيب اللخمي ـ وهو ابن أخت موسى بن نصير ـ فكان يصلي بهم لصلاحه ، وتحول إلى قرطبة وجعلها دار إمارة في أول سنة

تسع وتسعين ، وقيل : سنة ثمان وتسعين ، ثم إن سليمان بن عبدالملك استعمل بعده الحر بن عبد الرحمن الثقفي فقدمها سنة ثمان وتسعين فأقام والياً عليها سنتين وتسعة أشهر ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة استعمل على الأندلس السمح بن مالك الخولاني وأمره أن يميز أرضها ويخرج منها ما كان عنوة ويأخذ منه الخمس ويكتب إليه بصفة الأندلس ، وكان رأيه اقفال أهلها منها لانقطاعهم عن المسلمين ، فقدمها السمح سنة مائة في شهر رمضان وفعل ما أمره عمر وقتل عند انصرافه من دار الحرب سنة اثنتين ومائة ، وكان قد بدا لعمر في نقل أهلها عنها ثم تركهم ودعا لأهلها ، ثم وليها بعد السمح عنبسة بن سحيم الكلبي سنة ثلاث ومائة وتوفي في شعبان سنة سبع ومائة عند انصرافه من غزوة الافرنج ، ثم وليها وبعده يحيى بن سلمى الكلبي في ذي القعدة سنة سبع فبقي عليها والياً سنتين وستة أشهر .

ثم دخل الأندلس حذيفة بن الأبرص الاشجعي سنة عشر ومائة فبقي والياً عليها ستة أشهر ثم عزل ، ثم وليها عثمان بن أبي نسعة الخثعمي فقدمها سنة عشر ومائة وعزل آخر سنة عشر ومائة أيضاً وكانت ولايته خمسة أشهر ، ثم وليها الهيثم بن عبيد الكناني فقدمها في المحرم سنة إحدى عشرة ومائة فأقام والياً عليها عشرة أشهر وأياماً ،ثم توفي في ذي الحجة فقدم أهل الأندلس على أنفسهم محمد بن عبد الله الأشجعي وكانت ولايته شهرين ، وولي بعده عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي في صفر سنة اثنتي عشرة ومائة واستشهد في أرض العدو في رمضان سنة أربع عشرة ومائة ، ثم وليها عبد الملك ابن قطن الفهري فأقام عليها سنتين وعزل ، ثم وليها بعده عقبة بن الحجاج السلولي دخلها سنة ست عشرة ومائة فوليها خمس سنين وثار أهل الأندلس به فخلعوه فولوا بعده عبد الملك بن قطن وهي ولايته الثانية .

وقد ذكر بعض مؤرخي الأندلس انه توفي فولي أهل الأندلس عبد الملك ، ثم وليها بلج بن بشر القشيري بايعه أصحابه فهرب عبد الملك ولحق بداره وهرب ابناه قطن ، وأمية فلحق أحدهما بماردة والآخر بسرقسطة ، ثم ثارت اليمن على بلج وسألوه قتل عبد الملك بن قطن فلما خشي فسادهم أمر به فقتل وصلب ، وكان عمره تسعين سنة فلما بلغ ابنيه قتله حشدا من ماردة إلى أربونة فاجتمع إليهما مائة ألف وزحفوا إلى

بلج ومن معه بقرطبة ، فخرج إليهم بلج فلقيهم فيمن معه من أهل الشام بقرب قرطبة فهزمهما ورجع إلى قرطبة فمات بعد أيام يسيرة ، وكان سبب قدوم بلج الأندلس أنه كان مع عمه كلثوم بن عياض في وقعة البربر سنة ثلاث وعشرين وقد تقدم ذكرها، فلما قتل عمه سار إلى الأندلس فأجازه عبد الملك بن قطن إليها وكان سبب قتله ، ثم ولى أهل الشام على الأندلس مكانه ثعلبة بن سلامة العاملي فأقام إلى أن قدم أبو الخطار والياً على الأندلس سنة خمس وعشرين ومائة فدان له أهل الأندلس ، وأقبل إليه ثعلبة ، وابن أبي نسعة ، وابنا عبد الملك فأمنهم وأحسن إليهم واستقام أمره ـ وكان شجاعاً ذا رأي وكرم ـ وكثر أهل الشام عنده فلم تحملهم قرطبة ففرقهم في البلاد ، فأنزل أهل دمشق البيرة لشبهها بها وسماها دمشق ، وأنزل أهل حمص اشبيلية وسماها حمص ، وأنزل أهل قنسرين بجيان وسماها قنسرين ، وأنزل أهل الأردن برية وسماها الأردن ، وأنزل أهل فلسطين بشذونة وسماها فلسطين ، وأنزل أهل مصر بتدمير وسماها مصر لشبهها بها .

ثم تعصب اليمانية وكان ذلك سبباً لتألب الصميل نن حاتم عليه مع مضر وحربه وخلعه ، وقامت هذه الفتنة سنة سبع وعشرين ومائة ، وكان الصميل بن حاتم بن شمر ابن ذي الجوشن قد قدم الأندلس في امداد الشام فرأس بها فأراد أبو الخطار أن يضع منه فأمر به يوماً وعنده الجند فشتم وأهين فخرج وعمامته مائلة ، فقال له بعض الحجاب : ما بال عمامتك مائلة ؟ فقال : إن كان لي قوم فسيقيمونها ، وبعث إلى قومه فشكا إليهم ما لقي فقالوا : نحن لك تبع ، وكتبوا إلى ثوابة بن سلامة الجذامي ـ وهو من أهل فلسطين ـ فوفد عليهم وأجابهم وتبعهم لخم ، وجذام ، فبلغ ذلك إلى أبي الخطار فسار إليهم فقتلوه فانهزم أصحابه وأسر أبو الخطار ، ودخل ثوابة قصر قرطبة وأبو الخطار في قيوده فولي ثوابة الأندلس سنتين ، ثم توفي فأراد أهل اليمن إعادة أبي الخطار وامتنعت مضر ورأسهم الصميل وافترقت الكلمة فأقامت الأندلس أربعة أشهر بغير أمير ، وقد تقدم أبسط من هذا سنة سبع وعشرين ومائة ، فلما بقوا بغير أمير قدموا عبد الرحمن بن كثير اللخمي للأحكام .

فلما تفاقم الأمر اتفق رأيهم على يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة الفهري فوليها يوسف سنة تسع وعشرين ، فاستقر الأمر أن يلي سنة ثم يرد الأمر إلى

اليمن فيولون من احبوا من قومهم ، فلما انقضت السنة أقبل أهل اليمن بأسرهم يريدون أن يولوا رجلاً منهم فبيتهم الصميل فقتل منهم خلقاً كثيراً فهي وقعة شقندة المشهورة ، وفيها قتل أبو الخطار واقتتلوا بالرماح حتى تقطعت وبالسيوف حتى تكسرت ثم تجاذبوا بالشعور وكان ذلك سنة ثلاثين ، واجتمع الناس على يوسف ولم يعترضه أحد ، وقد قيل غير ما ذكرنا وقد تقدم ذكره سنة سبع وعشرين ومائة ، ثم توالى القحط على الأندلس وجلا أهلها عنها وتضعضعت إلى سنة ست وثلاثين ومائة ، وفيها آجتمع تميم بن معبد الفهري وعامر العبدري بمدينة سرقسطة وحاربهما الصميل ثم سار إليهما يوسف الفهري فحاربهما فقتلهما ، وبقي يوسف على الأندلس إلى أن غلب عليها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ، هذا ما ذكرناه من ولاة الأندلس على الاختصار ، وقد تقدم أبسط من هذا متفرقاً وإنما أوردناه ههنا متتابعاً ليتصل بعض أخبار الأندلس ببعض لأنها وردت متفرقة ، ونرجع إلى ذكر عبور عبد الرحمن بن معاوية بن هشام إليها .

وأما سبب مسير عبد الرحمن إلى الغرب فإنه يحكى عنه أنه لما ظهرت الدولة العباسية وقتل من بني امية من قتل ومن شيعتهم فر منهم من نجا في الارض، وكان عبد الرحمن بن معاوية بذات الزيتون ففر منها ، إلى فلسطين وأقام هو ومولاه بدر يتجسس الأخبار ، فحكي عنه انه قال : لما أعطينا الأمان ثم نكث بنا بنهر أبي فطرس وأبيحت دماؤنا أتانا الخبر ـ وكنت منتبذاً من الناس ـ فرجعت إلى منزلي آيساً ونظرت فيما يصلحني وأهلي وخرجت خائفاً حتى صرت إلى قرية على الفرات ذات شجر وغياض ، فبينا أنا ذات يوم بها وولدي سليمان يلعب بين يدي ـ وهو يومئذ ابن أربع سنين ـ فخرج عني ثم دخل الصبي من باب البيت باكياً فزعاً فتعلق بي وجعلت أدفعه وهو يتعلق بي فخرجت لأنظر وإذا بالخوف قد نزل بالقرية وإذا بالرايات السود منحطة عليها وأخ لي حدث السن يقول لي : النجاء النجاء فهذه رايات المسودة ، فأخذت دنانير معي ونجوت بنفسي وأخي وأعلمت أخواتي بمتوجهي فأمرتهن أن يلحقنني مولاي بدراً ، وأحاطت الخيل بالقرية فلم يجدوا لي أثراً ، فأتيت رجلاً من معارفي وأمرته فاشترى لي دواب وما يصلحني فدل عليّ عبد له العامل فأقبل في خيله يطلبني ، فخرجنا على أرجلنا هراباً والخيل تبصرنا فدخلنا في بساتين على الفرات فسبقنا الخيل إلى الفرات فسبحنا فأما أنا فنجوت والخيل ينادوننا بالأمان ولا أرجع ، وأما أخي فإنه عجز عن

السباحة في نصف الفرات فرجع إليهم بالأمان وأخذوه فقتلوه وأنا أنظر إليه وهو ابن ثلاث عشرة سنة فاحتملت فيه ثكلا ، ومضيت لوجهي فتواريت في غيضة أشبة حتى انقطع الطلب عني وخرجت فقصدت المغرب فبلغت افريقية، ثم إن أخته أم الأصبغ ألحقته بدراً ومولاه ومعه نفقة له وجوهر ، فلما بلغ افريقية لج عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة الفهري ، قيل : هو والد يوسف أمير الأندلس وكان عبد الرحمن عامل افريقية في طلبه واشتد عليه فهرب منه فأتى مكناسة ـ وهم قبيل من البربر ـ فلقي عندهم شدة يطول ذكرها ، ثم هرب من عندهم فأتى نفزاوة وهم أخواله وبدر معه .

وقيل : أتى قوماً من الزناتيين فأحسنوا قبوله واطمأن فيهم ، وأخذ في تدبير المكاتبة إلى الأمويين من أهل الأندلس يعلمهم بقدومه ويدعوهم إلى نفسه ، ووجه بدراً مولاه اليهم ـ وأمير الأندلس حينئذ يوسف بن عبد الرحمن الفهري ـ فسار بدر إليهم وأعلمهم حال عبد الرحمن ودعاهم إليه فأجابوه ووجهوا له مركبا فيه ثمامة بن علقمة ووهب بن الأصفر ، وشاكر بن أبي الأسمط فوصلوا إليه وأبلغوه طاعتهم له وأخذوه ورجعوا إلى الأندلس فارسي في المنكب في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين ومائة ، فأتاه جماعة من رؤسائهم من أهل اشبيلية وكانت أيضاً نفوس أهل اليمن حنقة على الصميل ، ويوسف الفهري فأتوه ، ثم انتقل إلى كورة رية فبايعه عاملها عيسى بن مساور ، ثم أتى شذونة فبايعه غياث بن علقمة اللخمي ، ثم أتى موزور فبايعه ابراهيم ابن شجرة عاملها ؛ ثم أتى اشبيلية فبايعه أبو الصباح يحيى بن يحيى ونهض إلى قرطبة فبلغ خبره إلى يوسف ـ وكان غائباً عن قرطبة بنواحي طليلة فأتاه الخبر وهو راجع إلى قرطبة ـ فسار عبد الرحمن نحو قرطبة فلما أتى قرطبة تراسل هو ويوسف في الصلح فخادعه نحو يومين أحدهما يوم عرفة ، ولم يشك أحد من أصحاب يوسف أن الصلح قد ابترم وأقبل على إعداد الطعام ليأكله الناس على السماط يوم الأضحى ، وعبد الرحمن مرتب خيله ورجله وعبر النهر في أصحابه ليلاً ونشب القتال ليلة الأضحى وصبر الفريقان إلى أن ارتفع النهار وركب عبد الرحمن على بغل لئلا يظن الناس أنه يهرب فلما رأوه كذلك سكنت نفوسهم وأسرع القتل في أصحاب يوسف وانهزم وبقي الصميل يقاتل مع عصابة من عشيرته ثم انهزموا فظفر عبد الرحمن ، ولما انهزم يوسف أتى ماردة وأتى عبد الرحمن قرطبة فأخرج حشم يوسف من القصر على عودة ودخله بعد ذلك .

ثم سار في طلب يوسف فلما احس به يوسف خالفه إلى قرطبة فدخلها وملك قصرها فأخذ جميع أهله وماله ولحق بمدينة البيرة وكان الصميل لحق بمدينة شوذر، وورد إلى عبد الرحمن الخبر فرجع إلى قرطبة طمعاً في لحاقه بها فلما لم يجده عزم على النهوض إليه فسار إلى البيرة وكان الصميل قد لحق بيوسف وتجمع لهما هناك جمع فتراسلوا في الصلح فاصطلحوا على أن ينزل يوسف بأمان هو ومن معه وأن يسكن مع عبد الرحمن بقرطبة ورهنه يوسف ابنيه أبا الاسود محمداً ، وعبد الرحمن وسار يوسف مع عبد الرحمن فلما دخل قرطبة تمثل :

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا ... إذا نحن فيهم سوقة نتنصف

واستقر عبد الرحمن بقرطبة وبنى القصر والمسجد الجامع وأنفق فيه ثمانين ألف دينار ومات قبل تمامه وبنى مساجد الجماعات ، ووافاه جماعة من أهل بيته وكان يدعو للمنصور ، وقد ذكر أبو جعفر أن دخول عبد الرحمن كان سنة تسع وثلاثين ، وقيل : سنة ثمان وثلاثين على ما ذكرنا . وهذا القدر كاف في ذكر دخوله الاندلس لئلا نخرج عن الذي قصدنا له من الاختصار .

ذكر حبس عبد الله بن علي

ولما عزل سليمان عن البصرة اختفى أخوه عبد الله بن علي ومن معه من أصحابه خوفاً من المنصور ، فبلغ ذلك المنصور فأرسل إلى سليمان ، وعيسى ابني علي بن عبد الله بن عباس في أشخاص عبد الله وأعطاهما الأمان لعبد الله وعزم عليهما أن يفعلا ، فخرج سليمان ، وعيسى بعبد الله وقواده ومواليه حتى قدموا على المنصور في ذي الحجة ، فلما قدموا عليه أذن لسليمان ، وعيسى فدخلا عليه وأعلماه حضور عبد الله وسألاه الإذن له فأجابهما إلى ذلك وشغلهما بالحديث ، وكان قد هيأ لعبد الله مكاناً في قصره فأمر به أن يصرف إليه بعد دخول سليمان ، وعيسى ففعل به ذلك ، ثم نهض المنصور وقال لسليمان ، وعيسى : خذا عبد الله معكما فلما خرجا لم يجدا عبد الله فعلما أنه قد حبس فرجعا إلى المنصور فمنعا عنه ، وأخذت عند ذلك سيوف من حضر من أصحابه وحبسوا .وقد كان خفاف بن منصور حذرهم ذلك وندم على مجيئه معهم وقال : ان أطعتموني شددنا شدة واحدة على أبي جعفر فوالله لا يحول بينه وبيننا حائل

حتى نأتي عليه ولا يعرض لنا أحد إلا قتلناه وننجو بأنفسنا فعصوه ، فلما أخذت سيوفهم وحبسوا جعل خفاف يضرط في لحية نفسه ويتفل في وجوه أصحابه ، ثم أمر المنصور بقتل بعضهم بحضرته وبعث الباقين إلى أبي داود خالد بن ابراهيم بخراسان فقتلهم بها .

ذكر عدة حوادث

عزل سليمان بن علي عن امارة البصرة ، وقيل : سنة أربعين واستعمل عليها سفيان بن معاوية في رمضان ، وحج بالناس هذه السنة العباس بن محمد بن علي ، وكان على مكة ، والمدينة ، والطائف زياد بن عبيد الله الحرثي : وعلى الكوفة عيسى ابن موسى ، وعلى البصرة سفيان بن معاوية ، وعلى قضائها سوار بن عبد الله ، وعلى خراسان أبو داود .

وفيها مات عبد ربه سعيد بن قيس الأنصاري . وقيل : سنة احدى وأربعين .

وفيها مات العلاء بن عبد الرحمن مولى الخرقة ، ومحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن أبي صعصعة المازني ، ويزيد بن عبد الله بن شداد بن الهاد الليثي وكان موته بالاسكندرية .

ثم دخلت سنة أربعين ومائة

ذكر هلاك أبي داود عامل خراسان وولاية عبد الجبار

وفي هذه السنة هلك أبو داود خالد بن ابراهيم الذهلي عامل خراسان ، وكان سبب هلاكه ان ناساً من الجند ثاروا به ـ وهو بكشماهن ـ ووصلوا إلى المنزل الذي هو فيه فأشرف عليهم من الحائط ليلاً فوطىء حرف آجرة خارجة وجعل ينادي أصحابه لَيعرفوا صوته فانكسرت الآجرة تحته عند الصبح فسقط على الأرض فانكسر ظهره فمات عند صلاة العصر . فقام عصام صاحب شرطته بعده حتى قدم عليه عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي عاملاً على خراسان . فلما قدمها أخذ جماعة من القواد اتهمهم بالدعاء إلى ولد علي بن أبي طالب ، منهم مجاشع بن حريث الأنصاري عامل بخارى ، وأبو المغيرة خالد بن كثير ، مولى بني تميم عامل قوهستان ، والحريش بن محمد الذهلي وهو ابن عم أبي داود فقتلهم وحبس جماعة غيرهم وألح على عمال أبي داود في استخراج ما عندهم من الأموال .

ذكر قتل يوسف الفهري

في هذه السنة نكث يوسف الفهري الذَي كان أمير الأندلس عهد عبد الرحمن الأموي ، وكان سبب ذلك أن عبد الرحمن كان يضع عليه من يهينه وينازعه في أملاكه فاذا أظهر حجة الشريعة لا يعمل بها ، ففطن لما يراد منه فقصد ماردة واجتمع عليه عشرون ألفاً فسار نحو عبد الرحمن ، وخرج عبد الرحمن من قرطبة نحوه إلى حصن المدور ، ثم ان يوسف رأى أن يسير إلى عبد الملك بن عمر بن مروان وكان والياً على اشبيلية ، وإلى ابنه عمر بن عبد الملك وكان على المدور فسار نحوهما وخرجا إليه فلقياه فاقتتلا قتالاً شديداً فصبر الفريقان وانهزم أصحاب يوسف وقتل منهم خلق كثير ،

وهرب يوسف وبقي متردداً في البلاد فقتله بعض أصحابه في رجب من سنة اثنتين وأربعين بنواحي طليطلة وحمل رأسه إلى عبد الرحمن فنصبه بقرطبة ؛ وقتل ابنه عبد الرحمن بن يوسف الذي كان عنده رهينة ونصب رأسه مع رأس أبيه ، وبقي أبو الأسود ابن يوسف عند عبد الرحمن الأموي رهينة وسيأتي ذكره وأما العميل فإنه لما فر يوسف من قرطبة لم يهرب معه فدعاه الأمير عبد الرحمن وسأله عنه فقال : لم يعلمني بأمره ولا أعرف خبره فقال : لا بد أن تخبر فقال : لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه فسجنه مع ابني يوسف . فلما هربا من السجن أنف من الهرب والفرار فبقي في السجن . ثم أدخل إليه بعد ذلك مشيخة مضر فوجدوه ميتاً وعنده كاس ونقل فقالوا : يا أبا جوشن قد علمنا أنك ما شربت ولكن سقيت ودفع إلى أهله فدفنوه .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة هلك اذفنش ملك جليقية وملك بعده ابنه تدويلية ـ وكان أشجع من أبيه وأحسن سياسة للملك وضبطا له ـ وكان ملك أبيه ثماني عشرة سنة ، ولما ملك ابنه قوي أمره وعظم سلطانه وأخرج المسلمين من ثغور البلاد وملك مدينة لك ، وبرطقال ، وشلمنقة ، وشمورة ، وايلة ، وشقوبية ، وفشتيالة ، وكل هذه من الاندلس .

وفيها سيَّر المنصور عبد الوهاب بن أخيه ابراهيم الامام ، والحسن بن قحطبة في سبعين ألفاً من المقاتلة إلى ملطية فنزلوا عليها وعمَّروا ما كان خربه الروم منها ففرغوا من العمارة في ستة أشهر وكان للحسن في ذلك أثر عظيم ، وأسكنها المنصور أربعة آلاف من الجند وأكثر فيها من السلاح ، والذخائر وبنى حصن قلوذية ، ولما سمع ملك الروم بمسير عبد الوهاب ، والحسن إلى ملطية سار إليهم في مائة ألف مقاتل فنزل جيحان فبلغه كثرة المسلمين فعاد عنهم ، ولما عمرت ملطية عاد إليها من كان باقياً من أهلها ، وفيها حج المنصور فأحرم من الحيرة فلما قضى حجه توجه إلى بيت المقدس وسار منه إلى الرقة فقتل بها منصور بن جعونة العامري وعاد إلى هاشمية الكوفة .

وفيها أمر المنصور بعمارة مدينة المصيصة على يد جبرائيل بن يحيى وكان سورها قد تشعث من الزلازل وأهلها قليل فبنى السور وسماها المعمورة وبنى بها مسجداً جامعاً وفرض فيها لألف رجل وأسكنها كثيراً من أهلها ، وفيها توفي سعد بن

إسحاق بن كعب بن عجرة ، وعمرو بن يحيى بن أبي حسن الأنصاري ، وعمارة بن غزية الأنصاري ـ وكان ثقة ـ وأبو العلاء أيوب القصاب ، وأبو جعفر محمد بن عبدالله الأسكافي ـ وهو من متكلمي المعتزلة وأئمتهم ولـه طائفـة تنسب إليه ـ وأسمـاء بن عبيد بن مخارق والد حويزة بن أسماء .

ثم دخلت سنة احدى وأربعين ومائة

ذكر خروج الراوندية

وفي هذه السنة كان خروج الراوندية على المنصور ، وهم قوم من أهل خراسان على رأي أبي مسلم صاحب الدعوة يقولون بتناسخ الأرواح ؛ يزعمون أن روح آدم في عثمان بن نهيك وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور وان جبرائيل هو الهيثم ابن معاوية ، فلما ظهروا أتوا قصر المنصور فقالوا : هذا قصر ربنا ، فأخذ المنصور رؤساهم فحبس منهم مائتين فغضب أصحابهم وأخذوا نعشاً وحملوا السرير وليس في النعش أحد ومروا به حتى صاروا على باب السجن فرموا بالنعش وحملوا على الناس ودخلوا السجن وأخرجوا أصحابهم ، وقصدوا نحو المنصور وهم يومئذ ستمائة رجل فتنادى الناس وغلقت أبواب المدينة فلم يدخل أحد ، فخرج المنصور من القصر ماشياً ولم يكن في القصر دابة ـ فجعل بعد ذلك اليوم يرتبط دابة معه في القصر ـ فلما خرج المنصور أُتي بدابة فركبها وهو يريدهم وتكاثروا عليه حتى كادوا يقتلونه .

وجاء معن بن زائدة الشيباني وكان مستتراً من المنصور بقتاله مع ابن هبيرة كما ذكرناه والمنصور شديد الطلب له وقد بذل فيه مالاً كثيراً فلما كان هذا اليوم حضر عند المنصور متلثماً وترجل وقاتل قتالاً شديداً وأبلى بلاءً حسناً ، وكان المنصور راكباً على بغلة ولجامها بيد الربيع حاجبه فأتى معن وقال : تنح فأنا أحق بهذا اللجام منك في هذا الوقت وأعظم غناءً ، فقال المنصور : صدق فادفعه إليه فلم يزل يقاتل حتى تكشفت الحال وظفر بالراوندية ، فقال له المنصور : من أنت ؟ قال : طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة فقال : آمنك الله على نفسك ، ومالك ، وأهلك مثلك يصطنع ، وجاء أبو نصر مالك بن الهيثم فوقف على باب المنصور قال : أنا اليوم

بواب ، ونودي في أهل السوق فرموهم وقاتلوهم ، وفتح باب المدينة فدخل الناس ، فجاء خازم بن خزيمة فحمل عليهم حتى ألجأهم إلى الحائط ثم حملوا عليه فكشفوه مرتين فقال خازم للهيثم بن شعبة ، اذا كروا علينا فاستبقهم إلى الحائط ، فإذا رجعوا فـاقتلهم ، فحملوا على خازم فـاطرد لهم وصـار الهيثم من ورائهم فقتلوا جميعـاً ، وجاءهم يومئذ عثمان بن نهيك فكلمهم فرموه بسهم عند رجوعه فوقع بين كتفيه فمرض أياماً ومات منها فصلى عليه المنصور ، وجعل على حرسه بعده عيسى بن نهيك فكان على الحرس حتى مات ، فجعل على الحرس أبو العباس الطوسي وكان ذلـك كله بالمدينة الهاشمية بالكوفة فلما صلى المنصور الظهر دعا بالعشاء وأحضر معناً ورفـع منزلته وقال لعمه عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس : يا أبا العباس أسمعت بأشد رجل ، قال : نعم . قال : لو رأيت اليوم معناً لعلمت أنه منهم فقال معن : والله يا أمير المؤمنين لقد أتيتك وإني لوجل القلب فلما رأيت ما عندك من الاستهانـة بهم وشدة الإقدام عليهم رأيت ما لم أره من خلق في حرب فشد ذلك من قلبي وحملني ما رأيت مني .

وقيل : كان معن متخفياً من المنصور لما كان منه من قتاله مع ابن هبيـرة كما ذكرناه ، وكان اختفاؤه عند أبي الخصيب حاجب المنصور ـ وكان على أن يطلب له الامان ـ فلما خرجت الراوندية جاء معن فوقف بالباب فسأل المنصور أبا الخصيب من بالباب فقال : معن بن زائدة فقال المنصور : رجـل من العرب شـديد النفس عـالم بالحرب كريم الحسب أدخله ، فلما دخل قال : إيه يا معن ما الرأي ؟ قال : الرأي أن تنادي في الناس فتأمر لهم بالاموال فقال : وأين الناس والأموال ؟ ومن يقدم على أن يعرض نفسه لهؤلاء العلوج ؟ لم تصنع شيئاً يا معن ، الرأي أن أخرج فأقف للناس فإذا رأوني قاتلوا وتراجعوا إلي وإن أقمت تهاونوا وتخاذلوا فأخـذ معن بيده وقال: لا يا أمير المؤمنين إذاً والله تقتل الساعة فانشدك الله في نفسك فقال له أبـو الخصيب مثلها ، فجذب ثوبه منهما وركب دابته وخرج ومعن آخذ بلجام دابته وأبو الخصيب مع ركابه ، وأتاه رجل فقتله معن حتى قتل أربعة في تلك الحالة حتى اجتمع إليه الناس فلم يكن إلا ساعة حتى أفنوهم ، ثم تغيب معن فسأل المنصور عنه أبا الخصيب فقال : لا أعلم مكانه ، فقال المنصور : أيظن معن أن لا أغفر ذنبه بعد بلائه أعطه الأمان وأدخله علي فأدخله إليه فأمر له بعشرة آلاف درهم ثم ولاه اليمن .

ذكر خلع عبد الجبار بخراسان ومسير المهدي اليه

في هذه السنة خلع عبد الجبار بن عبد الرحمن عامل خراسان للمنصور ، وسبب ذلك أن عبد الجبار لما استعمله المنصور على خراسان عمد إلى القواد فقتل بعضهم وحبس بعضهم ، فبلغ ذلك المنصور وأتاه من بعضهم كتاب قد نَغِل الأديم[1]، فقال لأبي أيوب: إن عبد الجبار قد أفنى شيعتنا وما فعل ذلك إلا وهو يريد أن يخلع ، فقال له : اكتب إليه أنك تريد غزو الروم فليوجه إليك الجنود من خراسان وعليهم فرسانهم ووجوههم فإذا خرجوا منها فابعث إليه من شئت فلا تمنع ، فكتب المنصور إليه بذلك ، وأجابه أن الترك قد جاشت وإن فرقت الجنود ذهبت خراسان ، فألقى الكتاب إلى أبي أيوب وقال له : ما ترى ؟ قال : قد أمكنك من قياده اكتب إليه أن خراسان أهم إليّ من غيرها وأنا موجه إليك الجنود من قبلي ثم وجه إليه الجنود ليكونوا بخراسان فإن هم بخلع أخذوا بعنقه ، فلما ورد الكتاب بهذا على عبد الجبار أجابه ان خراسان لم تكن قط أسوأ حالاً منها في هذا العام وإن دخلها الجنود هلكوا لضيق ما هم فيه من الغلاء ، فلما أتاه الكتاب ألقاه إلى أبي أيوب فقال له أبو أيوب : قد أبدى صفحته وقد خلع فلا تناظره ، ووجه المنصور ابنه المهدي وأمره بنزول الري ، فسار إليها المهدي ووجه خازم بن خزيمة بين يديه لحرب عبد الجبار وسار المهدي فنزل نيسابور فلما بلغ ذلك أهل مرو الروذ ساروا إلى عبد الجبار وحاربوه وقاتلوه قتالاً شديداً فانهزم منهم ولجأ إلى معطنة[2] فتوارى فيها فعبر إليه المجشر بن مزاحم من أهل مرو الروذ فأخذه أسيراً ، فلما قدم خازم أتاه به فألبسه جبة صوف وحمله على بعير وجعل وجهه مما يلي عجز البعير وحمله إلى المنصور ومعه ولده وأصحابه فبسط عليهم العذاب حتى استخرج منهم الأموال ، ثم أمر فقطعت يدا عبد الجبار ورجلاه وضرب عنقه ، وأمر بتسيير ولده إلى دهلك ـ وهي جزيرة باليمن ـ فلم يزالوا بها حتى أغار عليهم الهند فسبوهم فيمن سبوا ثم فودوا بعد ذلك ، وكان ممن نجا منهم عبد الرحمن بن عبد الجبار صحب الخلفاء ومات أيام الرشيد سنة سبعين ومائة ، وقيل : وكان أمر عبد الجبار سنة اثنتين وأربعين في ربيع الأول ، وقيل : سنة أربعين .

---

(١) نغل ـ بفتح النون وكسر الغين المعجمة ـ فسد.

(٢) في الطبري « مقطنة ».

ذكـر فتح طبرستان

ولما ظفر المهدي بعبد الجبار بغير تعب ولا مباشرة قتال كره المنصور أن تبطل تلك النفقات التي أنفق على المهدي فكتب إليه أن يغزو طبرستان وينزل الري ويوجه أبا الخطيب ، وخازم بن خزيمة ، والجنود إلى الأصبهبذ ، وكان الاصبهبذ يومئذ محارباً للمصمغان ملك دنباوند معسكراً بازائه ، فلما بلغه دخول الجنود بلاده ودخول أبي الخصيب سايره فقال المصمغان للاصبهبذ : متى قهروك صاروا إلي فاجتمعوا على حرب المسلمين ، فانصرف الاصبهبذ إلى بلاده فحارب المسلمين فطالت تلك الحروب ، فوجه المنصور عمر بن العلاء إلى طبرستان وهو الذي يقول فيه بشار :

إذا أَيْقَـظَتْـكَ حُـروبُ العِـدَى فَنَبِّـهْ لـهـا عُمَـرا ثـم نَـمْ (١)

وكان عالماً ببلاد طبرستان فأخذ الجنود وقصد الرويان وفتحها وأخذ قلعة الطلق وما فيها ، وطالت الحرب فألح خازم على القتال ففتح طبرستان وقتل منهم فأكثر ، وسار الاصبهبذ إلى قلعته فطلب الأمان على أن يسلم القلعة بما فيها من الذخائر، وكتب المهدي بذلك إلى المنصور ، فوجه المنصور صالحاً صاحب المصلى فاحصوا ما في الحصن وانصرفوا ، ودخل الاصبهبذ بلاد جيلان من الديلم فمات بها وأخذت ابنته وهي أم ابراهيم بن العباس بن محمد ؛ وقصدت الجنود بلد المصمغان فظفروا بـه وبالبحترية أم منصور بن المهدي .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة عزل زياد بن عبيد الله الحرثي عن مكة ، والمدينة ، والطائف ؛ واستعمل على المدينة محمد بن خالد بن عبد الله القسري في رجب ، وعلى الطائف، ومكة الهيثم بن معاوية العتكي من أهل خراسان .

---

(١) في الطبري ثلاثة أبيات بيت قبل هذا :

فـقُـل لـلـخـلـيـفـة أن جئـتَـهُ نـصـيحـاً ولا خيـرَ في الـمتـهـمْ

وبيت بعده.

فـتـىً لا يـنـامُ عـلى دِمْـنَـةٍ ولا يـشـربُ الـمـاءَ إلا بِـدمْ

وفيها توفي موسى بن كعب وهو على شرط المنصور ، وعلى مصر ، والهند وخليفته على الهند عيينة ابنه ؛ وكان قد عزل موسى عن مصر ووليها محمد بن الأشعث ثم عزل عنها ووليها نوفل بن محمد بن الفرات .

وحج بالناس هذه السنة صالح بن علي بن عبد الله بن عباس وهو على الشام ، وعلى الكوفة عيسى بن موسى ، وعلى البصرة سفيان بن معاوية ، وعلى خراسان المهدي وخليفته بها السري بن عبد الله ، وعلى الموصل اسماعيل بن علي ، وفيها مات سعد بن سعيد أخو يحيى بن سعيد الأنصاري ، وابان بن تغلب القارىء .

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائة

ذكر خلع عيينة بن موسى بن كعب

في هذه السنة خلع عيينة بن موسى بالسند وكان عاملاً عليها، وسبب خلعه أن أباه كان استخلف المسيب بن زهير على الشرط فلما مات موسى أقام المسيب على ما كان يلي من الشرط وخاف أن يحضر المنصور عيينة فيوليه ما كان إلى أبيه فكتب إليه ببيت شعر ولم ينسب الكتاب إلى نفسه .

فأرضك أرضك إن تأتنا   تنم نومة ليس فيها حلم

فخلع الطاعة، فلما بلغ الخبر إلى المنصور سار بعسكره حتى نزل على جسر البصرة، ووجه عمر بن حفص بن أبي صفراء[1] العتكي عاملاً على السند ، والهند فحاربه عيينة فسار حتى ورد السند فغلب عليها .

ذكر نكث الاصبهبذ

وفي هذه السنة نكث الاصبهبذ بطبرستان العهد بينه وبين المسلمين وقتل من كان ببلاده منهم ، فلما انتهى الخبر إلى المنصور سير مولاه أبا الخصيب، وخازم بن خزيمة، وروح بن حاتم فأقاموا على الحصن يحاصرونه وهو فيه وهم يقاتلونه فلما طال عليهم المقام احتال أبو الخصيب في ذلك فقال لأصحابه: اضربوني واحلقوا رأسي ولحيتي ففعلوا ذلك به ولحق بالاصبهبذ فقال له : فعل بي هذا تهمة منهم لي أن يكون هواي معك وأخبره أنه معه وانه دليل على عورة عسكرهم ، فقبل ذلك الاصبهبذ وجعله في خاصته وألطفه ، وكان باب حصنهم من حجر يلقى القاء يرفعه الرجال وتضعه عند

---

(١) في الطبري « حفص بن أبي صفرة » .

فتحه واغلاقه وكان الاصبهبذ يوكل به ثقات اصحابه نوباً بينهم فلما وثق الاصبهبذ إلى أبي الخصيب وكله بالباب فتولى فتحه واغلاقه حتى أنس به، ثم كتب أبو الخصيب الى روح ، وخازم وألقى الكتاب في سهم وأعلمهم أنه قد ظفر بالحيلة وواعدهم ليلة في فتح الباب ، فلما كان تلك الليلة فتح لهم فقتلوا من في الحصن من المقاتلة وسبوا الذرية وأخذوا شكلة أم ابراهيم بن المهدي، وكان مع الاصبهبذ سم فشربه فمات(١)، وقد قيل : ان ذلك سنة ثلاث واربعين ومائة .

ذكر عدة حوادث

وفيها مات سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ـ وهو على البصرة ـ في جُمادى الآخرة وعمره تسع وخمسون سنة وصلى عليه أخوه عبد الصمد.

وفيها عزل نوفل بن الفرات عن مصر ووليها حميد بن قحطبة ، وحج بالناس اسماعيل بن علي بن عبد الله ، وكان العمال من تقدم ذكرهم ، وولى المنصور الجزيرة ، والثغور والعواصم أخاه العباس بن محمد ، وعزل المنصور عمه اسماعيل ابن علي عن الموصل فاستعمل عليها مالك بن الهيثم الخزاعي جد أحمد بن نصير الذي قتله الواثق ـ وكان خير أمير .

وفيها مات يحيى بن سعيد الأنصاري أبو سعيد قاضي المدينة ، وقيل : سنة ثلاث ، وقيل : سنة أربع وأربعين .

وفيها ماتِ موسى بن عقبة مولى آل الزبير .

وفيها توفي أيضاً عاصم بن سليمان الأحول ، وقيل : سنة ثلاث وأربعين .

وفيها مات حميد بن أبي حميد طرخان ، وقيل : مهران مولى طلحة بن عبد الله الخزاعي ـ وهو حميد الطويل ـ يروي عن أنس بن مالك وعمره خمس وسبعون سنة .

---

(١) عبارة الطبري « فمص الأصبهبذ خاتماً له فيه سمّ فقتل نفسه » .

ثـم دخـلت سنــة ثــلاث
وأربعين ومائة

في هـذه السنة ثـار الديلم بـالمسلمين فقتلوا منهم مقتلة عظيمـة ، فبلغ ذلك المنصور فندب الناس إلى قتال الديلم وجهادهم ، وفيها عُزل الهيثم بن معاوية عن مكة ، والطائف وولي ذلك السري بن عبد الله بن الحرث بن العبـاس ـ وكان على اليمامة ـ فسار إلى مكة واستعمل المنصور على اليمامة قثم بن عباس بن عبد الله .

وفيها عزل حميد بن قحطبة عن مصر واستعمل عليها نوفل بن الفرات ثم عزل نوفل واستعمل عليها يزيد بن حاتم ، وحج بالناس هذه السنة عيسى بن مـوسى بن محمد بن علي بن عبد الله وكان إليه ولاية الكوفة ، وفيها ثار بالأندلس رزق بن النعمان الغساني على عبد الرحمن ، وكان رزق على الجزيرة الخضراء فاجتمع إليه خلق عظيم فسار إلى شذونة فملكها ودخل مدينة اشبيلية وعاجله عبد الرحمن فحصره فيها وضيق على من بها فتقربوا إليه بتسليم رزق إليه فقتله فآمنهم ورجع عنهم .

وفيها مات عبد الرحمن بن عطاء صاحب الشارعة ـ وهي نخل ـ وسليمان بن طرخان التيمي ، وأشعث بن سوار ، ومجالد بن سعيد .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائة

في هذه السنة سير أبو جعفر الناس من الكوفة ، والبصرة ، والجزيرة ، والموصل الى غزو الديلم واستعمل عليهم محمد بن أبي العباس السفاح .

وفيها رجع المهدي من خراسان الى العراق وبنى بريطة ابنة عمه السفاح ، وفيها حج المنصور واستعمل على عسكره والميرة خازم بن خزيمة .

ذكر استعمال رياح بن عثمان المري على المدينة ، وأمر محمد بن عبد الله بن الحسن

وفيها استعمل المنصور على المدينة رياح بن عثمان المري وعزل محمد بن خالد ابن عبد الله القسري عنها ، وكان سبب عزله وعزل زياد قبله أن المنصور أهمه أمر محمد ، وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وتخلفهما عن الحضور عنده مع من حضره من بني هاشم عام حج أيام السفاح سنة ست وثلاثين ، وذكر أن محمد بن عبد الله كان يزعم ان المنصور ممن بايعه ليلة تشاور بنو هاشم بمكة فيمن يعقدون له الخلافة حين اضطرب أمر مروان بن محمد ، فلما حج المنصور سنة ست وثلاثين سأل عنهما فقال له زياد بن عبيد الله الحرثي : ما يهمك من أمرهما ؟ أنا آتيك بهما وكان معه بمكة فرده المنصور إلى المدينة ، فلما استخلف المنصور لم يكن همه إلا أمر محمد والمسألة عنه وما يريد فدعا بني هاشم رجلاً رجلاً يسأله سراً عنه فكلهم يقول : قد علم أنك عرفته يطلب هذا الأمر فهو يخافك على نفسه وهو لا يريد لك خلافاً وما أشبه هذا الكلام إلا الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب فانه

أخبره خبره وقال له : والله ما آمن وثوبه عليك فإنه لا ينام عنك فأيقظ بكلامه من لا ينام ؛ فكان موسى بن عبد الله بن الحسن يقول بعد ذلك : اللهم اطلب الحسن بن زيد بدمائنا .

ثم ألح المنصور على عبد الله بن الحسن في احضار ابنه محمد سنة حج فقال عبد الله لسليمان بن علي بن عبد الله بن عباس : يا أخي بيننا من الصهر والرحم ما تعلم فما ترى ؟ فقال سليمان والله لكأنني أنظر إلى أخي عبد الله بن علي حين حال المنية بينه وبيننا وهو يشير إلينا هذا الذي فعلتم بي فلو كان عافياً عفا عن عمه ، فقبل عبد الله رأي سليمان وعلم أنه قد صدقه ولم يظهر ابنه ، ثم ان المنصور اشترى رقيقاً من رقيق الاعراب ، وأعطى الرجل منهم البعير ، والرجل البعيرين ، والرجل الذود وفرقهم في طلب محمد في ظهر المدينة ، وكان الرجل منهم يرد الماء كالمار وكالضال يسألون عنه ، وبعث المنصور عيناً آخر وكتب معه كتاباً على ألسن الشيعة إلى محمد يذكرون طاعتهم ومسارعتهم وبعث معه بمال والطاف، وقدم الرجل المدينة فدخل على عبد الله بن الحسن بن الحسن فسأله عن ابنه محمد فذكر له فكتم له خبره فتردد الرجل إليه وألح في المسألة فذكر أنه في جبل جهينة فقال له : امرر بعلي ابن الرجل الصالح الذي يدعى الأغر وهو بذي الابر فهو يرشدك فأتاه فأرشده ، وكان للمنصور كاتب على سره يتشيع فكتب إلى عبد الله بن الحسن يخبره بذلك العين.

فلما قدم الكتاب ارتاعوا له وبعثوا أبا هبار إلى محمد وإلى علي بن الحسن يحذرهما الرجل ، فخرج أبو هبار فنزل بعلي بن الحسن وأخبره ، ثم سار إلى محمد بن عبد الله في موضعه الذي هو به فاذا هو جالس في كهف ومعه جماعة من أصحابه وذلك العين معهم أعلاهم صوتاً وأشدهم انبساطاً ؛ فلما رأى أبا هبار خافه فقال أبو هبار لمحمد : لي حاجة فقام معه فأخبره الخبر قال : فما الرأي ؟ قال : أرى إحدى ثلاث قال : وما هي ؟ قال : تدعني أقتل هذا الرجل قال : ما أنا مقارف دما الا كرهاً قال : اثقله حديداً وتنقله معك حيث تنقلب قال : وهل لنا قرار مع الخوف والإعجال ؟ قال : نشده ونودعه عند بعض أهلك من جهينة قال : هذه إذاً فرجعا فلم يريا الرجل فقال محمد : أين الرجل ؟ قالوا : تركوه مهملاً وتوارى بهذا الطريق يتوضأ فطلبوه فلم يجدوه

فكأن الأرض التأمت عليه وسعى على قدميه حتى اتصل بالطريق فمر به الأعراب معهم حمولة إلى المدينة فقال لبعضهم : فرغ هذه الغرارة فادخلنيها أكن عدلاً لصاحبتها كذا وكذا ففعل وحمله حتى أقدمه المدينة ، ثم قدم على المنصور وأخبره خبره كله ونسي اسم أبي هبار وكنيته وقال : وبار ، فكتب أبو جعفر في طلب وبار المري فحمل إليه رجل اسمه وبر فسأله عن قصة محمد فحلف له أنه لا يعرف من ذلك شيئاً فأمر به وضرب سبعمائة سوط وحبس حتى مات المنصور ، ثم انه أحضر عقبة بن سلم الأزدي فقال : أريدك لأمر أنا به معنيّ لم أزل أرتاد له رجلاً عسى أن تكونه وان كفيتنيه رفعتك فقال : أرجو أن أصدق ظن أمير المؤمنين فيَّ قال : فاخف شخصك واستر أمرك وأتني يوم كذا وكذا في وقت كذا فأتاه ذلك الوقت فقال له : ان بني عمنا هؤلاء قد أبوا الا كيداً لملكنا واغتيالاً له ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم ويرسلون إليهم بصدقات أموالهم والطاف من ألطاف بلادهم فاخرج بكسى وألطاف وعين حتى تأتيهم متنكراً بكتاب تكتبه عن أهل هذه القرية ثم تعلم حالهم فإن كانوا نزعوا عن رأيهم فأحبب والله بهم وأقرب وإن كانوا على رأيهم علمت ذلك وكنت على حذر فاشخص حتى تلقى عبد الله بن الحسن متخشعاً ومتقشفاً فان جبهك ـ وهو فاعل ـ فاصبر وعاوده حتى يأنس بك ويلين لك ناحيته فإذا أظهر لك ما قبله فاعجل علي .

فشخص حتى قدم على عبد الله فلقيه بالكتاب فأنكره ونهره وقال : ما أعرف هؤلاء القوم فلم يزل يتردد إليه حتى قبل كتابه وألطافه وأنس به فسأله عقبة الجواب فقال : أما الكتاب فإني لا أكتب إلى أحد ولكن أنت كتابي إليهم فأقرئهم السلام واعلمهم انني خارج[1] لوقت كذا وكذا ، ورجع عقبة إلى المنصور فأعلمه الخبر ، فأنشأ المنصور الحج وقال لعقبة : إذا لقيني بنو الحسن فيهم عبد الله بن الحسن فأنا مكرمه ورافع محلته[2] وداع بالغداء فإذا فرغنا من طعامنا فلحظتك فامثل بين يديه قائماً فإنه سيصرف عنك بصره فاستدر حتى ترمز ظهره بابهام رجلك حتى يملأ عينه منك ثم حسبك وإياك أن يراك ما دام يأكل فخرج إلى الحج فلما لقيه بنو الحسن أجلس عبد الله إلى جانبه ثم دعا بالغداء فأصابوا منه ثم رفع فأقبل على عبد الله بن الحسن فقال له : قد

---

(١) في الطبري : « وأخبرهم أن ابنيّ خارجان ».
(٢) في الطبري « ورافع مجلسه » .

علمت ما أعطيتني من العهود والمواثيق أن لا تبغيني بسوء ولا تكيد لي سلطاناً قال : فأنا على ذلك يا أمير المؤمنين فلحظ المنصور عقبة بن سلم فاستدار حتى وقف بين يدي عبد الله فأعرض عنه فاستدار حتى قام وراء ظهره فغمزه باصبعه فرفع رأسه فملأ عينه منه فوثب حتى قعد بين يدي المنصور فقال : أقلني يا أمير المؤمنين اقالك الله قال : لا أقالني الله ان أقلتك ثم أمر بحبسه ، وكان محمد قد قدم قبل ذلك البصرة فنزلها في بني راسب يدعو إلى نفسه ، وقيل: نزل على عبد الله بن شيبان أحد بني مرة بن عبيد ثم خرج منها فبلغ المنصور مقدمه البصرة فسار إليها مجداً[1] فنزل عند الجسر الأكبر فلقيه عمرو بن عبيد فقال له : يا أبا عثمان هل بالبصرة أحد تخافه على أمرنا ، قال : لا قال : فاقتصر على قولك وانصرف قال : نعم ، وكان محمد قد سار عنها قبل مقدم المنصور فرجع المنصور واشتد الخوف على محمد ، وابراهيم ابني عبد الله فخرجا حتى أتيا عدن ثم سارا إلى السند ثم إلى الكوفة ثم إلى المدينة .

وكان المنصور قد حج سنة أربعين ومائة فقسم أموالاً عظيمة في آل أبي طالب فلم يظهر محمد ، وابراهيم فسأل أباهما عبد الله عنهما فقال : لا علم لي بهما فتغالظا فامصه أبو جعفر المنصور حتى قال له : امصص كذا وكذا من أمك فقال : يا أبا جعفر بأي أمهاتي تمصني أبفاطمة بنت رسول الله ﷺ ؟ أم بفاطمة بنت الحسين بن علي ؟ أم بأم إسحاق بنت طلحة ؟ أم بخديجة بنت خويلد ؟ قال : لا بواحدة منهن ولكن بالحرباء بنت قسامة بن زهير وهي امرأة من طيء ، فقال المسيب بن زهير : يا أمير المؤمنين دعني أضرب عنق ابن الفاعلة ، فقام زياد بن عبيد الله فألقى عليه رداءه وقال : هبه لي يا أمير المؤمنين فأستخرج لك ابنيه فتخلصه منه ، وكان محمد ، وابراهيم ابنا عبد الله قد تغيبا حين حج المنصور سنة أربعين ومائة عن المدينة ، وحج أيضاً فاجتمعوا بمكة وأرادوا اغتيال المنصور فقال لهم الأشتر عبد الله بن محمد : أنا أكفيكموه فقال محمد : لا والله لا أقتله أبداً غيلة حتى أدعوه لينقض ما كانوا أجمعوا عليه . وكان قد دخل عليهم قائد من قواد المنصور من أهل خراسان اسمه خالد بن حسان يدعى أبا العساكر على ألف رجل فنمى الخبر إلى المنصور فطلب فلم يظفر به فظفر بأصحابه فقتلهم ، وأما القائد

---

(١) في الطبري « مغذاً » وهو نوع من السير.

فإنه لحق بمحمد بن عبد الله بن محمد ، ثم ان المنصور حث زياد بن عبيد الله على طلب محمد ، وابراهيم فضمن له ذلك ووعده به ، فقدم محمد المدينة قدمة فبلغ ذلك زياداً فتلطف له وأعطاه الأمان على أن يظهر وجهه للناس فوعده محمد ذلك ، فركب زياد مع المساء ووعد محمداً سوق الظهر ، وركب محمد فتصايح الناس يا أهل المدينة المهدي المهدي فوقف هو ، وزياد، فقال زياد : أيها الناس هذا محمد بن عبد الله بن الحسن ثم قال له : الحق بأي بلاد الله شئت فتوارى محمد . وسمع المنصور الخبر فأرسل أبا الأزهر في جُمادى الآخرة سنة إحدى وأربعين ومائة إلى المدينة فأمره أن يستعمل على المدينة عبد العزيز بن المطلب وأن يقبض على زياد ، وأصحابه ويسير بهم إليه ، فقدم أبو الأزهر المدينة ففعل ما أمره وأخذ زياداً ، وأصحابه وسار نحو المنصور ، وخلف زياد في بيت مال المدينة ثمانين ألف دينار فسجنهم المنصور ثم منَّ عليهم بعد ذلك .

واستعمل المنصور على المدينة محمد بن خالد بن عبد الله القسري وأمره بطلب محمد بن عبد الله وبسط يده في النفقة في طلبه ، فقدم المدينة في رجب سنة إحدى وأربعين فأخذ المال ورفع في محاسبته أموالاً كثيرة أنفقها في طلب محمد فاستبطأه أبو جعفر واتهمه فكتب إليه يأمره بكشف المدينة وأعراضها فطاف ببيوت الناس فلم يجد محمداً . فلمّا رأى المنصور ما قد أخرج من الأموال ولم يظفر بمحمد استشار أبا العلاء[1] رجلاً من قيس عيلان في أمر محمد بن عبد الله، وأخيه فقال : أرى أن تستعمل رجلاً من ولد الزبير أو طلحة فإنهم يطلبونهما بزحل ويخرجونهما إليك فقال قاتلك الله ما أجود ما رأيت والله ما خفي عليَّ هذا ولكني أعاهد الله لا أنتقم من بني عمي وأهل بيتي بعدوي وعدوهم ولكني أبعث عليهم صعلوكاً من العرب يفعل بهم ما قلت ، فاستشار يزيد بن يزيد السلمي وقال له : دلني على فتى مُقِلٍّ من قيس أغنيه وأشرفه وأمكنه من سيد اليمن ـ يعني ابن القسري ـ قال : هو رياح بن عثمان بن حيان المري فسيره أميراً على المدينة في رمضان سنة أربع وأربعين ، وقيل : ان رياحاً ضمن للمنصور أن يخرج محمداً ، وابراهيم ابني عبد الله ان استعمله على المدينة فاستعمله عليها فسار حتى دخلها ، فلما دخل دار مروان وهي التي كان ينزلها الأمراء قال لحاجب

---

(١) في الطبري أبا السعلاء .

كان له يقال له : ابو البختري : هذه دار مروان ؟ قال نعم . قال : أما إنها محلال مظعان ونحن أول من يظعن منها .

فلمّا تفرق الناس عنه قال لحاجبه : يا أبا البختري خذ بيدي ندخل على هذا الشيخ - يعني عبد الله بن الحسن فدخلا عليه فقال رياح : أيها الشيخ إن أمير المؤمنين والله ما استعملني لرحم قريبة ولا ليد سلفت إليه والله لا لعبت بي كما لعبت بزياد ، وابن القسري والله لأزهقن نفسك او لتأتيني بابنيك محمد ، وابراهيم فرفع رأسه إليه وقال : نعم أما والله انك لأزيرق قيس المذبوح فيها كما تذبح الشاة ؛ قال : أبو البختري : فانصرف والله رياح آخذاً بيدي أجد برد يده وأن رجليه ليخطان الأرض مما كلمه قال : فقلت له إن هذا ما اطلع على الغيب فقال : إيهاً ويلك فوالله ما قال إلا ما سمع فذبح كما تذبح الشاة ، ثم انه دعا بالقسري وسأله عن الاموال وضربه وسجنه وأخذ كاتبه زراعاً وعاقبه فأكثر وطلب إليه أن يذكر ما أخذ محمد بن خالد من الأموال وهو لا يجيبه فلما طال عليه العذاب أجابه إلى ذلك فقال له رياح : احضر الرفيعة وقت اجتماع الناس ففعل ذلك ، فلما اجتمع الناس أحضره فقال : أيها الناس إن الأمير أمرني ان أرفع علي ابن خالدوقد كتب كتاباً خان فيه وإنّا لنشهدكم أن كل ما فيه باطل ، فأمر رياح فضرب مائة سوط ورد إلى السجن ، وجد رياح في طلب محمد فأخبر أنه في شعب من شعاب رضوي جبل جهينة - وهو من عمل ينبع - فأمر عامله في طلب محمد فهرب منه راجلاً فأفلت وله ابن صغير ولد في خوفه وهو مع جارية له فسقط من الجبل فقطع فقال محمد :

منخرقُ السّربالِ يشكو الوجى ... تنكُبُهُ أطرافُ مروٍ حِدَاد
قد كان في الموت له راحةٌ ... والموتُ حتمٌ في رقاب العباد
شرّدَهُ الخوفُ فأزرَى به ... كذاكَ مَنْ يَكْرهُ حَرَّ الجلاد

وبينا رياح يسير في الحرة إذ لقي محمداً فعدل محمد إلى بئر هناك فجعل يستقي فقال رياح : قاتله الله اعرابياً ما أحسن ذراعه .

ذكر حبس أولاد الحسن

قد ذكرنا قبل أن المنصور حبسهم ،وقد قيل أيضاً : إن رياحاً هو الذي حبسهم ،

قال علي بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي : حضرنا باب رياح في المقصورة فقال الآذن : من كان ههنا من بني الحسين فليدخل فدخلوا من باب المقصورة وخرجوا من باب مروان ثم قال : من ههنا من بني الحسن فليدخل فدخلوا من باب المقصورة ودخل الحدادون من بني مروان فدعا بالقيود فقيدهم وحبسهم .

وكانوا عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ، والحسن، وابراهيم ابني الحسن ابن الحسن، وجعفر بن الحسن بن الحسن ، وسليمان ، وعبدالله ابني داود بن الحسن بن الحسن ، ومحمداً واسماعيل واسحاق بني ابراهيم بن الحسن بن الحسن ، وعباس بن الحسن بن الحسن بن علي ، وموسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ، فلما حبسهم لم يكن فيهم علي بن الحسن بن الحسن بن علي العابد ، فلما كان الغد بعد الصبح وإذ قد أقبل رجل متلفف فقال له رياح : مرحباً بك ما حاجتك ؟ قال : جئتك لتحبسني مع قومي فإذا هو علي بن الحسن بن الحسن فحبسه معهم ، وكان محمد قد أرسل ابنه علياً إلى مصر يدعو إليه فبلغ خبره عامل مصر ، وقيل : انه على الوثوب بك والقيام عليك بمن شايعه فقبضه وأرسله إلى المنصور فاعترف له وسمى أصحاب أبيه ، وكان فيمن سمى عبد الرحمن بن أبي الوالي ، وأبو جبير فضربهما المنصور وحبسهما وحبس علياً فبقي محبوساً إلى أن مات ، وكتب المنصور إلى رياح أن يحبس معهم محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ـ المعروف بالديباج ـ وكان أخا عبد بن الحسن بن الحسن لان أمهما جميعاً فاطمة بنت الحسين بن علي فأخذه معهم ، وقيل : إن المنصور حبس عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي وحده وترك باقي أولاد الحسن فلم يزل محبوساً فبقي الحسن بن الحسن بن الحسن قد نصل خضابه حزناً على أخيه عبد الله ، وكان المنصور يقول : ما فعلت الحادة .

ومر الحسن بن الحسن بن الحسن على ابراهيم بن الحسن وهو يعلف إبلاً له فقال : أتعلف إبلك وعبد الله محبوس ؟ يا غلام أطلق عقلها فأطلقها ثم صاح في أدبارها فلم يوجد منها بعير ؛ فلما طال حبس عبد الله بن الحسن قال عبد العزيز بن سعيد للمنصور : أتطمع في خروج محمد ، وابراهيم وبنو الحسن مخلون ؟ والله للواحد منهم أهيب في صدور الناس من الأسد فكان ذلك سبب حبس الباقين .

ذكر حملهم إلى العراق

ولما حج المنصور سنة أربع وأربعين ومائة أرسل محمد بن عمران بن ابراهيم بن محمد بن طلحة ، ومالك بن أنس إلى بني الحسن وهم في الحبس يسألهم أن يدفعوا إليه محمداً ، وابراهيم ابني عبد الله فدخلا عليهم ـ وعبد الله قائم يصلي ـ فأبلغاهم الرسالة فقال الحسن بن الحسن أخو عبد الله : هذا عمل ابني المشؤومة أما والله ما هذا عن رأينا ولا عن ملامنا ولنا فيه حكم ، فقال له أخوه ابراهيم : علام تؤذي أخاك في ابنيه وتؤذي ابن أخيك في أمه ؟ ثم فرغ عبد الله من صلاته فأبلغاه الرسالة فقال : لا والله لا أرد عليكما حرفاً إن أحب أن يأذن لي فألقاه فليفعل ، فانطلق الرسولان فأبلغا المنصور فقال : أيسخر بي ؟ لا والله لا ترى عينه عيني حتى يأتيني بابنيه وكان عبد الله لا يحدث أحداً قط إلا قلبه عن رأيه .

ثم سار المنصور لوجهه فلما حج ورجع لم يدخل المدينة ومضى إلى الربذة فخرج إليه رياح إلى الربذة فرده إلى المدينة وأمره بإشخاص بني الحسن إليه ومعهم محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أخو بني الحسن لأمهم ، فرجع رياح فأخذهم وسار بهم إلى الربذة وجعلت القيود والسلاسل في أرجلهم وأعناقهم وجعلهم في محامل بغير وطاء ، ولما خرج بهم رياح من المدينة وقف جعفر بن محمد من وراء ستر يراهم ولا يرونه وهو يبكي ودموعه تجري على لحيته وهو يدعو الله ثم قال : والله لا يحفظ الله حرميه بعد هؤلاء ، ولما ساروا كان محمد، وابراهيم ابنا عبد الله يأتيان كهيئة الاعراب فيتساران مع أبيهما ويستأذنان بالخروج ويقول : لا تعجلا حتى يمكنكما ذلك وقال لهما : إن منعكما أبو جعفر ـ يعني المنصور ـ أن تعيشا كريمين فلا يمنعكما أن تموتا كريمين ، فلما وصلوا إلى الربذة أدخل محمد بن عبد الله العثماني على المنصور وعليه قميص وازار رقيق فلما وقف بين يديه قال : إيهاً ياديوث قال محمد : سبحان الله لقد عرفتني بغير ذلك صغيراً وكبيراً قال : فممن حملت ابنتك رقية ؟ ـ وكانت تحت ابراهيم بن عبدالله بن الحسن ـ وقد أعطيتني الأيمان أن لا تغشني ولا تمالىء علي عدواً أنت ترى ابنتك حاملاً وزوجها غائب وأنت بين أن تكون حانثاً أو ديوثاً وايم الله اني لأهم برجمها ، قال محمد : أما أيماني فهي علي إن كنت دخلت لك في أمر غش

علمته ، وأما ما رميت به هذه الجارية فإن الله قد أكرمها بولادة رسول الله ﷺ إياها ولكني ظننت حين ظهر حملها أن زوجها ألم بها على حين غفلة .

فاغتاظ المنصور من كلامه وأمر بشق ثيابه عن ازاره فحكى أن عورته قد كشفت ثم أمر به فضرب خمسين ومائة سوط فبلغت منه كل مبلغ ـ والمنصور يفتري عليه لا يكني[١] فأصاب سوط منها وجهه فقال : ويحك اكفف عن وجهي فان له حرمة برسول الله ﷺ فأغرى المنصور فقال للجلاد : الرأس الرأس فضرب على رأسه نحواً من ثلاثين سوطاً ، وأصاب إحدى عينيه سوط فسالت ، ثم اخرج وكأنه زنجي من الضرب وكان من أحسن الناس وكان يسمى الديباج لحسنه ـ فلما أخرج وثب إليه مولى له فقال : ألا أطرح ركاني[٢] عليك ؟ قال : بلى ، جزيت خيراً والله إنك لشفوف ازاري أشد علي من الضرب .

وكان سبب أخذه أن رياحاً قال للمنصور: يا أمير المؤمنين أما أهل خراسان فشيعتك ، وأما أهل العراق فشيعة آل أبي طالب . وأما أهل الشام فوالله ما علي عندهم إلا كافر ولكن محمد بن عبد الله العثماني لو دعا أهل الشام ما تخلف عنه منهم أحد فوقعت في نفس المنصور فأمر به فأخذ معهم وكان حسن الرأي فيه قبل ذلك ، ثم إن أبا عون كتب إلى المنصور أن أهل خراسان قد تغاشوا عني وطال عليهم أمر محمد بن عبد الله فأمر المنصور بمحمد بن عبد الله بن عمرو العثماني فقتل وأرسل رأسه إلى خراسان وأرسل معه من يحلف أنه رأس محمد بن عبد الله وأن أمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، فلما قتل قال أخوه عبد الله بن الحسن : إنا لله وإنا إليه راجعون إن كنا لنأمن به في سلطانهم ثم قد قتل بنا في سلطاننا ، ثم ان المنصور أخذهم وسار بهم من الربذة فمر بهم على بغلة شقراء فناداه عبد الله بن الحسن : يا أبا جعفر ما هكذا فعلنا بأسرائكم يوم بدر فأخسأه أبو جعفر وثقل عليه ومضى ، فلما قدموا إلى الكوفة قال عبد الله لمن معه : أما ترون في هذه القرية من يمنعنا من هذه الطاغية ؟ قال: فلقيه الحسن، وعلي ابنا أخيه مشتملين على سيفين فقالا له : قد جئناك يا ابن رسول الله فمرنا بالذي تريد قال : قد قضيتما ما عليكما ولن تغنيا في هؤلاء شيئاً فانصرفا .

---

(١) في الطبري « ولا ينكى »

(٢) في الطبري « الوثك بردائي ».

ثم ان المنصور أودعهم بقصر ابن هبيرة شرقي الكوفة ، وأحضر المنصور محمد ابن ابراهيم بن الحسن ـ وكان أحسن الناس صورة ـ فقال له : أنت الديباج الأصغر ؟ قال : نعم .قال : لأقتلنَّك قتلة لم أقتلها أحداً ثم أمر به فبنى عليه اسطوانة وهو حي فمات فيها ، وكان ابراهيم بن الحسن أول من مات منهم ، ثم عبد الله بن الحسن فدفن قريباً من حيث مات فإن يكن في القبر الذي يزعم الناس أنه قبره وإلا فهو قريب منه ، ثم مات علي بن الحسن ، وقيل : إن المنصور أمر بهم فقتلوا ، وقيل : بل أمر بهم فقتلوا ، وقيل : بلِ أمر بهم فسقوا السم ، وقيل : وضع المنصور على عبد الله من قال له :ان ابنه محمداً قد خرج فقتل فانصدع قلبه فمات ؛ والله أعلم ، ولم ينج منهم إلا سليمان ، وعبد الله ابنا داود بن الحسن بن الحسن بن علي ، واسحاق واسماعيل ابنا ابراهيم بن الحسن بن الحسن ، وجعفر بن الحسن وانقضى امرهم .

ذكر عدة حوادث

كان على مكة هذه السنة السري بن عبد الله ؛ وعلى المدينة رياح بن عثمان ، وعلى الكوفة عيسى بن موسى ؛ وعلى البصرة سفيان بن معاوية ، وعلى مصر يزيد بن حاتم بن قتيبة بن المهلب بن أبي صفرة ـ وهو الذي قال فيه يزيد بن ثابت يمدحه ويهجو يزيد بن أسيد السلمي : ـ

لشتان ما بين اليزيدين في الندى ... يزيد سليم والأغر بن حاتم

في أبيات كثيرة ـ وكان ممدحاً جواداً ـ ، وفيها ثار هشام بن عذرة الفهري وهو من بني عمرو ، ويوسف بن عبد الرحمن الفهري بطليطلة على الأمير عبد الرحمن الأموي فاتبعه من فيها فسار إليه عبد الرحمن فحاصره وشدد عليه الحصار فمال إلى الصلح وأعطاه ابنه أفلح رهينة فأخذه عبد الرحمن ورجع إلى قرطبة فرجع هشام وخلع عبد الرحمن فعاد إليه عبد الرحمن وحاصره ونصب عليه المجانيق فلم يؤثر فيها لحصانتها فقتل أفلح ابنه ورمى رأسه في المنجنيق ورحل إلى قرطبة ولم يظفر بهشام .

وفيها مات عبد الله بن شبرمة ، وعمرو بن عبيد المعتزلي ـ وكان زاهداً ـ وبريد بن أبي مريم مولى سهل بن الحنظلية ، وعقيل بن خالد الأيلي صاحب الزهري وكان موته بمصر فجأة ـ ومحمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي أبو الحسن المدني ، وهاشم ابن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المدني (بُـريد) بضم البـاء الموحـدة وفتح الـراء المهملة ، و(عُقَيل) بضم العين المهملة وفتح القاف .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائة

ذكر ظهور محمد بن عبدالله بن الحسن

في هذه السنة كان ظهورُ محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب بالمدينة لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة ، وقيل : رابع عشر شهر رمضان ، قد ذكرنا فيما تقدّم أخباره وتبعته ، وحمل المنصور أهله إلى العراق ، فلما حملهم وسار بهم ردّ رياحاً إلى المدينة أميراً عليها ، فألحَّ في طلب محمد ، وضيق عليه ، وطلبه حتى سقط ابنه فمات ، وأرهقه الطلبُ يوماً فتدلّى في بئرٍ بالمدينة يناول أصحابه الماء وانغمس في الماء إلى حلقه وكان بَدَنُهُ لا يخفى لعظمه ، وبلغ رياحاً خبرُ محمد وأنه بالمذار فركب نحوه في جنده ، فتنحى محمد عن طريقه واختفى في دار الجهنية ، فحيث لم يره رياح رجع إلى دار مروان ، وكان الذي أعلم رياحاً سليمان بن عبدالله بن أبي سبرة ، فلما اشتدَّ الطلب بمحمد خرج قبل وقته الذي واعد أخاه إبراهيم على الخروج فيه ، وقيل : بل خرج محمد لميعاده مع أخيه ، وإنما أخوه تأخر لجدريّ لحقه ، وكان عبيدالله بن عمرو بن أبي ذئب وعبد الحميد بن جعفر يقولان لمحمد بن عبدالله : ما تنتظره بالخروج فوالله ما على هذه الأمة أشأم منك ، اخرج ولو وجدك فتحرك بذلك ايضاً ، وأتى رياحاً الخبر أن محمداً خارجُ الليلة ، فأحضر محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد قاضي المدينة والعباس بن عبدالله بن الحرث بن العباس وغيرهما عنده فصمت طويلاً ثم قال لهم : يا أهلَ المدينة أميرُ المؤمنين يطلب محمداً في شرق الأرض وغربها ، وهو بين أظهركم ، وأقسم بالله لئن خرج لأقتلنكم أجمعين .

وقال لمحمد بن عمران : أنت قاضي أمير المؤمنين فادع عشيرتك فأرسل تجمع بني زهرة ، فأرسل ، فجاؤوا في جمع كثير فأجلسهم بالباب ، فأرسل فأخذ نفراً من

العلويين وغيرهم ، فيهم جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، والحسين بن علي بن الحسين بن علي ، والحسن بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي، ورجال من قريش فيهم إسماعيل بن أيوب بن سلمة بن عبدالله بن الوليد بن المغيرة ، وابنه خالد ، فبينما هم عنده إذ ظهر محمد فسمعوا التكبير فقال ابن مسلم بن عقبة المري وكان مع رياح : أطعني في هؤلاء واضرب أعناقهم ، فقال لـه الحسين بن علي بن الحسين بن علي : والله ما ذاك إليك أنـا لعلى السمع والـطاعة ، وأقبـل محمد من المذار[1] في مائة وخمسين[2] رجلاً فأتى في بني سلمة بهؤلاء تفاؤلاً بالسلامة وقصد السجن ، فكسـر بابـه ، وأخـرج من فيه ، وكـان فيهم محمـد بن خـالـد بن عبدالله القسري ، وابن اخ النذير بن يزيد ، ورزام فأخرجهم ، وجعل على الرجالة خوّات بن بكير بن خوّات بن جبير ، وأتى دار الإمارة وهو يقول لأصحابه : لا تقتلوا إلّا أن يقتلوا فامتنع منهم رياح ، فدخلوا من باب المقصورة وأخذوا رياحاً أسيراً ، وأخاه عباساً وابن مسلم بن عقبة المري فحبسهم في دار الإمارة ، ثم خرج إلى المسجد ، فصعد المنبر ، فخطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإنه قد كان من أمر هذا الطاغية عدو الله أبي جعفر ما لم يخف عليكم من بنائه القبة الخضراء التي بناها معاندةً لله في ملكه وتصغيراً للكعبة الحرام ، وإنما أخذ الله فرعون حين قال : أنا ربكم الأعلى ، وإن أحق الناس بالقيام في هذا الدين أبناء المهاجرين والأنصار المواسين ، اللهم إنهم لأحلّوا حرامَك وحرّموا حلالَك وأمنوا من أخفت وأخافوا من أمنت ، اللهم فاحصِهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً ، أيها الناس إني والله ما خرجت بين أظهركم وأنتم عندي أهل قوةٍ ولا شدةٍ ، ولكني اخترتكم لنفسي ، والله ما جئت هذه وفي الأرض مصر يعبد الله فيه إلّا وقد أخذ لي فيه البيعة ، وكان المنصور يكتب إلى محمد على ألسن قواده يدعونه إلى الظهور ويخبرونه أنهم معه فكان محمد يقوله، ويقول: لو التقينا مال إلى القواد كلهم. واستولى محمد على المدينة، واستعمل عليها عثمان بن محمـد بن خالـد بن الزبيـر ، وعلى قضائهـا عبـد العـزيـز بن المـطلب بن عبدالله المخزومي ، وعلى بيت السلاح عبد العزيز الدراوردي ، وعلى الشـرط أبا القلمس

---

(١) في الطبري « من المذاد » بالدال المهملة في آخره .
(٢) في الطبري « ومعه مائتان وخمسون » .

عثمان بن عبيدالله بن عمر بن الخطاب ، وعلى ديوان العطاء عبدالله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسوّر بن مخرمة ، وقيل : كان على شرطته عبد الحميد بن جعفر فعزلهُ .

وأرسل محمد إلى محمد بن عبد العزيز إني كنت لأظنَّك ستنصرنا وتقوم معنا ، فاعتذرَ إليه وقال : أفعل ، ثم انسلّ منه وأتى مكةَ ، ولم يتخلف عن محمد أحدٌ من وجوهِ الناس إلّا نفر منهم الضحاك بن عثمان بن عبدالله بن خالد بن حزام ، وعبدالله بن المنذر بن المغيرة بن عبدالله بن خالد ، وأبو سلَمة بن عبيدالله بن عبيدالله بن عمر ، وحبيب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير . وكان أهل المدينة قد استفتوا مالك بن أنس في الخروج مع محمد وقالوا : إن في أعناقنا بيعة لأبي جعفر فقال : إنما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين فأسرع الناس إلى محمد ولزم مالك بيته ، فأرسل محمد إلى إسماعيل بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ـ وكان شيخاً كبيراً ـ فدعاه إلى بيعته فقال : يا ابن أخي أنت والله مقتول ، فكيف أبايعك ؟ فارتدع الناس عنه قليلاً ، وكان بنو معاوية بن عبدالله بن جعفر قد أسرعوا إلى محمد ، فأتت حمادة بنت معاوية إلى إسماعيل بن عبدالله وقالت له : يا عم إن إخوتي قد أسرعوا إلى ابن خالهم ، وإنك إن قلت هذه المقالة ثبطت الناس عنه فيقتل ابن خالي ، وإخوتي ، فأبى إسماعيل إلّا النهي عنه ، فيقال : إن حمادة عدت عليه فقتلته ، فأراد محمد الصلاة عليه فمنعه عبدالله بن إسماعيل وقال : أتأمر بقتل أبي وتصلي عليه ؟ فنحاه الحرس وصلى عليه محمد .

ولما ظهر محمد كان محمد بن خالد القسري بالمدينة في حبس رياح فأطلقه ، وقال ابن خالد : فلما سمعت دعوته التي دعا إليها على المنبر قلت : هذه دعوة حق والله لأبلينّ لله فيها بلاء حسناً فقلت : يا أمير المؤمنين إنك قد خرجت بهذا البلد ، والله لو وقف على نقب من أنقابه أحد مات أهله جوعاً وعطشاً ، فانهض معي فإنما هي عشر حتى أضربه بمائة ألف سيف ، فأبى عليّ . فبينا أنا عنده إذ قال : ما وجدنا من خير المتاع شيئاً أجود من شيء وجدناه عند ابن أبي فروة ختن أبي الخصيب وكان انتهبه ، قال : فقلت ألا أراك قد أبصرت خير المتاع ، فكتبت إلى المنصور فأخبرته بقلّة من معه ، فأخذني محمد ، فحبسني حتى أطلقني عيسى بن موسى بعد قتله

بـأيام ، وكـان رجل من آل أويس بن ابي سـرح العامـري عـامـر بن لؤي ، اسمـه الحسين بن صخر بالمدينة لما ظهر محمد سار من ساعته إلى المنصور فبلغه في تسعة أيام ، فقدم ليلاً فقام على أبواب المدينة فصاح حتى علموا به وأدخلوه ، فقال الربيع : ما حاجتك في هذه الساعة وأمير المؤمنين نائم ؟ قال : لا بد لي منه .

فدخل الربيع على المنصور ، فأخبره خبره وأنه قد طلب مشـافهته ، فـأذن له فدخل عليه فقال : يا أمير المؤمنين خرج محمد بن عبدالله بالمدينة قال : قتلته والله إن كنت صادقاً ، أخبرني من معه ، فسمّى له من معه من وجوه أهل المدينة وأهل بيته قال : أنت رأيته وعاينته ، قال : أنا رأيته وعاينته وكلمته على منبر رسول الله ﷺ جالساً ، فأدخله أبو جعفر بيتاً ، فلما أصبح جاء رسول لسعيد بن دينار غلام عيسى بن موسى يلي أمواله بالمدينة ، فأخبره بأمر محمد وتواترت عليه أخباره ، فأخرج الأويسي فقال : لأوطئنّ الرجال عقبيك ولأعيننك ، فأمر له بتسعةِ آلاف درهمٍ لكـل ليلةٍ ألفُ درهم وأشفق من محمد ، فقال له الحارثي المنجم : يا أمير المؤمنين ما يُجزعكَ منه ؟ والله لو ملك الأرض ما لبث إلّا تسعين يوماً ، فأرسل المنصور إلى عمه عبدالله بن علي ـ وهو محبوسٌ ـ إنّ هذا الرجل قد خرج فإن كان عندك رأي فأشر به علينـا ـ وكان ذا رأي عندهم ـ فقال : إن المحبوس محبوس الرأي ، فأرسل إليه المنصور لو جاءني حتى يضرب بابي ما أخرجتك ، وأنا خير لك منه وهو ملك أهل بيتك ، فأعاد عليه عبدالله ، ارتحل الساعة حتى تأتي الكـوفة فـاجثم على أكنافهم فـإنهم شيعة أهـل هذا البيت وأنصاره ، ثم احففها بالمسالح فمن خرج منها إلى وجه من الوجوه أو أتاها من وجه من الوجوه فاضرب عنقه ؛ وابعث إلى سلم بن قتيبة يتحدر إليك ـ وكان بالري ـ واكتب إلى أهل الشام ، فمرْهم أن يحملوا إليك من أهل البأس والنجدة ما حمل البريد ، فأحسن جوائزهم ، ووجههم مع سلم ، ففعل ، وقيل : أرسل المنصور إلى عبدالله مع إخوته يستشيرونه في أمر محمد وقال لهم : لا يعلم عبدالله أني أرسلتكم إليه ، فلما دخلوا عليه قال : لأمر ما جئتم ما جاء بكم جميعاً وقد هجرتموني مذ دهرٍ ؟ قالوا : إنّا استأذنّا أمير المؤمنين ، فأذن لنا قال : ليس هذا بشيء فما الخبر ؟ قالوا : خرج محمـد بن عبدالله قال : فما ترون ابن سلامة صانعاً ـ يعني المنصور ـ قالوا : لا ندري والله قال : إن البخل قد قتله ، فمروه ، فليخرج الأموال وليعط الأجناد ، فإن غلب فما أسرع ما يعود إليه ماله وإن غلب لم يقدم صاحبه على دينار ولا درهم .

ولما ورد الخبر على المنصور بخروج محمد كان المنصور قد خطّ مدينة بغداد بالقصب ، فسار إلى الكوفة ومعة عبدالله بن الربيع بن عبيدالله بن عبد المدان فقال له المنصور : إن محمداً قد خرج بالمدينة ، فقال عبدالله : هلك وأهلك ، خرج في غير عدد ولا رجال . حدثني سعيد بن عمرو بن جعدة المخزومي قال : كنت مع مروان يوم الزاب واقفاً فقال لي مروان : من هذا الذي يقاتلني ؟ قلت : عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس قال : وددت والله أن علي بن أبي طالب يقاتلني مكانه ، إن علياً وولده لا حظّ لهم في هذا الأمر، وهل هو إلّا رجل من بني هاشم وابن عم رسول الله معه ريح الشام ونصر الشام ، يا ابن جعدة تدري ما حملني أن عقدت لعبدالله وعبيدالله بعدي وتركت عبد الملك وهو أكبر من عبيدالله ؟ قال ابن جعدة : لا . قال : وجدت الذي يلي هذا الأمر عبدالله وعبيدالله وكان عبيدالله أقرب إلى عبدالله من عبد الملك فعقدت له ، فاستحلفه المنصور على صحة ذلك ، فحلف له ، فسرى عنه .

ولما بلغ المنصور خبر ظهور محمد قال لأبي أيوب وعبد الملك : هل من رجلٍ تعرفانه بالرأي يجمع رأيه إلى رأينا ؟ قالا : بالكوفة بديل بن يحيى ـ وكان السفاح يشاوره ـ فأرسل إليه وقال له : إن محمداً قد ظهر بالمدينة قال : فاشحن الأهواز بالجنود ، قال : إنه ظهر بالمدينة ، قال : قد فهمت ، وإنما الأهوازُ الباب الذي تؤتون منه ، فلما ظهر إبراهيم بالبصرة قال له المنصور ذلك ، قال : فعاجله بالجنود وأشغل الأهواز عليه ، وشاور المنصور أيضاً جعفر بن حنْظَلة البهراني عند ظهور محمد ، فقال : وجِّه الجنود إلى البصرة ، قال : انصرف حتى أرسلَ إليك .

فلما صار إبراهيم إلى البصرة أرسل إليه ، فقال له ذلك ، فقال : إني خفت بادرة الجنود ، قال : وكيف خفت البصرة ؟ قال : لأن محمداً ظهر بالمدينة وليسوا أهل الحرب بحسبهم أن يقيموا شأن أنفسهم ، وأهل الكوفة تحت قدمك ، وأهل الشام أعداء آل أبي طالب فلم يبق إلّا البصرة ، ثم إن المنصور كتب إلى محمد : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا ، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، أو ينفوا من الأرض ﴾[1] الآيتين . ولك عهد الله وميثاقه وذمة رسوله أن أؤمنك ، وجميع ولدك ، وإخوتك ،

---

(١) المائدة ٣٣ .

وأهل بيتك ، ومن اتّبعكم ، على دمائكم ، وأموالكم ، وأسوغك ما أصبت من دم ، أو مال ، وأعطيك ألف ألف درهم وما سألت من الحوائج ، وأنزلك من البلاد حيث شئت ، وأن أطلق من في حبسي من أهل بيتك ، وأن أؤمن كل من جاءك وبايعك واتّبعك أو دخل في شيء من أمرك ، ثم لا أتّبع أحداً منهم بشيء كان منه أبداً ، فإن أردت أن تتوثق لنفسك فوجّه إليّ من أحببت يأخذ لك مني الأمان والعهد والميثاق ما تتوثق به والسلام . فكتب إليه محمد ﴿ طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقومٍ يؤمنون ـ إلى ـ يحذرون ﴾[1] وأنا أعرض عليك من الأمان مثل ما عرضت علي ، فإن الحق حقّنا ، وإنما ادعيتم هذا الأمر بنا ، وخرجتم له بشيعتنا ، وحظيتم بفضله فإن أبانا علياً كان الوصي ، وكان الإمام ، فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ، ثم قد علمت أنه لم يطلب الأمر أحد مثل نسبنا وشرفنا وحالنا وشرف آبائنا ، لسنا من أبناء اللعناء ولا الطرداء ولا الطلقاء ، وليس يمت أحد من بني هاشم بمثل الذي نمت به من القرابة ، والسابقة ، والفضل .وإنا بنو أم رسول الله ﷺ فاطمة بنت عمرو في الجاهلية وبنو بنته فاطمة في الإسلام دونكم ، إن الله اختارنا واختار لنا ، فوالدنا من النبيين محمد أفضلهم ، ومنهم السلف أولهم إسلاماً علي ، ومن الأزواج أفضلهن خديجة الطاهرة وأول من صلى إلى القبلة ، ومن البنات خيرهنّ فاطمة سيدة نساء العالمين وأهل الجنة ، ومن المولودين في الإسلام حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة ، وأن هاشماً ولد علياً مرتين ، وأن عبد المطلب ولد حسناً مرتين وأن رسول الله ﷺ ولدني مرتين من قبل حسن وحسين ، وإني أوسط بني هاشم نسباً وأصرحهم أباً ، لم تعرف في العجمة ولم تنازع في أمهات الأولاد فما زال الله يختار لي الآباء والأمهات في الجاهلية والإسلام حتى اختار لي في الأشرار ، فأنا ابن أرفع الناس درجةً في الجنة ، وأهونهم عذاباً في النار ؛ ولك الله على أن دخلت في طاعتي وأجبت دعوتي أن أؤمنك على نفسك ومالك، وعلى كل أمرٍ أحدثته إلّا حداً من حدود الله ، أو حقاً لمسلم ، أو معاهد فقد علمت ما يلزمني من ذلك ، وأنا أولى بالأمر منك ، وأوفى بالعهد لأنك أعطيتني من الأمان والعهد ما أعطيته رجالاً قبلي ، فأي الأمانات تعطيني ؟ أمان ابن هبيرة ، أم أمان عمك عبدالله بن علي ، أم أمان أبي مسلم ؟

---

(١) القصص : ١ ـ ٦ .

فلما ورد كتابه على المنصور قال له أبو أيوب الموريـاني :دعني أجبه عليه قال : إلا إذا تقارعنا على الأحساب فدعني وإياه ، ثم كتب إليه المنصور : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فقد بلغني كلامك وقرأت كتابك ، فإذا جلّ فخرك بقرابة النساء لتضل به الجفاة والغوغاء ؛ ولم يجعل الله النساء كالعمومة والآباء ولا كالعصبة والأولياء ، لأن الله جعل العم أباً وبدأ به في كتابه على الوالدة الـدنيـا، ولو كان اختار الله لهن على قدر قرابتهن كانت آمنة أقربهن رحماً وأعظمهن حقاً وأول من يدخل الجنة غداً ولكن اختار الله لخلقه على علمه فيما مضى منهم واصطفاه لهم، وأما ما ذكرت من فاطمة أم أبي طالب وولادتها فإن الله لم يرزق أحداً من ولدها الإسلام لا بنتاً ولا ابناً، ولو أن رجلاً رزق الإسلام بالقرابة رزقه عبدالله ولكان أولاهم بكل خير في الدنيا والآخرة ، ولكن الأمر لله يختار لدينه من يشاء . قال الله تعالى : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾[١] ولقد بعث محمداً ﷺ وله عمومة أربعة فأنزل الله عز وجل ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾[٢] فأنذرهم ودعاهم فأجـاب اثنان ، أحدهما أبي ، وأبى اثنان أحدهما أبوك فقطع الله ولايتهما منه ولم يجعل بينه وبينهما إلا ولا ذمة ولا ميراثاً ، وزعمت أنك ابن اخف أهل النار عذاباً وابن خير الأشرار وليس في الكفر بالله صغير ، ولا في عذاب الله خفيف ولا يسير ، وليس في الشر خيار ولا ينبغي لمؤمن يؤمن بالله أن يفخر بالنار ، وسترد فتعلم ﴿ وسيعلم الذين ظلموا ﴾[٣] الآية ، وأما أمر حسن وأن عبد المطلب ولده مرتين وأن النبي ﷺ ولدك مرتين فخير الأولين والآخرين رسول الله ﷺ لم يلده هاشم إلا مرة ولا عبد المطلب إلاّ مرة .

وزعمت أنك أوسط بني هاشم وأصرحهم أماً وأباً وأنه لم يلدك العجم ولم تعرف فيك أمهات الأولاد ، فقد رأيتك فخرت على بني هاشم طراً فانظر ، ويحك ، أين أنت من الله غداً ؟ فإنك قد تعديت طورك وفخرت على من هو خير منك نفساً وأباً وأولاداً وأخاً إبراهيم بن رسول الله ﷺ ، وما خيار بني أبيـك خـاصة وأهل الفضل منهم إلاّ بنو أمهات الأولاد، ما ولد فيكم بعد وفاة رسول الله ﷺ أفضل من علي بن الحسين وهو لأم

---

(١) القصص ٥٦ .

(٢) الشعراء ٢١٤ .

(٣) الشعراء ٢٢٧ .

ولد ولهو خير من جدك حسن بن حسين ؛ وما كان فيكم بعده مثل محمد بن علي وجدته أم ولد ولهو خير من أبيك ، ولا مثل ابنه جعفر وجدته أم ولد ، وهو خير منك ، وأما قولك : إنكم بنو رسول الله ﷺ فإن الله تعالى يقول في كتابه : ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ﴾[1] ولكنكم بنو بنته ، وإنها لقرابة قريبة ولكنها لا يجوز لها الميراث ولا ترث الولاية ولا يجوز لها الإمامة فكيف تورث بها ، ولقد طلبها أبوك بكل وجهٍ ، فأخرجَ فاطمة نهاراً ومرضها سراً ودفنها ليلاً ، فأبى الناس إلاّ الشيخين ، ولقد جاءت السنة التي لا اختلاف فيها من المسلمين أن الجد أبا الأم والخال والخالة لا يورثّون ، وأمّا ما فخرت به من علي وسابقته فقد حضرت رسول الله ﷺ الوفاة ، فأمر غيره بالصلاة ثم أخذ الناس رجلاً بعد رجل فلم يأخذوه ، وكان في الستة فتركوه كلهم دفعاً له عنها ولم يروا له حقاً فيها ، وأما عبد الرحمن فقدم عليه عثمان وهو له متهم وقاتله طلحة والزبير ، وأبى سعد بيعته فأغلق بابه دونه ثم بايع معاوية بعده ، ثم طلبها بكل وجه وقاتل عليها وتفرق عنه أصحابه ، وشك فيه شيعته قبل الحكومة ثم حكم حكمين رضي بهما وأعطاهما عهد الله وميثاقه ، فاجتمعا على خلعه . ثم كان حسن فباعها من معاوية بخرق ودراهم ولحق بالحجاز وأسلم شيعته بيد معاوية ، ودفع الأمر إلى غير أهله وأخذ مالاً من غير ولاية ولا حِلَّة ، فإن كان لكم فيها شيء فقد بعتموه وأخذتم ثمنه ، ثم خرج عمك حسين على ابن مرجانة[2] فكان الناس معه عليه حتى قتلوه وأتوا برأسه إليه .

ثم خرجتم على بني أمية ، فقتلوكُم وصلبوكُم على جذوع النخل ، وأحرقوكم بالنيران ، ونفوكم من البلدان حتى قُتل يحيى بن زيد بخراسان ، وقتلوا رجالكم وأسروا الصبية والنساء ، وحملوهم بلا وطء في المحامل كالسبي المجلوب إلى الشام ، حتى خرجنا عليهم فطلبنا بثأركم ، وأدركنا بدمائكم ، وأورثناكم أرضهم وديارهم ، وسنّينا سلفكم ، وفضّلناه فاتخذتَ ذلك علينا حجة ، وظننت أنا إنما ذكرنا أباك للتقدمة مناله على حمزة ، والعباس ، وجعفر وليس ذلك كما ظننت ، ولكن خرج هؤلاء من الدنيا سالمين متسلماً منهم مجتمعاً عليهم بالفضل ، وابتلى أبوك بالقتال والحرب ،

---

(١) الأحزاب ٤٠ .

(٢) : هو عبيدالله بن زياد .

وكانت بنو أمية تلعنه كما تلعن الكفرة في الصلاة المكتوبة فاحتججنا وذكّرناهم فضله ، وعنّفناهم وظلمناهم بما نالوا منه ، فلقد علمت أن مكرمتنا في الجاهلية سقاية الحاج الأعظم وولاية زمزمَ فصارت للعباس من بين إخوته ، فنازعنا فيها أبوك فقضى لنا عليه عمر ، فلم نزل نليها في الجاهلية والإسلام . ولقد قحط أهل المدينة فلم يتوسل عمر إلى ربه ولم يتقرب إليه إلّا بأبينا حتى يغيثهم الله ، فسقاهم الغيث وأبوك حاضر لم يتوسل به ، ولقد علمت أنه لم يبق أحد من بني عبد المطلب بعد النبي ﷺ غيره ، فكانت وراثة من عمومته ، ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بني هاشم فلم ينله إلا ولده فالسقاية سقايته وميراث النبي له والخلافة في ولده ، فلم يبق شرف ولا فضل في جاهلية ولا إسلام في الدنيا والآخرة إلّا والعباس وارثه ومورثه .

وأما ما ذكرت من بدرٍ فإن الإسلام جاء ، والعباس يمون أبا طالب وعياله وينفق عليهم للأزمة التي أصابته ، ولولا أن العباس أخرج إلى بدر كارهاً لمات طالب وعقيل جوعاً ، وللحسا أجفان عتبة وشيبة ، ولكنه كان من المطعِمِين ، فأذهب عنكم العار والسّبة وكفاكم النفقة والمؤونة ، ثم فدى عقيلاً يوم بدر ، فكيف تفخر علينا وقد علْناكم في الكفر ، وفديناكم وجزنا عليكم مكارم الآباء ، وورثنا دونكم خاتم الأنبياء ، وطلبنا بثأركم فأدركنا منه ما عجزتم عنه ولم تدركوا لأنفسكم ؟ والسلام عليكم ورحمة الله .

وكان محمد قد استعمل محمد بن الحسن بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب على مكة ، والقاسم بن إسحاق على اليمن ، وموسى بن عبدالله على الشام ، فأما محمد بن الحسن ، والقاسم فسار إلى مكة فخرج إليهما السري بن عبدالله عامل المنصور على مكة ، فلقيهما ببطن أذاخر فهزماه ، ودخل محمد مكة وأقام بها يسيراً فأتاه كتاب محمد بن عبدالله يأمره بالمسير إليه فيمن معه ويخبره بمسير عيسى بن موسى إليه ليحاربه ، فسار إليه من مكة هو والقاسم فبلغه بنواحي قديد ، قتل محمد فهرب هو وأصحابه وتفرقوا ، فلحق محمد بن الحسن بإبراهيم ، فأقام عنده حتى قتل إبراهيم ، واختفى القاسم بالمدينة حتى أخذت له ابنة عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر امرأة عيسى الأمان له ولإخوته معاوية وغيره ، وأما موسى بن عبدالله فسار نحو الشام ومعه رزام مولى محمد بن خالد القسري فانسل منه رزام تيمناً وسار إلى المنصور برسالة من مولاه محمد القسري ، فظهر محمد بن عبدالله على ذلك فحبس محمد القسري ، ووصل موسى إلى الشام فرأى منهم سوء رد عليه وغلظة ، فكتب إلى

محمد : أخبرك أني لقيت الشام وأهله فكان أحسنهم قولاً الذي قال : والله لقد مللنا البلاء وضقنا حتى ما فينا لهذا الأمر موضع ولا لنا به حاجة ، ومنهم طائفة تحلف لئن أصبحنا من ليلتنا وأمسينا من غد ليرفعن أمرنا ، فكتبت إليك وقد غيبت وجهي وخفت على نفسي ، ثم رجع إلى المدينة .

وقيل : أتى البصرة وأرسل صاحباً له يشتري له طعاماً ، فاشتراه وجاء به على حمار أسود ، فأدخله الدار التي سكنها وخرج ، فلم يكن بأسرع من أن كبست الدار وأخذ موسى وابنه عبدالله وغلامه فأخذوا وحملوا إلى محمد بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس ، فلما رأى موسى قال: لا قرَّبَ الله قرابتكم ، ولا حيّا وجوهكم ، تركت البلاد كلها إلّا بلداً أنا فيه ، فإن وصلتُ أرحامكم أغضبتُ أمير المؤمنين ، وإن أطعته قطعتُ أرحامَكم ، ثم أرسلهم إلى المنصور فأمر ، فضرب موسى وابنه كل واحد خمسمائة سوطٍ فلم يتأوّهوا ، فقال المنصور : أعذرتُ أهل الباطل في صبرهم ، فما بال هؤلاء ، فقال موسى : أهل الحق أولى بالصبر ، ثم أخرجهم وأمر بهم فسجنوا. (خُبيب بن ثابت) بالخاء المعجمة المضمومة وبباءين موحدتين وبينهما ياء مثناة من تحتها .

ذكر مسير عيسى بن موسى إلى محمد بن عبدالله وقتله

ثم إن المنصور أحضر ابن اخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس وأمره بالمسير إلى المدينة لقتال محمد فقال : شاور عمومتك يا أمير المؤمنين ، ثم قال : فأين قول ابن هرثمة :

نزورُ امرءاً لا يُمخضُ القومَ سِرُّه ... ولا ينتَجِي الأدْنَيْنِ عما[١] يحاولُ
إذا ما أتى شيئاً مضى كالذي أتى[٢] ... وإن قالَ إني فاعلٌ فهو فاعلُ

فقال المنصور : امضِ أيها الرجل ، فوالله ما يُراد غيري وغيرك ، وما هو إلّا أن تشخصَ أنت أو أشخصُ أنا ، فسار وسيّر معه الجنود ، وقال المنصور لما سار عيسى : لا أبالي أيّهما قتلَ صاحبَه ، وبعث معه محمد بن أبي العباس السّفاح ، وكثّير بن

---

(١) في الطبري : « فيما » .
(٢) في الطبري : « أبى » .

حصينِ العَبْدي ، وابن قحْطبة ، وهزارمرد ، وغيرهم ، وقال له حين ودّعه : يا عيسى إني أبعثك إلى ما بين هذين وأشار إلى جنبيه ، فإن ظفرتَ بالرجل فأغمد سيفَك وآبذل الأمانَ وإن تغيّب فضمّنهم إياه فإنّهم يعرفون مذاهبَه ، ومن لقيَك من آل أبي طالب فاكتب إليّ باسمه ، ومن لم يلقَك فاقبض ماله . وكان جعفر الصادق تغيّب عنه فقبض ماله ، فلما قدم المنصور المدينة قال له جعفر في معنى ماله ، فقال : قبضَه مهديكم ، فلما وصل عيسى إلى فيد[1] كتب إلى الناس في خرق حرير ، منهم عبد العزيز بن المطلب المخزومي ، وعبيدالله بن محمد بن صفوان الجمحي ، وكتب إلى عبدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب يأمره بالخروج من المدينة فيمن أطاعه ، فخرج هو وعمر بن محمد بن عمر ، وأبو عقيل محمد بن عبدالله بن محمد بن عقيل ، وأبو عيسى ، ولما بلغ محمداً قرب عيسى من المدينة ، استشار أصحابه في الخروج من المدينة أو المقام بها ، فأشار بعضهم بالخروج عنها وأشار بعضهم بالمقام بها ، لقول رسول الله ﷺ : « رأيتني في درع حصيْنة فأولتها المدينة » : فأقام ؛ ثم استشارهم في حفرِ خندق رسول الله ﷺ فقال له جابر بن أنس رئيس سليم : يا أمير المؤمنين نحن أخوالك وجيرانك وفينا السلاحُ والكراعُ فلا تخندقِ الخندقَ فإن رسول الله ﷺ خندقَ خندقه لما الله أعلم به وان خندقته لم يحسنِ القتال رجالة ولم توجه لنا الخيل بين الأزقة وان الذين تخندق دونهم هم الذين يحولُ الخندقُ دونهم ، فقال أحد بني شجاع : خندق خندق رسول الله ﷺ فاقتد به وتريد أنت أن تدع أثرَ رسول الله ﷺ لرأيك ، قال : انه والله يا ابن شجاع ما شيء أثقلَ عليك وعلى أصحابك من لقائهم وما شيء أحبَّ إلينا من مناجزتهم ، فقال محمد : إنما اتبعنا في الخندق أثرَ رسولِ الله ﷺ ، فلا يردني أحدٌ عنه فلست بتاركه ، وأمر به فحفر وبدأ هو ، فحفرَ بنفسه الخندقَ الذي حفره رسول الله ﷺ للاحزاب ، وسار عيسى حتى نزل الأعوصَ[2] ، وكان محمد قد جمع الناس وأخذ عليهم الميثاق وحصرهم فلا يخرجون وخطبهم محمد بن عبدالله فقال لهم : إن عدو الله وعدوّكم قد نزل الأعوص ، وان أحقَّ الناس بالقيام بهذا الأمر لأبناء المهاجرين والأنصار ، ألا وإنا قد جمعناكم وأخذنا عليكم الميثاق ، وعدوكم عددٌ كثيرٌ ، والنصرُ من الله والأمر بيده ، وأنه قد بدالي أن آذن لكم ،

---

(١) فيد : بالفتح ثم السكون : منزل بطريق مكة .

(٢) الأعوص : موضع قرب المدينة .

فمن أحب منكم أن يقيمَ أقامَ ومن أحبَّ أن يظعنَ ظعن ، فخرج عالمٌ كثيرٌ ، وخرج ناسٌ من أهل المدينة بـذراريهم وأهليهم إلى الأعراض والجبـال ، وبقي محمد في شرذمةٍ يسيرةٍ فأمر أبا القلمس برد من قَدِرَ عليه فأعجزه كثير منهم فتركهم، وكان المنصور قد أرسل ابن الأصم مع عيسى ينزله المنازل فلما قدموا أنزلوا على ميل من المدينة ، فقال ابن الأصم : إن الخيلَ لا عمل لها مع الرجالة ، وإني أخاف إنْ كشفوكم كشفةً أن يدخلوا عسكركم فتأخروا إلى سقاية سليمان بن عبد الملك بالجرف ، وهي على أربعة أميال من المدينة ـ وقال : لا يهرول الراجل أكثر من ميلين وثلاث حتى يأخذه الخيل : وأرسل عيسى خمسمائة رجل إلى بطحاء ابن أزهر على ستة أميال من المدينة ، فأقاموا بها وقال : أخاف أن ينهزم محمدٌ فيأتي مكة فيرده هؤلاء فأقاموا بها حتى قتل ، وأرسل عيسى إلى محمد يخبره أن المنصور قد أمنه وأهله ، فاعاد الجواب يا هذا إنك لك برسول الله ﷺ قرابة قريبة ، وإني أدعوك الى كتاب الله وسنة نبيه ، والعمل بطاعته ، وأحذرك نقمته وعذابه ، وإني والله ما أنا منصرفٌ عن هذا الأمر حتى ألقى الله عليه ، وإياك أن يقتلك من يدعوك الى الله فتكون شر قتيل ، أو تقتله فيكون أعظم لوزرك فلما بلغته الرسالة قـال عيسى : ليس بيننا وبينـه إلا القتال وقـال محمد للرسـول : علام تقتلونني وإنما أنا رجلٌ فر من أن يُقتل ؟ قال : القوم يدعونك الى الأمان فإنْ أَبَيْتَ إلاَّ قتالهم قاتلوك على ما قاتل عليه خير آبائك طلحة ، والـزبير على نكث بيعتهم وكيـد ملكه ، فلما سمع المنصور قوله قال : ما سرّني أنه قال غير ذلك ، ونزل عيسى بالجرف لاثنتي عشرة من رمضان يوم السبت ، فأقام السبت والأحد وغدا يوم الاثنين ، فوقف على سلع فنظر الى المدينة ومن فيها فنادى : يا أهل المدينة إنَّ الله حرَّمَ دماءَ بعضنا على بعض فهلمُّوا إلى الأمان فمن قام تحت رايتنا فهو آمن ، ومن دخل داره فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومـن ألقى سلاحه فهو آمن ، ومن خرج من المدينة فهو آمن خلوا بيننا وبين صاحبنا فإما لنا وإمّا له فشتموه ؛ وانصرف من يومه وعاد من الغد وقد فرَّق القواد من سائر جهات المدينة ، وأخلى ناحية مسجد أبي الجرَّاح وهو على بطحان فإنه أخلى تلك الناحية لخروج من ينهزم ، وبرز محمد في أصحابه وكانت رايته مع عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير ، وكان شعاره أحد أحد ، فبرز أبو القلمس ـ وهو من أصحاب محمد ، فبرز إليه أخو أسد ، واقتتلوا طويلاً ، فقتله أبو القلمس وبرز إليه آخر فقتله ، فقال حين ضـربه : خـذها وأنـا ابن الفاروق فقـال رجل من أصحـاب

عيسى : قتلت خيراً من ألف فاروق ، وقاتل محمد بن عبدالله يومئذ قتالاً عظيماً ، فقتل بيده سبعين رجلًا ، وأمر عيسى حميد بن قحطبة فتقدم في مائة كلهم راجل سواه ، فزحفوا حتى بلغوا جداراً دون الخندق ، عليه ناسٌ من اصحاب محمد فهدم حميد الحائط ، وانتهى الى الخندق ، ونصب عليه أبواباً ، وعبر هو وأصحابه عليها فجازوا الخندق ، وقاتلوا من ورائه أشدّ قتال من بُكرة الى العصر ، وأمر عيسى أصحابه ، فالقوا الحقائب وغيرها في الخندق ، وجعل الأبواب عليها وجازت الخيل فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانصرف محمد قبل الظهر فاغتسل وتحنط ثم رجع فقال له عبدالله بن جعفر : بأبي أنت وأمي والله مالك بما ترى طاقة ، فلو أتيت الحسن بن معاوية بمكة ، فإن معه جلّ أصحابك فقال: لو خرجت لقتل أهل المدينة، والله لا أرجع حتى أقتل أو أُقتلَ وأنت مني في سعة فاذهبْ حيث شئت فمشى معه قليلاً ثم رجع عنه وتفرّقَ عنه جلُّ أصحابه حتى بقي في ثلاثمائة رجلٍ يزيدون قليلاً فقال لبعض أصحابه: نحن اليوم بعدة أهل بدر، وصلى محمد الظهر والعصر، وكان معه عيسى بن خضير وهو يناشده إلا ذهبت الى البصرة أو غيرها ، ومحمد يقول : والله لا تبتلونً بي مرتين ولكن اذهبْ أنت حيث شئت فقال ابن خضير : وأين المذهب عنك ؟ ثم مضى فاحرق الديوان الذي فيه أسماء مَنْ بايعه ، وقتل رياح بن عثمان ، وأخاه عباس بن عثمان ، وقتل ابن مسلم بن عقبة المري ، ومضى إلى محمد بن القسري وهو محبوس ليقتله ، فعلم به فردم الابواب دونه فلم يقدر عليه ، ورجع الى محمد فقاتل بين يديه حتى قُتِلَ .

وتقدم حميد بن قحطبة وتقدم محمد ، فلما صار ينظر مسيل سلع ، عرقب فرسه وعرقب بنو شجاع الخميسيون دوابهم ، ولم يبق أحد الا كسر جفن سيفه ، فقال لهم محمد : قد بايعتموني ولست بارحاً حتى أُقتل فَمنْ أحب أن ينصرف فقد أذنت له واشتدّ القتال فهزموا أصحابَ عيسى مرتين وثلاثاً ، وقال يزيد بن معاوية بن عباس بن جعفر: ويل أمه فتحاً لو كان له رجال ، فصعد نفرٌ من أصحابِ عيسى على جبل سلع ، وانحدروا منه الى المدينة ، وامرت اسماء بنت حسن بن عبدالله بن عبيدالله بن عباس بخمار أسود ، فرفع على منارةِ مسجدِ رسول الله ﷺ فقال أصحاب محمد : دخلت المدينة فهربوا فقال يزيد : لكل قوم جبل يعصمهم ولنا جبل لا نؤتى الا منه ـ يعني سلعاً ـ وفتح بنو أبي عمر والغفاريون طريقاً في بني غفار لأصحاب عيسى ودخلوا منه

أيضاً ، وجاؤوا من وراء أصحاب محمد ، ونادى محمد حميد بن قحطبة ابرز إليَّ فأنا محمد بن عبدالله فقال حميد قد عرفتك وأنت الشريف ابن الشريف الكريم ابن الكريم ، لا والله لا أبرز اليك وبين يدي من هؤلاء الأغمار أحد ، فاذا فرغت منهم فسأبرز اليك ، وجعل حميد يدعو ابن خضير الى الأمان ، ويشحُّ به على الموت وابن خضير يحمل على الناس راجلاً لا يصغي الى أمانه ، وهو يأخذه بين يديه ، فضربه رجل من أصحاب عيسى على إليته ، فحلها فرجع الى أصحابه فشدها بثوب ، ثم عاد الى القتال ، فضربه إنسان على عينه ، فغاص السيف وسقط فابتدروه فقتلوه واحتزوا رأسه وكأنه باذنجانة مفلقة من كثرة الجراح فيه .

فلما قتل تقدم محمد فقاتل على جيفته ، فجعل يهدُّ الناس هداً وكان أشبه الناس بقتال حمزة ، ولم يزل يقاتل حتى ضربه رجلٌ دون شحمة أذنه اليمنى ، فبرك لركبتيه ، وجعل يذب عن نفسه ويقول : ويحكم ابن نبيكم مُجرحٌ مظلومٌ فطعنه ابن قحطبة في صدره فصرعه ، ثم نزل اليه فاحتز رأسه وأتى به عيسى وهو لا يعرف من كثرة الدماء ، وقيل :إن عيسى اتهم ابن قحطبة ـ وكان في الخيل ـ فقال له : ما أراك تبالغ ، فقال له :أتتهمني فوالله لأضربنَّ محمداً حين أراه بالسيف أو أقتل دونه قال : فمر به ـ وهو مقتول ـ فضربه ليبر يمينه ، وقيل بل رمى بسهم وهو يقاتل ، فوقف الى جدار فتحاماه الناس فلما وجد الموت ، تحامل على سيفه فكسره وهو ذوالفقار سيف علي ، وقيل : بل أعطاه رجلاً من التجار كان معه وله عليه أربعمائة دينار وقال : خذه فإنك لا تلقى أحداً من آل أبي طالب إلاّ أخذه وأعطاك حقك ؛ فلم يزل عنده حتى ولِّي جعفر بن سليمان المدينة ، فأخبر به ، فأخذ السيف منه وأعطاه أربعمائة دينار ، ولم يزل معه حتى أخذه منه المهدي ، ثم صار الى الهادي ، فجربه على كلب فانقطع السيف ، وقيل : بل بقي الى أيام الرشيد وكان يتقلده ، وكان به ثماني عشرة فقارة ، ولما أُتِيَ عيسى برأس محمد ، قال لأصحابه ؛ ما تقولون فيه فوقعوا فيه ؟ فقال بعضهم : كذبتم ما لهذا قاتلناه ، ولكنه خالفَ أميرَ المؤمنين ، وشق عصا المسلمين ، وان كان لصواماً قواماً فسكتوا ، فأرسل عيسى الرأس الى المنصور مع محمد بن ابي الكرام بن عبدالله بن علي بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وبالبشارة مع القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وأرسل معه رؤوس بني شجاع ، فأمر

المنصور ، فطَيِّف برأسِ محمد في الكوفة وسيره الى الآفاق ، ولما رأى المنصور رؤوس بني شجاع ، قال : هكذا فليكن الناس طلبت محمداً فاشتمل عليه هؤلاء ، ثم نقلوه وانتقلوا معه ، ثم قاتلوا معه حتى قتلوا ، وكان قتل محمد وأصحابه يوم الاثنين بعد العصر لأربع عشرة خلت من شهر رمضان ، وكان المنصور قد بلغه أن عيسى قد هُزم فقال : كلا اين لعب أصحابنا وصبياننا بها على المنابر ، ومشورة النساء ما أتى كذلك بعد ، ثم بلغه أن محمداً هرب فقال : كلا إنّا أهل بيت لا نفر فجاءته بعد ذلك الرؤوس ، ولما وصل رأس محمد الى المنصور ، وكان الحسن بن زيد بن الحسن بن علي عنده ، فلما رأى الرأس ، عَظُم عليه فتجلَّد خوفاً من المنصور وقال لنقيب المنصور : أهو ؟ قال : هو فِلذُهم وقال : « لوددت أنا الركانة الى طاعته ، وانه لم يكن فعل ولا قال ، وإلا فأمُّ موسى طالق ، وكانت غاية أيمانه ، ولكنه أراد قتله ، وكانت نفسه أكرم علينا من نفسه ، فبصق بعض الغلمان في وجهه ، فأمر المنصور بأنفه فكسر عقوبةً له ، ولما وردَ الخبرُ بقتل محمدٍ على أخيه ابراهيم بالبصرة كان يوم العيد ، فخرج فصلى بالناس ، ونعاه على المنبر وأظهر الجزع عليه ، وتمثل على المنبر .

أبا المنازل يا خيرَ الفوارس مَنْ	يُفجعُ بمثلك في الدنيا فقد فُجعا
الله يعلمُ أني لو خشيتهم	وأوجس القلب من خوفٍ لهم فزعاً
لم يقتلوه ولم أُسلِّم أخي أبداً	حتى نموتَ جميعاً أو نعيشَ معاً

ولما قُتِل محمد أرسلَ عيسى ألوية فنصبت في مواضعَ بالمدينة ونادى مناديه : « مَنْ دخل تحت لواء منها فهو آمن » ؟

وأخذَ أصحابَ محمد فصلبهم ما بين ثنية الوداع الى دار عمر بن عبد العزيز صفين ، ووكل بخشبة ابن خضير مَنْ يحفظها فاحتمَلهُ قومٌ من الليل فواروه سراً ؛ وبقي الآخرون ثلاثاً ، فأمر بهم عيسى فألقوا على مقابر اليهود ، ثم القوا بعد ذلك في خندق في أصل ذباب

فأرسلت زينب بنت عبدالله أخت محمد وابنة فاطمة الى عيسى : « انكم قد قتلتموه وقضيتم حاجتكم منه ، فلو أذنتم لنا في دفنه » فأذن لها فدفن بالبقيع ، وقطع المنصور الميرة في البحر الى المدينة ثم أذن فيها المهدي .

ذكر بعض المشهورين ممن كان معه

وكان فيمن معه من بني هاشم أخوه موسى بن عبدالله ، وحسين ، وعليٍ ابنا زيد بن علي بن الحسين بن علي ، ولما بلغ المنصور أن ابني زيد أعانا محمداً عليه قال : عجباً لهما قد خرجا عليَّ وقد قَتَلْنا قاتلَ أبيهما كما قتله ، وصلبناه كما صلبه ، وأحرقناه كما أحرقه ، وكان معه حمزة بن عبدالله بن محمد بن الحسين ، وعلي ، وزيد ابنا الحسن بن زيد بن علي بن أبي طالب وكان أبوهما مع المنصور ، والحسن ، ويزيد ، وصالح بنو معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، والقاسم بن إسحاق بن عبدالله بن جعفر ، والمرجى علي بن جعفر بن إسحاق بن علي بن عبدالله بن جعفر وكان أبوه مع المنصور ، ومن غيرهم محمد بن عبدالله بن عمرو بن سعيد بن العباس ، ومحمد بن عجلان ، وعبدالله بن عمر بن حفص بن عاصم ، أُخِذَ أسيراً ، فأُتِيَ به المنصور فقال له : أنت الخارج عليَّ ؟ قال :لم أجد إلا ذلك أو الكفر بما أنزل الله على محمد ، وكان معه أبو بكر بن عبدالله بن محمد بن أبي سبرة ، وعبد الواحد بن أبي عون مولى الأزد، وعبدالله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرّمة، وعبد العزيز بن محمد الدراوردي ، وعبد الحميد بن جعفر ، وعبدالله بن عطاء بن يعقوب مولى بني سباع ، وإبراهيم ، وإسحاق ، وربيعة ، وجعفر ، وعبدالله ، وعطاء، ويعقوب، وعثمان ، وعبد العزيز بنو عبدالله بن عطاء ، وعيسى بن خضير ، وعثمان بن خضير ، وعثمان بن محمد بن خالد بن الزبير ، هرب بعد قتل محمد فأتى البصرة ، فأخذ منها وأُتِيَ به المنصور فقال له : هيه يا عثمان ، أنت الخارج عليَّ مع محمد قال : بايعته أنا وأنت بمكة فوفيت ببيعتي وغدَرْتُ بيعتك قال : يابن اللخناء قال : ذاك من قامت عنه الإماء ـ يعني المنصور ـ فأمر به فقُتِلَ.

وكان مع محمد عبد العزيز بن عبيدالله بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ، وأُخذ أسيراً فاطلقه المنصور وعبد العزيز بن إبراهيم بن عبدالله بن مطيع ، وعلي بن عبد المطلب بن عبدالله بن حنطب ، وإبراهيم بن جعفر بن مصعب بن الزبير ، وهشام بن عمارة بن الوليد بن عدي بن الخيار ، وعبدالله بن يزيد بن هرمز ، وغيرهم ممَّن تقدَّم ذكرهم .

ذكر صفة محمد والاخبار بقتله

كان محمدٌ أسمرَ شديدَ السُّمْرة وكـان المنصور يسميـه محمما ، وكـان سميناً شجاعاً كثيرَ الصوْم والصلاة ، شديدَ القوة ، وكان يخطبُ على المنبر ، فاعترضَ في حَلْقِهِ بَلْغمٌ فتنحنحَ فذهب ثم عاد ، فتنحنح فذهب ثم عاد ، فتنحنح ، فنظر فلم ير موضعاً يبصق فيه ، فرمى بنخامته في سقفِ المسجد فالصقها فيه .

وسُئِلَ جعفرُ الصادقِ عن أمرِ محمد فقال : فِتنةٌ يُقتَلُ فيها محمدٌ ويُقتلُ أخوه لأبيه وأُمِّهِ بالعراق وحوافر فرسه في ماء ، فلما قتل محمد قبض عيسى أموال بني الحسن كلها ، وأموال جعفر ، فلقي جعفر المنصور ، فقال له : رُدَّ عَلَيّ قطيعتي من أبي زياد قال : إيايَ تكلمُ بهذا والله لأزهقنَّ نفسك قال : فلا تعجل عَليَّ قد بلغت ثلاثاً وستين سنة ، وفيها مات أبي وجدي ، وعلي بن أبي طالب ، وعَلَيَّ كذا وكذا إن رِبْتُكَ بشيء وإن بقيت بعدك ان ربت الذي يقوم بعدك ، فرق له المنصور ولم يرد عليه قطيعته فردها المهدي على ولده .

وقال محمد لعبدالله بن عامر الأسلمي : تغشانا سحابة فإنْ أمطرتنا ظفرنا وإنْ تجاوزتنا إليهم فانظر الى دمي عند أحجار الزيت قال : فوالله لقد أظلتنا سحابة فلم تمطرنا ، وتجاوزتنا الى عيسى وأصحابه ، فظفروا وقتلوا محمداً ، ورأيت دمه عند أحجار الزيت ، وكان قتله يوم الاثنين لأربع عشرة خلت من رمضان سنة خمس وأربعين ومائة وكان يلقب المهدي ، والنفس الزكية ، ومما رثُي به هو ، وأخوه قول عبد الله بن مصعب بن ثابت :

يا صاحبيّ دَعَا المَلامـة واعلما ... أنْ لَسْتُ في هـذا بـألـوَمَ منكمـا
وَقِفَـا بقبـر للنبيّ[1] فـسَلِّمـا ... لا بـأسَ أن تَقِفـا بـه وتُسلِّما[2]
قَبـرٌ تضمَّنَ خيـرَ أهـلِ زمـانِهِ ... حَسَبـاً وطيبَ سجيّـةٍ وتكـرُّمـا
رجلٌ نفى بالعـدلِ جَوْرَ بـلادنَا ... وعفـا عـظيمـاتِ الأمـورِ وأنعمـا
لم يَجْتَنِبْ قصد السبيل ولم يَجر ... عنـه ولم يفتـح بفـاحشـةٍ فمـا

(١) في الطبري : « ابن النبي » .
(٢) في الطبري : « فتسلما » .

لـو أعظَمَ الحدثـانُ شيئاً قبله بعـد النبيّ بـه لكنتَ المُعـظما
أو كـان أمتـعَ بـالسلامـة قبله أحـداً لكـان قصـارُه أن يسلَّمـا
ضحّـوا بإبـراهيمَ خيرَ ضَحِيَّةٍ فتصـرّمَتْ أيـامُـه فتصـرّمـا[١]
بـطلاً يخوضُ بنفسه غمـراتـه لا طـائشـاً رَعِشـاً ولا مُسْتَسْلما
حتى مضَتْ فيه السُّيوفُ ورُبَّما كـانت حُتُـوفُهُمُ السيـوفُ ورُبَّمـا
أضحى بنو حَسَن أبيحَ حَرِيمُهُمْ فينـا وأصبَـحَ نهبُهـم متقسَّمـا
ونسـاؤهم في دورهنَّ نـوائـحُ سَجعَ الحمامِ اذا الحمـامُ ترنّمـا
يتـوسلون بـقتلـه[٢] ويَـرونـه شَـرَفـاً لهم عنـد الإمـام ومَغْنَمـا
والله لـو شهـد النبيُ محمـدٌ صلى الالـه على النبـيّ وسلمـا
اشـراعَ أمَّتـه الأَسِنَّـة لابنـه حتى تـقـطَّرَ من ظُبَـاتِهـمُ دمـا
حَقـاً لأَيْقَنَ أنهم قـد ضَيّعـوا تلك القـرابـة واستحلوا المحـرَّمـا

ولما قُتِلَ محمدٌ قام عيسى بالمدينة أياماً ثم سار عنها صبح تسع عشرة خلت من رمضان يريد مكة معتمراً ، واستخلف على المدينة كثير بن خضير ، فأقام بها شهراً ، ثم استعمل المنصور عليها عبدالله بن الربيع الحارثي .

ذكر وثوب السودان بالمدينة

وفيها ثار السودان بالمدينة على عاملها عبـدالله بن الربيـع الحارثي ، فهـرب منهم ، وسبب ذلك ، أن المنصور استعمل عبدالله بن الربيع على المدينة ، وقدمها لخمس بقين من شوال ، فنازع جنده التجار في بعض ما يشترونه منهم ، فشكا ذلك التجار الى ابن الربيع ، فانتهرهم ، وشتمهم ، فتزايد طمعُ الجند فيهم ، فعدُوا على رجلٍ صيْرفي فنازعوه كيسه ، فاستعان بالناس فخلص ماله منهم ؛ وشكا أهل المدينة ذلك منهم ، فلم ينكره ابن الربيع ، ثم جاء رجل من الجند ، فاشترى من جزار لحماً يوم جمعة ولم يعطه ثمنه ، وشهر عليه السيف فضربه الجزار بشفرة في خاصرته فقتله ، واجتمع الجزارون وتنادى السودان على الجند وهم يروحون الى الجمعة ، فقتلوهم

(١) في الطبري : « وتصرما » .
(٢) في الطبري : « بقتلهم » .

بالعُمْدِ ونفخوا في بوق لهم فسمعه السودان من العالية والسافلة ، فاقبلوا واجتمعوا ، وكان رؤساؤهم ثلاثة نفر . وثيق ، ويعقل ، وزمعة . ولم يزالوا على ذلك من قتل الجند حتى أمسوا ؛ فلما كان الغد قصدوا ابن الربيع فهرب منهم ، وأتى بطن نخل على ليلتين من المدينة فنزل به ، فانتهبوا طعاماً للمنصور ، وزيتاً ، وقصباً ، فباعوا الحمل الدقيق بدرهمين ، وراوية الزيت باربعة دراهم ، وسار سليمان بن مليح ذلك اليوم الى المنصور فاخبره .

وكان أبو بكر بن ابي سبرة في الحبس قد أُخذ مع محمد بن عبدالله فضُرب وحُبس مقيَّداً ، فلما كان من السودان ما كان ، خرج في حديده من الحبس ، فأتى المسجدَ فارسلَ الى محمد بن عمران ، ومحمد بن عبد العزيز ، وغيرهما فاحضرهم عنده فقال : أنشدكم الله وهذه البليَّة التي وقعت فوالله إن ثُبِّتَتْ علينا عند أمير المؤمنين بعد الفعلة الأولى إنه لهلاك البلد ، وأهلِهِ ، والعبيد في السوق باجمعهم فاذهبوا اليهم ، فكلموهم في الرجعة والعود الى رأيكم فانهم أخرجتهم الحميةُ ، فذهبوا الى العبيد فكلموهم فقالوا : مرحباً بموالينا ، والله ما قمنا إلا أنفة مما عمل بكم فامرنا اليكم فأقبلوا بهم إلى المسجد فخطبهم ابن ابي سبرة وحثَّهم على الطاعة فتراجعوا ولم يصل الناسُ يومئذ جمعة ، فلما كان وقت العشاء الآخرة ، لم يُجب المؤذنَ أحدٌ الى الصلاة بهم ، فقدم الأصبغ بن سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان ، فلما وقف للصلاة واستوت الصفوف ، أقبل عليهم بوجهه ونادى بأعلى صوته : « أنا فلان ابن فلان أصلي بالناس على طاعة أمير المؤمنين » ؛ ثم يقول ذلك مرتين وثلاثاً ثم تقدم فصلى بهم ؛ فلما كان الغد قال لهم إبن أبي سبرة : انكم قد كان منكم بالأمس ما قد علمتم ونهبتم طعام أمير الؤمنين ، فلا يبقَّينَ عند أحد منه شيء إلا ردَّه فردوه ، ورجع ابن الربيع من بطن نخل فقطع يد وثيق ، ويعقل ، وغيرهما .

ذكر بناء مدينة بغداد

فيها ابتدأ المنصور في بناءِ مدينة بغدادَ ، وسبب ذلك أنه كان قد ابتنى الهاشميةَ بنواحي الكوفة ، فلما ثارت الراوندية فيها ، كره سُكْناها لذلك ولجوار أهل الكوفة أيضاً ، فإنه كان لا يأمن أهلها على نفسه ، وكانوا قد أفسدوا جنده ، فخرج بنفسه يرتاد

له موضعاً يسكنه هو وجنده ، فانحدر الى جرجرايا[١] ثم أصعد الى الموصل وسار نحو الجبل في طلب منزل يبني به ، وكان قد تخلف بعض جنده بالمدائن لرمد لحقه فسأله الطبيب الذي يعالجه عن سبب حركة المنصور ، فأخبره فقال : إنَّا نجد في كتاب عندنا أن رجلاً يدعى مقلاصاً يبني مدينة بين دجلة والصراة تدعى الزوراء ، فإذا اسسها وبنى بعضها، أتاه فتق من الحجاز، فقطع بناءها وأصلح ذلك الفتق، ثم أتاه فتق من البصرة أعظم منه ، فلم يلبث الفتقان أن يلتئما ثم يعود الى بنائها ، فيتمه ثم يعمر عمراً طويلاً ؛ ويبقى الملك في عقبه، فقدم ذلك الجندي الى عسكر المنصور وهو بنواحي الجبل فأخبره الخبر فرجع وقال : إني أنا كنت أُدعى مقلاصا وأنا صبي ، ثم زال عني ، وسار حتى نزل الدير الذي حذاء قصره المعروف بالخلد ، ودعا بصاحب الدير ، وبالبطريق صاحب رحا البطريق ، وصاحب بغداد ، وصاحب المخرّم ، وصاحب بستان النفس ، وصاحب العتيقة فسألهم من مواضعهم وكيف هي في الحر ، والبرد ، والأمطار ، والوحول ، والبق ، والهوام ، فأخبره كل منهم بما عنده ، ووقع اختيارهم على صاحب بغداد ، فأحضره وشاوره فقال : يا أمير المؤمنين سألتني عن هذه الأمكنة وما تختار منها ، وإني أرى أن تنزل أربعة طساسيج في الجانب الغربي طسوجين وهما بقطربل[٢]، وبادوريا[٣] وفي الجانب الشرقي طسوجين وهما نهر بوق ، وكلواذي فيكون بين نخل وقرب الماء وإن أجدب طسوج وتأخرت عمارته كان في الطسوج الآخر العمارات ، وأنت يا أمير المؤمنين على الصراة تجيئك الميرة في السفن من الشام ، والرقة ، والغرب في طوائف مصر ، وتجيئك الميرة من الصين ، والهند، والبصرة، وواسط، وديار بكر ، والروم ، والموصل وغيرها في دجلة ، وتجيئك الميرة من أرمينية وما اتصل بها في تامرا حتى يتصل بالزاب ، فأنت بين أنهار لا يصل اليك عدوك إلا على جسر أو قنطرة ، فإذا قطعت الجسر وأخربت القنطرة ، لم يصل اليك .

ودجلة، والفرات ، والصراة خنادق هذه المدينة ، وأنت متوسط للبصرة ،

---

(١) جرجرايا : بلد من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي .

(٢) قطربّل : بالضم ثم السكون ثم فتح الراء وباء موحدة مشددة مضمومة : اسم قرية بين بغداد وعُكبرا ينسب إليها الخمر .

(٣) بادوريا : طسوج من كورة الأستان بالجانب الغربي من بغداد .

والكوفة ، وواسط ، والموصل ، والسواد، وأنت قريب من البر ، والبحر ، والجبل ، فازداد المنصور عزماً على النزول في ذلك الموضع ، وقيل : إن المنصور لما أراد أن يبني مدينته بغداد ، رأى راهباً فناداه فأجابه فقال : هل تجدون في كتبكم أنه يبنى ههنا مدينة ؟ قال : نعم يبنيها مقلاص قال : فأنا كنت أُدعى مقلاصاً في حداثتي قال : فإذاً أنت صاحبها ، فابتدأ المنصور بعملها سنة خمس وأربعين وكتب الى الشام ، والجبل ، والكوفة ، وواسط والبصرة في معنى انفاذ الصناع والفعلة ، وأمر باختيار قوم من ذوي الفضل ، والعدالة ، والفقه ، وأمر باختيار قوم من ذوي الأمانة ، والمعرفة بالهندسة ، فكان ممن أحضر لذلك الحجاج بن ارطاة، وأبو حنيفة ، وأمر فخُطت المدينة وحُفِرَ الأساس وضُرب اللبنُ وطُبخ الآجرُ ، فكان أول ما ابتدأ به منها أنه أمر بخطها بالرماد ، فدخلها من أبوابها وفصلانها وطاقاتها ورحابها وهي مخطوطة بالرماد ، ثم أمر أن يجعل على الرماد حبَّ القطن ، ويشعل بالنار ففعلوا ، فنظر اليها وهي تشتعل ففهمها وعرف رسمها ، وأمر أن يحفر الأساس على ذلك الرسم ، ووكّل بها أربعة من القواد كل قائد بربع ووكل أبا حنيفة بعدِّ الآجر واللبن .

وكان قبل ذلك قد أراد أبا حنيفة أن يتولى القضاء والمظالم ، فلم يجب فحلف المنصور انه لا يقلع عنه أو يعمل له ، فأجابه الى أن ينظر في عمارة بغداد ، ويعد اللبن ، والآجر بالقصب ، وهو أول من فعل ذلك ، وجعل المنصورُ عرضَ أساس السور من أسفله خمسين ذراعاً ، ومن أعلاه عشرين ذراعاً ، وجعل في البناء القصب ، والخشب ، ووضع بيده أول لبنةٍ وقال :

بسم الله والحمد لله والأرض لله ، يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين؛ ثم قال : ابنوا على بركة الله ، فلما بلغ السُّورُ مقدارَ قامةٍ ، جاء الخبر بظهور محمد بن عبدالله ، فقطع البناء ثم أقام بالكوفة حتى فرغ من حرب محمد ، وأخيه ابراهيم ، ثم رجع الى بغداد فأتمَّ بناءها ، وأقطع فيها القطائعَ لأصحابه .

وكان المنصورُ قد أعدَّ جميع ما يحتاج اليه من بناء المدينة من خشب وساج وغير ذلك ، واستخلف حين يشخص الى الكوفة على إصلاح ما أعدّ أسلم مولاه ، فبلغه أن ابراهيم قد هزم عسكرَ المنصور ، فأحرق ما كان خلفه عليه المنصور ، فبلغ المنصور ذلك ، فكتب اليه يلومه ، فكتب إليه أسلم يخبره انه خاف أن يظفر بهم إبراهيم

فيأخذه ، فلم يقل له شيئاً ، وسنذكر كيفية بنائها في سنة ست وأربعين إن شاء الله .

ذكر ظهور ابراهيم بن عبدالله بن الحسن أخي محمد

فيها كان ظهور ابراهيم بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وهو أخو محمد المقدَّم ذكرهُ ، وكان قبل ظهوره قد طلب أشدَّ الطلبِ ، فحكت جارية له انه لم تقرَّهم أرض خمس سنين ، مرة بفارس ، ومرة بكرمان ، ومرة بالجبل ، ومرة بالحجاز ، ومرة باليمن ، ومرة بالشام ، ثم انه قدم الموصل وقدمها المنصور في طلبه ، فحكى ابراهيم قال : اضطرني الطلب بالموصل حتى جلست على مائدة المنصور ، ثم خرجت وقد كفَّ الطلب ، وكان قوم من أهل العسكر يتشيعون فكتبوا الى ابراهيم يسألونه القدوم اليهم ليثبوا بالمنصور ، فقدم عسكر أبي جعفر وهو ببغداد ، وقد خطها وكانت له مرآة ينظر فيها ، فيرى عدوه من صديقه ، فنظر فيها فقال : يا مسيب قد رأيت ابراهيم في عسكري وما في الأرض أعدى لي منه فانظر أي رجل يكون ، ثم ان المنصور أمر ببناء قنطرة الصراة العتيقة ، فخرج ابراهيم ينظر اليها مع الناس ، فوقعت عليه عين المنصور فجلس ابراهيم وذهب في الناس ، فاتى قاميا فلجأ اليه فأصعده غرفة له ، وجدَّ المنصور في طلبه ، وضع الرصدَ بكل مكان ، فنشب ابراهيم مكانه فقال له صاحبه سفيان بن حيان القمي : قد نزل بنا ما ترى ، ولا بد من المخاطرة قال : فانت وذاك ، فاقبل سفيان الى الربيع فسأله الاذن على المنصور ، فادخله عليه فلما رآه شتمه فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا أهلٌ لما تقول غير أني أتيتك تائباً ولك عندي كل ما تحب ، وأنا آتيك بابراهيم بن عبدالله إني قد بلوتهم فلم أجد فيهم خيراً ، فاكتب لي جوازاً ولغلام معي يحملني على البريد ، ووجِّهْ مغي جنداً ؛ فكتب له جوازاً ودفع اليه جنداً وقال : هذه الف دينار فاستعنْ بها قال : لا حاجة لي فيها وأخذ منها ثلاثمائة دينار ، وأقبل الجند معه ، فدخل البيت وعلى ابراهيم جبة صوف وقباء كأقبية الغلمان ، فصاح به ، فوثب وجعل يأمره وينهاه ، وسار على البريد ، وقيل : لم يركب المبريد ، وسار حتى قدم المدائن ، فمنعه صاحب القنطرة بها ، فدفع جوازه اليه فلما جازها قال له الموكل بالقنطرة : ما هذا غلام وإنه لابراهيم بن عبدالله ، إذهبْ راشداً فأطلقهْما ، فركبا سفينة حتى قدما البصرة ، فجعل يأتي بالجند .

الدار لها بابان فيقعد البعض منهم على أحد البابين ويقول : لا تبرحوا حتى

آتيكم فيخرج من الباب الآخر ، ويتركهم حتى فرّق الجند عن نفسه وبقي وحده، وبلغ الخبر سفيان بن معاوية أميرَ البصرة فأرسل اليهم فجمعهم ، وتطلب القمي فأعجزه ، وكان ابراهيم قد قدم الأهواز قبل ذلك واختفى عند الحسن بن خبيب ، وكان محمد بن الحصين يطلبه فقال يوماً : إن أمير المؤمنين كتب إليَّ يخبرني أنّ المنجمين أخبروه أن ابراهيم نازلٌ بالأهواز في جزيرة بين نهرين ، وقد طلبته في الجزيرة ، وليس هناك وقد عزمت أن أطلبه غداً بالمدينة لعل أمير المؤمنين يعني بقوله : بين نهرين بين دجيل والمسرقان ، فرجع الحسن بن خبيب الى ابراهيم ، فأخبره وأخرجه الى ظاهر البلد، ولم يطلبه محمد ذلك اليوم .

فلما كان آخر النهار ، خرج الحسن الى ابراهيم فادخله البلد ، وهما على حمارين وقت العشاء الآخرة فلقيه اوائل خيل ابن الحصين فنزل ابراهيم عن حماره كأنه يبول ، فسأل ابن الحصين الحسن بن خبيب عن مجيئه فقال : مِنْ عند بعض اهلي فمضى وتركه ، ورجع الحسن الى ابراهيم ، فاركبه وادخله الى منزله ، فقال له ابراهيم : والله لقد بُلْتُ دماً قال : فاتيت الموضع فرأيته قد بال دماً ، ثم إن ابراهيم قدم البصرة فقيل : قدمها سنة خمس واربعين بعد ظهور اخيه محمد بالمدينة ، وقيل : قدمها سنة ثلاث واربعين ومائة ، وكان الذي أقدمه وتولى قراه في قول بعضهم يحيى بن زياد بن حيان النبطي ، وأنزله في داره في بني ليث ، وقيل : نزل في دار ابي فروة ، ودعا الناس الى بيعة أخيه ، وكان أول من بايعه نميلة بن مرة العبشمي ، وعفو الله بن سفيان ، وعبد الواحد بن زياد ، وعمرو بن سلمة الهجيمي ، وعبدالله بن يحيى بن حصين الرقاشي، وندبوا الناس فأجابهم المغيرة بن الفزع وأشباه له ، وأجابه أيضاً عيسى بن يونس ، ومعاذ بن معاذ ، وعباد بن العوام ، واسحاق بن يوسف الأزرق ، ومعاوية بن هشيم بن بشير ، وجماعة كثيرة من الفقهاء ، وأهل العلم حتى أحصى ديوانه أربعة آلاف ، وشُهِرَ أمرُهُ فقالوا له : لو تحولت الى وسط البصرة أتاك الناسُ وهم مستريحون فتحول فنزل دار أبي مروان مولى بني سُلَيْم في مقبرة بني يشكر .

وكان سفيان بن معاوية قد مالأ على امره ولما ظهر أخوه محمد ، كتب اليه يأمره بالظهور ، فوجم لذلك واغتمَّ فجعل بعض أصحابه يسهل عليه ذلك وقال له : قد اجتمع لك أمرك فتخرج الى السجن فتكسره من الليل ، فتصبح وقد اجتمع لك عالمٌ

من الناس وطابت نفسه .

وكان المنصور بظاهر الكوفة ـ كما تقدم ـ في قلة من العساكر وقد أرسل ثلاثة من القواد إلى سفيان بن معاوية بالبصرة مدداً له ليكونوا عوناً له على إبراهيم ان ظهر؛ فلما أراد ابراهيم الظهور أرسل الى سفيان فأعلمه ، فجمع القواد عنده وظهر ابراهيم أول شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة ، فغنم دواب أولئك الجند ، وصلى بالناس الصبح في الجامع ، وقصد دار الإمارة وبها سفيان متحصناً في جماعة ، فحصره وطلب سفيان منه الأمان ، فأمنه ابراهيم ، ودخل الدار ففرشوا له حصيراً فهبت الريح فقلبته قبل أن يجلس ، فتطيَّرَ الناس بذلك فقال ابراهيم : إنا لا نتطيَّر وجلس عليه مقلوباً ، وحبس القواد، وحبس أيضاً سفيان بن معاوية في القصر وقيَّدهُ بقيدٍ خفيف ليْعلِمَ المنصور أنه محبوس ، وبلغ جعفراً ، ومحمداً ابنيْ سليمان بن علي ظهور ابراهيم . فأتيا في ستمائة رجلٍ ، فأرسل اليهما ابراهيم المضاء بن القاسم الجزري في خمسين رجلاً فهزمهما ، ونادى منادي ابراهيم لا يتبع مهزوم ، ولا يذفف على جريح ، ومضى ابراهيم بنفسه الى باب زينب بنت سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس ، وإليها ينسب الزينبيون من العباسيين فنادى بالأمان ، وأن لا يعرض لهم أحد فصفت له البصرة ، ووجد في بيت مالها ألفيْ ألف درهم ، قَوِيَ بذلك وفرضَ لأصحابه لكلِّ رجلٍ خمسين خمسين ، فلما استقرت له البصرة أرسل المغيرة الى الأهواز ، فبلغها في مائتي رجل وكان بها محمد بن الحصين عاملاً للمنصور فخرج اليه في أربعة آلاف فالتقوا فانهزم ابن الحصين ودخل المغيرة الأهواز وقيل : إنما وجَّهَ المغيرة بعد مسيره الى باخمرى[1] ، وسيَّرَ ابراهيم الى فارس عمرو بن شداد ، فقدمها وبها اسماعيل ، وعبد الصمد ابنا علي بن عبدالله بن عباس ، فبلغهما دنو عمرو وهما باصطخر ، فقصدا داراً بجرد فتحصنا بها فصارت فارس في يدِ عمرو ، وأرسل ابراهيم مروان بن سعيد العجلي في سبعة عشر الفاً الى واسط وبها هارون بن حميد الأيادي من قبل المنصور ، فملكها العجلي .

وأرسل المنصور لحربه ، عامر بن إسماعيل المسلي في خمسة آلاف ، وقيل : في عشرين ألفاً فكانت بينهم وقعات ثم تهادنوا على ترك الحرب حتى ينظروا ما يكون

---

(١) باخمرا : موضع بين الكوفة وواسط وهو إلى الكوفة أقرب .

من إبراهيم ، والمنصور ، فلما قُتِلَ ابراهيم هرب مروان بن سعيد عنهما فاختفى حتى مات ، فلم يزل ابراهيم بالبصرة يفرِّق العمال والجيوش ، حتى أتاه نعي أخيه محمد قبل عيد الفطر بثلاثة أيام ، فخرج بالناس يوم العيد ، وفيه الانكسار فصلى بهم ، وأخبرهم بقتل محمد ، فازدادوا في قتال المنصور بصيرة ، وأصبح من الغد ، فعسكر واستخلف على البصرة وخلف ابنه حسناً معه .

ذكر مسير ابراهيم وقتله

ثم إن ابراهيم عزم على المسير ، فأشار اصحابه البصريون ، أن تقيم وترسل الجنود ، فيكون اذا انهزم لك جند أمددتهم بغيرهم ، فخيف مكانك واتقاك عدوك ، وجُبيت الأموال وثُبِتَت وطأتك ؛ فقال مَنْ عنده من أهل الكوفة : إن بالكوفة أقواماً لو رأوك ماتوا دونك ، وإن لم يروك قعدت بهم أسباب شتى ، فسار عن البصرة إلى الكوفة ، وكان المنصور لما بلغه ظهور إبراهيم في قلة من العسكر فقال : والله ما أدري كيف أصنع ما في عسكري إلا ألفا رجل ، فرقت جندي مع المهدي بالري ثلاثون ألفاً ، ومع محمد بن الأشعث بافريقية أربعون ألفاً ، والباقون مع عيسى بن موسى ، والله لئن سلمت من هذه لا يفارق عسكري ثلاثون ألفاً ، ثم كتب إلى عيسى بن موسى يأمره بالعود مسرعاً ، فأتاه الكتاب وقد أحرم بعمرة فتركها وعاده .

وكتب الى سلم بن قتيبة فقدم عليه من الري فقال له المنصور : اعمد الى ابراهيم ولا يروعنَّك جمعه، فوالله انهما جملا بني هاشم المقتولان فثقْ بما أقول، وضمَّ اليه غيره من القواد وكتب الى المهدي يأمره بانفاذ خزيمة بن خازم الى الأهواز ، فسيَّره في أربعة آلاف فارس فوصلها وقاتل المغيرة فرجع المغيرة الى البصرة واستباح خزيمة الأهواز ثلاثا ، وتوالت على المنصور الفتوق من البصرة ، والأهواز ، وفارس ، وواسط ، والمدائن ، والسواد ، وإلى جانبه أهل الكوفة في مائة ألف مقاتل ينتظرون به صيحة ، فلما توالت الأخبار عليه بذلك أنشد :

وجعلت نفسي للرماح دريئةً ... إن الرئيسَ لِمِثْل ذاك فعولُ

ثم إنه رمى كل ناحية بحجرها ، وبقي المنصور على مصلاه خمسين يوماً ينام عليه ، وجلس عليه وعليه جبة ملونة قد اتسخ جيبها لا غيرها ، ولا هجر المصلى إلا أنه

كان إذا ظهر للناس لبس السواد ، فإذا فارقهم رجع الى هيئته ، وأهديت اليه امرأتان من المدينة ، احداهما فاطمة بنت محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيدالله ، والأخرى أم الكريم ابنة عبدالله من ولد خالد بن أُسَيْد ، فلم ينظر إليهما فقيل له : «انهما قد ساءت ظنونهما » فقال : ليست هذه أيام نساء ولا سبيل إليهما حتى أنظرَ رأسَ إبراهيم لي أو رأسي له ، قال الحجاج بن قتيبة : لما تتابعت الفتوق على المنصور دخلت مسلماً عليه وقد أتاه خبر البصرة ، والأهواز ، وفارس ، وعساكر إبراهيم قد عظمت .

وبالكوفة مائة ألف سيف بازاء عسكره ينتظر صيحة واحدة فيثبون به ، فرأيته أحوذياً مشمراً قد قام الى ما نزل به من النوائب يعركها فقام بها ولم تقعد به نفسه وإنه كما قال الأول :

نفس عصام سوَّدت عصاما وَعَلَّمته الكرَّ والإقداما

وصيرته ملكاً هماما

ثم وجَّه المنصور إلى ابراهيم عيسى بن موسى في خمسة عشر الفاً ، وعلى مقدمته حميد بن قحطبة في ثلاثة آلاف وقال له : لما ودعه إنَّ هؤلاء الخبثاء - يعني المنجمين - يزعمون أنك إذا لاقيت ابراهيم تجول أصحابك جولة حتى تلقاه ، ثم يرجعون اليك وتكون العاقبة لك .

ولما سار ابراهيم عن البصرة مشى ليلته في عسكره سراً فسمع أصوات الطنابير ثم فعل ذلك مرة أخرى فسمعها أيضاً فقال : ما أطمع في نصر عسكر فيه مثل هذا ، وسمع ينشدُ في طريقه أبيات القطامي :

أمورٌ لو يُدبِّرُها حكيمٌ اذن أنهى وهيب ما استطاعا
وَمعْصيةُ الشفيقِ عليك مَمّا يزيدك مرة منه استماعا
وخيرُ الأمرِ ما استقبلْتُ منه وليسَ بأنْ تتبعه التباعا
ولكنَّ الأديمَ اذا تفرَّى بلى وتعيبا غلب الصناعا

فعلموا أنه نادم على مسيره ، وكان ديوانه قد أحصى مائة ألف ، وقيل : كان معه في طريقه عشرة آلاف ، وقيل له في طريقه : ليأخذْ غيرَ الوجهِ الذي فيه عيسى ويقصدُ الكوفَة فإنَّ المنصور لا يقومُ له وينضاف أهلُ الكوفةِ اليه ولا يبقى للمنصور مرجعٌ دون

حلوان ، فلم يفعل فقيل له ؛ ليبيت عيسى فقال : أكره البيات الا بعد الانذار ، وقام بعضُ أهل الكوفةِ ليأمرَه بالمسير إليها ليدعوَ اليه الناسَ وقال : أدعوهم سراً ثم أجهر فإذا سمع المنصورُ الهيعة بأرجاء الكوفة لم يرد وجهه شيء دون حلوان ، فاستشار بشيراً الرحال فقال : لو وثقنا بالذي تقول لكان رأياً ، ولكنا لا نأمن أن تجيئك منهم طائفة فيرسل اليهم المنصور الخيلَ ، فيأخذ البريء ، والصغير ، والمرأة ، فيكون ذلك تعرضاً للمأثم فقال الكوفي : كأنكم خرجتم لقتال المنصور وأنتم تتوقون قتل الضعيف ، والمرأة ، والصغير أوَ لمْ يكن رسول الله ﷺ يبعثُ سراياه ليقاتلَ ويكون نحو هذا ؟ فقال بشير : أولئك كفار وهؤلاء مسلمون ، واتبع ابراهيم رأيه وسار حتى نزل باخمرا وهي من الكوفة على ستة عشر فرسخاً مقابل عيسى بن موسى ، فارسل اليه سلم بن قتيبة ، إنك قد أصحرت ومثلك أنفس به عن الموت ، فخندقْ على نفسك حتى لا تؤتى إلا من مأتى واحدٍ فإنْ أنتَ لم تفعلْ فقد أغرى أبو جعفر عسكره ، فتخفف في طائفة حتى تأتيه فتأخذ بقفاه ، فدعا ابراهيم أصحابه ، وعرض عليهم ذلك فقالوا: نخندق على أنفسنا ونحن الظاهرون عليهم، لا والله لا نفعل، قال : فنأتي أبا جعفر قالوا : ولِمَ وهو في أيدينا متى أردناه ؟ فقال إبراهيم للرسول : أتسمع فارجعْ راشداً ، ثم انهم تصافوا . فصفَّ ابراهيم أصحابه صفاً واحداً فاشارَ عليه بعضُ أصحابه بأن يجعلهم كراديسَ ، فإذا انهزم كردوس ، ثبت كردوس فإنَّ الصف إذا انهزم بعضه تداعى سائره ، فقال الباقون : لا نصف إلا صف أهل الاسلام ، يعني قول الله تعالى :

﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً ﴾[1] الآية ، فاقتتل الناس قتالاً شديداً ، وانهزم حميد بن قحطبة ، وانهزم الناسُ معه ، فعرض لهم عيسى يناشدهم الله والطاعة فلا يلوون عليه ، فاقبل حميد منهزماً فقال له عيسى : الله الله والطاعة فقال : لا طاعةَ في الهزيمة .

ومرَّ الناس فلم يبق مع عيسى إلا نفرٌ يسيرٌ فقيل له : لو تنحيْتَ عن مكانك حتى تؤب إليك الناس فتكر بهم فقال : لا أزول عن مكاني هذا أبداً حتى أُقتلَ أو يفتح الله على يدي ، والله لا ينظر أهل بيتي إلى وجهي أبداً ، وقد انهزمت عن عدوهم ، وجعل

---

(١) الصف : ٤ .

يقول لمن يمرُّ به ؛ اقرىء أهلَ بيتي السلام ، وقولوا لهم ؛ لم أجد فداء أفديكم به أعز من نفسي وقد بذلتها دونكم .

فبينا هم على ذلك لا يلوي أحدٌ على أحدٍ إذ أتى جعفر ، ومحمد ابنا سليمان بن علي من ظهور أصحاب ابراهيم ، ولا يشعر باقي أصحابه الذين يتبعون المنهزمين حتى نظر بعضهم ، فرأى القتال من ورائهم ، فعطفوا نحوه ورجع أصحاب المنصور يتبعونهم ، فكانت الهزيمة على أصحاب ابراهيم ، فلولا جعفر ، ومحمد لتمّت الهزيمة .

وكان من صنع الله للمنصور أنَّ أصحابه لقيهم نهرٌ في طريقهم، فلم يقدروا على الوثوب ، ولم يجدوا مخاضة ، فعادوا بأجمعهم ، وكان أصحاب ابراهيم قد مخروا الماء ليكون قتالهم من وجه واحدٍ ، فلما انهزموا منعهم الماء من الفرار ، وثبت إبراهيم في نفر من أصحابه يبلغون ستمائة ، وقيل : أربعمائة وقاتلهم حميد وجعل يرسل بالرؤوس الى عيسى..

وجاء إبراهيم سهم عائر فوقع في حلقه فنحرَهُ فتنحَّى من موقفه وقال : أنزلوني ، فأنزلوه عن مركبه وهو يقول: ﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾[1] ؛ أردنا أمراً وأراد الله غيره .

واجتمع عليه أصحابُهُ وخاصتُهُ يحمونه ويقاتلون دونه ، فقال حميد بن قحطبة لأصحابه : شُدُّوا على تلك الجماعة حتى تزيلوهم عن موضعهم ، وتعلموا ما اجتمعوا عليه .

فشَدّوا عليهم فقاتلوهم أشدَّ قتالٍ حتى أفرجوهم عن ابراهيم ووصلوا اليه وحزّوا رأسه فأتوا به عيسى ، فأراه ابن أبي الكرام الجعفري فقال : نعم هذا رأسه فنزل عيسى الى الأرض فسجد وبعث برأسه الى المنصور ، وكان قتله يوم الاثنين لخمس ليالٍ بَقين من ذي القعدة سنة خمس وأربعين ومائة ، وكان عمره ثمانياً وأربعين سنة ؛ ومكث منذ خرج إلى أنْ قُتِل ثلاثة أشهر إلا خمسة ايام .

وقيل : كان سبب انهزام أصحابه أنهم لمّا هزموا أصحاب المنصور وتبعوهم نادى منادي ابراهيم ألا لا تتبعوا مدبراً فرجعوا ، فلما رآهم أصحاب المنصور راجعين،

---

(١) سورة الأحزاب ٣٨ .

ظنوهم منهزمين فعطفوا في آثارهم وكانت الهزيمة .

وبلغ المنصور الخبر بهزيمة أصحابه أولاً فعزم على إتيان الري فأتاه نوبخت المنجِّم وقال : يا أمير المؤمنين الظفرُ لك وسيقتل إبراهيم فلم يقبل منه فبينما هو كذلك إذْ جاءه الخبرُ بقتل إبراهيم فتمثَّلَ .

فألقتْ عصاها واستقر بها النّوى كما قرّ عينا بالإياب المسافر

فاقطع المنصور نوبخت ألفي جُرَيْب بنهر حُويزة ، وحملَ رأسُ إبراهيم إلى المنصور ، فوضعَ بين يديه ، فلما رآه بكى حتى خرجت دموعه على خَدّ إبراهيم ثم قال : أما والله إني كنت لهذا كارهاً ولكنك ابتليت بي ، وابتليت بك .

ثم جلس مجلساً عاماً وأذن للناس ، فكان الداخل يدخل ، فيتناول ابراهيم ، ويسيء القول فيه ويذكر فيه القبيح التماساً لرضا المنصور ، والمنصور متمسكٌ متغيرٌ لونُه ، حتى دخل جعفرُ بن حنظلة الدارمي فوقف فسلَّم ثم قال : أعظمَ الله أجرَكَ يا أمير المؤمنين في ابن عمك ، وغفر له ما فرط فيه من حقِّك فاصفرَّ لونُ المنصور وأقبلَ عليه وقال : يا أبا خالد مرحباً ههنا فعلم الناس أن ذلك يرضيه فقالوا مثل قوله ، وقيل : لما وضع الرأس بصق في وجهه رجلٌ من الحرس فأمرَ به المنصور فضُرِبَ بالعمد فهشمت أنفه ووجهه وضُربَ حتى خُمِدَ وأمِرَ به فجرّوا رجله فالقوه خارج الباب .

قيل : نظر المنصور الى سفيان بن معاوية بعد مدة راكباً فقال : لله العجب كيف يقتلني ابن الفاعلة ؟ انقضى امر ابراهيم رضي الله عنه .

ذكر عدة حوادث

وفيها خرجت الترك ، والخزر بباب الأبواب فقتلوا من المسلمين بأرمينية جماعة كثيرة . وحج بالناس هذه السنة السري بن عبدالله بن الحرث بن العباس وكان على مكة .

وكان على المدينة عبدالله بن الربيع ، وعلى الكوفة عيسى بن موسى ، وعلى البصرة سلم بن قتيبة الباهلي ، وعلى قضائها عبادُ بن منصور ، وعلى مصر يزيد بن حاتم ؛ وفيها عزل المنصور مالك بن الهيثم عن الموصل بابنه جعفر بن أبي جعفر المنصور ، وسيَّر معه حرب بن عبدالله وهو من أكابر قواده ، وهو صاحب الحربية

ببغداد ، وبنى باسفل الموصل قصراً وسكنه ، فهو يُعرف إلى اليوم بقصر حرب ، وفيه ولِدَتْ زبيدةُ بنتُ جعفر زوجة الرشيد ؛ وعنده يومنا هذا قرية كانت مُلكاً لنا فبنيْنا فيها رباطاً للصوفية وقفنا القرية عليه قد جمعت كثيراً من هذا الكتاب في هذه القرية في دار لنا بها وهي ، من أنزه المواضع وأحسنها .

وأثر القصر باق بها الى الآن سبحان من لا يزول ولا تغيّره الدهور ، وفيها مات عمرو بن ميمون بن مهران ، والحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وكان موته في حبس المنصور ، لأنه أخذه من المدينة كما ذكرناه وهو عم محمد ، وابراهيم ، وفيها مات عبد الملك بن أبي سليمان العرزمي ، ويحيى بن الحرث الذماري وله سبعون سنة . وإسماعيل بن أبي خالد البجلي ، وحبيب بن الشهيد مولى الأزد وكنيته أبو شهيد .

ثم دخلت سنة ست واربعين ومائة

ذكر انتقال المنصور الى بغداد وكيفية بنائها

وفيها في صفر تحوَّلَ المنصور من مدينة ابن هبيرة الى بغداد وبنى مدينتها ، وقد ذكرنا في سنة خمس وأربعين ومائة ، السبب الباعثَ للمنصور على بناء مدينة بغداد ونذكر الآن بناءها .

ولما عزم المنصور على بناء بغداد ، شاور أصحابه وكان فيهم خالد بن برمك ، فأشار أيضاً بذلك وهو خطّها ، فاستشاره في نقض المدائن . وإيوان كسرى ونقل نقضها الى بغداد فقال : لا أرى ذلك لأنه عَلَمٌ من أعلام الاسلام يُستدلّ به الناظر على أنه لم يكن ليزال مثل أصحابه عنه بأمر الدنيا ، وإنما هو على أمر دين ، ومع هذا ففيه مصلى علي بن أبي طالب ، قال المنصور : لا أبيت يا خالد إلا بالميلِ الى اصحابك العجم ، وأمر بنقض القصر الأبيض ، فنقضَتْ ناحيةٌ منه وحملَ نقضهُ فنظر فكان مقدار ما يلزمهم له أكثر من ثمن الجديد ، فدعا خالد بن برمك فأعلمه ذلك فقال : يا أمير المؤمنين قد كنت أرى أن لا تفعل ، فأما إذ فعلت فإني أرى أن تهدم لئلا يقال : إنك عجزْتَ عن هدم ما بناه غيرك .

فاعرض عنه ، وترك هدمَهُ ، ونقلَ أبواب مدينة واسط فجعلها على بغداد، وباباً جيء به من الشام ، وباباً آخر جيء به من الكوفة ، كان عمله خالد بن عبد الله القسري ، وجعل المدينة مدوّرة لئلا يكون بعض الناس أقرب إلى السلطان من بعض ؛ وعمل لها سورين السور الداخل أعلى من الخارج ، وبنى قصره في وسطها والمسجد الجامع بجانب القصر، وكان الحجاج بن أرطاة هو الذي خطَّ المسجد ، وقِبْلَتُهُ غير مستقيمة يحتاج المصلي أن ينحرف إلى باب البصرة لأنه وُضِعَ بعد القصر .

وكان القصر غير مستقيم على القبلة، وكان اللبن الذي يُبنَى به ذراع في ذراع ووزن بعضها لما نقض ، فكان وزن لبنة منه مائة رطل وستة عشر رطلاً .

وكانت مقاصير جماعة من قواد المنصور وكتّابه ، تشرعُ أبوابها إلى رحبة الجامع ، فطلب إليه عمه عيسى بن علي أن يأذنَ له في الركوب من باب الرحبة إلى القصر لضعفه ، فلم يأذن له قال: فاحسبني راوية فامر الناس بإخراج أبوابهم من الرحبة إلى فصلان الطاقات .

وكانت الأسواق في المدينة فجاء رسول لملك الروم ، فأمر الربيع فطاف به في المدينة ، فقال كيف رأيت ؟ قال: رأيت بناء حسناً إلا أني رأيت أعداءك معك وهم السوقة ؛ فلما عاد الرسول عنه أمر باخراجهم إلى ناحية الكرخ ، وقيل : إنما أخرجهم لأن الغرباء يطرقونها ويبيتون فيها وربما كان فيهم الجاسوس .

وقيل : إنَّ المنصور كان يتبع من خرج مع ابراهيم بن عبد الله وكان أبو زكريا يحيى بن عبد الله محتسب بغداد له مع ابراهيم ميل ، فجمع جماعةً من السَّفَلةِ فشغبوا على المنصور ، فسكنهم وأخذ أبا زكريا فقتله ، وأخرج الأسواق ، فكلَّم في بقال فأمر أن يجعل في كل ربع بقال يبيع البقل والخل حسب ، وجعل الطريق أربعين ذراعاً .

وكان مقدار النفقة على بنائها وبناء المسجد والقصر والأسواق والفصلان والخنادق وأبوابها ، أربعة آلاف ألف وثمانمائة وثلاثة وثلاثين درهماً ؛ وكان الأستاذ من البنائين يعمل يومه بقيراط فضة ، والروزكاري بحبتين ، وحاسب القواد عند الفراغ منها فألزم كلاً منهم بما بقي عنده فأخذه حتى أنَّ خالد بن الصلت بقي عليه خمسة عشر درهماً فحبسه وأخذها منه .

ذكر خروج العلاء بالأندلس

وفيها سار العلاء بن مغيث اليحصبي من أفريقية إلى مدينة بناحية من الأندلس ، ولبس السواد ، وقام بالدولة العباسية ، وخطب للمنصور ، واجتمع إليه خلق كثير ، فخرج إليه الأمير عبد الرحمن الأموي ، فالتقيا بنواحي أشبيلية ، ثم تحاربا أياماً فانهزم العلاء وأصحابه ، وقُتِلَ منهم في المعركة سبعة آلاف وقُتِلَ العلاء ، وأمر بعض التجار بحمل رأسه ورؤوس جماعة من مشاهير أصحابه إلى القيروان ، والقائها بالسوق

سراً ففعل ذلك ، ثم حُمِل منها شيءُ إلى مكة فوصلت وكان بها المنصور وكان مع الرؤوس لواء أسود، وكتاب كتبه المنصور للعلاء.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة عُزِلَ سلم بن قتيبة عن البصرة ، وكان سبب عزلِهِ أنَّ المنصورَ كتب إليه يأمره بهدم دُورِ مَنْ خرجَ مع ابراهيم وبِعَقْرِ نَخْلِهم .

فكتب سلم بأي ذلك أبدأ بالدور أم النخل؟ فانكر المنصور ذلك عليه وعَزَلـه واستعمل محمد بن سليمان فعاث بالبصرة وهدم دار أبي مروان ، ودار عون بن مالك ، ودار عبد الواحد بن زياد وغيرهم .

وغزا الصائفة هذه السنة جعفر بن حنـظلة البهراني ، وفيهـا عُزل عن المـدينة عبد الله بن الربيع الحارثي وولي مكانه جعفر بن سليمان ؛ فقدِمَها في ربيع الأول ، وفيها عزلَ عن مكة السري بن عبد الله وَوَلِيها عبد الصمد بن علي .

وحج بالناس هذه السنة عبد الوهاب بن ابراهيم الامام . وفيها مات هشام بن عروة بن الزبير، وقيل : سنة سبع وأربعين في شعبان ، وعوف الاعرابي ، وطلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله التيمي الكوفي ، وفيها غزا مالـك بن عبد الله الخثعمي الذي يقال له : مالك الصوائف ـ وهو من أهل فلسطين ـ بلاد الروم فغنم غنائم كثيرة ، ثم قفل فلما كان من درب الحدث على خمسة عشر ميلاً بموضع يدعى الرهوة ، نزل بها ثلاثاً ، وباع الغنائم ، وقسَّم سهام الغنيمة فسُميت تلك الرهوة رهوة مالك ، وفيها تُوفي ابن السائب الكلبي النسابة .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائة

ذكر قتل حرب بن عبد الله

فيها أغار استرخان الخوارزمي في جمع من الترك على المسلمين بناحية ارمينية وسبى من المسلمين وأهل الذمة خلقاً ودخلوا تفيس ، وكان حرب مقيماً بالموصل في ألفيْن من الجند لمكان الخوارج الذين بالجزيرة ، وسيَّر المنصور إلى محاربة الترك جبرائيل بن يحيى ، وحرب بن عبد الله ، فقاتلوهم فهُزِمَ جبرائيل وقتل حرب وقُتِلَ من أصحاب جبرائيل خلقٌ كثيرٌ .

ذكر البيعة للمهدي ، وخلع عيسى بن موسى

وفيها خُلِع عيسى بن موسى بن محمد بن علي من ولاية العهد، وبويع للمهدي محمد بن المنصور ، وقد اختلف في السبب الذي خُلِعَ لأجله نفسه فقيل : إنّ عيسى لم يزل على ولاية العهد وامارة الكوفة من أيام السفاح إلى الآن ، فلما كبر المهدي وعزم المنصور على البيعة له ، كلّم عيسى بن موسى في ذلك وكان يُكرِمُه ويُجْلِسُه عن يمينه، ويجلس المهدي عن يساره ؛ فلما قال له المنصور في معنى خلع نفسه وتقديم المهدي عليه أبى وقال: يا أمير المؤمنين كيف بالأيمان عليّ وعلى المسلمين من العتق، والطلاق، وغير ذلك؟ ليس إلى الخلع سبيل.

فتغير المنصور عليه وباعده بعض المباعدة وصار يأذن للمهدي قبله ، وكان يجلس عن يمينه في مجلس عيسى، ثم يؤذن لعيسى، فيدخل فيجلس إلى جانب المهدي، ولم يجلس عن يسار المنصور، فاغتاظ منه، ثم صار يأذن للمهدي ولعمه عيسى بن علي، ثم لعبد الصمد بن علي ثم لعيسى بن موسى ، وربما قدَّم وأخَّر إلاّ أنه يبدأ بالإذن للمهدي على كل حال.

وتوهم عيسى أنه يقدّم اذنهم لحاجة له اليهم وعيسى صامت لا يشكو منه شيئاً ؛ ثم صار حال عيسى إلى أعظم من ذلك ؛ فكان يكون في المجلس معه بعض وُلْده فيسمع الحفر في أصل الحائط، وينثر عليه التراب ، وينظر إلى الخشبة من السقف، قد حفر عن أحد طرفيها لتقلع فيسقط التراب على قلنسوته وثيابه ، فيأمر مَنْ معه من وُلْدِه بالتحول ، ويقوم هو يصلي ثم يؤذن له فيدخل بهيئته والتراب على رأسه وثيابه لا ينفضه فيقول له المنصور : يا عيسى ما يدخل على أحد بمثل هيئتك من كثرة الغبار والتراب ؛ أفَكلُّ هذا من الشارع؟ فيقول: أحسب ذلك يا أمير المؤمنين ولا يشكو شيئاً.

وكان المنصور يرسل إليه عمه عيسى بن علي في ذلك فكان عيسى بن موسى لا يُؤْثِرُهُ ويتهمه فقيل : ان المنصور أمر أن يسقى عيسى بن موسى بعض ما يتلفه ، فوجد الماء في بطنه فاستأذن في العود إلى بيته بالكوفة ، فأذن له فمرض من ذلك واشتد مرضه ثم عوفي بعد أن أُشْفِيَ.

وقال عيسى بن علي للمنصور: إن ابن موسى انما يتربَّصُ بالخلافة لابنه موسى فابنه الذي يمنعه فقال له[1]: خوفه وتَهددْهُ، فكلمه عيسى بن علي في ذلك وخَوَّفه فخاف عيسى بن موسى وأتى العباس بن محمد فقال: يا عم إني أرى ما يُسِئِمُ أبي من إخراج هذا الأمر من عُنُقِهِ وهو يؤذى بصنوف الأذى بالمكروه فهو يهدد مرة، ويؤخر إذنه مرةً، ويهدِمُ عليه الحيطانَ مرةً ، وتدسُّ إليه الحتوف مرة ، وأبي لا يعطي على ذلك شيئاً ولا يكون ذلك أبداً؛ ولكن ههنا طريق لعله يعطي عليها وإلا فلا، قال: وما هو؟ قال : يقبل عليه أمير المؤمنين وأنا شاهد فيقول له : إني أعلم إنك لا تبخل بهذا الأمر لنفسك لكبر سنك ، وأنه لا تطول مدتك فيه وإنما تبخل به لابنك أَفتراني أدعُ ابنك يبقى بعدك حتى يلي على ابني؟ كلا والله لا يكون ذلك أبداً ولأبثَّنَ على ابنك وأنت تنظر حتى ييأس منه ؛ فإن فعل ذلك فلعله أن يجيب إلى ما يراد منه ، فجاء العباس إلى المنصور وأخبره بذلك ، فلما اجتمعوا عنده قال ذلك .

وكان عيسى بن علي حاضراً فقام ليبول ـ فأمر عيسى بن موسى ابنه موسى ليقوم

---

(١) أي فقال المنصور لعيسى بن علي .

معه يجمع عليه ثيابه ، فقام معه فقال له عيسى بن علي : بأبي أنت وبأبي أب ولدك والله إني لأعلم أنه لا خيْرَ في هذا الأمر بعدكما ، وأنكما لأحقُّ به ، ولكن المرء مغرى بما تعجل .

فقال موسى في نفسه : أمكنني هذا والله من مقاتله وهو الذي يغري بأبي ، والله لأقتلنَّهُ ، فلما رجعا قال موسى لأبيه ذلك سراً فاستأذنه في أن يقول للمنصور ما سمع منه فقال له أبوه : إن لهذا رأياً ومذهباً أيأتمنك عمك على مقالةٍ أراد أن يسرَّك بها فجعلتها سبباً لمكروهه لا يسمعنَّ هذا أحدُ ، اِرجعْ إلى مكانك .

فلما رجِعَ إلى مكانه أمرَ المنصورُ الربيعَ فقام إلى موسى فَخَنَقَهُ بحمائِلِه وموسى يصيحُ : « الله الله في دمي يا أمير المؤمنين » ، وما يبالي عيسى أن تقتلني وله بضعة عشر ذكراً والمنصور يقول : يا ربيع أزهقْ نفسه ؛ والربيع يوهم أنه يريد تَلْفَه وهو يُرفِقُ به وموسى يصيح .

فلما رأى ذلك أبوه قال : والله يا أمير المؤمنين ما كنت أظن أن الأمر يبلغ منك هذا كله ، فاكففْ عنه فها أنا ذا أشهدك أنَّ نسائي طوالق ومماليكي أحرار وما أملِكُ في سبيلِ الله تصرفَ ذلك فيمن رأيت يا أمير المؤمنين ، وهذه يدي بالبيعة للمهدي ؛ فبايعه للمهدي ثم جعل عيسى بن موسى بعد المهدي ، فقال بعض أهل الكوفة : هذا الذي كان غداً فصار بعد غدٍ ، وقيلَ : إنَّ المنصورَ وضعَ الجندَ وكانوا يسمعون عيسى بن موسى ما يكره ، فشكا ذلك من فعلهم ، فنهاهم المنصورُ عنه ، وكانوا يكفُّون ثم يعودون ، ثم أنهما تكاتبا مكاتباتٍ أغضبتِ المنصور .

وعاد الجند معه لأشدّ ما كانوا ، منهم أسد بن المُرزُبان ، وعقبة بن سلم ، ونصر بن حرب بن عبد الله وغيرهم فكانوا يمنعونه من الدخول عليه ويسمعونه فشكاهم إلى المنصور فقال له : يا بن أخي أنا والله أخافهم عليك وعلى نفسي ، فإنهم يحبون هذا الفتى ، فلو قدمته بين يديك لكفّوا ، فاجاب عيسى إلى ذلك ، وقيل : إن المنصور استشار خالدَ بن برمكٍ في ذلك ، وبعثه إلى عيسى فاخذ معه ثلاثين من كبار شيعة المنصور ممن يختارهم ، وقال لعيسى في أمر البيعة ، فامتنع .

فرجعوا إلى المنصور وشهدوا على عيسى أنه خلع نفسه فبايع للمهدي ، وجاء

عيسى فانكر ذلك فلم يسمعْ منه ، وشكر لخالدِ صنيعه ، وقيل : بل اشترى المنصور منه ذلك بمالٍ قدرُه أحدَ عشرَ ألفَ ألف درهمٍ له ولأولاده وأشهد على نفسه بالخلع ، وكانت مدة ولاية عيسى بن موسى الكوفة ثلاث عشرة سنة ، وعزله المنصورُ واستعمل محمد بن سليمان بن علي عليها ليؤذي عيسى ويستخفَّ به فلم يفعل ولم يزل معظِّماً له مبجِّلاً .

ذكرُ موتِ عبدِ الله بنِ علي

وكان المنصورُ قد أحضرَ عيسى بن موسى بعد أن خَلَعَ نفسَه وسلَّم إليه عمه عبد الله بن علي ، وأمره بقتله وقال له : إن الخلافة صائرةٌ إليك بعد المهدي ؛ فاضرب عنقه وإياك أن تضعفَ فتنقضَ على أمري الذي دبرتَهُ ثم مضى إلى مكة وكتب إلى عيسى من الطريق يستعلم منه ما فعل في الأمر الذي أمره ، فكتب عيسى في الجواب : « قد أنفذْتُ ما أمرت به فلم يشك أنه قتله » .

وكان عيسى حين أخذ عبد الله من عند المنصور ، دعا كاتبه يُونسَ بنَ فروة ، وأخبرَهُ الخبرَ فقال : أراد أن تقتله ثم يقتلك ، لأنه أمر بقتله سِرّاً ثمَّ يدعيه عليك علانية ، فلا تقتلْهُ ولا تدفعْهُ إليه سراً أبداً واكتمْ أمرَهُ ، ففعل ذلك عيسى .

فلما قدم المنصور ، وضعَ على أعمامه مَنْ يحركهم على الشفاعة في أخيهم عبد الله ففعلوا وشفعوا فشفعهم وقال لعيسى : إني كنت دفعت إليك عمي وعمك عبد الله ليكون في منزلك ، وقد كلمني عمومتك فيه ، وقد صفحت عنه، فأتنا به ، قال : يا أمير المؤمنين ألمْ تأمرني بقتله فقتلته ؟ قال: ما أمرتك قال : بلى أمرتني قال: ما أمرتك إلَّا بحبسه وقد كذبت، ثم قال المنصور لعمومته : إنَّ هذا قد أقر لكم بقتل أخيكم قالوا : فادفعه إلينا نقيِّده به؛ فسلمه إليهم وخرجوا به إلى الرحبة ، واجتمع الناسُ وشهرَ الأمر، وقام أحدُهم ليقتلَهُ، فقال له عيسى: أفاعل أنت؟ قال: إي والله قال: ردوني إلى أمير المؤمنين فردوه إليه فقال له: إنما أردت بقتله أن تقتلني ، هذا عمك حي سوي قال: ائتنا به ؛ فأتاه به قال: يدخل حتى أرى رأيي ثم انصرفوا ، ثم أمر به فجعل في بيتٍ أساسُهُ ملحٌ ، وأجرى الماء في أساسه، فسقط عليه فمات ، فدفن في مقابر بابِ الشام ، فكان أول من دُفِنَ فيها وكان عمرهُ اثنتين وخمسين سنةً .

قيل : ركب المنصور يوماً ومعه ابن عياش المنتوف فقال له المنصور : تعرف ثلاثة خلفاء أسماؤهم على العين ، قتلت ثلاثة خوارج مبدأ أسمائهم على العين قال : لا أعرف الا ما يقول العامة : إنَّ علياً قتلَ عثمان وكـذبوا ، وعبـد الملك قتلَ عبـد الرحمن بن الأشعث ، وعبد الله بن الزبير قتل عمراً بن سعيد، وعبد الله بن علي سقط عليه البيت ، فقال المنصور : إذا سقط عليه فما ذنبي أنا ؟ قال: ما قلت إن لك ذنباً قوله ابن الزبير قتل عمراً بن سعيد ليس بصحيحٍ ، إنما قتلَهُ عبد الملـك عـياش باليـاء المثناة من تحت والشين المعجمة .

ذكر عدة حوادث

في هـذه السنة ولَّى المنصـورُ محمداً إبنَ أخيـه أبي العباس السفـاح البصـرة فاستعفى منها ، فاعفاه فانصرف الى بغداد ، واستخلف بها نخبـةَ بنَ سالم ، فـاقرَّه عليها ، فلما رجع إلى بغداد مات بها ؛ وحج بالناس هذه السنة المنصور ، وكان عامله على مكة؛ والطائف عمه عبد الصمد بن علي ، وعلى المدينة جعفر بن سليمـان ، وعلى مصر يزيد بن حاتم المهلبي ، وفيها أغزى عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس، مولاه بدراً، وتمام بن علقمة طليطلة، وبها هاشم بن عذرّة وضيَّقا عليه ثم أسراه هو، وحياة بن الوليد اليحصبي ، وعثمان بن حمزة بن عُبَيْد الله بن عمر بن الخطاب وأتيا بهم إلى عبد الرحمن في جباب صوف ، وقـد حُلِقَتْ رؤوسهم ولحاهُم وقـد أُركِبوا الحميرَ وهم في السلاسل ، ثم صُلِبُوا بقرطبة، وفيها قَدِمَ رسولُ عبد الرحمن الذي أرسله إلى الشام في إحضار ولده الأكبر سليمان ، فحضر وسليمان معه ، وكان قد وُلِدَ لعبد الرحمن بالأندلس وَلَدُه هشام فقدمه الأمير عبد الرحمن على سليمان، فحصل بينهما حقدٌ وغِلٌّ أوجبا ما نذكره فيما بعد، وفيها تناثرت النجوم، وفيها مات أشعث بن عبد الملك الحمراني البصري، وهشام بن حسان مولى لِعَتِيك ، وقيل : مات سنة ثمان وأربعين ، وعبد الرحمن بن زبيد بن الحرث اليامي أبو الأشعث الكوفي .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائة

ذكر خروج حسان بن مجالد

وفيها خرج حسان بن مجالد بن يحيى بن مالك بن الأجدع الهمداني ؛ ومالك هذا هو أخو مسروق بن الاجدع .

وكان خروجه بنواحي الموصل بقرية تسمى بافخارى ، قريب من الموصل على دجلة ، فخرج اليه عسكر الموصل وعليها الصقر بن نجدة ـ وكان قد وليها بعد حرب بن عبد الله ـ فالتقوا، واقتتلوا ، وانهزم عسكر الموصل إلى الجسر ، وأحرق الخوارجُ أصحاب حسان السوقَ هناك ونهبوه ، ثم ان حسان سار إلى الرَّقة ، ومنها إلى البحر ، ودخل إلى بلد السند ؛ وكانت الخوارج من أهل عمان يدخلونهم ويدعونهم فاستأذنهم في المسير إليهم فلم يجيبوه ، فعاد إلى الموصل فخرج إليه الصقر أيضاً ، والحسن بن صالح بن حسان الهمداني ، وبلال القيسي فالتقوا فانهزم الصقرُ وأُسِرَ الحسن بن صالح ، وبلال ؛ فقَتَلَ حسانُ بلالاً واستبقى الحسنَ لأنه من همدان، ففارقه بعض أصحابه لهذا .

وكان حسان قد أخذ رأي الخوارج عن خاله حفص بن أشيم ؛ وكان من علماء الخوارج وفقهائهم ،ولما بلغ المنصور خروج حسان قال : خارجي من همدان قالوا : إنه ابن أخت حفص بن أشيم فقال : فمن هناك ، وإنما أنكر المنصورُ ذلك لأن عامة همدان شيعةٌ لعلي ، وعزم المنصور على انفاذ الجيوش إلى الموصل والفتك بأهلها فاحضرَ أبا حنيفة ، وابن أبي ليلى ، وابن شبرمة وقال لهم : إن أهل الموصل شرطوا لي أنهم لا يخرجون علي فإن فعلوا حلَّتْ دماؤهم وأموالهم ، وقد خرجوا فسكت أبو حنيفة وتكلم الرجلان وقالا : رعيتك فإن عفوْتَ فأهلُ ذلك أنتَ، وإنْ عاقبْتَ فيما يستحقون، فقال لأبي حنيفة : أراك سكتَّ يا شيخ فقال : يا أمير المؤمنين أباحوك مالا يملكون

أرأيت لو أن أمرأة أباحتْ فرجها بغيرِ عقدِ نكاح وملك يمين أكان يجوز أن تُوطأ؟ قال: لا ؟ وكفَّ عن أهل الموصل ، وأمر أبا حنيفة وصاحبيه بالعود إلى الكوفة .

ذكر استعمال خالد بن برمك

وفيها استعمل المنصور على الموصل خالد بن برمك ، وسببُ ذلك أنه بَلَغَهُ انتشارُ الاكرادِ بولايتها وإفسادهم فقال : من لها ؟ فقالوا : المسيب بن زهير، فأشار عمارة بن غمرة بخالد بن برمك ، فولَّاه وسيَّره إليها وأحسَنَ إلى الناس ، وقهر المفسدين وكفَّهم، وهابَهُ أهلُ البلدِ هيبةً شديدةً مع إحسانه إليهم ، وفيها وُلِدَ الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك لسبع بقين من ذي الحجة قبل أن يولدَ الرشيدُ ابن المهدي بسبعة أيام ، فارضعته الخيزران أم الرشيد بلبن ابنها ، فكان الفضل بن يحيى أخا الرشيد من الرضاعة، ولذلك يقول سلم الخاسر :

أصبح الفضلُ والخليفةُ هارو ... ن رضيعي لبان خير النساء

وقال أبو الجنوب :

كفى لك فضلاً أن أفضل حرةً ... غذتك بثدي والخليفة واحد

ذكر ولاية الأغلب بن سالم أفريقية

لما بلغ المنصور خروج محمد بن الأشعث من أفريقية ، بعث إلى الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي عهداً بولاية أفريقية ، وكان هذا الأغلب ممن قام مع أبي مسلم الخراساني ، وقدم أفريقية مع محمد بن الأشعث، فلما أتاه العهدُ قَدمَ القيروان في جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين ومائة، وأخرج جماعةً من قُوَّاد المضرية وسَكَن الناس ، وخرج عليه أبو قرة في جمعٍ كثيرٍ من البربر ؛ فسار إليه الأغلب ، فهرب أبو قرة من غيرِ قتالٍ ، وسار الأغلَبُ يريد طنجة ، فاشتد ذلك على الجند وكرهوا المسير ، وتسلّلوا عنه إلى القيروان ، فلم يبق معه إلا نفرٌ يسير.

وكان الحسنُ بنُ حرب الكندي بمدينة تونس، وكاتب الجند، ودعاهم إلى نفسه فأجابوه، فسار حتى دخلَ القيروان من غير مانع ، وبلغ الأغلب الخبرَ، فعاد مجداً فقال له بعض أصحابه : ليس من الرأي أن تَعْدل إلى لقاء العدوّ في هذه العدة القليلة ،

ولكنَّ الرأيَ أنْ تعدلَ إلى قابسَ فإنَّ أكثر مَنْ معه يجيءُ إليك لأنهم إنما كَرِهوا المسير إلى طنجة لا غير ، وتقوى بهم وتقاتل عدوك .

ففعل ذلك وكثر جمعه وسار إلى الحسن بن حرب ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزمَ الحسنُ وقُتِلَ من أصحابه جمعٌ كثيرٌ ، ومضى الحسن إلى تونسَ في جمادى الآخرة سنة خمسين ومائة ، ودخل الأغلب القيروانَ، وحشد الحسن وجمع فصار في عدّة عظيمة فقصد الأغلب، فخرج إليه الأغلب من القيروان ، فالتقوا واقتتلوا ، فأصاب الأغلب سَهْمٌ فقتله ، وثبت أصحابه فتقدم عليهم المخارق بن غفار ، فحمل المخارق على الحسن ، وكان في ميمنة الأغلب ـ فهزمه فمضى منهزماً إلى تونس في شعبان سنة خمسين ومائة .

ووليَ المخارق أفريقية في رمضان ووجه الخيل في طلب الحسن فهرب الحسن من تونس إلى كتامة فأقام شهرين ثم رجع إلى تونسَ فخرج إليه مَنْ بها من الجند فقتلوه ، وقد قيل : إن الحسن قُتِلَ بعد قَتْلِ الأغلبِ ، لأن أصحاب الأغلب ثبتوا بعد قتله في المعركة ، فقتل الحسن بن حرب أيضاً وولَّى أصحابه منهزمين وصُلِبَ الحسن ودُفِنَ الأغلبُ وسُمِّي الشهيد ، وكانت هذه الوقعة في شعبان سنة خمسين ومائة .

ذكر الفتن بالأندلس

في هذه السنة خرج سعيد اليحصبي المعروف بالمطري بالأندلس بمدينة لبلة ، وسبب ذلك أنه سكر يوماً فتذكر مَنْ قُتِلَ من أصحابه اليمانية مع العلاء وقد ذكرناه فعقد لواء ، فلما صحا رآه معقوداً فسأل عنه ، فأخبر به فأراد حله ثم قال ؛ ما كنتُ أعقد لواء ثم أحله بغير شيء وشرع في الخلاف ، فاجتمعت اليمانية إليه ، وقصد إشبيلية وتغلَّبَ عليها، وكَثُرَ جَمْعُه ، فبادره عبد الرحمن صاحبُ الأندلس في جموعه ، فامتنع المطري في قلعة زعواق لاحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول فحصره عبد الرحمن فيها وضيَّق عليه ومنع أهل الخلاف من الوصول إليه ، وكان قد وافقه على الخلاف غيَّاث بن علقمة اللخمي ـ وكان بمدينة شدونة ـ وقد انضاف إليه جماعة من رؤساء القبائل ، يريدون إمداد المطري وهم في جَمْعٍ كثير، فلما سمعَ عبدُ الرحمن ذلك، سيَّر إليهم بدراً مولاه في جيش ، فحالَ بينهم وبين الوصول إلى المطري فطال الحصارُ عليه ، وقلَّتْ رجاله

بالقتل ، ففارقه بعضُهم، فخرج يوماً من القلعة ، وقاتل فقُتِلَ وحُمِلَ رأسُـهُ إلى عبد الرحمن .

فَقَدِمَ أهلَ القلعة عليهم خليفةُ ابن مروان فدام الحصارُ عليهم ، فأرسل أهلُها يطلبون الأمانَ من عبد الرحمن ليسلموا إليه خليفة ، فأجابهم إلى ذلك وأمَّنهم فسلَّموا إليه الحصنَ وخليفة، فخرب الحصن ، وقُتِلَ خليفة ومَنْ معه ، ثم انتقل إلى غياث وكان موافقاً للمطري على الخلاف ، فحصرهم ، وضيَّق عليهم ، فطلبوا الأمان، فأمنهم إلا نفراً كان يعرف كراهتهم لدولته ، فإنه قبض عليهم وعاد إلى قرطبة فلما عاد إليها، خرج عليه عبد الله بن خراشة الأسدي، بكورة جيان ، فاجتمعت إليـه جموع فأغار على قرطبة فسيَّر اليه عبد الرحمن جيشاً فتفرَّق جمعُهُ، فطلبَ الأمان فبذله له عبد الرحمن ووفى له.

ذكر عدة حوادث

وفيها عسكر صالح بن علي بدابق ولم يغز ، وحجَّ بالناس أبو جعفر المنصور ، وكان ولاة الأمصار مَنْ تقدمَ ذكرُهم ، وفيها مات سليمان بن مهران الأعمش[1] وكان مولده سنة ستين ، وفيها مات جعفر بن محمد الصادق وقبره بالمدينة يزار هو وأبوه ، وجده في قبر واحد مع الحسن بن علي بن أبي طالب ، وفيها مات زكريا بن أبي زائدة ، وأبو أمية عمرو بن الحرث بن يعقوب مولى قيس بن سعد بن عبادة ، وقيل : غير ذلك وكان مولده سنة تسعين، وعبد الله بن يزيد مولى الأسود بن سفيان ويقال : مولى تميم وهو ثقة ، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى القاضي ، ومحمد بن الوليد الزبيدي ، ومحمد بن عجلان المدني ، وعوَّام بن حوشب بن يزيد بن رويم الشيباني الواسطي ، ويحيى بن أبي عمرو السيباني من أهل الرملة ، و (سِيبان) بالسين المهملة ثم بالياء المثناة من تحت ثم بالباء الموحدة بطن من حمير .

---

(١) هو أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي المحدث المعروف بالأعمش من تابعي أهل الكوفة وكان خفيف الروح ذا دعابة .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائة

وفيها غزا العبَّاس بن محمد الصائفة أرض الروم ، ومعه الحسن بن قحطبة، ومحمد بن الأشعث فمات محمد في الطريق . وفيها استتم المنصور بناء سور مدينة بغداد ، وخندقها، وفرَّغ جميعَ أمورها ، وسار إلى حديثة الموصل ثم عاد ، وحجَّ بالناس محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس . وفيها عُزِلَ عبدُ الصمد بن علي عن مكة في قول بعضهم ، واستعمل محمد بن ابراهيم ؛ وكان عمال الامصار مَنْ تقدم ذكرهم سوى مكة والطائف . وفيها أغزى عبد الرحمن صاحب الأندلس بدراً مولاه إلى بلاد العدو ، فجاوز إليه وأخذ جزيتها .

وكان أبو الصباح حي بن يحيى على اشبيلية فعزله ، فدعا إلى الخلاف، فأنفذ إليه عبد الرحمن وخدعه حتى حضر عنده فقتله ؛ وفيها مات سلم بن قتيبة الباهلي بالري وكان مشهوراً عظيم القدر[١] وكهمس بن الحسن ابو الحسن التميمي البصري . وفيها توفي عيسى بن عمر الثقفي النحوي المشهور ، وعنه أخذ الخليل النحو وله فيه تصنيف[٢] .

---

(١) ولي سلم هذا امرة البصرة ليزيد بن عمر بن هبيرة في أيام مروان الحمار ثم وليها في أيام أبي جعفر المنصور وكان أميراً عاقلاً عادلاً في الرعية .

(٢) له الإكمال والجامع .

ثم دخلت سنة خمسين ومائة

ذكر خروج استاذسيس(١)

وفيها خرج أستاذ سيس في أهل هراة ، وباذغيس ، وسجستان ، وغيرها من خراسان . وكان فيما قيلَ في زهاء ثلاثمائة ألف مقاتل ، فغلبوا على عامة خراسان وسار حتى التقوا هم وأهلُ مرو والروذ، فخرج إليهم الأجشم المَرْوَرْوَذي في أهلِ مرو الروذ، فقاتلوه قتالاً شديداً ، فقُتِلَ الأجشم(٢) وكَثُرَ القتلُ في أصحابه وهُزِمَ عدةٌ من القواد، منهم معاذ بن مسلم ، وجبرائيل بن يحيى ، وحماد بن عمرو ، وأبو النجم السجستاني ، وداود بن كرار .

ووجه المنصور ـ وهو بالراذان ـ(٣) خازم بن خزيمة الى المهدي ، فولاه المهدي محاربة استاذسيس ، وضم إليه القواد، فسار خازم وأخذ معه مَنْ انهزم ، وجعلهم في أخريات الناس يكثر بهم من معه ، وكان معه من هذه الطبقة اثنان وعشرون ألفاً ، ثم انتخب منهم ستة آلاف رجل وضمهم إلى إثني عشر ألفاً كانوا معه من المنتخبين.

وكان بكار بن سلم(٤) فيمن انتخب وتعبى للقتال فجعل الهيثم بن شعبة بن ظهير على ميمنته ، ونهارَ بنَ حصين السعدي على ميسرته ، وبكّار بن سلم العقيلي في مقدمته ، وكان لؤلؤه مع الزبرقان ، فمكَرَ بهم وراوغهم في أن ينقلَهُم مِنْ موضِعٍ إلى موضعٍ ، وخندقٍ إلى خندقٍ حتى قطعهم وكان أكثرهم رجالة، ثم سار خازم إلى موضعٍ .

---

(١) كذا في الطبري أيضاً ، وفي النجوم الزاهرة « أسباديس » بباء موحدة ودال مهملة .

(٢) الأجشم « بجيم وشين معجمة » ، وفي الطبري « الاجثم » بثاء مثلثة ، وفي النجوم الزاهرة « الاختم » بخاء معجمة وتاء مثناة من فوق .

(٣) في الطبري « وهو بالبردان » .

(٤) في الطبري « بكار بن مسلم » بميم في أوله .

فنزله وخندق عليه وعلى جميع أصحابه، وجعل له أربعةَ أبوابٍ وجعلَ على كلِّ بابٍ ألفاً من أصحابه الذين انتخبوا .

وأتى أصحاب أستاذسيس ومعهم الفؤوس ، والمرور ، والزبل ليطموا الخندق فأتوا الخندق من الباب الذي عليه بكار بن سلم فحملوا على أصحاب بكار حملة هزموهم بها ، فرمى بكار بنفسه فترجَّلَ على بابِ الخندقِ وقال لأصحابه : لا يؤتى المسلمون من ناحيتنا ، فترجل معه من أهله وعشيرته نحو من خمسين رجلاً وقاتلوهم حتى ردوهم من بابهم ، ثم أقبل إلى الباب الذي عليه خازم رجلٌ من أصحابِ أستاذسيس من أهل سجستان اسمه الحرُيش ، وهو الذي كان يدبِّر أمره .

فلما رآه خازم مقبلاً ، بعث إلى الهيثم بن شعبة ، وكان في الميمنة أن يخرج من الباب الذي عليه بكارُ فإنَّ مَنْ بإزائِهِ قد شُغِلُوا عنهم ، ويسير حتى يغيب عن أبصارهم ، ثم يرجع من خلف العدوّ .

وقد كانوا يتوقعون قدوم أبي عون ، وعمرو بن سلم بن قتيبة من طخارستان .

وبعث خازم إلى بكار إذا رأيت رايات الهيثم قد جاءت فكبِّروا وقولوا : قد جاءت فكبِّروا وقولوا : قد جاء أهل طخارستان ، ففعل ذلك الهيثم، وخرج خازم في القلب على الحريش وشغلهم بالقتالِ وصبر بعضهم لبعض فبينا هم على ذلك، نظروا إلى اعلام الهيثم فتنادوا بينهم جاء أهل طخارستان فلما نظروا إليها حمل عليهم أصحاب خازم فكشفوهم، ولقيهم أصحاب الهيثم، فطعنوهم بالرماح، ورموهم بالنشاب، وخرج عليهم نهار بن حصين من ناحية الميسرة ، وبكار بن سلم وأصحابه من ناحيتهم، فهزموهم ووضعوا فيهم السيوف ، فقتلهم المسلمون، فاكثروا وكان عدد من قتل سبعين ألفاً وأسروا أربعة عشر ألفاً ، ونجا استاذسيس إلى جبل في نفر يسير فحَصَرَهم خازم وقَتَلَ الأسرى، ووافاه أبو عون ، وعمرو بن سلم ، ومن معهما فنزل أستاذسيس على حكم أبي عون فحكم ان يوثق استاذسيس ، وبنوه ، وأهل بيته بالحديد وأن يعتق الباقون وهم ثلاثون ألفاً فامضى خازم حكمه وكسَا كلَّ رجلٍ ثوبين ، وكتب إلى المهدي بذلك ؛ فكتب المهدي إلى المنصور ، وقيل : إنَّ خروج استاذسيس كان سنة خمسين وكانت هزيمته سنة إحدى وخمسين ومائة ، وقد قيل : إن استاذسيس ادَّعى النبوة ، وأظهر أصحابُهُ الفسقَ ، وقطع السبيل ، وقيل: إنه جد المأمون أبو أمه

مراجل وابنه غالب خال المأمون وهو الذي قَتَلَ ذا الرياستين الفضل بن سهل لمواطأةٍ من المأمون وسَيَرِدُ ذِكرهُ إن شاء الله .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة عَزَلَ المنصور جعفر بن سليمان عن المدينة وولَّاها الحسن بن زيد بن الحسن بن الحسن بن علي ، وفيها خرج بالأندلس غياث بن المسير الأسدي بنائحة ، فجمع العمال لعبد الرحمن جمعاً كثيراً وسار إلى غياث ، فواقعه ، فانهزم غياث ومن معه ، وقُتِلَ غياث وبُعِثَ برأسه إلى عبد الرحمن بقرطبة ، وفيها مات جعفر بن أبي جعفر المنصور ، وصلّى عليه أبوه ودُفِنَ ليلاً في مقابر قريش ، ولم يكن للناس في هذه السنة صائفة ، وحجَّ بالناس عبد الصمد بن علي وكان هو العامل على مكة في قول بعضهم ، وقال بعضهم : بل كان العامل محمد بن ابراهيم ، وكان على الكوفة محمد بن سليمان بن علي ، وعلى البصرة عُقْبة بن سلم ، وعلى قضائها سوار ، وعلى مصر يزيد بن حاتم ، وفي هذه السنة مات الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت[1] ، ومعمّر بن راشد ، وعمر بن ذر ، وقيل ؛ مات عمر سنة خمس وخمسين ومائة وكان من الصالحين يقول بالإرجاء، وفي سنة خمسين مات عبدالملك بن عبد العزيز بن جريج ، ومحمد بن إسحاق بن يسار صاحب المغازي ، وقيل مات سنة إحدى وخمسين ؛ وفيها مات مقاتل بن سليمان البلخي المفسر ، وكان ضعيفاً في الحديث. وأبو جناب الكلبي ، وعثمان بن الأسود ، وسعيد بن أبي عروبة ، واسم أبي عروبة مهران مولى بني يشكر كنيته أبو النضر. (يسار) بالياء تحتها نقطتان وبالسين المهملة .

---

(١) هو صاحب المذهب المولود سنة ثمانين من الهجرة ومناقبه كثيرة أفردت في مصنفات ويكفي في فضله ما قاله الشافعي رضي الله عنه : الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة ، وفي شهرته ما يغني عن الإطناب في ذكره.

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائة

فيها أغارت الكرك على جدة .

ذكر عزل عمر بن حفص عن السِّند وولاية هشام بن عمرو

وفيها عَزَلَ المنصور عمرَ بنَ حفص بنَ عثمان بنَ قُبيصة بن أبي صُفرة المعروف بهزارمرد - يعني ألف رجل - عن السند واستعمل عليها هشام بن عمرو التغلبي واستعمل عمر بن حفص على افريقية .

وكان سبب عزله عن السند انه كان عليها لما ظهر محمد ، وابراهيم ابنا عبد الله بن الحسن ؛ فوجَّه محمد ابنه عبد الله المعروف بالأشتر إلى البصرة فاشترى منها خيلاً عتاقاً ليكون سبب وصولهم إلى عمر بن حفص ، لأنه كان فيمن بايعه من قواد المنصور وكان يتشيّع .

وساروا في البحر إلى السند فأمرَهُم عُمَرُ أن يحضروا فقال له بعضهم : إنَّا جئناك بما هو خيرٌ من الخيلِ ، وبما لَكَ فيه خير الدنيا والآخرةِ ، فاعطنا الأمان ، إما قبلت منا وإما سَتَرْتَ وأمسكت عن أذانا حتى نخرج عن بلادك راجعين ؛ فامنه فذكر له حالهم وحال عبدِ الله بنِ محمد بنِ عبد الله ؛ أرسله أبوه اليه فرحَّب بهم وبايعهم وانزل الاشتر عنده مختفياً ، ودعا كبراء أهل البلد ، وقوَّاده وأهلَ بيته إلى البيعة فاجابوه فقطع ألويتهم البيضَ ، وهيأ لبسه من البياض ليخطب فيه ، وتهيأ لذلك يوم الخميس ، فوصله مركبٌ لطيفٌ فيه رسولٌ من امرأة عمر بن حفص تخبره بقتل محمد بن عبد الله ، فدخل على الاشتر فأخبره ، وعزاه فقال له الأشترُ : إن أمري قد ظَهر ودمي في عنقك فانظر

لنفسك أو دع قال عمر : قد رأيتُ رَأْياً ههنا، ملك من ملوك السند عظيم الشأن كثيرُ المملكة وهو على شوكة أشد الناس تعظيماً لرسول الله ﷺ وهو وفيّ أرسلْ اليه فاعقدْ بينك وبينه عقداً فأوجِّهُكَ إليه تكون عنده فلست ترام معه ، ففعل ذلك وسار إليه الاشتر فاكرمه ، وأظهر برَّه، وتسلَّلت اليه الزيدية حتى اجتمع معه أربعمائة انسان من أهل البصائر ، فكان يركب فيهم ويتصيَّد في هيئة الملوك وآلاتهم .

فلما انتهى ذلك إلى المنصور ، بلغ منه ما بلغ ، وكتب إلى عمر بن حفص يخبره ما بلغه ، فقرأ الكتاب على أهله وقال لهم : إن أقررْتُ بالقصة عزلني وإن سرْتُ إليه قتلني وإن امتنعتُ حاربني فقال له رجل منهم : ألقِ الذنب عليَّ وخذني وقيِّدْني ، فانه سيكتب في حملي إليه فاحملني فإنه لا يقدم عليَّ لمكانك في السند وحال أهل بيتك بالبصْرة، فقال عمر : أخاف عليك خلاف ما تظن قال : إن قُتلتُ فنفسي فداء لنفسك ، فقيده وحبسه وكتب إلى المنصور بأمره ؛ فكتب إليه المنصور يأمره بحمله فلما صار إليه ضرب عنقه .

ثم استعمل على السند هشام بن عمرو التغلبي ، وكان سبب استعماله أن المنصور كان تفكر فيمن يوليه السند ، فبينا هو راكب والمنصور ينظر إليه إذ غابَ يسيراً ، ثم عاد فاستأذن على المنصور فادخله فقال : إني لما انصرفْتُ من الموكب لقيتني أختي فلانة ، فرأيت من جمالها وعقلها ودينها ما رضيتها لأمير المؤمنين فاطرق ثم قال : أخرجْ يأتِكَ أمري ؛ فلما خرج قال المنصور لحاجبه الربيع : لولا قول جرير :

لا تطلبنَّ خؤولة في تغلب فالزنج أكرمُ منهم أخوالا

لتزوجت اليه قلْ له : لو كان لنا حاجةٌ في النكاح لقبلت ، فجزاك الله خيراً ، وقد وليتك السند فتجهزْ إليها ، وأمره أن يكاتب الملك بتسليم عبد الله ، فإن سلَّمه وإلاّ حاربه ، وكتب إلى عمر بن حفص بولايته افريقية، فسارَ هشامُ إلى السِّند فملكها ، وسار عمرُ إلى افريقيةَ فوليَها ، فلما صار هشام بالسِّندِ ، كره أَخْذَ عبد الله الأشترَ وأقبلَ يُري الناس أنه يكاتبُ ذلك الملكَ .

واتصلت الأخبار بالمنصور بذلك فجعل يكتب إليه يستحثُّه، فبينا هو كذلك إذْ

خرجَتْ خارجةٌ ببلاد السند، فوجَّـه هشامُ أخـاه سفنجاً ، فخـرج في جيشه وطـريقه بجنبات ذلك الملك ، فبينا هو يسيرُ إذْ غَبْرةٌ قد ارتفعتْ فظَنَّ أنهم مقدمةُ العدوّ الذي يقصده فوجه طلائعه فزحفت إليه فقالوا : هذا عبد الله بن محمد العلوي يتنـزه على شاطىء مهران ؛ فمضى يريده فقال نصحاؤه : هذا ابن رسول الله ﷺ وقد تركه أخوك متعمِّداً مخافة أن يبوء بدمه ، فلم يقصده فقال: ما كنت لأدع أَخْذَهُ ولا أدع أحداً يحظى بأخذِهِ وقَتْلِهِ عندَ المنصورِ ، وكان عبدُ اللهِ في عشرةٍ فقصده ، فقاتله عبد الله وقـاتل أصحابه ، حتى قُتِلَ ، وقُتلوا جميعاً فلم يفلت منهم مُخبِرٌ وسَقَطَ عبدُ الله بين القتلى فلم يشعر به ، وقيل : إن أصحابه قذفوه في مهران حتى لا يُحْمل رأسُه . فكتب هشـام بذلك إلى المنصور فكتب إليه المنصور يشكره ويأمره بمحاربة ذلك الملك ، فحاربه حتى ظَفرَ به وقتله ، وغلب على مملكته . وكان عبد الله قد اتخذ سراري فأولدَ واحدةً منهن ولداً وهو محمد بن عبدالله الذي يقال لـه ابن الأشتر فـأخذ هشـام السراري ـ والولد معهنَّ ـ فسيَّرهُنَّ إلى المنصور ؛ فسيَّر المنصور الولد إلى عامله بالمدينة وكتب معه بصحةِ نَسَبِهِ وتَسْلِيمِهِ إلى أهْلِه .

ذكر ولاية أبي جعفر عمر بن حفص أفريقية

وفي هذه السنة استعمل المنصور على افريقية أبا جعفر عُمرَ بنَ حفص من وُلْدِ قُبيصة بن أبي صفرة أخي المهلب ، وإنما نُسِبَ لبيت المهلب لشهرته .

وكان سبب مسيره إليها أن المنصور لما بلغه قتْلُ الأغلبِ بن سالم ، خاف على أفريقية فوجه إليها عمر والياً فقدم القيروان في صفر سنة إحدى وخمسين ومـائة في خمسمائة فارس ، فاجتمع وجوه البلد فوصلهم وأحسن إليهم ، وأقام والأمور مستقيمة ثـلاث سنين فسار إلى الـزاب لبناء مـدينـة طبنـة بـأمـر المنصـور ؛ واستخلف على القيروان حبيب بن حبيب المهلبي . فخَلَتْ أفريقية من الجند فثار بها البربر فخـرج إليهم حبيب فقُتِلَ، واجتمع البربر بطرابلس وولوا عليهم أبا حاتم الأباضي ـ واسمه يعقوب بن حبيب مولى كندة ـ وكان عامل عمر بن حفص على طرابلس الجنيد بن بشّار الاسادي، وكتب إلى عمر يستمدُّه فأمدَّه بعسكر فالتقوا، وقاتلوا أبا حـاتم الأباضي، فهزمهم، فساروا إلى قابس، وحصرهم أبو حاتم ؛ ـ وعمر مقيم بالزاب على عمارة طبنة ـ وانتقضت أفريقية من كل ناحية .

ومضوا إلى طبنة فاحاطوا بها في اثني عشر عسكراً ، منهم أبو قرة الصفري في أربعين ألفاً ، وعبد الرحمن بن رستم في خمسة عشر ألفاً . وأبو حاتم في عسكر كثير ، وعاصم السدراتي الأباضي في ستة آلاف ، والمسعود الزناتي الأباضي في عشرة آلاف فارس وغير من ذكرنا .

فلما رأى عمر بن حفص إحاطتهم به، عـزم على الخروج إلى قتـالهم فمنعه أصحابه وقالوا : إن اصبتَ تلف العرب ، فعدل إلى إعمال الحيلة فأرسل إلى أبي قرة مقدم الصفرية يبذل له ستين ألف درهم ليرجعَ عنه فقال : بعد أن سلم علي بالخلافة أربعين سنة أبيعُ حربكم بعرضٍ قليلٍ من الدنيا ولم يُجبْهُم إلى ذلك ، فأرسل إلى أخي أبي قـرة فدفـع إليه أربعـة آلاف درهم وثيابـاً، على أن يعمل في صـرف أخيه الصفرية، فأجابهم وارتحل من ليلته ، وتبعه العسكر منصرفين إلى بلادهم ، فاضطر أبو قرة إلى اتباعهم .

فلما سارت الصفرية ، سيَّر عمر جيشاً إلى ابن رستم وهو في تهوذا ـ قبيلة من البربر ـ فقاتلوه فانهزم ابن رستم الى تاهرت ، فضعف أمر الأباضية عن مقاومة عمر ، فساروا عن طبنة إلى القيروان، فحصرها أبو حاتم وعمر بطبنة ليصلح أمورَها ويحفظها ممَّن يجاورُهُ من الخوراج ، فلما علم ضيقَ الحال بالقيروان ، سار إليها ، ولما سارَ عمرُ بنُ حفص إلى القيروان، استخلف على طبنة عسكراً ، فلما سَمِعَ أبو قرة بمسير عمر بن حفص ، سار هو إلى طبنة فحصرها ، فخرج إليه مَنْ بها من العساكر وقاتلوه فانهزم منهم وقُتِلَ من عسكره خلقٌ كثيرٌ .

وأما أبو حاتم فانه لمَّا حصر القيروان ، كَثُرَ جمعُهُ ولازم حصارها ، وليس في بيت مالها دينار ولا في اهرائها شيء من الطعام ، فدام الحصار ثمانية أشهر، وكـان الجند يخرجون فيقاتلون الخوارج طرفي النهـار حتى جَهَدَهم الجـوع وأكلوا دوابهم وكلابهم ولَحِقَ كثيرٌ من أهلها بالبربرِ ولم يبقَ غيرُ دخولِ الخوارجِ اليها ، فأتاهم الخبرُ بوصول عمـرِ بن حفص من طبنة ، فنـزل الهريشَ وهـو في سبعمائـة فارس فـزحف الخوارج إليه بأجمعهم وتركوا القيروان ، فلما فارقوها سار عمر إلى تونس فتبعه البربرُ فعاد إلى القيروان مجداً وأدخل اليهـا ما يحتـاج من طعام ، ودواب ، وحـطب وغير ذلك ، ووصل أبو حاتم والبربر إليه فحصروه فطال الحصار حتى أكلوا دوابهم وفي كل

يوم يكون بينهم قتال وحرب ؛ فلما ضاق الأمر بعمر وبمن معه قال لهم : الرأي أن أخرج من الحصار وأُغيرَ على بلاد البربر وأحملَ إليكم الميرةَ قالوا : إنَّا نخافُ بعدَك قال: فأرسل فلاناً وفلاناً يفعلان ذلك فاجابوه فلما قال للرجلين قالا : لا نتركك في الحصار ونسير عنك، فعزم على إلقاء نفسه إلى الموت .

فأتى الخبر أن المنصور قد سيَّر إليه يزيد بن حاتم بن قتيبة بن المهلب في ستين ألف مقاتل ، وأشار عليه من عنده بالتوقفِ عن القتال إلى أن يصلَ العسكرُ فلم يفعل ، وخرج وقاتل فقتل منتصف ذي الحجة سنة أربع وخمسين ومائة ، وقام بـأمر النـاس حميد بن صخر ـ وهو أخو عمر لأمه ـ فوادعَ أبا حاتم وصالحَهُ على أنَّ حميداً ومن معه لا يخلعون المنصور ولا ينازعهم أبو حاتم في سوادهم ، وسلاحهم ، وأجابهم إلى ذلك وفتحت له القيروان وخرج أكثر الجند إلى طبنة ، وأحرق أبو حاتم أبواب القيروان ، وثلم سورها ، وبلغه وصول يزيد بن حاتم فسار إلى طرابلس وأمر صاحبه بالقيروان بأَخْذِ سلاحِ الجند وأن يفرِّق بينهم ، فخالف بعض أصحابه وقالوا : لا نغدر بهم ، وكان المُقدَّمُ على المخالفين عمرُ بنُ عثمان الفهري ، وقام في القيروان وقتَلَ أصحابَ أبي حاتم ، فعاد أبو حاتم فهرب عمر بن عثمان من بين يديه إلى تونس ، وعاد أبو حاتم إلى طرابلس لقتال يزيد بن حاتمٍ فقيل : كان بين الخوارج والجنود من الذين قاتلوا عمرَ بنَ حفص إلى انقضاء أمرهم ثلاثمائة وخمس وسبعون وقعةً .

ذكر ولاية يزيد بن حاتم أفريقية وقتال الخوارج

لمّـا بلغَ المنصورَ مـا حلَّ بعمـرَ بنِ حفص من الخوارجِ ، جهَّـز يزيـد بن حاتم بن قبيصة بن أبي صفرة في ستين ألف فارسٍ ، وسيَّره إلى أفريقيةَ، فوصلها سنة أربع وخمسين ومائة ، فلما قارَبها ، سار إليه بعض جندها ، واجتمعوا به ، وساروا معه إلى طرابلس ؛ فسار أبو حاتم الخارجي إلى جبال نفوسة ، وسيَّر يزيد طائفةً من العسكر إلى قابس، فلقيهم أبو حاتم ، فهزمهم، فعادوا إلى يزيد ، ونزل أبو حاتم في مكان وعرٍ ، وخَنْدَقَ على عسكره ، وعبى يزيد أصحابه ، وسار إليه فالتقوا في ربيع الأول سنة خمس وخمسين ، فاقتتلوا أشد قتال ، فانهزمت البربرُ وقُتِلَ أبو حاتم وأهل نجدته ، وطلبهم يزيد في كل سهل وجبل ، فقتلهم قتلاً ذريعاً ، وكان عدّةُ مَنْ قُتِلَ في المعركة ثلاثين ألفاً ، وجعل آل المهلب يقتلون الخوارج ويقولون : يا لثارات عمر بن حفص ؛ وأقام

شهراً يقتل الخوارج . ثم رحل إلى القيروان .

فكان عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن الفهري مع أبي حاتم فهرب إلى كتامة ، فسيَّر إليهم يزيدُ بن حاتم جيشاً ، فحصروا البربر ، وظفروا بهم ، وقتلوا منهم خَلْقاً كثيراً ، وهرب عبد الرحمن ، وقُتِلَ جميعُ من كان معه .

وصَفَتْ أفريقية وأحسن يزيد السيرة وأمن الناس إلى أن انتقضتْ ورفجومة سنة أربع وستين ومائة بأرض الزاب - وعليها أيوب الهواري - فسيّر إليهم عسكراً كثيراً واستعملَ عليهم يزيد بن مجزا المهلبي ، فالتقوا واقتتلوا فانهزمَ يزيدُ وقُتِلَ كثيرٌ من أصحابه ، وقتل المخارق بن عقار صاحب الزاب ، فوُلي مكانه المهلب بن يزيد المهلبي ، وأمدَّهم يزيدُ بن حاتم بجمْعٍ كثيرٍ ، واستعملَ عليهم العلاء بن سعيد المهلبي ، وانضمَّ إليهم المنهزمون ولقوا ورفجومة ، واقتتلوا واشتدّ القتالُ ، فانهزمت البربر ، وأيوب ، وقُتِلوا بكل مكان حتى أتى على آخرهم ، ولم يقتل من الجند أحد .

ثم مات يزيد في رمضان سنة سبعين ومائة وكانت ولايته خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر واستخلف ابنه داود على افريقية .

ذكر بناء الرصافة للمهدي

وفي هذه السنة قَدِمَ المهديُّ من خُراسان في شوال ، فقَدِمَ عليه أهل بيته من الشام ، والكوفة ، والبصرة ، وغيرها فهنَّأوه بمقْدمِهِ ، فأجازهم وحملهم وكساهم ، وفعل بهم المنصور مثل ذلك ، وبنى له الرصافة ، وكان سبب بنائها ، أن بعض الجند شغبوا على المنصور ، وحاربوه على باب الذهب ، فدخل عليه قثم بن العباس بن عبيد الله بن عباس وهو شيخهم ، وله الحرمة والتقدم عندهم فقال له المنصور : أما ترى ما نحن فيه من التياث الجند علينا وقد خفتُ أن تجتمع كلمتهم فيخرج هذا الأمر من أيدينا فما ترى ؟ قال : يا أمير المؤمنين عندي رأيُ إنْ أظهرته لك فسدَ وإنْ تركته أمضيته وصلحتْ خلافتك وهابَكَ جندُكَ قال له : أفتمضي في خلافتي شيئاً لا أعلمه؟ فقال له ؛ إن كنتُ عندك متهماً فلا تشاورني فإن كنتُ مأموناً عليها فدعني أفعل رأيي ، قال له المنصور ؛ فأمضِه .

فانصرف قثم إلى منزله فدعا غلاماً له فقال له : إذا كان الغد فتقدمني واجلس

في دار أمير المؤمنين فإذا رأيتني قد دخلت وتوسطت أصحابَ المراتب ، فخذ بعِنان بغلتي ، فاستحلفني بحق رسول الله ﷺ ، وبحق العباس ، وبحق أمير المؤمنين إلاّ ما وقفت لك وسمعتُ مسألتك وأجَبْتك عنها فإني سأنتهرُك وأغلظُ لك القولَ فلا تخف وعاود المسألة فإني سأضربك بسوطي فعاودْ وقلْ لي : أيّ الحيين أشرف اليمن أم مضر ؟ فإذا أجبتك فاترك البغلة وأنت حرٌّ .

ففعل الغلام ما أمره وفعل قثم به ما قاله ثم قال: مضر أشرف لأن منها رسول الله ﷺ، وفيها كتابُ الله ، وفيها بيتُ الله ، ومنها خليفةُ الله ، فامتعضتْ لذلك اليمن ، إذ لم يَذْكُرْ لهم شيئاً من شرفها وقال بعضُ قوّادهم : ليس الأمر كذلك مطلقاً بغير فضيلة لليمن ثم قال لغلام له : قم إلى بغلة الشيخ فاكْبَحْها ، ففعل حتى كاد يقعيها[1]، فامتعضت مضر وقالوا : يفعل هذا بشيخنا ، فأمر بعضهم غلامه فضرب يد ذلك الغلام فقطعها فنفر الحيان ؛ ودخل قثم على المنصور فافترق الجند فصارت مضر فرقةً ، وربيعة فرقة ، والخراسانية فرقة ، فقال قثم للمنصور : قد فرّقت بين جندك وجعلتهم أحزاباً ، كل حزب منهم يخاف أن يحدث عليك حدثاً فتضربه بالحزب الآخر، وقد بقي عليك في التدبير بقية وهي أن تعبُرَ بابنك فتُنزِلُه في ذلك الجانب وتحوِّل معه قطعة من جيشك ، فيصير ذلك بلداً وهذا بلداً، فإن فسدَ عليك أولئك ضربتهم بهؤلاء ، وإن فسد عليك هؤلاء ضربتهم بأولئك، وإن فَسَدَ عليك بعضُ القبائلِ ضربتهم بالقبيلة الأخرى ؛ فقبل رأيه واستقام ملكُهُ وبنى الرصافة وتولّى صالحٌ صاحبُ المصلى ذلك .

ذكر قتل سليمان بن حكيم العبدي

في هذه السنة سار عقبة بن سلم من البصرة ، واستخلفَ عليها نافعُ بن عقبةِ إلى البحرين فقتل سليمان بن حكيم ، وسبى أهل البحرين وأنفذَ بعض السبي ، والأسارى إلى المنصور فقَتَلَ بعضهم ، ووهبَ الباقين للمهدي فأطلقهم وكساهم ؛ ثم عزل عقبة عن البصرة ، لأنه لم يستقصِ على أهل البحرين ، وزعم بعضهم أن المنصور استعمل معن بن زائدة الشيباني على سجستان هذه السنة ، وحَجَّ بالناس هذه السنة محمد بن

---

(١) في بعض النسخ « حتى كاد يعقبها » .

إبراهيم الإمام ، وكان هو العامل بمكة ، والطائف، وعلى المدينة الحسن بن زيد ، وعلى البصرة جابر بن توبة الكلابي ، وعلى الكوفة محمد بن سليمان ، وعلى مصر يزيد بن حاتم .

ذكر ابتداء أمر شقنا وخروجه بالاندلس

وفيها ثار في الشرق من الأندلس رجل من بربر مكناسة كان يعلم الصبيان ، وكان اسمه شقنا بن عبد الواحد وكانت أمه تسمى فاطمة، وادّعى أنه من وُلْد فاطمة عليها السلام ، ثم من وُلد الحسين عليه السلام ، وتسمَّى بعبد الله بن محمد ، وسكن شنت برية[١] واجتمع عليه خلق كثير من البربر ، وعَظُمَ أمرُه ، وسار إليه عبد الرحمن الأموي، فلم يقف له ، وراغ في الجبال فكان إذا أمن انبسط، وإذا خاف ، صعدَ الجبال بحيث يصعب طلبه .

فاستعمل عبد الرحمن على طليطلة حبيب بن عبد الملك ، فاستعمل حبيب على شنت برية سليمان بن عثمان بن مروان بن أبان بن عثمان بن عفان وأمره بطلب شقنا ، فنزل شقنا إلى شنت برية وأخذ سليمان فقتله ، واشتدَّ أمرُهُ وطارَ وغَلَب على ناحية قورية ، وأفسَد في الأرض ، فعاد عبدُ الرحمنِ الأموي فغزاه في سنة اثنتين وخمسين ومائة بنفسه ، فلم يثبتْ له فأعياهُ أمرُه فعاد عنْهُ ، وسيّر إليه سنة ثلاث وخمسين بدراً مولاه ، فهرب شقنا وأخلى حصنه شيطران ، ثم غزاه عبد الرحمن الأموي بنفسه سنة أربع وخمسين ومائة فلم يثبت له شقنا؛ ثم سيَّر إليه سنة خمس وخمسين أبا عثمان عبيدالله بن عثمان فخدعه شقنا ، وأفسد عليه جنده فهرب عبيدالله وغَنِمَ شقنا عسكره ، وقَتَلَ جماعة من بني أمية كانوا في العسكر ، وفي سنة خمس وخمسين أيضاً سار شقنا بعد أن غَنِمَ عَسْكرَ عبيدالله إلى حصن الهواريين المعروف بمدائن ، وبه عامِلٌ لعبد الرحمن فمكرَ بِهِ شقنا حتى خَرَج إليه فقتله شقنا وأخذ خَيْلَه وسلاحَه وجميعَ ما كان معه .

---

(١) في المعجم « شنت برية » بفتح أوله وسكون ثانيه وبرية بفتح الباء الموحدة وكسر الراء بعدها ياء مثناة من تحت مشددة مدينة متصلة بحوز مدينة سالم بالأندلس .

ذكرُ قتل معن بن زائدة(١)

في هـذه السنة قُتِلَ معن بن زائدة الشيباني بسجستان ، وكان المنصور قد استعمله عليها ، فلمَّا وصلها أرسل إلى رتبيل يأمرُه بحمل القرارِ الذي عليه كل سنة ، فبعث إليه عروضاً وزاد في ثمنها ، فغضب معن ، وسار إلى الرخج ، وعلى مقدمته ابن أخيه مزيد بن زائدة فوجَد رتبيلَ قد خرج عنها إلى زابلستان، ليصيف بها، ففتحها وأصابَ سبياً كثيراً ، وكان في السبي فرج الرخجي ، وهو صبي ـ وأبوه زياد ، فرأى معن غباراً ساطعاً أثارته حمر الوحش فظن أنه جيش أقبل ليخلِّص السبي ، والأسرى؛ فأمر بوضْع السيفِ فيهم فقَتَلَ منهم عُدَّةً كثيرةً ثم ظَهرَ لهُ أمرُ الغبار فأمسَكَ .

فخاف معن الشتاء وهجومه، فانصرف إلى بست. وأنكر قومٌ من الخوارج سيرته فاندسوا مع فعلةٍ كانوا يبنون في منزله، فلما بلغوا التسقيف أخفوا سيوفهم في القصب ، ثم دخلوا عليه بيته وهو يحتجم، ففتكوا به وشق بعضهم بطنه بخنجر كان معه، وقال أحدهم لمَّا ضربه : أنا الغلام الطاقي والطاق رستاق بقرب زرنج ، فقتلهم يزيد بن مزيد فلم ينجُ منهم أحدٌ.

ثم إن يزيد قام بأمر سجستان واشتدت على العرب ، والعجم من أهلها وطأتهُ ، فاحتال بعض العرب فكتَبَ على لسانه إلى المنصور كتاباً يخبرُه فيه أن كُتُبَ المهدي إليه قد حيَّرته وأدهشته، ويسأله أن يعفِيَهُ من معاملته ، فأغضب ذلك المنصور وشتَمَهُ وأقرَّ المهدي كتابه فعزله وأمرَ بحبْسهِ وبيع كل شيء له ، ثم انه كلم فيه ، فأشخص إلى مدينة السلام فلم يزل بها مجفواً حتى لقيَهُ الخوارج على الجسر فقاتلهم فتحرك أمره قليلاً ؛ ثم وجه إلى يوسف البرم بخراسان فلم يزل في ارتفاعٍ إلى أنْ ماتَ .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنةِ غزا الصائفة عبدُ الوهابِ بنُ ابراهيم الامام ، وفيها استعملَ المنصورُ على الموصل إسماعيل بن خالد بن عبد الله القسري ، وفيها مات عبدُ الله بنُ عون ؛ وكان مولده سنة ست وستين ، وفيها مات أُسَيْدُ بنُ عبدِ اللهفي ذي الحجة ـ وهو أمير خراسان ـ وحنظلة بن أبي سفيان الجمحي ، وعليُّ بن صالح بن حيٍّ أخو الحسن بن صالح وكانا تقيين فيهما تشيّعٌ .

---

(١) كان أحد الأجواد وكان شجاعاً مقداماً ، وحكاياته في الجود والكرم مشهورة .

ثم دخلت سنة اثنين وخمسين ومائة

فيها غزا حميد بن قُحْطبة كابل ، وكان قد استعمله المنصور على خراسان سنة احدى وخمسين ، وغزا الصائفة عبد الوهاب بن ابراهيم ، وقيل : أخوه محمد بن ابراهيم الامام ولم يدربْ ، وفيها عَزَلَ المنصورُ جابرَ بن توبةٍ عن البصرة ، واستعمل عليها يزيد بن منصور . وفيها قَتَلَ المنصورُ هاشم بن الأساجيج[1] . كان قد خالفَ وعَصَا بافريقية ، فحمل إليه فقتله .

وحج بالناس هذه السنة المنصورُ، وفيها عُزِلَ يزيدُ بن حاتم عن مصرَ، واستعمل عليها محمد بن سعيد، وكان عمال الأمصار سوى ما ذكرنا الذين تقدم ذكرهم ، وفيها مات محمد بن عبد الله بن مسلم بن عبد الله بن شهاب ـ وهو ابن أخي محمد بن شهاب الزهري، روى عنه عمُّه ، وفيها مات يونس بن يزيد الأيلي ، روى عن الزهري أيضاً ، وفيها مات طلحة بن عمرو الحضرمي ، وابراهيم بن أبي عبلة ، واسم أبي عبلة شمر بن يقظان بن عامر العقيلي. (الأيلي) بفتح الهمزة وبالياء تحتها نقطتان (والعقيلي) بضم العين وفتح القاف .

(١) في الطبري « بن الاشتاخج » .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائة

فيها عادَ المنصورُ من مكة إلى البصرة؛ فجهَّز جيشاً في البحر إلى الكرك الذين تَقَدَّم ذِكْرُ إغارتهم على جدة . وفيها قَبَضَ المنصورُ على أبي أيوب المورياني ، وعلى أخيه، وبني أخيه ، وكانت منازلهم المناذر ، وكان قد سعى به كاتبُهُ أبان بن صدقة ، وقيل : كان سبب قبضه أن المنصور في دولة بني أمية ورَدَ على الموصل وأقام بها مستتراً ، وتزوج امرأةً من الأزد ، فحملت منه ثم فارق الموصل ، وأعطاها تذكرةً وقال لها : إذا سمعت بدولة لبني هاشم فأرسلي هذه التذكرة الى صاحب الأمر ، فهو يعرفُها ؛ فوضعت المرأةُ ولداً سمته جعفراً فنشأ وتعلم الكتابة ، وما يحتاج إليه الكاتبُ وولي المنصورُ الخلافة فقدم جعفر إلى بغداد واتصل بأبي أيوب ، فجعله كاتباً بالديوان فطلب المنصور يوماً من أبي أيوب كاتباً يكتب له شيئاً ، فأرسل جعفراً إليه ، فلما رآه المنصور مال إليه ، وأحبَّه ، فلما أمره بالكتابة رآه حاذقاً ماهراً فسأله من أين هو ومَنْ أبوه ؟ فذَكَرَ له الحال ، وأراه التذكرة وكانت معه فعَرفه المنصور ، وصار يطلبه كل وقت بحجة الكتابة، فخافه أبو أيوب ، ثمَّ إن المنصورَ أحضَرَه يوماً وأعطاهُ مالاً وأمرَ أنْ يصعدَ إلى الموصل ويحضرَ والدته، فسار من بغداد، وكان أبو أيوب قد وضع عليه العيون يأتونه بأخباره، فلما علم مسيره سيَّر وراءه من اغتاله في الطريق، فقتله فلما أبطأ على المنصور أرسلَ إلى أمه بالموصل من يسألها عنه ، فذكرت له أنها لا علم لها به، إلا أنه ببغداد يكتب في ديوان الخليفة.

فلما علم المنصور ذلك أرسل من يقصُّ أثَرَهُ فانتهى إلى موضع، وانقطع خبره، فعُلم أنه قُتِلَ هناك ، وكُشفَ الخبرُ ؛ فرأى أن قتله من يد أبي أيوب فنكبه ، وفعل به ما فعل ، وقبض المنصورُ أيضاً على عباد مولاه ، وعلى هرثمة بن أعين بخراسان،

وأُحضِرا مقيَّديْن لتعصبهما لعيسى بن موسى ، وفيها أخذ المنصور الناس بتلبيس القلانس الطوال المفرطة الطول فقال أبو دلامة :

وكنا نرجى من إمام زيادة   فزاد الإمام المصطفى في القلانس[1]

وفيها توفي عبيد ابن بنت أبي ليلى قاضي الكوفة ، فاستقضى مكانه شريك بن عبدالله النخعي ، وفيها غزا الصائفة معيوف بنُ يحيى الحجوري ، فوصل إلى حصنٍ من حصون الروم ليلاً وأهله نيام ، فَسَبَى وأَسَرَ مَنْ كان فيه ثم قَصَدَ اللاذقية الخراب فسبى منها ستة آلاف رأس سوى الرجال البالغين .

وحجَّ بالناس هذه السنة المهدي ، وكان أميرَ مكة محمد بن ابراهيم ، وأميرَ المدينة الحسنُ بنُ زيد ، وأميرَ مصرَ محمدُ بنُ سعيد، وكان يزيدُ بن منصور على اليمن في قولِ بعضهم ، وعلى الموصل إسماعيلُ بنُ خالدٍ بنُ عبد الله بنُ خالد ، وفيها مات هشامُ بن الغاز بن ربيعة الجرشي ، وقيل : سنة ست وخمسين ، وقيل : تسع وخمسين ، والحسنُ بن عمارة ، وعبدُ الرحمن بن يزيد بن جابر ، وثورُ بن يزيد ، وعبدُ الحميد بنُ جعفر بن عبد الله الأنصاري ، والضحاكُ بنُ عثمان بنُ عبد الله بنُ خالدِ بنُ حزام من وُلْد أخي حُكيم بن حزام، وفطر بنُ خليفة الكوفي، (فطر) بالفاء والراء المهملة ، و (الجُرشي) بضم الجيم وبالشين المعجمة .

---

(١) ذكر ابن جرير الطبري بعد هذا البيت بيتا وهو :

تراها على هام الرجال كأنها   دنان يهود جللت بالبرانس

ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائة

في هذه السنة سارَ المنصورُ إلى الشام ، وبيتِ المقدسِ وسيَّر يزيدَ بنَ قُبَيْصة بن المهلب بنَ أبي صفرة إلى افريقية في خمسين ألفاً لحربِ الخوارج الذين قتلوا عمرَ بن حفص .

وأراد المنصور بناء الرافقة فمنعه أهلُ الرَّقة ، فهمَّ بمحاربتهم ، وسقطت في هذه السنة الصاعقة فقتلت بالمسجد خمسة نفر ، وفيها هلكَ أبو أيوب المُورياني ، وأخوه خالد، وأمر المنصور بقطع أيدي بني أخيه وأرجلهم وضرب أعناقهم . وفيها استعمل على البصرة عبد الملك بن ظبيان النميري ، وغزا الصائفة زُفَر بن عاصم الهلالي فبلغ الفرات .

وحجَّ بالناس محمد بن ابراهيم وهو على مكة ، وكان على افريقية يزيد بن حاتم ، وكان العمال مَنْ تقدَّمَ ذكرهم ، وفيها ماتَ أبو عمروٍ بن العلاء ، وقيل : مات سنة سبع وخمسين وكان عمره ستاً وثمانين سنةً[1]، ومحمد بن عبد الله الشُعَيْثي النصري ـ بالنون ـ وفيها مات عثمان بن عطاء ، وجعفر بن برقان الجزري ، وأشعب الطامع ، وعلي بن صالح بن حبي ، وعمر بن إسحاق بن يسار أخو محمد بن إسحاق، ووهيب بن الورد المكي الزاهد ، وقرة بن خالد أبو خالد السدوسي البصري ، وهشام الدستوائي ، وهو هشام بن أبي عبد الله البصري، (الشُعيثي) بضم الشين المعجمة وفي آخره ثاء مثلثة .

---

(١) كان علامة زمانه في الفقه والنحو وعلم القراءات وكان من كبار العلماء العاملين.يقال : انه كتب ملء بيت من كلام العرب ثم تزهد فأحرق ذلك كله ثم راجع الأمر الأول فلم يكن عنده إلا ما كان يحفظه من كلام العرب .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائة

فيها دَخَلَ يزيدُ بنُ حاتم افريقية، وقَتَل أبا حاتمٍ وملكَ القيروان وسائرَ الغرب ، وقد تقدم ذكرُ مسيرهِ وحروبه مستقصى . وفيها سيَّر المنصور المهدي لبناء مدينة الرافقة ، فسار إليها فبناها على بناء مدينة بغدادَ ، وعمل للكوفة، والبصرة سوراً وخندقاً، وجعل ما أنفق فيه من الأموال على أهلهما ، ولما أراد المنصورُ معرفةَ عَددِهم ، أمرَ أن يقسمَ فيهم خمسة دراهم فلما علم عَددَهم أمرَ بجبايتهم أربعين درهماً لكل واحدٍ فقال الشاعر :

يا لقَومٍ ما لقينا　　من أميرِ المؤمنينا
قَسَّمَ الخمسةَ فينا　　وجبانا الأربعينا

وفيها طَلَبَ ملكُ الروم الصُلْحَ إلى المنصور على أن يؤدي له الجزية، وفيها غزا الصائفةَ يزيدُ بن أَسَيْد السلمي ، وعُزِلَ عبدُ الملك بنُ أيوبَ بنُ ظبيان عن البصرةِ، واستعمل عليها الهيثم بن معاوية العتكي .

ذكر عزل العباس بن محمد عن الجزيرة واستعمال موسى بن كعب

وفيها عَزَلَ المنصور أخاه العباسَ بنَ محمدٍ عن الجزيرة وغضب عليه ، وغرَّمَهُ مالاً ، فلم يزل ساخطاً عليه حتى غضب على عمه إسماعيل بن علي فشفعَ فيه عمومة المنصور وضيَّقوا عليه حتى رَضِيَ عنه ، فقال عيسى بن موسى للمنصور : يا أميرَ المؤمنين أرى آل علي بن عبد الله وإن كانت نعَمُكَ عليهم سابغةً، أنهم يرجعون إلى الحسدِ لنا فمن ذلك أنك غضبت على إسماعيل بن علي منذ أيام فضيَّقوا عليك حتى

رَضِيْتَ عنه وأنتَ غضبانُ على أخيك العباسِ منذ كذا وكذا ، فما كلَّمك فيه أحدٌ منهم فرضِيَ عنه .

وكان المنصور قد استعمل العباسَ على الجزيرة بعد يزيد بن أُسَيْد فشكا يزيدُ منه وقال : إنه أساء عزلي ، وشتم عِرْضي ، فقال له المنصور : إجمع بين إحساني وإساءته يعتدلا ، فقال له يزيدُ بن أُسَيْد : إذا كان إحسانكم جزاءً لإساءتكم ، كانت طاعتنا تفضلاً منا عليكم ، ولما عَزَلَ المنصورُ أخاه عن الجزيرة إستعمل عليها موسى بنَ كعبٍ .

ذِكْرُ عزلِ محمدٍ بنِ سليمان عن الكوفة واستعمالُ عمرو بن زهير

وفيها عُزِلَ محمدٌ بنُ سليمان بن علي بنُ عبدِ الله بنُ عبَّاس عن الكوفة ، واستعملَ عليها عمرو بنُ زهير الضبِّ أخا المسيب بن زهير ، وقيل : إنما عُزِلَ سنة ثلاث وخمسين ، وكان عَزْلُهُ لأسبابٍ بلغتهُ عنه ، منها أنه قتَلَ عبدَ الكريم بنَ أبي العوجاء وكان قد حَبَسَهُ على الزندقة ، وهو خال معن بن زائدة الشيباني فكَثُرَ شُفَعاؤُهُ عند المنصورِ ولم يتكلمْ فيه إلا ظنين منهم فكتبَ إلى محمدٍ بنِ سليمان بالكفِّ عنْهُ إلى أنْ يأتيَهُ رأيَهُ .

وكان ابن أبي العوجاء قد أرسل إلى محمدٍ بن سليمان يسألهُ أن يُؤخِّرَهُ ثلاثة أيام ويُعْطِيَهُ مائة ألف ، فلما ذكر لمحمد أمرَ بقتلِهِ ، فلما أيقن أنه مقتول قال : والله لقد وَضَعْتُ أربعة آلاف حديث حلَّلْتُ فيها الحرام وحرَّمْتُ فيها الحلال ، والله لقد فطَّرتكم يومَ صومِكم وصوَّمتكم يومَ فَطْرِكم فقتل .

ووَرَدَ كتابُ المنصورِ إلى محمد يأمرُهُ بالكفِّ عنه فوصل وقد قَتَلَهُ ، فلمَّا بلَغ قَتْله المنصورَ غَضِبَ وقال : والله لقد همَمْتُ أنْ أقيِّده به ، ثم أحضرَ عمَّه عيسى بن علي وقال له : هذا عملُك أنت ، أشرت بتوليـة هذا الغلام الغرّ قتلَ فلاناً بغير أمري وقد كتبتُ بعزلِهِ وتهديده ، فقال له عيسى : إن محمداً إنما قَتَلَه على الزندقة فإن كان أصاب فهو لك وإنْ أخطأ فعليه وَلَئِنْ عزلته على أثرِ ذلك ليذهبنّ بالثناء والذكر ولترجعَنَّ بالمقالةِ من العامة عليك فمزق الكتاب .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة أنْكَرتِ الخوارجُ الصفرية المجتمعة بمدينة سجلماسة على أميرهم عيسى بن جرير أشياء فشدُّوه وثاقاً ، وجعلوه على رأسِ الجبل ، فلم يزلْ كذلك حتى مات ؛ وقدموا على أنفسهم أبا القاسم سمكو بن واسول المكناسي جدَّ مدرار ، وفيها وُلِدَ أبو سنان الفقيه المالكي بمدينة القيروان من أفريقية ، وفيها عُزِلَ الحسنُ بنُ زيد بنُ الحسن بنُ علي عن المدينة ، واستعمل عليها عمُه عبدُ الصمد بنُ علي ، وكان على مكة والطائف محمد بن إبراهيم ، وعلى الكوفة عمرو بن زهير ، وعلى البصرة الهيثم بن معاوية ، وعلى مصر محمد بن سعيد ، وعلى أفريقية يزيد بن حاتم ، وعلى الموصل خالد بن برمك ، وقيل : موسى بن كعب بن سفيان الخثعمي ؛ وفي هذه السنة مات مسعرُ بنُ كدام الكوفي الهلالي .

ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائة

ذكر عصيان أهل إشبيلية على عبد الرحمن الأموي

في هذه السنة سارَ عبدُ الرحمن الأموي صاحبُ الاندلس إلى حربِ شقنا ، وقصدَ حصنَ شيطران ، فحصَرَهُ وضيَّق عليه فهربَ إلى المفازةِ كعادته ، وكان قد استخلفَ على قرطبةَ ابنه سليمان فأتاه كتابةٌ يخبرُهُ بخروج أهل أشبيلية مع عبدِ الغفار ، وحيوة بن ملابس عن طاعته، وعصيانهم عليه ، واتّفقَ مَنْ بها مِنَ اليمانية مَعَهُما، فرجعَ عبدُ الرحمن ولم يدخلْ قُرْطبة، وهالَهُ ما سَمِعَ من اجتماعهم، وكثرتهم، فقدَّم ابنَ عمّهِ عبدَالملك بنَ عمر. وكان شهاب آل مروان ـ وبقِيَ عبدُ الرحمن خلفَهُ كالمدَدِ له، فلما قاربَ عبدُالملكِ أهلَ إشبيلية، قدَّم ابنه أمية ليعرفَ حالهم، فرآهم مستيقظين، فرجع إلى أبيه ، فلامَهُ أبوه على إظهار الوهْن وضَرَبَ عُنُقَهُ ، وجمع أهلَ بيتِهِ ، وخاصَّتهِ . وقال لهم : طُرِدْنا من المشرقِ إلى أقصى هذا الصَقْعِ ونُحسَدُ على لقمة تبقي الرمقَ ؛ اكسروا جفون السيوف فالموت أولى أو الظفر ، ففعلوا وحمل بين أيديهم فهزم اليمانية وأهلَ أشبيلية فلم تقم بعدهَا لليمانية قائمةٌ وجُرِحَ عبدُ الملك ، وبَلَغَ الخبرُ إلى عبد الرحمن ، فأتاه ، وجرحُه يجري دماً وسيفُهُ يَقْطُرُ دماً ، وقد لُصِقتْ يده بقائمِ سيفِهِ ، فقبَّلَه بين عينيهِ وجزَاهُ خيراً وقال ؛ يا بن عم قَدْ أنكحْتُ ابني ووليَّ عهدي هشاماً ابنتكَ فلانة وأعطيتها كذا وكذا ، وأعطيتُكَ كذا وأولادَكَ كذا ، وأقطعتُكَ وإياهم ، ووليتكم الوزارة .

وعبد الملك هذا هو الذي ألزمَ عبدَ الرحمن بقطعِ خطبةِ المنصور وقال له : اقطعْها وإلاّ قتلتُ نفسي ؛ وكان قد خطب له عشرة أشهرٍ فقَطَعها .

وكان عبد الغفَار ، وحيوة بن ملابس ، قد سَلِما من القتل ، فلما كانت سنة سبع وخمسين ومائة سار عبد الرحمن إلى إشبيلية فَقَتَلَ خَلْقاً كثيراً ممن كان مع عبد الغفار ، وحيوة ورجع ؛ وبسبب هذه الوقعة وغشٍّ العرب ، مالَ عبد الرحمن إلى اقتناء العبيد .

ذكر الفتنة بافريقية مع الخوارج

قد ذَكَرْنا هرَبَ عبد الرحمن بن حبيب الذي كان أبوه أمير إفريقية مع الخوارج، واتصاله بكتامة وتسيير يزيدَ بنِ حاتم أمير أفريقية العسكرَ في أثرِهِ وأنهم قاتلوا كتامة .

فلما كانت هذه السنة سيَّر يزيدُ عسكراً آخر مدداً للذين يقاتلون عبد الرحمن ؛ فاشتد الحصارُ على عبد الرحمن فمضى هارباً، وفارق مكانه ، فعادت العساكرُ عنه .

ثم ثار في هذه السنة على يزيد بن حاتم أبو يحيى بن فانوس الهواري بناحية طرابلس ، فاجتمع عليه كثيرٌ من البربر ، وكان بها عسكر ليزيد بن حاتم مع عامل البلد ، فخرج العاملُ والجيش معه ، فالتقوا على شاطىء البحر من أرض هوارة فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم أبو يحيى بن فانوس ، وقُتِلَ عامةُ أصحابه ، وسكن الناس بافريقية وصَفَتْ ليزيدَ بنِ حاتم .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنةِ ظَفرَ الهيثمُ بنُ معاويةَ عاملُ البصرةِ بعمرو بن شداد الذي كان عاملَ ابراهيمَ بنِ عبدِ الله على فارس، وسبب ظَفره به ، أنه ضَرَبَ غلاماً له فأتى الهيثم فدلَّه عليه، فأخذه فقتله ، وصلبه بالمربد ، وفيها عُزِلَ الهيثم عن البصرة ، واستعمل سوار القاضي على الصلاةِ مع القضاء، واستعمل سعيدُ بنُ دعلج على شرْطِ البصرة وأحداثها ؛ ولما وصل الهيثم إلى بغداد مات بها[1] وصلَّى عليه المنصورُ ، وفيها غزا الصائفة زُفَرُ بنُ عاصم الهلالي .

وحجَّ بالناسِ العباسُ بنُ محمد بن علي ؛ وكان على مكة محمدُ بنُ ابراهيم

---

(١) في الطبري « وهو على بطن جارية له » .

الأمامُ ، وعلى الكوفةِ عمرو بن زهير ، وعلى الأحداث، والجوالي ، والشرط بالبصرة سعيـدُ بن دعلج ، وعلى الصلاة، والقضـاء سوارُ بن عبـد الله ، وعلى كور دجلة ، والأهواز ، وفارس عمارة بن حمزة ، وعلى كرمان ، والسند هشام بن عمرو ، وعلى أفريقية يزيدُ بن حاتم ، وعلى مصرَ محمدُ بنُ سعيد ، وفيها سخط عبد الرحمن الأموي على مولاه بدر لفرط إدلاله عليه، ولم يرع حقَّ خدمتهِ وطولَ صحبتهِ وصدقَ مناصحتِهِ، فاخذَ مالَهُ وسلبَهُ نعمتَهُ ونفاه إلى الثغر فبقي به إلى أن هلكَ ؛ وفيها مات عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قاضي أفريقية وقد تكلم الناس في حديثه؛ وفيها توفي حمزة بن حبيب الزيات المقرىء أحد القراء السبعة.

ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائة

في هذه السنة بنى المنصور قصرَه الذي يُدْعى الخلدُ ؛ وفيها حوَّلَ المنصورُ الأسواقَ إلى الكرخِ ، وغيَّرهُ.

وقد تقدَّم سبب ذلك ، واستعملَ سعيدَ بن دعلج على البحرين فأنفذَ إليها ابنَه تميماً ، وعرضَ المنصورُ جندَهُ في السلاح والخيل وجَلَسَ لذلك ، وخَرَجَ هو لابساً درعاً وبيضةً[1] ؛ وفيها مات عامر بن إسماعيل المسلي بمدينة السلام وصلَّى عليه المنصور ؛ وتوفي سوار بن عبد الله قاضي البصرة[2] واستعمل مكانه عبد الله بن الحسن بن الحُصَيْن العنبري ، وعُزِلَ محمدُ بنُ سليمان[3] الكاتبُ عنْ مصرَ واستعملَ مولاه مطراً ، واستعمل معبد بن الخليل على السند ، وعُزِلَ هشامُ بن عمرُو ، وغزا الصائفة يزيدُ بنُ أسيد السلمي ، فوجَّهَ سناناً مولى البطال إلى حصن فسبى وغنم ، وقيل : إنما غزا الصائفة زُفرُ بنُ عاصم .

وحجَّ بالناس إبراهيم بنُ يحيى بنُ محمد بنُ علي بن عبد الله بن عباس وكان على مكة ، وقيل : كان عليها عبد الصمد بن علي ، وعلى الأمصار من ذكرنا ؛ وفيها قتل المنصور يحيى بن زكريا المحتسب ، وكان يطعِنُ على المنصور ، ويجمع

---

(١) عبارة الطبري « وقلنسوة تحت البيضة سوداء لاطئة مضرية » .

(٢) وكان عادلاً في حكمه شكاه أهل البصرة الى المنصور فاستقدمه المنصور فلما قدم عليه جلس فعطس المنصور فلم يشمته سوار فقال له المنصور : مالك لم تشمتني ؟ فقال : لانك لم تحمد الله فقال المنصور : انت ما حابيتني في عطسة تحابي غيري ارجع الى عملك .

(٣) في الطبري « محمد بن سعيد » .

الجماعات فيما قيل ، وفيها مات عبد الوهاب بن إبراهيم الامام[١] ، وقيل سنة ثمان وخمسين .

وفي سنة سبع وخمسين مات الاوزاعي الفقيه واسمه عبد الرحمن بن عمرو وله سبعون سنة[٢] ومصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوَّام جدُّ الزبير بن بكار ، وفيها أخْرَجَ سليمـانُ بنُ يقظان الكلبي قـارِلَهْ ملك الإفـرنـج إلى بـلادِ المسلمين من الأندلس ولَقِيَهُ بـالطريق، وسـار معه إلى سَـرْقُسْطَة، فسبقـه اليها الحسين بن يحيى الأنصاري من وُلْدِ سعد بن عبادة، وامتنع بها فاتهمَ قارله ملك الإفرنج سليمان فقبض عليه وأخذه معه إلى بلاده، فلما أبعِدَ من بلاد المسلمين واطمأنَّ، هجم عليه مطروح ، وعيشون ابنا سليمان في أصحابهما فاستنقذا أباهما ورجعا به إلى سَرْقُسْطة ودخلوا مع الحسين ووافقوا على خلاف عبد الرحمن[٣] .

---

(١) ولاه عمه المنصور دمشق وفلسطين والصائفة ولم تحمد ولايته وولي عدة اعمال غير ذلك .

(٢) هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي الفقيه المجتهد فقيه الشام وصاحب المذهب المشهور الذي ينسب اليه الأوزاعية قديماً وقد بقي أهل دمشق وما حولها من البلاد على مذهبه نحواً من مائتين وعشرين سنة ، والأوزاع بطن من همدان ، وقيل : من حمير الشام ومولده بعلبك ونشأ بالبقاع ونقلته امه الى بيروت فرابط بها الى ان مات بها فجأة .

(٣) وممن مات في هذه السنة أيضاً محمد بن طارق المكي من أهل الكوفة كان من الزهاد العباد رؤي في الطواف وقد انفرج له اهل الطواف فحزر طوافه في اليوم والليلة فكان عشرة فراسخ وبه ضرب ابن شبرمة المثل حيث قال :

لـو شئت كـنـت كـكـرز في تـعـبـده ... او كـابن طـارق حـول البيت في الحـرم

قـد حـال دون لـذيـذ العيش خـوفهمـا ... وسـارعـا في طـلاب الفـوز فـالكـرم

وتوفي ايضاً الحسين بن واقد المروزي ابو عبدالله القاضي .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائة

ذكر عزل موسى عن الموصل وولاية خالد بن برمك

في هذه السنة عزل المنصورُ موسى بن كعب عن الموصل، وكان قد بلغه عنه ما أسْخَطَهُ عليه فأمر ابنه المهدي أنْ يسير إلى الرقَّة ، وأظهر أنّه يُريد بيْتَ المقدِس ، وأمرَهُ أنْ يجعلَ طريقَهُ على الموصل ، فإذا صار بالبلد أخذ موسى وقيَّده واستعمل خالدَ بنَ برمك.

وكان المنصور قد أَلزَمَ خالدَ بن برمك ثلاثة آلاف ألف درهم، وأجلهُ ثلاثة أيام فإن أحضرَ المالَ وإلا قَتَلَهُ، فقال لابنه يحيى : يا بني الق اخواننا، عمارة بن حمزة ، ومباركاً التركي ، وصالحاً صاحب المصلى، وغيرهم وأعْلِمْهم حالنا ، قال يحيى : فأتيتهم ، فمنهم مَنْ مَنَعني من الدخول عليه ، ووجَّه المال ومنهم من تجهَّمني بالردّ ووجه المال سراً إلي، قال: فأتيت عمارة بن حمزة ووجههُ إلى الحائط، فما أقبلَ به عليَّ، فسَلَّمْتُ فردَّ رداً ضعيفاً وقال : كيف أبوك ؟ فعرَّفته الحال ، وطلبت قرضَ مائة ألف فقال: إنْ أمكنني شيءٌ فسيأتيك، فانصرفت وأنا ألعنه من تيهِهِ، وحدَّثْتُ أبي بحديثه وإذ قد أنفذَ المالَ قال : فجمعنا في يومين ألفي ألف وسبعمائة ألف وبقي ثلاثمائة ألف تبطل الجميع يتعذرها قال : فَعَبرتُ على الجسر وأنا مهمومٌ فَوَثَب إليَّ زاجر فقال : فرحُ[1] الطائر أخبرَك ، فطويته فلحقني ، وأخذ بلجام دابتي وقال لي : أنتَ مهمومٌ ووالله لتفرحنَّ ولتمرَنَّ غداً في هذا الموضعِ واللواءُ بين يديك فعجبتُ من قوله فقال : إن كان ذلك فلي عليك خمسةُ آلافِ درهمٍ فقلت : نعم وأنا أستَبعدُ ذلك .

وورد على المنصور انتقاضُ الموصل ، والجزيرة وانتشار الأكراد بها، فقال: مَنْ

(١) في الطبري « فرخ » بالخاء المعجمة .

لها؟ فقال المسيب بن زهير : عندي يا أمير المؤمنين رَأْيٌ أعلمُ أنك لا تقبله مني ، وأعلمُ أنك تردُّه عليَّ ولكني لا أدعُ نصحَك قال: قلْ : قلت: ما لها مثلُ خالدِ بن برمك قال : فكيف يصلحُ لنا بعد ما فعلنا ؟ قال : إنَّما قوَّمته بذلك وأنا الضامن له قال : فليحضرني غداً ، فأحضره فصفح له عن الثلاثمائة ألف الباقية وعقَد له ، وعقد لابنه يحيى على أذربيجان ، فاجتاز يحيى بالزاجر فاخذه معه، وأعطاه خمسين ألف درهم ، وأنفذ خالد إلى عمارة بالمائة ألف التي أخذها منه مع ابنه يحيى فقال له : صيرفياً كنت لأبيك قم عنّي لاقمت ، فعاد بالمال وسار مع المهدي ، فعزَلَ موسى بن كعب وولَّاهما ، فلم يزل خالد على الموصل وابنه يحيى على اذربيجان إلى أن توفي المنصور فذَكَرَ أحمد بن محمد بن سوار الموصلي قال : ما هِبْنا أميراً قط هيبتنا خالداً من غير أن يشتدَّ علينا ولكن هيبة كانت له في صدورنا .

ذكر موت المنصور ووصيته

وفي هذه السنة توفي المنصورُ لِسِتٍّ خلونَ من ذي الحجة ببئر ميمون ، وكان على ما قيل قد هتَفَ به هاتفٌ من قصره بالمدينة فسمعه يقول :

أما وربِّ السكونِ والحَرَكِ ... إنَّ المنايا كثيرةُ الشَرَكِ
عليكِ يا نفسُ إن أسأتِ وإن ... أحسنتِ بالقصد كلُّ ذاك لكِ
ما اختلفَ الليلُ والنهارُ ولا ... دارَتْ نجومُ السماء في الفلكِ
إلَّا بنقل السلطانِ عن ملْكٍ ... إذا انتهى[١] مُلْكُهُ إلى مَلِكِ
حتى يُصيِّرانه إلى مَلك ... ما عزَّ سُلطانه بمُشتَرَكِ
ذاك بديعُ السماءِ والأرضِ والـ ... مُرسِي الجبالِ المُسخرّ الفلكِ

فقال المنصور : هذا أوان أجلي ، قال الطبري : وقد حكى عبد العزيز بن مسلم أنه قال : دخلت على المنصور يوماً أسلم عليه، فإذا هو باهتٌ لا يحيرُ جواباً فوثبتُ لما أرى منه لأنصرف فقال لي بعد ساعة : إنِّي رأيتُ في المنامِ كأن رجلاً ينشدني هذه الأبيات :

---

(١) في الطبري «إذا انقضى» .

أأخَي خفض[1] مِن مناكا	فكأنَّ يومَكَ قد أتاكا
ولقد أراكَ الدهرُ من	تَصريفِهِ ما قد أراكا
فإذا أرَدْتَ الناقصَ الـ	ـعبدَ الذليلَ فأنت ذاكا
ملكْت ما ملكْتَهُ	والأمْرُ فيه إلى سواكا

هذا الذي ترى من قلقي وغمِّي لما سمعت ورأيت ، فقلت : خيراً رأيت يا أمير المؤمنين فلم يلبث أنْ خرجَ إلى مكة ، فلما سار من بغداد ليحجَّ نزل قصرَ عبدويه فانقضَّ في مقامه هنالك كوكب لثلاثٍ بقيْنَ من شوَّال بعد إضاءة الفجر ، فبقي أثَرُهُ بيِّنا إلى طلوع الشمس ، فأحضر المهدي - وكان قد صحبه ليودِّعه - فوصَّاه بالمال والسلطان يفعل ذلك كلَّ يوم من أيام مقامه بكْرةً وعشيَّةً ، فلما كان اليوم الذي ارتحل فيه قال له : إني لم أدعْ شيئاً إلّا وقد تقدمْتُ إليك فيه ، وسأوصيك بخصَالٍ والله ما أظنُّك تفعلُ واحدةً منها ، وكان له سفط فيه دفاتر علمِهِ وعليه قفل لا يفتحه غيره فقال للمهدي : أنظرْ إلى هذا السفطِ فاحتفظْ به ، فإنَّ فيه علمُ آبائك ما كان وما هو كائنٌ ، إلى يوم القيامة ، فان أحزَنَك فانظرْ في الدفترِ الكبيرِ ، فإن أصبتَ فيه ما تريدُ وإلا ففي الثاني والثالث حتى بلغ سبعة ، فإن ثقل عليك فالكراسة الصغيرة ، فانك واجد فيها ما تريد ، وما أظنّك تفعلُ ، وانظر هذه المدينة ، وإياكَ أنْ تستبدلَ بها غيرها وقد جَمعْتُ لك فيها من الأموال ما إن كُسِرَ عليك الخراجُ عشر سنين كفاك لأرزاق الجند والنفقات والذرية ومصلحة البعوث ، فاحتفظْ بها فإنك لا تزال عزيزاً ما دام بيتُ مالِكَ عامراً وما أظنك تفعل ، وأوصيك بأهل بيتك أن تظهرَ كرامتهم وتحسنَ إليهم ، وتقدمَهم وتوطىء الناسَ أعقابهم ، وتوليهم المنابرَ ، فإنَّ عِزَّكَ عِزُّهُم وذكرُهم لك ، وما أظنك تفعل ، وانظر مواليك فأحسن إليهم وقرِّبهم ، واستكثرْ منهم فإنهم مادتك لشدَّتِكَ إنْ نزلَتْ بهم وما أظنك تفعل ، وأوصيك بأهل خراسان خيراً ، فانهم أنصارُك وشيعتُك الذين بذلُوا أموالهم ودماءَهم في دولتك ومَن لا تخرجُ محبَّتُك من قلوبهم أن تحسن إليهم وتتجاوز عن مسيئهم وتكافِئُهُم عمَّا كان منهم ، وتخلفُ من مات منهم في أهله وولده ، وما أظنك تفعل ، وإياكَ أن تبني مدينة الشرقية فانك لا تتمُّ بناءَها وأظنُّك ستفعل ، وإياك أنْ تستعينَ برجلٍ من بني سليم وأظنك ستفعل ، وإياك أن تُدخِلَ النساءُ في أمرك وأظنُّك ستفعلُ .

---

(١) في الطبري « اخفض » .

وقيل : قال له : وُلِدْتُ في ذي الحجة ووليْت في ذي الحجة، وقد هجس في نفسي أنِّي أموتُ في ذي الحجة من هذه السنة وإنما حداني على الحجِّ ذلك ، فاتّق الله فيما أعهدُ إليكَ من أمور المسلمين بعدي ، يجعل لـك فيما كـربكَ وحُـزْنكَ فـرجاً ومخرجاً ، ويرزقك السلامة وحسنَ العاقبة من حيث لا تحتسب .

يا بني احفظ محمداً ﷺ في أمته يَحْفَظْكَ الله ويحفظْ عليك أمورَكَ، وإياك والدّم الحرام، فإنه حوب عند الله عظيمٌ، وعارٌ في الدنيا لازمٌ مقيمٌ ، والزم الحدودَ، فإن فيها خلاصك في الآجل ، وصلاحَك في العاجل ولا تـعتد فيها فتبور فإنّ الله تعالى لو علم شيئاً أصلحَ منها لدينه وأزجر عن معاصيه لأمر به في كتابه .

واعلم أنَّ من شدَّةِ غضبِ الله لسلطانه ، أنه أمرَ في كتـابه بتضعيف العـذابِ والعقابِ على من سعى في الأرضِ فساداً مع ما ذَخَرَ له عنده من العذاب العظيم فقال : ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسولَه ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا﴾ الآية[١] .

فالسلطان ـ يا بنيّ ـ حبلُ اللهِ المتين وعُرْوَتُهُ الوُثقى ودِينُهُ القيِّم، فاحفظْهُ وحصِّنْهُ، وذبْ عنه وأَوْقِعْ بالملحدين فيه واقمع المارقين منه، واقتل الخارجين عنهُ بالعقاب، ولا تجاوزْ ما أمر الله به في مُحْكم القرآن واحكم بالعدل ولا تشطّط فإنَّ ذلك أقْطَعُ[٢] للشغب واحسمُ للعدوّ وانجعُ في الدواء ؛ وعُفَّ عن الفيء ، فليس بك إليه حاجة مع ما خلَّفَهُ اللهُ لك ؛ وافتتحْ عملكَ بصلةِ الرحـم وبرّ القرابةِ؛ وإياك والإثرة والتبذير لأموال الرعيّة واشْحَن الثغورَ واضبطِ الأطرافَ وأمِّن السُبلَ وسكّن العامة وأدخِلِ المرافق عليهم ، وادفعِ المكارة عنهم وأعِدْ الأموال واخزنْها ؛ وإياك والتبذير ، فإن النوائبَ غيرُ مأمونةٍ وهي من شيم الزمان؛ وأعد الكراع والرجالَ والجندَ ما استطعْتَ، وإياك وتأخيرَ عمل اليوم إلى الغد، فتتدارك عليك الأمورُ وتضيعُ ؛ جدَّ في أحكامِ الامورِ النازلاتِ لأوقاتها أولاً فأولاً واجتهدْ وشمّرْ فيها وأعِدْ رجالاً بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار ، ورجالاً بالنهارِ لمعرفةِ ما يكون بالليلِ ، وباشرِ الأمورَ بنفسكَ ولا تضجرْ ولا تكسلْ واستعمل حسنَ

---

(١) المائدة ٣٣ .

(٢) في نسخة « أفظع » .

الظنِ بربك ، وأسِيء الظنَّ بعمالِكِ وكتابِكَ ، وخذ نفسَك بالتيقُّظِ وتفقدْ مَنْ تثبَّتَ[١] على بابك ، وسهّل اذنَكَ للناسِ ، وانظرْ في أمرِ النزاعِ اليك ووكِّلْ بهم عيناً غير نائمةٍ ونفساً غيرَ لاهيةٍ ، ولا تنمْ وإياك فإن أباك لم ينمْ منذ وُلِّيَ الخلافة ، ولا دخلَ عينَه الغمضُ إلا وقلبه مستيقظٌ ؛ هذه وصيتي اليك والله خليفتي عليك ، ثم ودَّعهُ وبكى كل واحد منهما إلى صاحبه .

ثم سَار إلى الكوفة وجمعَ بين الحجّ والعمْرة وساقَ الهدي وأشعره[٢] ، وقلَّده لأيام خَلَتْ من ذي القعْدة ، فلما سارَ منازل من الكوفة عرضَ له وجَعُه الذي مات به وهو القيامُ فلمّا اشتدَّ وجَعُهُ جَعَلَ يقولُ للربيع : بادَرَني حرمُ ربّي هارباً من ذنوبي ـ وكان الربيعُ عديلَهُ ـ ووصَّاه بما أراد فلما وصلَ إلى بئرِ ميمون مات بهـا مع السحـر لسِتٍّ خلوْن من ذي الحجة ، ولم يحضرْهُ عند وفاته إلا خَدمُهُ والربيع مولاه ؛ فكتم الربيعُ موته ومَنَعَ من البكاء عليه ثم أصبح فحضَر أهلُ بيتِهِ كما كانوا يحضرون . وكان أول من دعا عمه عيسى بن علي فمكثَ ساعة ، ثم أذِنَ لابن أخيه عيسى بن موسى وكان فيما خلا يقدم على عيسى بن علي ، ثم أذن للأكابر وذوي الأسنان منهم ثم لعامتهم ، فبايعهم الربيع للمهدي ولعيسى بن موسى بعده على يدي موسى الهادي بن المهدي ؛ فلما فرغَ من بيعة بني هاشم بايع القواد وبايعَ عامة الناس .

وسار العباس بن محمد ، ومحمد بن سليمان إلى مكة ليبايعا الناس فبايعوا بين الركن والمقام ، واشتغلوا بتجهيز المنصور ففرغوا منه العصرَ ، وكُفِّن ، وغُطِّيَ وجهُه وبدنُه وجُعِلَ رأسُهُ مكشوفاً لأجل إحرامـه ، وصلَّى عليه عيسى بن مـوسَى ، وقيل : إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، ودُفِنَ في مقبرة المعلاة ، وحفروا له مائة قبر ليغمُّوا على الناس ودفن في غيرها . ونَزلَ في قبرِهِ عيسى بن علي ، وعيسى بن محمد ، والعباس بن محمد ، والربيع ، والريَّان مولياه ، ويقطين ، وكان عمره ثلاثاً وستين سنة ، وقيل : أربعاً وستين ، وقيل : ثمانياً وستين سنة .

فكانت مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة إلا أربعة وعشرين يوماً ، وقيل : إلا ثلاثة أيام ، وقيل : إلا ستة أيام ، وقيل : إلا يومين ، وقيل في موته : إنه لمَّا نزل آخر منزل

---

(١) في الطبري « من يبيت » .

(٢) أي جرح سنام الإبل وغمس شعر السنام في الدم .

بطريق مكة ، نظر في صدر البيت الذي نزل فيه فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم

أبا جعفر حـانتْ وفاتـك وانقضتْ ... سنـوك وأمْـرُ اللهِ لا بـدَّ واقـعُ

أبـا جعفرٍ هـلْ كـاهنٌ أم منجِّمٌ ... لـك اليوم من حـرِّ المنيـة مـانـعُ

فاحضرَ متولي المنازل وقال له : ألم آمرك أن لا يدخلَ المنازل أحدٌ من الناس؟ قال: والله ما دخله أحدٌ منذُ فَرِغَ فقال : إقرأ ما في صدر البيت فقال : ما أرى شيئاً فأحضرَ غيرَه فلم ير شيئاً فأملى البيتين ، ثم قال لحاجبه : إقرأ لي آية من كتاب الله فقرأ ﴿ وسيعلمُ الذين ظَلَموا أيَّ منقلبٍ ينقلبون ﴾[1] فأمر به فضربَ ورحل من المنزل تطيُّراً فسقط عن دابته فاندقَّ ظهرُه ومات فدُفِن ببئر ميمون. والصحيح ما تقدم .

ذكر صفة المنصور وأولاده

كان أسمرَ نحيفاً خفيفَ العارضين وُلد بالحُميْمةِ من أرض الشراة ، وأما أولاده فالمهدي واسمــه محمد ، وجعفر الأكبر وأمهمـا أروى بنت منصور أخت يـزيد بن منصـور الحميري ، وكـانت تكنى أم موسى ؛ ومـات جعفر قبـل المنصور ، ومنهم سليمان ، وعيسى ، ويعقوب ، أمهم فاطمة بنت محمد من وُلد طلحة بن عبيدالله ، وجعفر الأصغر وأمه أم ولد كردية ، وكان يقال له ؛ ابن الكردية ، وصالح المسكين ، أمه أم ولد رومية ، والقاسم مات قبل المنصور وله عشرُ سنين ، أمه أم ولد تعرف بأم القاسم ولها بباب الشام بستانٌ يُعرفُ ببستان أم القاسم ، والعالية أمها امرأةٌ من بني أمية .

ذكر بعض سيرة المنصور

قال سلام الابرش : كنت أخدمُ المنصور داخلاً في منزله وكان من أحسن الناس خلقاً ما لم يخرج إلى الناس ، وأشدُّ احتمالاً لما يكون من عبث الصبيان ؛ فإذا لبس ثوبه أربَدَّ لونه ، واحمرتْ عيناه ، فيخرج منه ما يكون وقال لي يوماً : يا بني إذا رأيتني قد لبست ثيابي أو رجعتُ من مجلسي فلا يدنونَ مني منكم أحدٌ مخافة أن أغرَّه[2] بشيء قال : ولم يُرَ في دار المنصور لهو ولا شيء يشبه اللهو واللعب والعبثَ إلا مرةً واحدة ،

---

(١) الشعراء : ٢٢٧ .

(٢) في الطبري « أن أعزه » بالعين المهملة .

رؤي بعض أولاده وقد ركب راحلةً وهو صبيٌّ وتنكَّب قوساً في هيئة الغلام الأَعرابي بين جوالقيْن فيهما مقل ومساويك وما يهديه الاعراب ، فعجب النّاس من ذلك وأنكروه فعبر الى المهدي بالرصافة فاهداه له فقبله وملأ الجوالقين دراهم فعاد بينهما فَعَلِمَ أنَّه ضَرْبٌ من عبثِ الملوكِ .

قال حمَّاد التركي : كنت واقفاً على رأس المنصور ، فسَمِعَ جَلَبَةً فقال : أنظر ما هذا؟ فذهبت فإذا خادمٌ له قد جلسَ حوله الجواري وهو يضـرِبُ لهنَّ بالـطنبور وهنَّ يضحكْنَ فأخبرته فقال : وأيُّ شيءٍ الطنبورُ ؟ فوصفته له فقال : مـا يدريـك أنت ما الطنبور ؟ قلت : رأيته بخراسان ، فقام ومشى إليهنَّ فلما رأينَهُ تفرقْنَ فأمـر بالخـادم فضرب رأسه بالطنبور حتى تكسر الطنبور وأخرج الخادمَ فباعه .

قـال : وكان المنصـور قد استعمـل معن بن زائـدة على اليمن لمـا بلغـه من الاختلاف هناك ، فسار إليه وأصلحه وقصده الناس من اقطار الأرض لاشتهار جوده ، ففرق فيهم الأموال ، فسخط عليه المنصور فأرسل إليه معن بن زائدة وفداً من قومه فيهم مجاعة بن الأزهر وسيَّرهم إلى المنصور ليزيلوا غيظَهُ وغضبه، فلما دخل على المنصور ابتدأ مجاعةُ بحمدِ الله والثناءِ عليه وذِكْرِ النبي ﷺ فأطنبَ في ذلك حتى عَجِبَ القومُ ، ثم ذَكَرَ المنصور وما شرَّفه الله به وذكر بعد ذلك صاحبَه فلما انقضى كلامه قال : أمَّا ما ذكرتَ من حمدِ الله ، فالله أجلُّ مِنْ أنْ تبلغَه الصفاتُ ، وأما ما ذكرتَ من النبي ﷺ فقد فضَّلَه الله تعالى بأكثر مما قلت ، وأمَّا ما وصفتَ به أميرَ المؤمنين فإنّه فضَّله الله بذلك وهو معينه على طاعتِه إنْ شاء الله تعالى ، وأمَّا ما ذكرتَ من صاحبك فكذبت ولؤمت اخرج فلا يقبلُ ما ذكرته ، فلما صاروا بآخر الأبوابِ أمرَ بردِّه مع أصحابه فقال: ما قلت ؟ فأعادَهُ عليه فأخرجوا، ثم أمـرَ بهم فاوقفـوا، ثم التفت إلى من حضرَ من مضـر فقال: هل تعرفون فيكم مثل هذا؟ والله لقد تكلَّم حتى حسدْته وما منعني أنْ أتمَّ على ردِّه إلاَّ أنْ يُقال حسدَه لأنه من ربيعة وما رأيت مثله رجلاً أرْبَطَ جأشاً ولا أظهر بياناً ردَّه يا غلام، فلما صار بين يديه قال : أقصدْ بحاجتك[1] قال: يا أميـرَ المؤمنين ، معنُ بن زائدة عبدُك وسيفُك وسهْمُكَ رميْتَ به عدوَّك فضرَبَ وطعنَ ورمى حتى سَهُلَ ما حزن ، وذلَّ ما صعبَ واستوى ما كان مِعْوجاً من اليمن ، فاصبحوا من خول أمير المؤمنين أطال الله

---

(١) في الطبري « أقصد لحاجتك وحاجة صاحبك » .

بقاءه ، فإن كان في نفس أميرِ المؤمنين هنة من ساعٍ أو واش أو حاسد ، فأمير المؤمنين أولى بالفضل على عبده ، ومن أفنى عمره في طاعتهً فقبل عذره ، وأمر بصرفهم اليه ، فلما قرأ معن الكتاب بالرضا قَبَّلَ ما بين عينيه ، وشكر أصحابه وأجازَهم على أقدارهم وأمرهم بالرحيل الى المنصور فقال مجاعة :

آليت في مجلس من وائـل قسمـاً ... أن لا أبيعـك يـا معنُ بـأطمـاعِ
يـا معنُ إنـك قـد أوليتني نعماً ... عمْتَ لحيمـاً وخصتَ آل مجاع
فـلا أزال إليك الـدهـر منقـطعاً ... حتى يشيدَ بهلكي هتفـه النـاعي

وكان نعم معن على مجاعة أنه قضى له ثلاث حوائج ، منها أنه كان يتعشّقُ جاريةً من أهلِ بيتِ معنٍ اسمها زهراء، فطلبها فلم يُجَبْ لفقْرِهِ، فطلبها من معن ، فأحضر أباها فزوَّجه إياها على عشرة آلاف درهم وامهرها منْ عنده ، ومنها انه طلب منه حائطاً بعينه فاشتراها له ، ومنها انه استوهب منه شيئاً فوهَبَ له ثلاثين ألف درهم تمام مائة ألف .

قيل : وكان المنصور يقول : ما أحوجني أن يكون على بابي أربعة نفر لا يكون على بابي أعفُّ منهم ، هم أركان الدولة ، ولا يصلحُ الملكُ إلَّا بهم ، أمـا أحدهم فقاض لا تأخـذه في الله لومـةُ لائمٍ ، والآخر صـاحبُ شرطـةٍ ينصُفُ الضعيف من القوي ، والثالث صاحبُ خراج يستقصي ولا يظلمُ الرعية فاني عن ظلمها غني ، ثم عضَّ على إصبعه السبابة ثلاث مرات يقول في كل مرة: آه آه، قيل: ما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال ؛ صاحبُ بريد يكتبُ خبرَ هؤلاءِ على الصحة .

وقيل : دعا المنصورُ بعامل قد كسرَ خراجَه فقال له : أدِّ ما عليك فقال : والله ما أملك شيئاً وأذنَ مؤذنٌ أشهدُ أنْ لا إله إلا الله فقال : يا أميرَ المؤمنين هبْ ما عليَّ لله وشهادة أن لا إله إلا الله ، فخلَّى سبيله ، وقيـل : أتى بعامـل فحبسَه وطـالَبه فقـال العامل : عبدُك يا أمير المؤمنين فقال : بئسَ العبدُ أنت فقال : لكنك نِعْم المولى قال : أما لَك فلا ، قيل : وأُتِيَ بخارجي قد هَزَمَ له جيوشاً فأرادَ ضرْبَ رقبتِهِ ثم ازْدَراه فقال : يا بن الفاعلة ، مثلك يهزمُ الجيوشَ؟ فقال له : ويلَك وسوأة لك أمس بيني وبينـك السيفُ واليوم القذف والسب ، وما كان يؤمنُك أنْ أردَّ عليك وقد يئستُ من الحياة فلا تستقيلها أبداً فاستحيا منه المنصور وأطلقه .

قيـل : وكان شغـلُ المنصور في صـدرِ نهاره بـالأمر ، والنهي ، والـولايات ، والعزل ، وشحن الثغور والأطراف، وأمن السبل ، والنـظر في الخراج والنفقـات ، ومصلحة معاش الرعية والتلطفِ بسكونهم وهدْيهم ، فإذا صلى العصـر جلس لأهل بيته، فإذا صلى العشاء الآخرة جلس ينظرُ فيما وَرَدَ من كتب الثغور والأطراف، والآفاق وشاورَ سمارَه ، فاذا مضى ثلث الليل قام إلى فراشه وانصرف سماره ، وإذا مضى الثلث الثاني قام فتوضَّأ وصلّى حتى يطلع الفجرُ ثم يخرج فيصلي بالناس ثم يدخل فيجلس في إيوانه .

قيل: وقال للمهدي: لا تبرمْ أمراً حتى تفكّر فيه فإن فكْر العاقلُ مرآته تريهِ حسنه وسيئه، يا بني لا يصلُح السلطان إلا بالتقوى ولا تصلحُ رعِيّته إلا بالطاعةِ ولا تعمرُ البلادُ بمثلِ العدْلِ وأقدرُ الناسِ على العفو أقدرهم على العقوبة وأعجزُ الناسِ من ظَلم منْ هو دونه ، واعتبرْ عمل صاحبك وعلمه باختباره .

يا أبا عبد الله : لا تجلسْ مجلساً إلا ومعك من أهلِ العلمِ منْ يحدِّثُك؛ ومنْ أحبَّ أن يحمدَ أحسَن السيرَة ، ومن أبغضَ الحمدَ أساءها وما أبغضَ الحمد أحدٌ إلا استذَمَّ وما استذَمَّ إلّا كره، يا أبا عبدالله ليس العاقل الذي يحتال للأمر الذي غَشِيهُ بل العاقل الذي يحتالُ للأمر حتى لا يقعَ فيه .

وقال للمهدي يوماً : كم رايةً عندك ، قال : لا أدري قال : إنّا لله[1] أنت لأمر الخلافة أشدُّ تضييعاً ولكنْ قد جَمَعْتُ لك ما لا يضرُّكَ معه ما ضيعْتَ فـاتّقِ الله فيما خوّلك ، قيل : وقال اسحاق بن عيسى لم يكن أحدٌ من بني العباس يتكلّم فيبلغُ حاجتَهُ على البديهةِ غير المنصور ، وأخيه العباس بن محمد ، وعمِّهما داود بن علي .

قيل : وخَطَب المنصورُ يوماً فقال : الحمد لله أحمدُهُ وأستعينُه وأومنُ به وأتوكّلُ عليه وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريك له ، فاعترضه انسان فقال : أيُّها الانسانُ أذكرك من ذكرت به ، فقطع الخطبة ثم قال : سمعاً سمعاً لمن حفظَ عن اللهِ وأعوذُ بالله أن أكونَ جباراً عنيداً أو تأخذني العزةُ بالإثم لقدضَلَلْتُ إذاً وما أنا من المهتدين ؛ وأنت أيها القائل فوالله ما أردت بهذا القولِ الله ، ولكنّك أردتَ أن يُقال : قام فقالَ

---

(١) في الطبري « قال هذا والله التضييع » ولعل ما هنا محرف .

فعوقِبَ فصَبَر وأهون بها ، ويلك لقد هممت واغتنمْها إذا عفوْتُ وإياك وإياكم معاشرَ المسلمين أختها ، فإنّ الحكمة علينا نزلتْ ومن عندنـا فصلتْ فرُدُّوا الأمـرَ إلى أهله تُورِدوه مواردَه وتصدروه مصادرَه ؛ ثم عاد إلى خطبته كأنما يقرؤها فقال : وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسوله .

وقال عبدالله بنُ صاعد: خَطَبَ المنصورُ بمكة بعد بناء بغدادَ فكان مما قـال : ﴿ولقدْ كتبْنا في الزَبور منْ بعد الذكر أنَّ الأرضَ يرثُها عبادي الصالحون﴾[1] أمرٌ مبرمٌ وقوْلٌ عدْلٌ وقضاء فصل ، والحمد لله الذي أفلجَ حجَّتَه وبُعداً للقوم الظالمين الذين اتخـذوا الكعبة غرضاً والفيء إرثاً ، وجعلوا القرآن عضين لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزئون . فكم ترى من بئرٍ معطَّلةٍ ، وقصر مشيَّد ، أهملهم الله حينَ بدَّلوا السنة وأهمَلُوا العِبْرة[2] وعَنِدُوا واعتدَوْا واستكبروا ، وخاب كلُّ جبَّار عنيدٍ ثم أخذهم فهل تحسُّ منهم من أحد أو تسمعُ لهم ركزاً .

قال : وكتب إليه رجلٌ يشكو بعضَ عمالِهِ فوقَّعَ إليَ العامل في الرقعة إن آثرْتَ العدلَ صحبَتْكَ السلامةُ وإنْ آثرت الجوْر فما أقربُك من الندامة فأنصفْ هذا المتظلِّم من الظُّلامةِ .

قيل : وكَتَبَ إلى المنصور صاحبُ أرمينية يخبرُه أنَّ الجند قـد شغَبوا عليـه ، ونهبوا ما في بيتِ المال ، فوقَّعَ في كتابه ؛ اعتزل عملنا مذموماً مدحوراً فلو عقلت لم يشغبوا ولو قويْتَ لم ينْهبوا .

وهذا وما تقدَّم من كلامه ووصاياه يدلُّ على فصاحته وبلاغته ؛ وقد تقدم له أيضاً من الكتب وغيرها ما يدلّ على أنه كان واحدَ زمانهِ إلاّ أنه كان يبخلُ .

وما نُقِلَ عنه من ذلك قال الوضين بن عطاء : استزارني المنصورُ وكان بيني وبينه خِلَّةٌ قبل الخلافةِ فخلوْنا يوماً فقال لي : يا أبا عبد الله ما لَكَ ؟ قلت الخبر الذي تعرِفُه قال : وما عيالُك ؟ قلت : ثلاثُ بنات والمرأةُ وخادمٌ لهنَّ فقال : أربعٌ في بيتـك ؟

---

(١) الأنبياء : ١٠٥ .

(٢) في الطبري « واضطهدوا العترة » .

قلت : نعم فردّدها حتى ظننت أنه سَيُعيِنُني ثم قال : أنت أيسرُ العربِ أربعُ مغازِلَ يدرْنَ في بيتك .

قيل : رَفَعَ غلامٌ لأبي عطاء الخراساني أنَّ له عشرة آلاف دِرْهم فـأخذهـا منه وقال : هذا مالي ، قال : من أين يكونُ مالك ، ووالله ما وليتك عملاً قطّ ، ولا بيني وبينك رحمٌ ولا قرابة قال : بلى كنت تزوجتُ امرأةً لعيينة بن موسى بن كعب ، فورثتك مالاً وكان قد عَصِيَ بالسند وأخذ مالي وهو والٍ على السند فهذا المالُ من ذاك ، وقيـل لجعفر الصادق : إنَّ المنصورَ يكثرُ من لبسِ جبَّةٍ هرويةٍ وأنه يرقِّعُ قميصَه فقال جعفـرٌ : الحمد لله الذي لَطفَ به حتى ابتلاه بفقر نفسه في مُلْكِهِ ، قيل : وكان المنصور إذا عَزَلَ عاملاً ، أخذَ مالَه وتركَهُ في بيتِ مال مفردٍ سماه بيتُ مالِ المظالمِ ، وكتب عليه اسمَ صاحبِهِ وقال للمهدي : قد هيأتُ لك شيئاً فإذا أنا متُّ فادعُ مَنْ أخذتُ ماله فـاردده عليه[1] فإنك تستحمدُ بذلك إليهم وإلى العامةِ ففعل المهدي ذلك .

وله في ضدِّ ذلك أشياءُ كثيرةٌ ، قيل : وذَكَر زيدُ مولى عيسى بن نهيك قـال : دعاني المنصورُ بعد موت مولاي فسألني كم خَلفَ مِنْ مال ؟ قلت : ألفَ دينار وأنفقَتْهُ امرأته في مأتمِهِ قال : كم خَلَّفَ من البنات ؟ قلت : ستاً فأطرق ملياً ثم رفـع رأسَهُ وقال : اغْدُ إلى المهدي ؛ فغدوت إليه فأعطاني مائـة ألفٍ وثمانين ألف دينـار ، لكلِّ واحدةٍ منهنَّ ثلاثون ألفاً ، ثم دعاني المنصورُ فقال : عدْ عليَّ بأكفائِهن حتى أزوجهنَّ ، ففعلت فزوجهُنَّ وأمرَ أنْ تُحمَلَ إليهن صَدَقَاتهنَّ من مالِه لكلِّ واحدةٍ منهنَّ ثلاثون ألف درهم ، وأمرني أن أشتري بمالهن ضياعاً لهنَّ يكون معاشهنَّ منها .

قيل : وفرَّق المنصورُ على جماعةٍ منْ أهل بيته في يومٍ واحدٍ عشرة آلافِ ألف درهم ، وأمر لجماعةٍ من أعمامه منهم سليمان ، وعيسى ، وصالح ، وإسماعيل لكل رجلٍ منهم بألفِ ألفِ، وهو أول من وصل بها ، وله في ذلك أخبارٌ كثيرةٌ ؛ وأما غيرُ ذلك قال يزيد بن عمر بن هبيرة : ما رأيت رجلاً قط في حرب ولا سمعتُ به في سِلم أنكرَ ولا أمكرَ تيقظاً من المنصورِ ؛ لقد حصرني تسعة أشهر ومعي فرسان العـرب ،

---

(١) عبارة الطبري هكذا « فادع هؤلاء الذين أخذت منهم هذه الأموال التي سميتها المظالم فاردد عليهم كل ما أخذ منهم فانك » الخ .

فجهدْنا بكل الجهْدِ أن ننالَ من عسكرِهِ شيئاً فما تهيَّأ ، ولقد حصرني وما في رأسي شعرةٌ بيضاءُ فخرجْتُ إليه وما في رأسي شعرة سوداء .

قيل : وأرسل ابنُ هبيرة إلى المنصور وهو محاصرُهُ يدعو إلى المبارزة ؛ فكتب إليه : أنك متعدٍّ طورك جارٍ في عِنانِ غيِّك ، يعدُك الله ما هو مصدقُهُ، ويمنيك الشيطان ما هو مكذبُه ، ويقرِّبُ ما الله مباعده ، فرويداً يتم الكتاب أجله وقد ضربت مثلي ومثلك .

بلغني أن أسداً لقي خنزيراً فقال له الخنزير : قاتلني فقال الأسد : إنّما أنت خنزير ولستَ بكفْءٍ لي ولا نظيرَ، ومتى قاتلْتُك فقَتَلْتُكَ قيل لي : قَتَلَ خنزيراً فلا أعتقد فخراً ولا ذكراً وإنْ نالني منك شيئاً كان سَبَّةً عليَّ ، فقال الخنزير : إنْ لم تفعل أعلمت السِّباعَ أنك نكلْتَ عني ، فقال الأسد : احتمال عارُ كذبك عليَّ أيسرُ من لطْخ شرابي بدمك .

قيل: وكان المنصور أول من عَمَل الخيْشَ، فإن الأكاسرة كانوا يطيِّنون كلَّ يوم بيتاً يسكنونه في الصيف وكذلك بنو أمية ، قيل : وأُتِيَ برجل من بني أمية فقال : إنّي أسألك عن أشياء فاصدقني ولك الأمان قال : نعم قال: من أين أتى بنو أمية حتى انتشرَ أمرُهم ؟ قال: مِنْ تضييعِ الأخبارِ قال: فأي الأموالِ وجدُوها أنفعُ ؟ قال: الجوْهرُ قال: فعندَ مَنْ وجدوا الوفاء ؟ قال : عند مواليهم فأراد المنصورُ أن يستعينَ في الأخبار بأهلِ بيته فقال : أضع منهم فاستعانَ بمواليه .

ذكر خلافة المهدي والبيعة له

ذَكَر عليٌّ بن محمد النوفلي عن أبيه قال ؛ خرجتُ من البصرة حاجاً فاجتمعْتُ بالمنصور بذات عرق فكنتُ أسلِّمُ عليه كلما ركِبَ وقد أشفى على الموت ، فلما صار ببئر ميمون ، نزل به ، ودخلنا مكة ، فقضيتُ عُمرتي ، وكنت أختلفُ إلى المنصور ، فلما كان في الليلة التي مات فيها ، ولم نعلم صليْتُ الصبح بمكة وركبتُ أنا ومحمد بن عون بن عبدالله بن الحرث ـ وكان من مشايخ بني هاشم وسادتهم ـ ، فلما صرنا بالأبطح لقيْنا العباس بن محمد ومحمد بن سليمان في خيل إلى مكة فسلَّمنا عليهما ومضينا فقلت لمحمد : أحسب الرجل قد مات فكان كذلك .

ثم أتينا العسكر فإذا موسى بن المهدي قد صدر عند عمود السرادق والقاسم بن المنصور في ناحية من السرادق وقد كان قبل ذلك يسيرُ بين المنصور وبين صاحب الشرطة ؛ ورفع الناس اليه القصصَ ، فلما رأيته علمتُ أن المنصور قد مات ، وأقبل الحسن بن زيد العلوي وجاء الناس حتى ملؤوا السرادق ، وسمعنا همساً من بكاء ، وخرج أبو العنبر خادم المنصور مشقِّق الأقبية وعلى رأسه التراب ، وصاح وا أمير المؤمنيناه ! فما بقي أحدٌ إلا قام ، ثم تقدّموا ليدخلوا عليه فمنعَهُم الخدمُ .

وقال ابن عياش[1] المنتوف : سبحانَ الله ، أما شهدتم موتَ خليفةٍ قطّ اجلسوا فجلسوا ، وقام القاسِمُ فشقَّ ثيابَهُ ووضعَ الترابَ على رأسه وموسى جالسٌ على حاله ؛ ثم خرج الربيع وفي يدِهِ قِرطاسٌ ، ففتحه فقرأه ، فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبدِالله المنصور أمير المؤمنين إلى من خَلَفَ بعده من بني هاشم وشيعته من أهل خراسان وعامة المسلمين ؛ ثم ألقى القرطاس من يده وبكى وبكى الناس ثم قال : قد أمكنكم البكاء فأنصتوا رحمكم الله ، ثم قرأ : أما بعد فإني كتبت كتابي هذا وأنا حي في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة ، أقرأ عليكم السلام وأسأل الله أنْ لا يفتنكم بعدي ولا يلبسكم شيعاً ، ولا يذيق بعضكم بأس بعض .

ثم أخذ في وصيتهم بالمهدي واذكارهم البيعة له ، وحثّهم على الوفاء بعهده ، ثم تناولَ يدَ الحسن بن زيد وقال ؛ قُمْ فبايعْ ، فقام إلى موسى فبايعَهُ ، ثم بايعه الناسُ الأول فالأول ، ثم أدخلَ بنو هاشم على المنصور ، وهو في أكفانه مكشوفُ الرأس ، فحملناه حتى أتينا به مكة ثلاثة أميال ، فكأني انظر اليه والريح تحرك شعرَ صدغيه ، وذلك انه كان وفَّر شعره للحلق ، وقد نصل خضابه حتى أتينا به حفرته وكان أولُ شيء ارتفعَ به عليٌّ بن عيسى بن ماهان ، ان عيسى بن موسى أبى من البيعة ، فقال علي بن عيسى بن ماهان : والله لتابيعنَّ ولأضربنَّ عنقك ، فبايع ثم وجَّه موسى بن المهدي والربيع الى المهدي بخبر وفاة المنصور وبالبيعة له مع منارة مولى المنصور ، وبعثا أيضاً بالقضيب وبُرْدة النبي ﷺ وبخاتم الخلافةِ ، وخرجوا من مكة فقدِمَ الخبرُ على المهدي مع منارة منتصف ذي الحجة فبايعه أهلُ بغداد ، وقيل : إن الربيع كتم موتَ المنصورِ ، وألبَسَهَ وسندَه ، وجعل على وجهه كلَّةً خفيفةً ، يرى شخصه منها ولا يفهم أمرُه وادنى أهله منه ، ثم قرَّب منه الربيع كأنه يخاطبه ، ثم رجع إليهم وأمرَهم عنه بتجديدِ البيْعة

للمهدي فبايعوا ثم أخرجهم وخرجَ إليهم باكياً مشقّقِ الجيب لاطماً رأسَهُ ، فلما بلغ ذلك المهدي أنكره على الربيع وقال : أما مَنَعْتكَ جلالةُ أمير المؤمنين أن فعلت به ما فعلت ، وقيل : ضربه ولم يصح ضربُهُ .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة عَزَلَ المنصور المسيب بن زهير عن شرطتِهِ وحَبَسهُ مقيداً ، وسبب ذلك أنه ضَرَب أبان بن بشير الكاتب بالسياط ، حتى قتَلَهُ ، لأنه كان شريكَ أخيه عمرو بن زهير في ولاية الكوفة واستعمل على شرطتِهِ الحكَم بنَ يوسفَ صاحبَ الحراب ، ثم كلَّم المهدي أباه في المسيب فرضيَ عنه ، وأعادَهُ إلى شرطته ، وفيها استعمل المنصور نصرَ بنَ حرب بن عبدالله على ثغرِ فارسٍ ، وفيها عاد المهدي من الرّقة في شهرِ رمضان ، وفيها غزا الصائفة معيوف بن يحيى من درب الحدثِ فلقيَ العدوّ ، فاقتتلوا ثم تحاجزوا ؛ وفيها حبسَ محمد بن إبراهيم الإمام - وهو أمير مكة - جماعة ، أمر المنصور بحبسهم وهم رجلٌ من آل علي بن أبي طالبٌ كان بمكة ، وابن جريج ، وعباد بن كثير ، وسفيان الثوري ، ثم أطلقهم من الحبس بغير أمرِ المنصور ، فغضب عليه أبو جعفر ، وكان سبب اطلاقهم أنه أنكرَ وقال : عمدت الى ذي رحم فحبسْته - يعني بعضَ وُلْدِ علي - وإلى نفر من أعلام المسلمين فحبسْتهم ، وتقدّم أميرُ المؤمنين فلعلَّه يأمرُ بقتْلهم فيشدُّ سلطانَه وأهلك فأطلقَهُم وتحلل منهم .

فلما قارب المنصور مكة أرسل إليه محمدٌ بن إبراهيم بهدايا ، فردَّها عليه . وفيها شخصَ المنصور من بغدادَ إلى مكة ، فمات في الطريق قبل أن يبلُغَها .

وفي هذه السنة غزا عبد الرحمن صاحب الأندلس مدينة قورية ، وقصدَ البربرَ الذين كانوا أسلموا عامِله إلى شقنا فقَتَلَ منهم خلقاً من أعيانهم واتبع شقنا حتى جاوز القصرَ الأبيضَ والدربَ ففاته ، وفيها مات أورالي ملك جليقية وكان مُلْكه ستَّ سنين ؛ ومَلِكَ بعدَه شيالوَن ، وفيها توفي مالك بن مغول الفقيه البجلي بالكوفة ، وحَيْوة بن شريح بن مسلم الحضرمي المصري ، وكان العامل على مكة ، والطائف إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي بن عبدالله ، وعلى المدينة عبد الصمد بن علي ، وعلى الكوفة عمرو بن زهير الضبي ، وقيل : إسماعيل بن إسماعيل الثقفي ، وعلى قضائها

شريكُ بن عبدالله النخعي ، وعلى خراجها ثابت بن موسى ، وعلى خراسان حميد بن قحطبة ، وعلى قضـاء بغداد عبـدالله[1] بن محمد بن صفـوان ، وعلى الشرطـة بها عمر بن عبد الرحمن[2] أخو عبد الجبار بن عبد الرحمن ، وقيل : موسى بن كعب ، وعلى خراج البصرة وأرضِها عمارةُ بن حمزة ، وعلى قضائِهـا والصلاةِ عبيـدُ الله بنُ الحسن العنبري ، وأصاب الناسَ هذه السنة وباءٌ عظيمٌ .

---

(١) في الطبري « عبيدالله » بالتصغير .
(٢) في بعض النسخ « عمر بن عبد العزيز » وهو تحريف بدليل اسم أخيه وما هنا موافق لما في الطبري .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائة

ذِكْرُ الحسن بن إبراهيم بن عبدالله

في هـذه السنة حوَّل المهدي الحسنَ بن إبـراهيم بن عبـدالله بن الحسن بن الحسن بن علي من محبِسِـهِ ، وسبب ذلك أنـه كان محبـوسـاً مـع يعقـوب بن داود في موضعٍ واحدٍ ، فلما أطلِقَ يعقوبُ وبقيَ هو ساء ظنّه فالتمس مخرجاً فأرسلَ إلى بعضِ مَنْ يثقُ إليه ، فحفر سرباً إلى الموضعِ الذي هو فيه ، فبلغ ذلك يعقوبَ فأتى ابن علاثة القاضي ـ وكان قد اتصل به ـ فقال : عندي نصيحة للمهـدي وطلبَ اليه إيصاله إلى أبي عبيدالله وزيره ، ليرفعها إليه فاحضره عنده ، فلما سأله عن نصيحته سأله عن إيصاله إلى المهدي ليعُلمَهُ بها ، فأوصله إليه فاستخلاه فاعلمَهُ المهدي ثقتَهُ بوزيرِهِ وابن علاثة فلم يقل شيئاً حتى قاما فأخبره خبرَ الحسن ، فانفذَ مَنْ يثقُ إليه ، فأتاه بتحقيق الحالِ ، فأمر بتحويلِ الحسن فحوِّل ثم احتيلَ له فيما بعد ، فهربَ وطلبَ فلم يظفر به ، فأحضر المهدي يعقوبَ وسأله عنه فأخبره أنه لا يعلمُ مكانَهُ وأنّه إنْ أعطاهُ الأمانَ أتاه به ، فأمَّنَهُ وضَمِنَ له الاحسانَ فقال له : أتركْ طلبه فإنَّ ذلك يوحِشُهُ ، فتركَ طلَبه ؛ ثم إن يعقوب تقدم عند المهدي فاحضرَ الحسنَ بنَ ابراهيم عندَه .

ذِكرُ تقدمِ يعقوبَ عند المهدي

قَدْ تقدَّمَ ذِكرُ وصوله إليه ، فلما أحضره المهدي عندَه في أمر الحسن بن إبراهيم كما تقدَّم قال له : يـا أميرَ المؤمنين إنَّـك قد بسْـطتَ عدْلَـك لرعيَّتـك، وأنصفتَهم، وأحسنْتَ إليهم ، فعَظُمَ رجاؤهم وقد بَقيتَ أشياء لو ذكرْتُها لك لم تدع النظَر فيها ؛ وأشياءُ خلفَ بابِك تعملُ ولا تعلمُ بها ، فإنْ جَعْلتَ إليّ السبيل إليك رَفَعْتها . فأمر بذلك فكان يدخلُ عليه كلما أراد ويرفعُ اليه النصائحَ في الأمور الحسنةِ الجميلة من أمر الثغـور ، وبناء الحصـونِ ، وتقويـة الغزاة ، وتـزويـجِ العـزابِ ، وفكـاكِ الأسـرى

والمحبسين ، والقضاءَ عن الغارمين ، والصدقةَ على المتعَففين .

فحظي عنده بذلك وعلت منزلته حتى سقطت منزلة أبي عُبيدالله وحبس وكتب المهدي توقيعاً بأنه قد اتخذه أخاً في الله ووصَله بمائة ألف .

ذكر ظهور المقنّع بخراسان

وفي هذه السنة قبلَ موت حميد بن قحطبة ظهر المقنعُ بخراسان ، وكان رجلاً أعورَ قصيراً من أهل مرو ويُسمَّى حكيماً ، وكان اتخَذَ وجْهاً من ذهب فجعله على وجهه لئلاّ يُرى ، فسُمّي المقنعُ وادَّعى الألوهِيَّة ولم يُظهِرْ ذلك إلى جميع أصحابه ، وكان يقول : إن الله خلقَ آدم فتحوَّلَ في صورتِهِ ثُمَّ في صورةِ نوح وهلم جرا إلى أبي مُسْلم الخراساني ثم تحوّلَ إلى هاشم ، وهاشم في دعواه هو المقنَّع ، ويقول بالتناسخ ، وتابَعَهُ خلْقٌ من ضلالِ الناس وكانوا يسجدون له من أي النواحي كانوا ، وكانوا يقولون في الحرب : يا هاشم أعنّا ، واجتمعَ إليه خلقٌ كثير وتحصّنوا في قلعةٍ بسيام وسنجردة وهي من رساتيق كش ، وظهرت المبيضة ببخارى والصغد معاونين له ، وأعانه كفّار الأتراك وأغاروا على أموال المسلمين ، وكان يعتقد أن أبا مسلم أفضل من النبي ﷺ ، وكان ينكرُ قَتْلَ يحيى بن زيد وادَّعى أنه يقتل قاتليه ، واجتمعوا بكش وغلبوا على بعض قصورها وعلى قلعة نواكث وحاربهم أبو النعمان ، والجنيد ، وليثُ بنُ نصر ، مرةً بعد مرة ، وقتلوا حسانَ بنَ تميم بن نصر بن سيار ، ومحمد بن نصر ، وغيرهما وأنفذَ إليهم جبزائيل بن يحيى ، وأخاه يزيد ، فاشتغلوا بالمبيضة الذين كانوا ببخارى فقاتلوهم أربعة أشهر في مدينة بومجكت ونقبها عليهم فقُتِلَ منهم سبعمائة وقُتِلَ الحكم ، ولحِقَ منهزموهم بالمقنَّع وتَبِعَهم جبرائيل وحاربهم ، ثم سيَّر المهدي أبا عون لمحاربةِ المقنَّع فلم يبالغْ في قتاله واستعملَ معاذَ بن مسلمٍ .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة عزل المهدي إسماعيل عن الكوفة ، واستعمل عليها إسحاق بن الصبَّاح الكِنْدي ، ثم الأشعثي ، وقيل : عيسى بن لقمان بن محمد بن حاطب[1]

---

(١) في الأصل « محمد بن خاطب » بالخاء المعجمة وهو مصحف وصوابه بالحاء المهملة انظر تقريب التهذيب .

الجمحي .

وفيها عُزِلَ سعيدُ بن دعْلج عن أحداث البصرة ، وعُبيدالله بن الحسن عن الصلاة، واستعمل مكانهما عبدَ الملك بن أيوب بن ظبيان النميري ، وأمرَهُ بانصاف من تظلَّم من سعيد بن دعلج ، ثم صرفت الأحداثُ فيها إلى عمارة بن حمزة فولَّاها المسور بن عبدالله الباهلي . وفيها عُزِلَ قثم بن العباس عن اليمامة عن سخطة فَوصَل كتابُ عزْلِهِ ، وقد مات واستعمل مكانه بشر بن المنذر البجلي ، وفيها عُزِلَ الهيثم بن سعيد عن الجزيرة ، واستعمل عليها الفضل بنَ صالح . وفيها أعتقَ المهدي الخيزران أمَّ ولده وتزَوّجها وهي أم الهادي، والرشيد وتزوج أمَّ عبدالله بنت صالح بن علي أخت الفضل ، وعبد الملك[1] ، وفيها احترقت السفنُ عند قصر عيسى ببغداد بما فيها واحترق ناسٌ كثيرٌ ، وفيها عُزِلَ مطر مولى المنصور عن مصْرَ ، واستعمل عليها أبو ضمرة محمد بن سليمان ، وفيها غزا العباس بن محمد الصائفة الروميَّة ، وعلى المقدمة الحسن الوصيف ، فبلغوا أنقرة ، وفتحوا مدينةً للروم ومطمورة ، ولم يُصَبْ من المسلمين أحدٌ ورجعوا سالمين ، وفيها وُلِّي حمزة بن يحيى سجستان ، وجبرائيل بن يحيى سَمْرقَنْد فبنى سورَها ، وحفر خندقَها .

وفيها عُزِلَ عبدُ الصمد بن علي عن المدينة ، واستعمل عليها محمد بن عبدالله الكُثَيْري ثم عَزَلَهْ ، واستعملَ مكانه محمد بن عبيدالله بن محمد بن عبد الرحمن[2] بن صفوان الجمحي ، وفيها بنى المهدي سورَ الرصافةِ ومسجدها وحفرَ خندقها .

وفيها توفي معبدُ بن الخليل بالسند ـ وهو عامل المهدي عليها ـ واستعمل مكانه روحُ بن حاتم أشارَ به أبو عبيدالله وزير المهدي ، وفيها أطلقَ المهدي من كان في حبوس المنصور إلَّا من كان عنده تبعةٌ من دم أو مالٍ أو مَنْ يسعى في الأرض بالفساد ؛ وكان فيمن أطلقَ يعقوب بن داود مولى بني سليم . وفيها توفي حميد بن قحطبة وهو عامل المهدي على خراسان واستعمل المهدي بعده عليها أبا عون عبد الملك بن يزيد .

---

(١) في الطبري « وعبدالله » .

(٢) في الطبري « عبيدالله بن محمد بن عبد الرحمن » .

وحجَّ بالناس هذه السنة يزيدُ بن منصور خال المهدي عند قدومه من اليمن ، وكان المهدي قد كتب إليه بالقدوم عليه وتوليته الموسم ؛ وكان أميرَ المدينة عبدُ الله[1] بن صفوان الجمحي ، وعلى أحداث الكوفة إسحاق بن الصباح الكندي ، وعلى خراجِها ثابت بن موسى ، وعلى قضائها شريك ، وعلى صلاة البصرة عبد الملك بن أيوب ، وعلى أحداثها عمارة بن حمزة ، وعلى قضائها عُبيدالله بنُ الحسن ، وعلى كور دجلة ، وكور الأهواز ، وكور فارس عمارة بن حمزة ، وعلى السند بسطام بن عمرو ، وعلى اليمن رجاء بن روح، وعلى اليمامة بشر بن المنذر ، وعلى خراسان أبو عون عبد الملك بن يزيد .

وكان حميد بن قحطبة قد مات فيها فولَّى المهدي أبا عون ، وكان على الجزيرة الفضل بن صالح ، وعلى إفريقية يزيد بن حاتم ، وعلى مصر أبو ضمرة محمد بن سليمان .

وفيها كان شَقْنا قد انتشر في نواحي شنت برية فسيَّر إليه عبد الرحمن صاحب الأندلس جيشاً ففارقَ مكانَهُ وصَعِدَ الجبالَ كعادتِهِ فعادَ الجيشُ عنه ، وفيها مات محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب الفقيه بالكوفة وهو مدني وعمره تسع وسبعون سنة ، وفيها توفي عبد العزيز بن أبي رَوَّاد مولى المغيرة بن المهلب ، ويونس بن أبي إسحاق السبيعي الهمداني ، ومخرمة بن بكير بن عبدالله بن الأشج المصري ، وحسين بن واقد مولى ابن عامر ـ وكان على قضاء مرو ـ وكان يشتري الشيء من السوق فيحملُه إلى عياله .

---

(١) في الطبري « عبيدالله » بالتصغير وقد تقدم كذلك .

ثم دخلت سنة ستين ومائة

ذكر خروج يوسف البرم

في هذه السنة خرجَ يوسفُ بن إبراهيمَ المعروف بالبرم ، بخراسان مُنْكراً هو ومن معه على المهدي سيرته التي يسير بها ، واجتمع معه بشرٌ كثيرٌ فتوجَّه إليه يزيدُ بن مزيد الشيباني - وهو ابن اخي معن بن زائدة ، فلقيه فاقتتلا حتى صارا إلى المعانقة ، فأسره يزيد بن مزيد ، وبعث به إلى المهدي ، وبعث معه وجوه أصحابه ، فلما بلغوا النهروان حُمِلَ يوسفُ على بعير قد حُوّل وجهُه إلى ذنبه وأصحابه مثله فأدخلوهم الرصافةَ على تلك الحال وقُطعَتْ يدا يوسف ورجلاه وقتل هو وأصحابه وصلبوا على الجسر ، وقد قيل : إنَّه كان حرورياً وتغلَّب على بوشنج وعليها مصعب بن زريق جدُّ طاهر بن الحسين ، فهرب منه ، وتغلَّب أيضاً على مرو الروذ ، والطالقان ، والجوزجان ، وقد كان من جملة أصحابه أبو معاذ الفريابي فقُبِضَ معه .

ذكر خلع عيسى بن موسى ، وبيعة موسى الهادي

كان جماعة من بني هاشم وشيعةُ المهدي قد خاضوا في خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد والبيعة لموسى الهادي بن المهدي ؛ فلما علم المهدي بذلك سرَّهُ ، وكتب الى عيسى بن موسى بالقدوم عليه وهو بقرية الرحبة من أعمال الكوفة ، فأحس عيسى بالذي يراد منه فامتنع من القدوم ، فاستعمل المهدي على الكوفة روحَ بن حاتم للاضرارِ به ، فلم يجدْ روحُ إلى الأضرار به سبيلاً لأنه كان لا يقرب البلد إلا كل جمعة أو يوم عيد ، وألحَّ المهدي عليه وقال له : إنك إن لم تجبني إلى أن تنخلع من ولاية العهد لموسى ، وهارون إستحلَلْتُ منك بمعصِيَتِكَ ما يستحلُّ من أهل المعاصي ، وإن أجبتني عوَّضْتك منها ما هو أجدى عليك وأعجل نفعاً ، فلم يقدمْ غليه ، وخيف انتقاضه فوجَّه إليه المهدي عمَّه العباس بن محمد برسالة وكتاب يستدعيه فلم يحضر معه ؛ فلما

عاد العباس وجَّه المهدي إليه أبا هريرة محمد بن فروخ القائد في الفٍ من أصحابه ذوي البصائر في التشيُّع للمهدي ، وجعل مع كلٍ واحدٍ منهم طبلاً ، وأمرهم أن يضربوا طبولهم جميعاً عند قدومهم اليه ، فوصلوا سحراً وضربوا طبولهم ، فارتاع عيسى روعاً شديداً ، ودخل عليه أبو هريرة وأمرَهُ بالشخوص معه ، فاعتلَّ بالشكوى فلم يقبلْ منه وأخذه معه ، فلما قَدِمَ عيسى بن موسى نَزِلَ دار محمد بن سليمان في عسكر المهدي ، فأقام أياماً يختلف إلى المهدي ولا يكلِّمُ بشيء ولا يرى مكروهاً ، فحضر الدار يوماً قبل جلوس المهدي فجلس في مقصورة للربيع ، وقد اجتمع شيعة رؤساء المهدي على خلعه فثاروا به ـ وهو في المقصورة ـ فاغلق الباب دونهم فضربوا الباب بالعمد حتى هشَّموه وشتموا عيسى أقبح الشتم ، وأظهر المهدي إنكاراً لما فعلوه ، فلم يرجعوا فبقوا في ذلك اياماً إلى أن كاشَفَهُ أكابرُ أهل بيته ، وكان أشدهم عليه محمد بن سليمان ، وألح عليه المهدي فأبى وذَكَرَ أن عليه أيماناً في أهله وماله فاحضر لـه من القضاة ، والفقهاء عدةً ، منهم محمد بن عبدالله بن علاثة ، ومسلم بن خالد الزنجي فأفتوه بما رأوا ، فـأجاب الى خلع نفسـه ، فأعطـاه المهـدي عشرة آلاف ألف درهم وضيـاعاً بالزاب ، وكسكر ، وخلعَ نفسَهُ لأربع بقينَ من المحرم وبايع للمهدي ، ولابنه موسى الهادي ، ثم جلس المهدي من الغد ، واحضر اهل بيته وأخذ بيعتهم ، ثم خرج إلى الجامع وعيسى معه فخطب الناس وأعلمهم بخلعِ عيسى والبيعة للهادي ، ودعاهم الى البيعة فسارع الناس إليها وأُشْهِدَ على عيسى بالخلع فقال بعض الشعراء :

كـره المـوت أبـو مـوسى وقـد ... كـان في المـوت نجـاةٌ وكـرمُ
خلع الملك وأضحـى ملبسـاً ... ثـوب لوم مـا تـرى منه القـدم

(الرُّحبْة) بضم الراء قرية عند الكوفة ، و (صُبيح) بضم الصاد المهملة وكسر الباء الموحدة .

ذكر فتح مدينة باربد

كان المهديُّ قدْ سيَّر سنة تسع وخمسين ومـائة جيشـاً في البحر وعليهم عبدُ الملك بن شهاب المسمعي إلى بلاد الهند في جمعٍ كثيرٍ من الجند والمتطوعة ، وفيهم الربيعُ بن صبيح ، فساروا حتى نزلوا على باربد ، فلما نازلوها ، حصَرُوها من نواحيها وحرَّضَ الناسُ بعضهم بعضاً على الجهاد وضايقوا أهلها ، ففتحها الله عليهم هذه السنة

عنوةً ، واحتمى أهلها بالبد الذي لهم فأحرقه المسلمون عليهم ، فاحترقَ بعضُهم وقُتِلَ الباقون ؛ واستشهَد من المسلمين بضعةٌ وعشرون رجلاً ، وأفاءها الله عليهم ، فهاجَ عليهم البحر ، فأقاموا إلى أن يطيب فأصابهم مرض في أفواههم يقال له : حمام قر فمات منهم نحو من ألف رجل ، فيهم الربيع بن صبيح ثم رجعوا ، فلما بلغوا ساحلاً من فارس يقال له : بحر حمران عصفت بهم الريح ليلاً ، فانكسر عامة مراكبهم فغرق البعض ونجا البعض ، قيل : وفيها جعل أبان بن صدقة كاتباً لهارون الرشيد ووزيراً له .

وفيها عُزِلَ أبو عون عن خراسان عن سخطة واستعملَ عليها معاذَ بن مسلم ، وفيها غزا ثمامة بن العبس[1] الصائفة ، وغزا الغمر بن العباس الخثعمي بحر الشام .

ذكر رد نسب آل بكرة وآل زياد

وفي هذه السنة أمرَ المهدي بردِّ نسب آل أبي بكرة من ثُقيف إلى ولاء رسول الله ﷺ ، وسبب ذلك أن رجلاً منهم رفع في ظُلامته إلى المهدي ، وتقرَّب إليه فيها بولاء رسول الله ﷺ ، فقال له المهدي : إن هذا نسب ما يقرون به إلاَّ عند الحاجة والإضطرار إلى التقرُّب إلينا ، فقال له : مَنْ جَحَدَ ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فإنَّا سنقرُّ وأنا أسألك أن تردني ومعشر آل أبي بكرة إلى نسبنا من ولاء رسول الله ﷺ وتأمرَ بآل زياد فيخرجوا من نسبهم الذي ألحِقوا به ، ورغبوا عن قضاء رسول الله ﷺ أن الولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، ويردوا إلى عبيد في موالي ثقيف .

فأمر المهدي برد آل أبي بكرة إلى ولاء رسول الله ﷺ وكتب فيه إلى محمد بن موسى بذلك وأنّ منْ أقرَّ منهم بذلك تركَ ماله بيده ومَنْ أباه اصطفى مالهُ فعرضهم ، فأجابوا جميعاً إلاّ ثلاثة نفر ؛ وكذلك أيضاً أمر بردّ نسب آل زياد إلى عبيد وأخرجهم من قريش .

فكان الذي حمل المهدي على ذلك مع الذي ذكرناه أن رجلاً من آل زياد قَدِمَ عليه يُقال له : الصغدي بن سلم بن حرب بن زياد فقال له المهدي : من أنت ؟ فقال :

---

(١) في الطبري ثمامة بن الوليد العبسي .

ابن عمّكِ فقال: أي بني عمي أنت؟ فذكر نسبه فقال المهدي : يابن سمية الزانية متى كنت ابن عمي ؟ وغضب وأمرَ به فوجيء في عنقه وأخرج ، وسأل عن استلحاق زياد ، ثم كتب الى العامل بالبصرة باخراج آل زيـاد من ديوان قـريش والعرب وردِّهم الى ثقيف ؛ وكتب في ذلك كتاباً بالغاً يذكر فيه إستلحـاق زياد ، ومخـالفة حكم رسـول الله ﷺ فيه فاسقطوا من ديوان قريش ، ثم أنهم بعد ذلك رشَوْا العمال حتى ردّوهم الى ما كانوا عليه فقال خالد النجار :

إن زيـاداً ونـافـعـاً وابـا بكرة عندي من أعجب العجب
ذا قـرشـيٌ كـمـا يـقـول وذا مـولى وهـذا بـزعمـه عـربي

ذكر عدة حوادث

وفي هذه السنة توفي عبدالله بن صفوان الجمحي أميرُ المدينة ، واستعملَ عليها مكانه محمد بن عبدالله الكثيري ثم عُزِلَ واستعمل مكانـه زُفر بن عـاصم الهلالي ، وجعل على القضاء عبدالله بن محمد بن عمران الطلحي ، وفيهـا خرج عبـد السلام الخارجي بنواحي الموصل ، وفيها عُزِلَ بسطام بن عمرو عن السند واستعمل عليهـا روح بن حاتم .

وحجَّ بالناس هذه السنة المهدي واستخلف على بغـداد ابنه مـوسى ، وخالـه يزيد بن منصور ، واستصحب معه جماعة من أهل بيته ، وابنه هارون الرشيد ، وكان معه يعقوب بن داود فأتاه بمكة بالحسن بن ابراهيم بن عبدالله العلوي الذي كان استأمن له ، فوصله المهدي وأقطَعَـهُ ، وفيها نـزع المهدي كسـوة الكعبة ، وكسـاها كسـوةً جديدة ، وكان سبب نزعها أن حجبة الكعبة ذكروا له أنهم يخافون على الكعبة أن تتهدَّم لكثرة ما عليها من الكسوة فنزعها ، وكانت كسوة هشـام بن عبد الملك من الـديباج الثخين وما قبلها من عمل اليمن ، وقسَّم مالاً عظيماً ، وكان معه من العراق ثلاثون ألف ألف درهم ، ووصل اليه من مصر ثلاثمائة ألف دينار ، ومن اليمن مائتا الف دينار ففرق ذلك كلّه، وفرَّق مائة ألف ثوب وخمسين ألف ثوب، ووسع مسجد رسول الله ﷺ ، وأخذ خمسمائة من الأنصار يكونون حرساً له بالعراق وأقطعهم بالعراق وأجرى عليهم الأرزاق ، وحمل إليه محمد بن سليمان الثلج إلى مكة ، وكان أول خليفة حُمِل اليه

الثلج الى مكة ، وردَّ المهدي على أهل بيته وغيرهم وظائفهم[١] التي كانت مقبوضة عنهم .

وكان على البصرة ، وكور دجلة ، والبحرين ، وعمان ، وكور الأهواز ، وفارس محمد بن سليمان ، وعلى خراسان معاذ بن مسلم ، وباقي الأمصار على ما تقدم ذكره .

وفيها أرسل عبد الرحمن الأموي بالأندلس أبا عثمان عبيدالله بن عثمان ، وتمام بن علقمة إلى شقْنا فحاصراه شهوراً بحصن شيطران وأعياهما أمره فقفلا عنه ؛ ثم إن شقْنا بعد عودهما عنه خرج من شيطران إلى قرية من قرى شنت برية راكباً على بغلته التي تسمى الخلاصة فاغتاله أبو معن ، وأبو خزيم وهما من أصحابه فقتلاه ولحقا بعبد الرحمن ومعهما رأسه فاستراح الناس من شرِّه . وفيها مات داود بن نصير الطائي الزاهد وكان من أصحاب أبي حنيفة ، وعبد الرحمن بن عبدالله بن عتبة بن عبدالله بن مسعود المسعودي ايضاً ، وشعبة بن الحجاج أبو بسطام وكان عمره سبعاً وسبعين سنة[٢] ، واسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي ، وقيل : توفي سنة أربع وستين ؛ وفيها توفي الربيع بن مالك بن أبي عامر عم مالك بن أنس الفقيه كنيته أبو مالك ، وكانوا أربعة إخوة أكبرهم أنس والد مالك ؛ ثم أويس جد اسماعيل بن أويس ، ثم نافع ، ثم الربيع . وفيها توفي خليفة بن خياط العصفري الليثي وهو جدُّ خليفة بن خياط (خيَّاط) بالخاء المعجمة وبالياء المثناة من تحت ، وفيها توفي الخليل بن أحمد البصري الفرهودي النحوي الإمام المشهور في النحو استاذ سيبويه .

---

(١) في الطبري « قطائعهم » .

(٢) هو شيخ المحدثين في عصره . وكان يلقب فيهم بأمير المؤمنين . كان في غاية الزهد والورع والتقشف والحفظ وحسن الطريقة ، قال الشافعي رحمه الله : لولاه ما عرف الحديث بالعراق .

ثم دخلت سنة احدى وستين ومائة

ذكر هلاك المقنع

في هذه السنة سار معاذ بن مسلم وجماعةٌ من القواد والعساكر الى المقنع ، وعلى مقدمته سعيد الحرشي ، وأتاه عقبة بن مسلم من زم فاجتمع به بالطواويس ، وأوقعوا باصحاب المقنع فهزموهم ، فقصد المنهزمون إلى المقنع بسنام فعمل خندقها وحصَّنها ، وأتاهم معاذ فحاربهم فجرى بينه وبين الحرشي نفرة ، فكتب الحرشي إلى المهدي يقع في معاذ ويضمنُ له الكفاية إنْ افرَده بحربِ المقنع ، فاجابه المهدي الى ذلك ، فانفرد الحرشي بحربِهِ وأمدَّه معاذ بابنه رجاء في جيش وبكل ما التمسه منه ، وطال الحصارُ على المقنع ، فطلب أصحابُه الأمانَ سراً منه فأجابهم الحرشي الى ذلك فخرج نحو ثلاثين ألفاً وبقي معه زهاء ألفين من أرباب البصائر ، وتحوَّل رجاء بن معاذ وغيرُه فنزلوا خندق المقنع في أصل القلعة وضايقوه ، فلما أيقن بالهلاك جمع نساءه وأهله وسقاهم السمَّ فأتى عليهم وأمر أن يُحرق هو بالنار لئلا يُقدَر على جثته ، وقيل : بل أحرَقَ كلَّ ما في قلعته من دابة وثوب وغير ذلك ثم قال : مَنْ أحبَّ أن يرتفعَ معي إلى السماء فليلقِ نفسه معي في هذه النار ، وألقى بنفسه مع أهله ونسائه وخواصه فاحترقوا ؛ ودخل العسكر القلعة فوجدوها خاليةً خاوية ، وكان ذلك مما زاد في افتتان من بقي من أصحابه ، والذين يسمُّون المبيضة بما وراء النهر من أصحابه إلا أنهم يسرون اعتقادهم ، وقيل : بل شرب هو أيضاً من السم فمات فانفذ الحرشي رأسه الى المهدي فوصل اليه وهو بحلب سنة ثلاث وستين ومائة في غزواته .

ذكر تغير حال أبي عبيدالله

في هذه السنة تغيَّرتْ حالُ أبي عبيدالله وزير المهدي ، وقد ذكرنا فيما تقدم سبب اتصاله به أيام المنصور ومسيره معه الى خراسان ، فحكى الفضلِ بن الربيع أن الموالي

كانوا يقعون في أبي عبيدالله عند المهدي ويحرضونه عليه .

وكانت كتب أبي عبيدالله ترد على المنصور بما يفعل ويعرضها على الربيع ويكتب الكتبَ الى المهدي بالوصاية به ، وترك القول فيه .

ثم إن الربيع حجَّ مع المنصور حين مات وفعل في بيعة المهدي ما ذكرناه ؛ فلما قدم جاء الى باب أبي عبيدالله قبل المهدي وقبل أن يأتي أهلَه فقال له ابنه الفضل: تترك أميرَ المؤمنين ومنزلَكَ وتأتيه قال : هو صاحب الرجل وينبغي أن نعامله غير ما كنا نعامله به ونترك ذكر نصرتِنا له ؛ فوقف على بابه من المغرب الى أن صليت العشاء الآخرة ثم أذن له فدخل فلم يقمْ له وكان متكئاً فلم يجلس ولا أقبلَ عليه .

وأراد الربيع أن يذكر له ما كان منه في أمر البيعة فقال : قد بَلَغَنا أمركم فأوغر صدر الربيع ، فلما خرج من عنده قال له ابنه الفضل : لقد بلغ هذا بك ما فعل وكان الرأي أن لا تأتِيَهُ وحيث أتيته ، وحجبك أن تعودَ وحيث دخلت عليه فلم يقمْ لك أن تعود فقال لابنه : أنت أحمقُ حيث تقول : كان ينبغي أن لا تجيء وحيث جئت وحجبت أن تعودَ ولما دخلت فلم يقم لك كان ينبغي أن تعودَ ولم يكن الصواب إلاَّ ما عملته، ولكن والله وأكد اليمين لأخلعنَّ جاهي ولأنفقنَّ مالي حتى أبلغَ مكروهه ، وسعى في أمره فلم يجد عليه طريقاً لاحتياطه في أمر دينه وأعماله فأتاه من قِبَل ابنه محمد ، فلم يزل يحتال ويدسُّ الى المهدي ويتهمُه ببعض حرمِهِ وبأنه زُنديق حتى استحكمت التهمة عند المهدي بابنه فأمر به فأحضر وأخرج أبوه ثم قال له : يا محمد إقرأ فلم يحسنْ يقرأ شيئاً فقال لأبيه : ألم تعلمني أن ابنك يحفظ القرآن ؟ قال : بلى ولكنه فارقني منذ سنين وقد نسي قال : فقُمْ فتقرَّبَ إلى الله بدمِهِ ، فقام ليقتل ولده ، فعثر فوقع فقال العباس بن محمد : إن رأيتَ أن تعفيَ الشيخ فافعلْ ، فأمر بابنه فضُرِبَتْ عنقه ؛ وقال له الربيع : يا أمير المؤمنين تقتل ابنه وتثق اليه لا ينبغي ذلك فاستوحش منه وكان من أمره ما نذكره .

ذكر عبور الصقلبي الى الأندلس وقتله

وفي هذه السنة ـ وقيل : سنة ستين ـ عبرَ عبد الرحمن بن حبيب الفهري المعروف بالصقلبي ـ وإنما سُمِّي به لطوله وزرقته وشقرته ـ من افريقية إلى الأندلس محارباً لهم ليدخلوا في الطاعة للدولة العباسية ، وكان عبوره في ساحل تدمير .

وكاتَبَ سليمان بن يقظان بالدخول في أمرِهِ ومحازبة عبد الرحمن الأموي ، والدعاء الى طاعة المهدي .

وكان سليمان ببرشلونة ـ فلم يجبْهُ فاغتاظ عليه ، وقصَدَ بلده فيمن معه من البربر ، فهزمه سليمان فعاد الصقلبي الى تدمير ، وسار عبد الرحمن الأموي نحوه في العدد والعُدَّة ، وأحرق السفنَ تضييقاً على الصقلبي في الهرب فقصد الصقلبي جبلاً منيعاً بناحية بَلَنْسية ، فبذل الأموي ألف دينار لمن أتاه برأسه ، فاغتاله رجل من البربر فقتله وحمل رأسه الى عبد الرحمن فأعطاه الف دينار ، وكان قتله سنة اثنتين وستين ومائة .

ذكر عدة حوادث

وفيها ظَفِرَ نصر بن محمد بن الأشعث بعبدالله بن مروان بالشام ، فأخذه وقَدِمَ به على المهدي ، فحبسه في المطبق ، وجاء عمرو بن سهلة الأشعري فادَّعى أن عبدالله قَتَل أباه وحاكَمَهُ عند عافية القاضي فتوجَّه الحكم على عبدالله ، فجاء عبد العزيز بن مسلم العقيلي الى القاضي فقال : زعم عمرو بن سهلة أن عبدالله قتل أباه وكذب ، والله ما قتل أباه غيري أنا ، قتلته بأمر مروان وعبدالله بريءٌ من دمه فترك عبدالله ولم يعرض المهدي لعبد العزيز لأنه قتله بأمر مروان .

وفيها غزا الصائفة ثمامة بن الوليد ، فنزل بدابق وجاشت الروم مع ميخائيل في ثمانين ألفاً فأتى عمق مرعش فقتل وسبى وغنم ، وأتى مرعش فحاصرها فقاتلهم فقتل من المسلمين عدةً كثيرة ، وكان عيسى بن علي مرابطاً بحصن مرعش فانصرف الروم الى جيحان .

وبلغ الخبرُ المهديَّ ، فعظم عليه ، لغزو الروم على ما سنذكره سنة اثنتين وستين ومائة فلم يكن للمسلمين صائفة من أجل ذلك .

وفيها أمر المهدي ببناء القصور بطريق مكة ، أوسع من القصور التي بناها السفاح من القادسية إلى زُبالة وأمر باتخاذ المصانع في كل منهل منها وبتجديد الأميال والبُرك وبحفرِ الركايا وولَّى ذلك يقطين بن موسى وأمر بالزيادة في مسجد البصرة وتقصير المنابر في البلاد وجَعْلها بمقدار منبر النبي ﷺ الى اليوم .

وفيها أمر المهدي يعقوب بن داود بتوجيه الأُمناء في جميع الآفاق ففعل فكان لا ينفذ المهدي كتاباً الى عامل فيجوز حتى يكتب يعقوب الى أُمينه بانفاذِ ذلك ، وفيها غزا الغمر بن العباس في البحر ، وفيها ولًّى نصر بن محمد بن الأشعث السند ، ثم عزل بعبد الملك بن شهاب ، فبقي عبد الملك ثمانية عشر يوماً ثم عُـزِلَ وأُعيدَ نصـرُ من الطريق . وفيها استقضى المهدي عافية القاضي مع ابن علاثة بالرصافة ، وفيها عزل الفضـلَ بن صالـح عن الجزيـرة واستعمل عليهـا عبدَ الصمـد بن علي ، واستعمـل عيسى بن لقمان على مصر ، ويزيد بن منصور على سواد الكوفة ، وحسان الشروي على الموصل ، وبسطام بن عمرو التغلبي على أذربيجان ، وفيها توفي نصر بن مالك من فالج أصابه وولّى المهدي بعده شرطته حمزة بن مالك ، وصَرَفَ أبان بن صدقة عن هارون الرشيد وجعل مع موسى الهادي وجعل مع هارون يحيى بن خالد بن برمك .

وفيها عزل محمد بن سليمان أبو ضمرة عن مصر في ذي الحجة وَوَلِيهَا سُلمة بن رجاء .

وحج بالناس موسى الهادي وهو وليُّ عهـدِ ، وكان عـامل مكـة ، والطائف ، واليمامة جعفر بن سليمان ، وعامل اليمن علي بن سليمان ، وكان على سواد الكوفة يزيد بن منصور ، وعلى أحداثها إسحاق بن منصور .

وفيها توفي سفيان الثوري[١] وكان مولده سنة سبع وتسعين ، وزائدة بن قدامة أبو الصلت الثقفي الكوفي ، وابراهيم بن أدهم بن منصور أبو إسحاق الزاهد وكان مولده ببلخ ، وانتقل الى الشام فأقام به مرابطاً وهو من بكر بن وائل[٢] ذكره أبو حاتم البستي .

---

(١) هو الإمام الحجة الحافظ أبو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق الكوفي أحد أئمة الإسلام وعبادهم .
(٢) كان إبراهيم بن ادهم رضي الله عنه من الأشراف ابناء الملوك .

ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائة

ذكر قتل عبد السلام الخارجي

وفي هذه السنة قُتِلَ عبد السلام بن هاشم اليْشكُري بقنسرين ، وكان قد خرج بالجزيرة فاشتدَّتْ شوْكَتُهُ وكَثُرَ أتباعه فلقيه عدة من قوَّاد المهدي ، فيهم عيسى بن موسى القائد ، فقتله في عدةٍ ممَّن معه ، وهَزَمَ جماعةً من القوادِ ، فيهم شبيب بن واج المروروذي ، فندب المهدي الى شبيب الف فارس وأعطى كلَّ رجل منهم ألف درهم معونة فوافَوْا شبيباً ، فخرج بهم في طلب عبد السلام فهرَبَ منه فأدركه بقنسرين فقاتله فَقَتَلَهُ بها .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة وَضَع المهدي ديوانَ الأزمةِ[١] ، ووَلِيَ عليها عمرو بن مربع[٢] مولاه ، وأجرى المهدي على المجذمين واهل السجون الأرزاق في جميع الآفاق .

وفيها خرجت الروم الى الحدث[٣] فهدموا سورَها ؛ وغزا الصائفة الحسنُ بن قحطبة في ثمانين ألف مرتزق سوى المتطوعة فبلغ حمّة[٤] أذرولية واكثرَ التحريق والتخريب في بلاد الروم ولم يفتح حصناً ولا لقي جمعاً ، وسمَّته الروم التنين وقالوا : إنما أتى الحمة ليغتسلَ من مائها للوضح[٥] الذي به ، ورجع الناس سالمين ، وفيها غزا

(١) في الطبري « دواوين الأزمّة » بالجمع وكذلك في النجوم الزاهرة ، ومعنى دواوين الأزمة أن يكون لكل ديوان زمام وهو رجل يضبطه ولم يكن لبني امية ذلك بل كانت الدواوين قبل ذلك مختلطة ، وهذا العمل ينفي الخلل الواقع في الحساب .

(٢) في الطبري « عمر بن بزيع » .

(٣) الحدث ـ بفتحات ـ مدينة صغيرة عامرة وهي ثغر من ثغور الشام بينها وبين انطاكية ثمانية وسبعون ميلاً .

(٤) الحمة عين فيها ماء حار .

(٥) الوضح ـ بفتحات ـ يكنى به عن البرص .

يزيد بن أسيد السلمي من ناحية قاليقلا فغنم وافتتح ثلاثة حصون وسبى ، وفيها عُزِلَ علي بن سليمان عن اليمن واستعمل مكانه عبدالله بن سليمان ، وعُزِلَ سلمة بن رجاء من مصر وَوليَهَا عيسى بن لقمان في المحرم ، وعُزِلَ عنها في جمادى الآخرة وَوَلِيَها واضح مولَى المهدي ، ثم عُزل في ذي القعدة ووليها يحيى الحرشي .

وفيها خرجت المحمرة بجرجان عليهم رجل اسمه عبد القهَّار ، فغلب عليها وقتلَ بشراً كثيراً فغزاه عمر بن العلاء من طبرستان فقتله عمر وأصحابه ، وكان العمال مَنْ تقدم ذكرهم ، فكانت الجزيرة مع عبد الصمد بن علي ، وطبرستان ، والرويان مع سعيد بن دعلج ، وجرجان مع مهلهل بن صفوان . وفيها أرسل عبد الرحمن صاحب الأندلس شهيد بن عيسى الى دحية الغساني وكان عاصياً في بعض حصون البيرة فقتله ، وسيَّر بدراً مولاه الى ابراهيم بن شجرة البرلسي ، وكان قد عَصِيَ فقتله ، وسيَّر أيضاً ثمامة بن علقمة إلى العباس البربري ـ وهو في جمع من البربر ، وقد أظهر العصيان فقتله أيضاً وفرَّق جموعه ، وفيها سيَّر جيشاً مع حبيب بن عبد الملك القرشي الى القائد السلمي .

وكان حسن المنزلة عند عبد الرحمن أمير الأندلس فشرب ليلة وقصد باب القنطرة ليفتحه على سُكْرٍ منه فمنعه الحرس فعاد، فلما صحا خاف فهرب الى طليطلة فاجتمع اليه كثير ممن يريد الخلاف والشرَّ فعاجله عبد الرحمن بإنفاذ الجيوش اليه فنازله في موضع قد تحصن فيه وحصره .

ثم ان السلمي طلب البراز فبرز إليه مملوك أسود فاختلفا ضربتين فوقعا صريعين ثم ماتا جميعاً .

وفيها توفي عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قاضي افريقية وقد جاوز تسعين سنة[١] ، وسبب موته أنه أكل عند يزيد بن حاتم سمكاً ثم شرب لبناً وكان يحيى بن ماسويه الطبيب حاضراً فقال : إن كان الطب صحيحاً[٢] مات الشيخ الليلة فتوفي من ليلته تلك والله أعلم .

---

(١) ذكره المؤلف ايضاً فيمن مات سنة سبع وخمسين ومائة .

(٢) يشير الى قولهم « لا تأكل السمك وتشرب اللبن» .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائة

ذكر غزو الروم

في هذه السنة تَجهزَ المهدي لغزو الروم ، فخرج وعَسْكَر بـالبردان[1] وجَمَـعَ الأجنادَ من خراسان وغيرها وسار عنها ، وكان قد توفي عيسى بن علي بن عبدالله بن عباس[2] في جمادى الآخرة، وسار المهدي من الغد واستخلف على بغداد ابنه موسى الهادي ، واستصحب معه ابنه هارون الرشيد ، وسار على الموصل ، والجزيرة وعَزَلَ عنها عبد الصمد بن علي في مسيره ذلك ؛ ولمَّا حاذى قصر مسلمة بن عبد الملك قال العباس بن محمد بن علي المهدي : ان لمسلمة في أعناقنا منةً ، كان محمد بن علي مرَّ به فأعطاه أربعة آلاف دينار وقال له : إذا نفذْتَ فلا تحتشمنا .

فاحضر المهدي وُلْدَ مسلمة ومواليه ، وأمر لهم بعشرين ألف دينار وأجرى عليهم الأرزاق ، وعبر الفرات إلى حلب وأرسل ـ وهو بحلب ـ فجمع مَنْ بتلك الناحية من الزنادقة فجمعوا فقتلهم وقطع كتبهم بالسكاكين ، وسارَ عنها مشيعاً لابنه هارون الرشيد حتى جاز الدرب وبلغ جيحان ، فسار هارون ومعه عيسى بن موسى ، وعبد الملك بن صالح ، والربيع ، والحسن بن قحطبة ، والحسن ، وسليمان بن برمك ويحيى بن خالد بن برمك ـ وكان إليه أمر العسكر والنفقات والكتابة وغير ذلك فساروا فنزلوا على حصن سمالو فحصره هارون ثمانية وثلاثين يوماً ونصب عليه المجانيق ففَتَحَه الله عليهم بالأمان ووفى لهم وفتحوا فتوحاً كثيرة .

ولما عاد المهدي من الغزاة ، زار بيت المقدس ومعه يزيد بن منصور ،

---

(١) البردان بفتح الباء الموحدة والراء نهر بطرسوس .

(٢) واليه ينسب قصر عيسى ونهر عيسى ببغداد . قال يحيى بن معين : كان له مذهب جميل ، وكان معتزلاً للسلطان .

والعباس بن محمد بن علي ، والفضل بن صالح بن علي ، وعلي بن سليمان بن علي ؛ وقفل المسلمون سالمين إلاَّ من قُتِلَ منهم ، وعَزَل المهدي ابراهيم بن صالح عن فلسطين ثم ردَّه .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة ولَّى المهدي ابنه هارون المغربَ كلَّه ، وأذربيجان ، وأرمينية ، وجعلَ كاتبه على الخراج ثابت بن موسى ، وعلى رسائله يحيى بن خالد بن برمك .

وفيها عَزَلَ زفر بن عاصم عن الجزيرة ، واستعمل عليها عبدالله بن صالح ، وفيها عَزَلَ المهدي معاذ بن مسلم عن خراسان ، واستعمل عليها المسيبَ بن زهير الضبي ، وعزل يحيى الحرشي عن أصبهان ، ووَلَّى مكانه الحكم بن سعيد ، وعَزَلَ سعيد بن دعلج عن طبرستان ، والرويان وولاَّهما عمر بن العلاء .

وعُزل مهلهل بن صفوان عن جرجان وولاَّها هشام بن سعيد ؛ وكان على مكة والمدينة ، والطائف ، واليمامة جعفر بن سليمان ، وكان على الكوفة إسحاق بن الصباح ، وعلى البصرة ، وفارس ، والبحرين ، والأهواز محمد بن سليمان ، وعلى السند نصر بن محمد بن الأشعث ، وعلى الموصل محمد بن الفضل .

وحجَّ بالناس هذه السنة علي بن المهدي ؛ وفيها أظهر عبد الرحمن الأموي صاحبُ الأندلس التجهُّز للخروجِ إلى الشام بزعمِهِ لمحو الدولة العباسية وأخذ ثأره منهم ، فعصى عليه سليمان بن يقظان ، والحسين بن يحيى بن سعيد بن سعد بن عثمان الأنصاري بسرقسطة واشتدَّ أمرُهما فترك ما كان عزم عليه ، وفيها مات موسى بن علي بن رباح اللخمي .

(عُلي) بضم العين مصغراً ، و (رَباح) بالباء الموحدة ، وفيها مات ابراهيم بن طهمان وكان عالماً فاضلاً وكان مرجئاً من أهل نيسابور ومات بمكة .

وفيها توفي أبو الأشهب جعفر بن حيَّان بالبصرة ، وفيها توفي بكار بن شريح قاضي الموصل بها وكان فاضلاً ، وولي القضاء بها أبو مكرز الفهري واسمه يحيى بن عبدالله بن كرز .

ثم دخلت سنة أربع وستين ومائة

في هـذه السنة غـزا عبد الكبيـر بن عبد الحميـد بن عبد الـرحمن بن زيد بن الخطاب من درب الحدث ، فأتاه ميخائيل البطريق وطازاذ الأرمني البطريق في تسعين ألفاً ، فخاف عبد الكبير ، ومنع الناس من القتال ، ورجع بهم ، فأراد المهدي قَتْله ، فشفع فيه فحبسه .

وفيها عزل المهـدي محمد بن سليمـان عن البصرة وسـائرِ أعمـالِهِ واستعمـل صالح بن داود مكانه ؛ وفيها سار المهدي ليحجَّ فلما بلغ العقبَة ورأى قلة الماء خاف أن الماء لا يحمل الناس ، وأخذته أيضاً حمى فرجع وسيَّر أخاه صالحاً ليحجَّ بالناس ؛ ولحق الناس عطشٌ شديدٌ حتى كادوا يهلكون ؛ وغضب المهـدي على يقطين لأنـه صاحب المصانع؛ وفيها عزل عبدالله بن سليمـان عن اليمـن عن سخطة ووجَّـه مَنْ يستقبله ويفتش متاعه ويحصي ما معه واستعمل على اليمن منصور بن يزيد بن منصور ، وعلى افريقية يزيد بن حاتم ، وكان العمال من تقدم ذكرهم ، وعلى الموصل محمد بن الفضل ، وفيها سار عبد الرحمن الأموي إلى سرقسطة بعد أن كان قد سيَّر إليها ثعلبة بن عبيد في عسْكَر كثيفٍ ، وكان سليمان بن يقظان ، والحسين بن يحيى قد اجتمعا على خلع طاعة عبد الرحمن كما ذكرنا وهما بها ، فقاتلهما ثعلبةِ قتالاً شديداً ، وفي بعض الأيام عاد الى مخيِّمِهِ فاغتنم سليمان غرته فخرج اليـه وقبض عليه ، وأخـذه وتفرَّق عسكرُهُ ، واستدعى سليمان قار له ملك الافرنج ، ووعده بتسليم البلد وثعلبة إليه ، فلما وصل إليه لم يصح بيده غير ثعلبة فأخذه وعاد الى بلاده وهو يظن أنه يأخذ به عظيم الفداء ، فأهمله عبد الرحمن مدَّة ، ثم وضع مَنْ طلبه من الفرنج فأطلقوه .

فلما كان هذه السنة سار عبد الرحمن الى سرقسطة وفرَّق أولاده في الجهات

ليدفعوا كلَّ مخالف ثم يجتمعون بسرقسطة فسبقهم عبد الرحمن إليها ؛ وكان الحسين بن يحيى قد قتل سليمان بن يقظان وانفرد بسرقسطة فوافاه عبد الرحمن على أثر ذلك فضيَّق على أهلها تضييقاً شديداً ، وأتاه أولاده من النواحي ومعهم كل من كان خالفهم وأخبروه عن طاعة غيرهم ، فرغب الحسين في الصلح ، وأذعنَ للطاعة فأجابه عبد الرحمن وصالحه ، وأخذ ابنه سعيداً رهينة ، ورجع عنه وغزا بلاد الفرنج فدوَّخها ونهب وسبى وبلغ قلهرة[1] وفتح مدينة فكيرة وهدم قلاع تلك الناحية ، وسار الى بلاد البشكنس ونـزل على حصن مثمين الأقرع فافتتحه ، ثم تقدم الى ملدوثون بن اطلال ، وحصر قلعته وقصد الناس جبلها وقاتلوهم فيها ، فملكوها عنوة وخرَّبها ثم رجع الى قرطبة .

وفيها ثارت فتنة بين بربر بلنسية وبربرشنت برية من الأندلس وجرى بينهم حروب كثيرة قُتِلَ فيها خلقٌ كثيرٌ من الطائفتين وكانت وقائعهم مشهورة .

وفيها مات شيبان بن عبد الرحمن أبو معاوية التميمي النحوي البصري ، وعبد العزيز بن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون ، وعيسى بن علي بن عبدالله بن عباس عم المنصور ، وقيل : مات سنة ثلاث وستين وكان عمره ثمانياً وسبعين سنة ، وقيل : ثمانين سنة ، وسعيد بن عبد العزيز الدمشقي ، وسلام بن مسكين النمري الأزدي أبو روح ، والمبارك بن فضالة بن أبي أمية القرشي مولى عمر بن الخطاب .

---

(١) بفتح أوله وثانيه وضم الهاء وتشديد الراء وفتحها مدينة من أعمال تطيلة في شرقي الأندلس .

ثم دخلت سنة خمس وستين ومائة

ذكر غزو الروم

في هذه السنة سيَّر المهدي ابنَه الرشيد لغزو الرومِ صائفة في جمادى الآخرة في خمسة وتسعين ألفاً وتسعمائة[١] وثلاثة وتسعين رجلاً ومعه الربيع ، فأوغل هارون في بلاد الروم ، ولَقِيَهُ عسْكَرُ نقيطا قومس القوامسة ، فبارزه يزيد بن مزيد الشيباني فأثخنه يزيد وانهزمت الروم ، وغَلَبَ يزيد على عسكرهم ؛ وساروا الى الدمستق ـ وهو صاحب المسالح ـ فحملِ لهم مائة ألف دينار وثلاثة[٢] وتسعين ألفاً وأربعمائة وخمسين ديناراً ، ومن الورق واحداً وعشرين ألف ألف درهم[٣] وأربعة عشر ألف وثمانمائة درهم ؛ وسار الرشيد حتى بلغ خليج القسطنطينية .

وصاحب الروم يومئذ أغطسة[٤] امرأة أليون وذلك ان ابنها كان صغيراً قد هلك أبوه وهو في حجرها ـ فجرى الصلح بينها وبين الرشيد على الفِدية وأن تقيم له الأدلاء والأسواق في الطريق ، وذلك أنه دخل مدخلاً ضيقاً مخوفاً فأجابته الى ذلك ، ومقدار الفدية سبعون ألف دينار كل سنة ورجع عنها ، وكانت الهدنة ثلاث سنين ، وكان مقدار ما غنم المسلمون إلى أن اصطلحوا خمسة آلاف رأس سبي وستمائة وثلاثة وأربعين رأساً ، ومن الدواب الذلل بأدواتها عشرين ألف رأس ، وذُبح من البقر ، والغنم مائة ألف رأس[٥] . وقُتِلَ من الروم في الوقائع أربعة وخمسون ألفاً . وقُتِل من الأسارى

---

(١) في الطبري « وسبعمائة » .

(٢) في الطبري « وأربعة » .

(٣) في الطبري « ومن الورق أحداً وعشرين ألف ألف وأربعمائة ألف » .

(٤) في نسخة « غطسة » .

(٥) قال ابن جرير الطبري « وبيع البرذون بدرهم والبغل بأقل من عشرة دراهم والدرع بأقل من درهم وعشرين سيفاً بدرهم» .

صبراً ألفان وتسعون أسيراً .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة عُزِلَ خَلَفُ بن عبدالله عن الري ووَليهَا عيسى مولى جعفر ؛ وحجَّ بالناس هذه السنة صالح بن المنصور ، وكان العمال مَنْ تقدم ذكرهم غير ان البصرة كان على احداثها والصلاة بها روح بن حاتم ، وكان على كور دجلة ، والبحرين ، وعمان ، وكسكر ، والأهواز ، وفارس ، وكرمان المعلى[1] مولى المهدي ، وكان على الموصل احمد بن اسماعيل بن علي بن عبدالله بن عباس .

وفيها غدر الحسين بن يحيى بسرقسطة ، فنكث مع عبد الرحمن فسيَّر اليه عبد الرحمن غالب بن ثمامة بن علقمة في جند كثيف فاقتتلوا فأَسَرَ جماعة من اصحاب الحسين فيهم ابنه يحيى فسيرهم إلى الأمير عبد الرحمن فقتلهم وأقام ثُمامة بن علقمة على الحسين يحصرُهُ ، ثم ان الأمير عبد الرحمن سار سنة ست وستين ومائة الى سرقسطة بنفسه فحصرها وضايقها ونصب عليها المجانيق ستة وثلاثين منجنيقاً فملكها عنوة وقتل الحسين اقبح قتلة ، ونفى أهل سرقسطة منها ليمين تقدمت منه ، ثم ردهم اليها ، وفيها مات يزيد بن منصور بن عبدالله بن يزيد بن شهر بن مثوب وهو من ولد شهر ذي الجناح الحميري خال المهدي ، وقد كان وَلِيَ اليمن ، والبصرة ، والحج . وفيها توفي فَتْحُ بن الوشاح الموصلي الزاهد .

(١) في نسخة « النعمان » وهو تحريف .

ثم دخلت سنة ست وستين ومائة

في هذه السنة أخذ المهدي البيعة لولده هارون الرشيد بولاية العهد بعد أخيه موسى الهادي ولقبه الرشيد. وفيها عزل عبيد الله بن الحسن العنبري عن قضاء البصرة واستقضى خالد بن طليق بن عمران بن حصين فاستعفى اهل البصرة منه .

ذكر القبض على يعقوب بن داود

وفي هذه السنة سخط المهدي على وزيره يعقوب بن داود بن طهمان ، وكان أول أمرهم أن داود بن طهمان ـ وهو أبو يعقوب ـ كان يكتب لنصر بن سيار هو واخوته ، فلما كان أيام يحيى بن زيد كان داود يعلمه ، ما يسمعه من نصر ، فلما طلب أبو مسلم الخراساني بدم يحيى بن زيد ، أتاه داود لما كان بينه وبين يحيى فأمنه أبو مسلم في نفسه ، وأخذ ماله الذي استفاد أيام نصر .

فلما مات داود خرج أولاده أهل أدب وعلم بأيام الناس وسيرِهم وأشعارهم ؛ ولم يكن لهم عند بني العباس منزلة ، فلم يطمعوا في خدمتهم لحال أبيهم من كتابة نصر ، واظهروا مقالة الزيدية ودنوا من آل الحسين ، وطمعوا أن تكون لهم دولة .

فكان داود يصحب ابراهيم بن عبد الله بن الحسن أحياناً ، ويخرج معه هو وعدة من إخوته، فلما قُتل ابراهيم ، طلبهم المنصور فاخذ يعقوب ، وعلياً وحبسهما .

فلما توفي المنصور أطلقهما المهدي مع منْ أطلقه ، وكان معهما الحسن بن ابراهيم ، فاتصل إلى المهدي بسببه كما تقدم ذكره ، وقيل : اتصل به بالسعاية بآل علي ، ولم يزل أمره يرتفع حتى استوزره .

وكان المهدي يقول : وصف لي يعقوب في منامي فقيل لي : استوزره فلما رأيته رأيت الخلقة التي وصفت لي فاتخذته وزيراً ، فلما وَلِيَ الوزارة أرسل إلى الزيدية فجمعهم وولاهم الخلافة في المشرق والمغرب ، ولذلك قال بشار بن برد :

بني أميـة هبُّـوا طـالَ نـومُـكُم إن الـخليـفـة يعـقـوبَ بن داود
ضاعتْ خلافتكم يا قوم فالتمسوا[1] خليفـة الله بين النـاي[2] والعـود

فحسـده موالي المهـدي وسعوا بـه ، وقيل لـه : إن الشرقَ والغـرب في يـد يعقوب وأصحابه ، وإنما يكفيه أن يكتبَ إليهم ، فيثوروا في يوم واحد فيأخذوا الدنيا لاسحاق بن الفضل ، فملأ ذلك قلب المهدي .

ولما بنى المهدي عيسا باذ ، أتـاه خادم من خـدمه فقـال له : إن أحمـد بن إسماعيل بن علي قال لي : أبنى متنزهاً أنفقَ عليه خمسين ألف ألف من بيت المال ، فحفظها المهدي ونسيَ أحمد بن اسماعيل ، وظنَّ أن يعقوب قالها .

فبينما يعقوب بين يديه إذ لببه ، فضرب به الأرض وقال: ألست القائل[3] كيت وكيت؟ فقال: والله ما قلته ولا سمعته قال: وكان السعاة يسعون بيعقوب ليلاً ويتفرقون وهم يعتقدون أنه يقبضه بكرة ، فإذا أصبح غدا عليه فإذا نظر إليه تبسَّم وسأله عن مبيته .

وكان المهدي مستهتراً بالنساء فيخوض يعقوب معه في ذلك فيفترقان عن رضا .

ثم إنه كان ليعقوب برذون كان يركبه فخرج يوماً من عند المهدي وعليه طيلسان يتقعقع من كثرة دقه ، والبرذون مع الغلام وقد نام الغلام فركب يعقوب ، وأراد تسوية الطيلسان، فنفر من قعقعته، فسقط، فدنا من دابته فرفسه، فانكسر ساقه ، فانقطع عن الركوب .

فعاده المهدي من الغد ثم انقطع عنه فتمكن السعاة منه، فاظهر المهدي السخط عليه ثم أمر به فسجن في سجن نصر وأخذ عماله وأصحابه فحبسوا.

---

(١) في الطبري « فاطلبوا » .
(٢) في الطبري « بين الدف » .
(٣) في الطبري « فقال : مالي ولك يا أمير المؤمنين قال : ألست القائل » الخ .

وقال يعقوب بن داود : بعث اليَّ المهدي يوماً فدخلت عليه وهو في مجلس مفروش بفرش مورد على بستان فيه شجر ورؤوس الشجر مع صحن المجلس ، وقد اكتسى ذلك الشجر بالأزهار من الخوخ والتفاح ؛ فما رأيت شيئاً أحسن منه ، وعنده جارية عليها نحو ذلك الفرش ما رأيت أحسن منها فقال لي : يا يعقوب كيف ترى مجلسنا هذا ؟ قلت : على غاية الحسن فمتع الله أمير المؤمنين به قال : هو لك بما فيه وهذه الجارية ليتم سرورك به قال: فدعوت له، ثم قال لي : يا يعقوبُ ولِي اليك حاجة أحبُّ أن تضمن لي قضاءها قلت : الأمر لأمير المؤمنين وعليَّ السمعُ والطاعة ، فاستحلفني بالله وبرأسه فحلفت لأعملنَّ بما قال فقال : هذا فلان بن فلان من ولدِ علي بن أبي طالب ، وأحب أن تكفيني مؤنته ، وتريحني منه ، وتعجل ذلك ، قلت : أفعل فأخذته، وأخذت الجارية وجميع ما في المجلس وأمر لي بمائة الف درهم ، فلشدة سروري بالجارية صيَّرتها في مجلس ، بيني وبينها ستر ، وادخلت العلوي إليَّ وسألته عن حاله فأخبرني ، وإذا هو أعقل الناس وأحسنهم إبانةً عن نفسه ، ثم قال : ويحك يا يعقوب تلقى الله بدمي وأنا رجل من ولد فاطمة بنت محمد ﷺ ؟ قلت : لا والله فهل فيك أنت خير ؟ قال : إن فعلت خيراً شكرت ولك عندي دعاء واستغفار فقلت : أي الطريق(١) أحبُّ إليك ؟ قال : كذا وكذا فأرسلت إلى من يثق إليه العلوي فأخذه وأعطيته مالاً وأرسلت الجارية إلى المهدي تُعْلِمُهُ الحال ؛ فأرسل إلى الطريق فأخذ العلوي وصاحبه والمال .

فلما كان الغد استحضرني المهدي وسألني عن العلوي فأخبرته أني قتلته فاستحلفني بالله وبرأسه فحلفت له فقال : يا غلام اخرج إلينا ما في هذا البيت ؛ فأخرج العلوي وصاحبه والمال فبقيت متحيراً وامتنع مني الكلام فما أدري ما أقول ، فقال المهدي : قد حل لي دمك ولكن احبسوه في المطبق ولا أذكر به فحبست في المطبق واتخذ لي فيه بئر فدليت فيها ، فبقيت مدة لا أعرف عددها وأصبت ببصري وطال شعري حتى استرسل كهيئة البهائم قال: فإني لكذلك إذ دُعِيَ بي وقيل لي : سلِّم على أمير المؤمنين ، فسلمت قال: أي أمير المؤمنين أنا؟ قلت : المهدي قال : رحم الله المهدي قلت : فالهادي قال : رحم الله الهادي قلت : فالرشيد قال: نعم سل حاجتك

(١) في الطبري « أي الطرق » بالجمع وهي أوضح .

قلت : المقام بمكة فما بقي فيَّ مستمتع لشيء[١] ولا بلاغ فاذن لي فسرت إلى مكة قال: فلم تطل أيامه بها حتى مات .

وكان يعقوب قد ضجر بموضعه قبل حبسه ؛ وكان أصحاب المهدي يشربون عنده فكان يعقوب ينهاه عن ذلك ويعظه ويقول: ليس على هذا استوزرتني ولا عليه صحبتك بعد الصلوات الخمس[٢] في المسجد الجامع يشرب عندك النبيذ، فضيّق على المهدي حتى قيل :

فدعْ عنك يعقـوب بن داود جانبـاً   وأقبـل على صهبـاءَ طيبـةِ النشـر

وقال يعقوب يوماً للمهدي في أمر أراده : هـذا والله السرف فقـال المهدي : ويحك يا يعقوب إنما يحسن السرف بأهل الشرف ولولا السرف لم يعرف المكثرون من المقلين[٣] .

ذكر عدة حوادث

وفي هذه السنة سار المهدي إلى جرجان ، وجعل على قضائـه أبا يـوسف ، يعقوب بن ابراهيم . وفيها أمر المهدي بإقامة البريد بين مكة ، والمدينة ، واليمن ، ببغال وإبل ولم يكن هنالك بريد قبل ذلك ؛ وفيها اضطربت خراسان على المسيب بن زهير ، فولاًها الفضل بن سليمـان الطوسي أبـا العباس ، وأضـاف اليه سجستـان ، فاستخلف على سجستان تميم بن سعيد بن دعلج بأمر المهدي . وفيها أخذ المهدي داود بن روح بن حـاتم، وإسمـاعيـل بن مجـالـد ، ومحمـد بن أبي أيـوب المكي ، ومحمد بن طيفور في الزندقة فاستتابهم ، وخلّى سبيلهم ، وبعث داود إلى أبيه وهو على البصرة وأمره بتـأديبه . وفيهـا استعمل ابـراهيم بن يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله على المدينـة ، وكان على مكـة ، والطائف عبيـد الله بن قثم ، وفيها عُـزِلَ منصور بن يزيد بن منصور عن اليمن ، واستعمل مكانه عبد الله بن سليمان الربعي ، وفيها أطلق المهدي عبد الصمد بن علي من حبسه . وحج بالناس ابراهيم بن يحيى .

---

(١) في الطبري « ما بقي في مستمع لشيء » .
(٢) في الطبري « أبعد الصلوات ؟ » .
(٣) فمن الطبري « من المقترين » .

وكان على الكوفة هاشم بن سعيد ؛ وعلى البصرة روح بن حاتم ؛ وعلى قضائها خالد بن طليق ؛ وعلى كور دجلة ، وكسكر ، واعمال البصرة ، والبحرين ، والاهواز ، وفارس، وكرمان المعلي مولى المهدي، وعلى مصر ابراهيم بن صالح ، وعلى افريقية يزيد بن حاتم ، وعلى طبرستان ، والرويان ، وجرجان يحيى الحرشي ، وعلى دنباوند، وقومس فراشة مولى المهدي، وعلى الري سعد مولاه، وعلى الموصل أحمد بن اسماعيل الهاشمي ، وقيل : موسى بن كعب الخثعمي ، وعلى قضائها علي بن مسهر بن عمير، ولم يكن في هذه السنة صائفة للهدنة التي كانت فيها. وفيها قتل بشار بن برد الشاعر الأعمى على الزندقة؛ وكان خلق ممسوح العينين . وفيها توفي الجراح بن مليح الرؤاسي، وهو والد وكيع ؛ وفيها توفي المبارك بن فضالة ، وحماد بن سلمة البصري ، وفيها قتل عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس ابن أخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية بن هشام ؛ وهذيل بن الصميل ، وسمرة بن جبلة لأنهم اجتمعوا على خلعه مع العلاء بن حميد القشيري فتقرَّب بهم .

ثم دخلت سنة سبع وستين ومائة

في هذه السنة سار موسى الهادي إلى جرجان في جمع كثيف وجهاز لم يتجهَّز أحدٌ بمثله لمحاربة ونداد هرمز[١] وشروين صاحبيْ طبرستان .

وجعل المهدي على رسائل موسى أبان بن صدقة ، ومحمد بن جميل على جنده ، ونفيعاً مولى المنصور على حجابته ، وعلي بن عيسى بن ماهان على حرسه ، فسيَّر الهادي الجنود إليهما وَأمر عليهم يزيد بن مزيد فحاصرهما ، وفيها توفي عيسى بن موسى بالكوفة ؛ فاشهد روح بن حاتم على وفاته القاضي ، وجماعة من الوجوه ودُفِنَ وكان عمره خمساً وستين سنة ، ومدة ولايته العهد ثلاثاً وعشرين سنة ، وقد تقدم ذكر ولايته العهد وعزله عنه . وفيها جدَّ المهدي في طلب الزنادقة والبحث عنهم في الآفاق وقتلهم ؛ فأخذ يزيد بن الفيض فأقر فحبس فهرب فلم يقدر عليه ؛ وكان المتولي لأمر الزنادقة الكلوذاني[٢] . وفيها عَزَلَ المهدي أبا عبيد الله معاوية بن عبيد الله عن ديوان الرسائل وولاه الربيع ، وفيها كان الوباء ببغداد ، والبصرة ، وفشا في الناس سعالٌ شديد، وفيها توفي أبان بن صدقة كاتب الهادي، فوجه المهدي مكانه أبا خالد الأحول ، وفيها أمر المهدي بالزيادة في المسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ فدخلت فيه دورٌ كثيرة ؛ وكان المتولي لبنائه، يقطين بن موسى فبقي البناء فيه إلى أن توفي المهدي ؛ وكذلك أمر بالزيادة في المسجد الجامع بالموصل ، ورأيت لوحاً فيه ذكر ذلك وهو في حائط الجامع سنة ثلاث وستمائة وهو باق ، وفيها عزل يحيى الحرشي عن

---

(١) في الطبري « ونداهرمز » بحذف الدال الثانية .

(٢) في الطبري « عمر الكلواذي » وفي النجوم الزاهرة « الكلو ..ي » بزيادة الف بعد الواو وقال في الهامش والكلواذاني نسبة الى كلواذي بالقصر وهي قرية من قرى بغداد على بعد فرسخين منها .

طبرستان ، والرويان وما كان إليه ووليه عمر بن العلاء ، وَوَلِيَ جرجان فراشة مولى المهدي ، وفيها أظلمت الدنيا لثلاث مَضيْنَ من ذي الحجة حتى تعالى النهار ، ولم يكن صائفة للهدنة ، التي كانت بين المسلمين والروم .

وحجَّ بالناس إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ، وهو على المدينة ؛ ثم توفي بعد فراغه من الحج بأيام وتولّى مكانه إسحاق بن عيسى بن علي . وفيها طعن عقبة بن سلم الهنائي ، اغتاله رجل بخنجر فمات ببغداد .

وكان على اليمن سليمان بن يزيد الحارثي ، وعلى اليمامة عبد الله بن مصعب الزبيري ، وكان على البصرةمحمد بن سليمان ، وعلى قضائها عمر بن عثمان التيمي ، وعلى الموصل أحمد بن إسماعيل الهاشمي ، وقيل : موسى بن كعب ، وباقي الأمصار كما تقدم ، وفي هذه السنة توفي جعفر الأحمر أبو شيبة ، والحسن بن صالح بن حبي ، وكان شيعياً عابداً ، وسعيد بن عبد الله بن عامر التنوخي ، وحماد بن سلمة[1] ، وعبد العزيز بن مسلم . وفيها أفسد العرب في بادية البصرة بين اليمامة والبحرين وقطعوا الطريق وانتهكوا المحارم وتركوا الصلاة فأرسل المهدي إليهم جيشاً فقاتلهم واشتدَّ القتال ، وصبر العرب فظفروا وقتلوا عامة العسكر المنفذ إليهم فقويت شوكتهم وزاد شرُّهم .

---

(١) كان من أهل البصرة وهو ابن أخت حميد الطويل كان ثقة عالماً زاهداً صالحاً كبير الشأن .

ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائة

في هذه السنة في رمضان نقض الروم الصلح ، الذي كان بينهم وبين المسلمين ، وكان من أوله إلى أن نقضوه اثنان وثلاثون شهراً ، فوجه علي بن سليمان ـ وهو على الجزيرة ، وقنسرين يزيد بن البدر البطال في خيل فغنموا وظفروا .

ذكر الخوارج بالموصل

وفيها خرج بأرض الموصل خارجيٌّ اسمه ياسين من بني تميم ، فخرج إليه عسكر الموصل ، فهزمهم وغلب على أكثر ديار ربيعة ، والجزيرة ـ وكان يميل إلى مقالة صالح بن مسرح الخارجي .

فوجَّه إليه المهدي أبا هريرة محمد بن فروخ القائد، وهرثمة بن أعين مولى بني ضبة فحارباه، فصبر لهما حتى قتِلَ وعدةٌ من أصحابه وانهزمَ الباقون .

ذكر مخالفة أبي الأسود بالأندلس

في هذه السنة ثارَ أبو الأسود محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الفهري بالأندلس ؛ وكان من حديثه انه كان في سجن عبد الرحمن بقرطبة من حين هرب أبوه وقُتلَ أخوه عبد الرحمن على ما تقدَّم، وحُبِسَ أبو الأسود وتعامى في الحبس ، فصار يحاكي العميان ولا يطرف عينه لشيء، وبقي دهراً طويلاً حتى صحَّ عند الأمير عبد الرحمن الأموي ذلك .

وكان في أقصى السجن سرداب يفضي إلى النهر الأعظم يخرج منه المسجونون فيقضون حوائجهم من غسل وغيره ، وكان الموكلون يهملون أبا الأسود لعماه فإذا رجع من النهر يقول: من يدل الأعمى على موضعه، وكان مولى له يحادثه على شاطىء النهر ولا ينكر عليه، فواعده أن يأتيه بخيْل يحمله عليها، فخرج يوماً ومولاه ينتظره، فعبر

النهر سباحة ، وركب الخيل ، ولحق بطليطلة فاجتمع له خلق كثيرٌ ، فرجع بهم إلى قتال عبد الرحمن الأموي ، فالتقيا على الوادي الأحمر بقسطلونة ، واشتد القتال ثم انهزم أبو الأسود وقُتِلَ من أصحابه أربعة آلاف سوى من تردَّى في النهر واتَّبعه الأموي يقتل من لحق حتى جاوز قلعة الرباح ، ثم جمع إلى قتال الأموي في سنة تسع وستين ؛ فلما أحس بمقدمة الأموي انهزم أصحابه وهو معهم فأخذ عياله وقُتل أكثرُ رجاله ، وبقي إلى سنة سبعين فهلك بقرية من أعمال طليطلة ، وقام بعده أخوه قاسم وجمع جمعاً فغزاه الأمير فجاء إليه بغير أمان فقتله .

ذكر عدة حوادث

وفيها هلكَ شيلون ملك جليقية فولَّوا مكانه اذفونش[1] فوثب عليه مورقاط فقتله ، فاختل أمرهم .

فدخل عليهم نائب عبد الرحمن بطليطلة في عساكره فقَتَلَ وغَنِمَ وسبى ، ثم عاد سالماً ، وفيها توفي أبو القاسم بن واسول مقدم الخوارج الصفرية بسجلماسة فجأة في صلاة العشاء الآخرة ؛ وكانت إمارته اثنتي عشرة سنة وشهراً وَوَلِيَ بعده ابنه إلياس .

وفيها سيَّر المهدي سعيداً الحرشي في أربعين ألفاً إلى طبرستان ، وفيها مات عمر الكلوذاني صاحب الزنادقة ووليَ مكانه محمد بن عيسى بن حمدويه ، فقتل من الزنادقة خلقاً كثيراً .

وحجَّ بالناس عليٌّ بن المهدي الذي يقال له : ابن ريطة ، وفيها توفي يحيى بن سلمة بن كهيل ، وعبيد الله بن الحسن العنبري قاضي البصرة ، ومندل بن علي ومحمد بن عبد الله بن علاثة بن علقمة القاضي[2] ، والحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ؛ وكان قد استعمله المنصور على المدينة خمس سنين ، ثم عزله وحبسه ببغداد ، وأخذ ماله ؛ فلما وَليَ المهدي أخرجه ورد عليه ماله وكان جواداً ، إلا أنه كان منحرفاً عن أهل بيته مائلاً إلى المنصور ، وفيها توفي بشر بن الربيع ، وعبثر بن القاسم (عبثر) بفتح العين المهملة وبالباء الموحدة والثاء المثلثة .

---

(١) صححه الاستاذ « الفوتس » .

(٢) وكان يقال لابن علاثة : قاضي الجن كانت بثر يصاب من أخذ منها شيئاً فقال : أيها الجن إنا حكمنا ان لكم الليل ولنا النهار فكان من أخذ منها شيئاً في النهار لم يصبه شيء .

ثم دخلت سنة تسع وستين ومائة

ذكر موت المهدي

في هذه السنة مات المهدي أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بما سبذان ؛ وسبب خروجه إليها أنه قد عزم على خلع ابنه موسى الهادي والبيعة للرشيد بولاية العهد ، وتقديمه على الهادي ، فبعث إليهم وهو بجرجان في المعنى فلم يفعل ، فبعث اليه في القدوم عليه فضرَب الرسول ، وامتنع من القدوم عليه ؛ فسار المهدي يريده فلما بلغ ماسبذان أكل طعاماً ثم قال : إني داخل إلى البهو أنام فلا توقظوني حتى أكون أنا الذي انتبه فدخله فنام ، ونام أصحابه، فاستيقظوا ببكائه فأتوه مسرعين فقال : وقف على الباب رجل فقال :

كأني بهذا القصر قد باد أهله ... وأوحش منه ربعه ومنازله
وصار عميدَ القوم من بعد بهجة ... وملك إلى قبر عليه جنادله
فلم يبق إلا ذكره وحديثه ... تنادي عليه معولات حلائله

فبقي بعد ذلك عشرة أيام ومات ، وقد اختلِفَ في سبب موته فقيل : إنه كان يتصيَّد فطردت الكلاب ظبياً وتبعته فدخل باب خربة ، ودخلت الكلاب خلفه ، ثم تبعها فرس المهدي، فدخلها فدَقَّ البابُ ظهرَه، فمات من ساعته ؛ وقيل : بل بعثت جارية من جواريه إلى ضرة لها باناء فيه سم[1] فدعا به المهدي فأكل منه فخافت الجارية أن تقول: إنه مسموم فمات من ساعته .

وقيل : بل عمدت حسنة جارية له إلى كمثري فأهدته إلى جارية أخرى كان المهدي يتحظاها ، وسمت منه كمثراة هي أحسن الكمثري ، فاجتاز بالمهدي فدَعا به

(١) في الطبري « بلبأ فيه سم » واللبأ كعنب أول اللبن في النتاج .

وكان يحب الكمثري فاخذ تلك الكمثراة المسمومة فأكلها ، فلما وصلت إلى جوفه صاح جوفي جوفي فسمعت صوته فجاءت تلطم وجهها وتبكي وتقول: أردت أن أنفرد بك فقتلتك فمات من يومه ، ورجعت حسنة وعلى قبتها[١] المسوح فقال أبو العتاهية في ذلك :

رُحنَ في الوشي وأقبلـ ـنَ[٢] عليهنَ المسوحُ
كلّ نطاحٍ من الدنـ ـيا[٣] له يومٌ نطوحُ
لستَ بالباقي ولو عـ ـمّرت ما عمّر نوحُ
فعلى نفسك نُحْ إن كنت لا بدَّ تَنُوحُ

وكان موته في المحرم لثمان بقيْن منه ، وكانت خلافته عشر سنين وشهراً ، وقيل : عشر سنين وتسعاً وأربعين يوماً ، وتوفي وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ودُفن تحت جوزة كان يجلس تحتها وصلّى عليه ابنه الرشيد، وكان أبيض طويلاً ، وقيل : اسمر باحدى عينيه نكتة بياض .

ذكر بعض سيرته

كان المهدي إذا جلس للمظالم قال : أدخلوا عليّ القضاة فلو لم يكن ردي المظالم إلاّ للحياء منهم لكفى .

وعتب المهدي على بعض القواد غير مرة وقال له في آخر ذلك : إلى متى تذنب؟ قال: إلى أبد نسيء ويبقيك الله فتغفو عنّا فاستحيا منه ورضي عنه .

وقال مسور بن مساور : ظلمني وكيلُ المهدي وغصبني ضيعة لي فكتبت إلى المهدي، أتظلّم فوصلت الرقعة وعنده عمه العباس، ومحمد بن علاثة، وعافية القاضي فاستدناني المهدي وسألني عن حالي ، فذكرته فقال : أترضى بأحد هذين ؟ قلت: نعم فاستدناني حتى التزقت بالفراش وحاكمني فقال له القاضي : أطلقها له يا

---

(١) في نسخة « وعلى فيها » ولعلها محرفة .
(٢) في الطبري « وأصحن » .
(٣) في الطبري « الدهر » .

أمير المؤمنين قال: قد فعلت فقال عمه العباس : والله لهذا المجلس أحبُّ إليَّ من عشرين ألف ألف درهم .

وخرج المهدي متنزهاً ومعه عمر بن ربيع[1] مولاه فانقطعا في الصيد من العسكر ، وأصاب المهدي جوع فقال : هل من شيء ؟ فقيل له : نرى كوخاً فقصدوه ، فاذا فيه نبطي وعنده مبقلة فسلموا عليه فرد السلام فقالوا : هل من طعام ؟ فقال: عندي ربيثاء ـ وهو نوع من الصحناة ـ وعندي خبزُ شعيرٍ فقال المهدي : إن كان عندك زيت فقد أكملت قال : نعم وكراث فاتاهما بذلك فاكلا حتى شبعا فقال المهدي لعمر بن ربيع : قل في هذا شعراً فقال :

ان من يطعم الربيثاء بالزيـ ـت وخبز الشعير بالكراث
لحقيق بصفعة أو بثنتيـ ـن لسوء الصنيع أو بثلاث

فقال المهدي : بئس ما قلت إنما هو :

لحقيق ببدرة أو بثنتين لحسن الصنيع أو بثلاث

قال : ووافاهم العسكر ، والخزائن ، والخدمُ ، فأمر للنبطي بثلاث بدر وانصرف، وقال الحسن الوصيف: أصابتنا ريح شديدة أيام المهدي حتى ظننا تسوقنا إلى المحشر فخرجت أطلب المهدي ، فوجدته واضعاً خدَّه على الأرض وهو يقول : اللهم احفظْ محمداً في أمته ، اللهم لا تشمتْ بنا أعداءنا من الأمم، اللهم إن كنت أخذت هذا العالم بذنبي فهذه ناصيتي بين يديك قال : فما لبثنا إلاَّ يسيراً حتى انكشفت الريح وزال عنّا ما كنّا فيه .

ولما حضرت القاسم بن مجاشع التميمي المروزي الوفاة أوصى إلى المهدي فكتب ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم﴾[2] الآية؛ ثم كتب والقاسم يشهدُ بذلك ويشهد أن محمداً عبده ورسوله وأن علي بن أبي طالب وصيُّ رسول الله، ووارث الامامة من بعده ، فعرضت الوصيَّة على المهدي بعد موته ، فلما بلغ إلى هذا الموضع رمى بها ولم ينظر فيها .

---

(١) في الطبري « عمر بن بزيع » وكذلك ما بعده .
(٢) آل عمران : ١٨ .

وقال الربيع : رأيت المهدي يصلي في بَهْوٍ لهُ في ليلة مقمرة فما أدري أهو أحسن أم البهو أم القمر أم ثيابه ؛ فقرأ ﴿ فهَل عسيتم إنْ توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾[1] الآية؟ قال: فأتمَّ صلاته ثم التفت إليَّ وقال: يا ربيع قلت: لبيَّك قال: موسى فقلت في نفسي : مَنْ موسى ابنه أم موسى بن جعفر وكان محبوساً عندي ؟ فجعلت أفكّر فقلت : ما هو إلا موسى بن جعفر فاحضرته فقطع صلاته ثم قال : يا موسى إني قرأت هذه الآية فخفتُ أن أكون قد قطعت رحمك فوثّق لي أنك لا تخرج عليَّ قال: نعم فوثق له فخلاه ، وقال محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب : رأيت فيما يرى النائم في آخر سلطان بني أميّة كأني دخلت مسجدَ رسولِ الله ﷺ فرفعتُ رأسي فنظرت في الكتاب الذي في المسجد بالفسيفساء[2]، فإذا فيه ممَّا أمر به أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك، وإذا قائل يقول : يمحى هذا الكتاب ويكتب مكانه اسم رجل من بني هاشم يقال له : محمد قلت: فأنا من بني هاشم واسمي محمد فإبن مَنْ؟ قال: ابن عبد الله قال: قلت فأنا ابن عبدالله فابن مَنْ؟ قال : ابن محمد قلت : فأنا ابنُ محمد فابنُ منْ ؟ قال : ابن علي قلت : فأنا ابن علي فابن مَنْ ؟ قال : ابن عبدالله قلت : فانا ابن عبدالله فابن مَنْ ؟ قال : ابن عباس فلو لم يبلغ العباس ما شككتُ أني صاحب الأمر قال : فتحدثت بها ذلك الزمان ونحن لا نعرف المهدي حتى وَلِيَ المهدي فدخل مسجد رسول الله ﷺ فرفع رأسه فرأى اسم الوليد فقال : أرى اسم الوليد إلى اليوم فدعا بكرسي ، فألقي في صحن المسجد وقال : ما أنا ببارح حتى يمحى ويكتب اسمي مكانه ففعل ذلك وهو جالس .

وخرج المهدي يطوف بالبيت ليلاً فسمع اعرابية تقول : قومي مقترون ، نبت عنهم العيون فدحتهم الديون ، وعضتهم السنون ، بادت رجالهم وذهبت أموالهم، وكثرت عيالهم ، أبناء سبيل وانضاء طريق ، وصيّة الله ووصية الرسول ؛ فهل مِنْ آمرٍ لي بخيرٍ كَلأَهُ الله في سفره وخَلَفَهُ في أهله ؟ قال: فأمر لها بخمسمائة درهم ، وقال المهدي : ما توسل أحد إليَّ بوسيلة هي أقرب من تذكيري يداً سلفت مني إليه اتبعها اختها ، وأحسن ربّها فإن منع الأواخر يقطع شكر الاوائل .

---

(١) سورة محمد ٢٢ .

(٢) في الطبري « بالفسافسا » .

وكان بشار بن برد قد هجا صالح بن داود أخا يعقوب حين وَلِيَ فقال :

هم حملوا فوقَ المنابرِ صالحاً   أخاك فضجَّت من أخيك المنابرُ

فبلغ يعقوبَ هجاؤه فدخل على المهدي فقال له : إن هذا الأعمى المشرك قد هجا أمير المؤمنين قال : وما قال ؟ قال: يعفيني أمير المؤمنين من إنشاده فأبى أن يعفيه فأنشده .

خليفة يزني بعماته   يلعب بالدبوق والصولجان

أبدلنا الله به غيره   ودسَّ موسى في حر الخيزران

فوجّه في حَمْلِهِ فخاف يعقوب أن يقدمَ على المهدي فيمدحه ، فيعفو عنه ، فوجّه إليه من يلقيه في البطيحة في الحمارة[١] .

وماتت الياقوتة[٢] بنت المهدي وكان معجباً بها لا يطيق الصبر عنها، حتى أنه كان يُلبسها لبسة الغلمان ويُركبها معه ، فلما ماتت وجد عليها ، وأمر أن لا يحجب عنه أحد ؛ فدخل الناس يعزُّونه، وأجمعوا على أنهم لم يسمعوا تعزية أبلغ ، ولا أوجز من تعزية شبيب بن شيبة فإنه قال : يا أمير المؤمنين ما عند الله مما عندك خير لها منك ، وثواب الله خير لك منها ، وأنا أسأل الله أن لا يحزنك ولا يفتنك، وأن يعطيك على ما رُزِئْت أجراً ويعقبك صبراً ، ولا يجهد لك بلاء ولا ينزع منك نعمة ، وأحق ما صبر عليه ما لا سبيل إلى رده .

ذكر خلافة الهادي

وبويع لابنه موسى الهادي في اليوم الذي مات فيه المهدي وهو مقيم بجرجان يحارب أهل طبرستان .

ولما توفي المهدي كان الرشيد معه بما سبذان فأتاه الموالي ، والقواد وقالوا له : إن علم الجند بوفاة المهدي لم يؤمن الشغب ، والرأي أن تنادي فيهم بالرجوع حتى تواريه ببغداد .

---

(١) في الطبري « في الخرارة » .

(٢) في الطبري « الباقونة » .

فقال هارون : أُدعوا إلى أبي يحى بن خالد وكان يحيى يتولى ما كان إلى الرشيد من أعمال المغرب من الأنبار إلى افريقية ؛ فاستدعي بيحيى إلى الرشيد فقال : ما تقول فيما رأى هؤلاء ؟ وأخبرَه الخبر قال : لا أرى ذلك لأن هذا لا يخفى ، ولا آمن إذا علم الجند أن يتعلقوا بمحملِهِ ويقولوا لا نخلي حتى يعطي لثلاث سنين وأكثر، أو يتحكموا ويشتطوا ، ولكني أرى أن يوارى رحمه الله ههنا .

وتوجه نصيراً إلى أمير المؤمنين الهادي بالخاتم ، والقضيب ، والتعزية ، والتهنئة فإن الناس لا ينكرون خروجه إذْ هو على بريد الناحية ، وأن تأمر لمن تبعك من الجند بجوائز مائتين مائتين وتنادي فيهم بالرجوع فلا تكون لهم همة سوى أهلهم ففعل ذلك.

فلما قبض الجند الدراهم تنادوا بغداد بغداد وأسرعوا إليها ، فلما بلغوها وعلموا خبر المهدي أتوا باب الربيع وأحرقوه وأخرجوا من كان في الحبوس وطالبوا بالأرزاق .

فلما قدم الرشيد بغداد أرسلت الخيزران إلى الربيع وإلى يحيى بن خالد تستدعيهما لتشاورهما في ذلك ؛ فأما الربيع فدخل عليها ، وأما يحيى فامتنع لما يعلم من غيرة الهادي، وجمعَ الأموالَ حتى أعطى الجند لسنتين فسكتوا .

وكتب الهادي إلى الربيع كتاباً يتهدَّده بالقتل ، وكتب إلى يحيى يشكره ويأمره بأن يقوم بأمر الرشيد .

وكان الربيع يود يحيى ، ويثق به ، فاستشاره فيما يفعل خوفاً من الهادي ، فأشار عليه بأن يرسل ولده الفضل إلى طريق الهادي بالهدايا ، والتحف ويعتذر إليه ففعل ورضي الهادي عنه . وكان الربيع قد أوصى إلى يحيى بن خالد وأُخِذَت البيعة للهادي ببغداد.

وكتب الرشيد إلى الآفاق بوفاة المهدي وأخذ البيعة للهادي.

وسار نصير الوصيف إلى الهادي بجرجان فعلم بوفاة المهدي والبيعة له فنادى بالرحيل وركب على البريد مجداً فبلغ بغداد في عشرين يوماً ؛ ولما قدمها استوزر الربيع .

وفي هذه السنة أيضاً هلك الربيع ، وفيها اشتد طلب المهدي للزنادقة فقتل منهم

جماعة منهم علي بن يقطين ، وقُتِلَ أيضاً يعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ؛ وكان سبب قتله أنه أُتيَ به إلى المهدي فأقرَّ بالزندقة فقال : لو كان ما تقول حقاً ، لكنت حقيقاً أن لا تتعصّب لمحمدٍ ، ولولا محمد ما كنت ؛ أما والله لولا أني جعلت على نفسي أن لا أقتل هاشمياً لقتلتك ، ثم قال للهادي : أقسمت عليك إن وليت هذا الأمر لتقتلنّه ثم حَبَسه .

فلما مات المهدي ؛ قتله الهادي ، وكذلك أيضاً كان عُهِدَ إليه بقتل وَلدٍ لداود بن علي بن عبدالله بن عباس ؛ كان زنديقاً ، فمات في الحبس قبل الهادي ، ولما قُتِلَ يعقوب أُدخِلَ أولادُه على الهادي ، فاقرت ابنته فاطمة أنها حبلى من أبيها فخوِّفت فماتت من الفزع .

ذكر ظهور الحسين بن علي بن الحسن

وفي هذه السنة ظهر الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بالمدينة وهو المقتول بفخّ عند مكة ؛ وكان سبب ذلك ان الهادي استعمل على المدينة عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب .

فلما وَلِيَها أخذ أبا الزفت الحسن بن محمد بن عبدالله بن الحسن ، ومسلم بن جندب الشاعر الهذلي ، وعمر بن سلام مولى آل عمر ، على نبيذ لهم ، فأمر بهم فضُربوا جميعاً ، وجُعِلَ في أعناقهم حبالٌ، وطِيفَ بهم في المدينة .

فجاء الحسين بن علي العمري وقال له : قد ضَربْتهم ، ولم يكن لك أن تضربهم لان أهل العراق لا يرون به بأساً، فلمَ تطوف بهم ؟ فأمر بهم، فرُدُّوا وحبسهم .

ثم إن الحسين بن علي ، ويحيى بن عبد الله بن الحسن كَفِلا الحسن بن محمد ، فأخرجه العمري من الحبس ؛ وكان قد ضمن بعض آل أبي طالب بعضاً، وكانوا يعرضون ، فغاب الحسن بن محمد عن العرض يومين ؛ فأحضر الحسين بن علي ، ويحيى بن عبد الله وسألهما عنه ، وأغلظ لهما ، فحلف له يحيى أنه لا ينام حتى يأتيه به ، أو يدق عليه باب داره حتى يعلم أنه جاءه به .

فلما خرجا قال له الحسين : سبحان الله ما دعاك إلى هذا ومن أين تجد حسناً ؟ حلفت له بشيء لا تقدرُ عليه ، فقال : والله لا نمتُ حتى أضربَ عليه بابَ داره

بالسيف ؛ فقال له الحسين : إن هذا ينقضُ ما كان بيننا وبين أصحابنا من الميعاد ، وكانوا قد تواعدوا على أن يظهروا بمنى وبمكة في الموسم .

فقال يحيى : قد كان ذلك فانطلقا وعملا في ذلك من ليلتهم وخرجوا آخر الليل ، وجاء يحيى حتى ضربَ على الغمري بابَ دارِهِ فلم يجده، وجاؤوا فاقتحموا المسجد وقت الصبح .

فلما صلَّى الحسين وقت الصبح أتاه الناسُ . فبايعوه على كتاب الله وسنّة نبيِّه للمرتضى من آل محمد ؛ وجاء خالد البربري[1] في مائتين من الجند ، وجاء العمري ، ووزير ابن اسحاق الازرق ، ومحمد بن واقد الشروي ، ومعهم ناس كثير ؛ فدنا خالد منهم فقام إليه يحيى ، وادريس ابنا عبد الله بن الحسن ، فضربه يحيى على أنفه فقطعه[2] ، ودارَ له ادريس من خلفه فضربه ، فصرعه ، ثم قتلاه ، فانهزم أصحابه .

ودخل العمري في المسودة فحمل عليهم أصحاب الحسين فهزموهم من المسجد وانتهبوا بيت المال ، وكان فيه بضعة عشر الف دينار ، وقيل : سبعون ألفاً وتفرَّق الناسُ وأغلقَ أهلُ المدينة أبوابهم .

فلما كان الغد إجتمع عليه شيعةُ بني العبَّاس ، فقاتلوهم وفَشَتِ الجراحات في الفريقين ، واقتتلوا إلى الظهر ثم افترقوا .

ثم إن مباركاً التركي أتى شيعة بني العباس من الغد ، وكان قدم حاجاً فقاتل معهم ، فاقتتلوا أشدَّ قتالٍ إلى منتصف النهار ، ثم تفرقوا ورجع أصحاب الحسين إلى المسجد ؛ وَوَاعَدَ مباركُ الناسَ في الرواح إلى القتال فلما غَفِلُوا عنه ، ركب رواحله وانطلق ، وراح الناسُ فلم يجدوه فقاتلوا شيئاً من قتال إلى المغرب ثم تفرقوا .

وقيل : إن مباركاً أرسل إلى الحسين يقول له : والله لأنْ أسقطَ من السماء فتخطفني الطيرُ أيسر عليَّ من أن تشوكَكَ شوكةً أو أقطعَ من رأسك شعرةً ، ولكن لا بد من الاعذار ؛ فبيِّتني فإني منهزمٌ عنك .

---

(١) في نسخة « خالد البريدي » .

(٢) في الطبري « على أنف البيضة فقطعها وقطع أنفه » .

فوَجَّه إليه الحسن وخرج إليه في نفر ، فلما دنوا من عسكره ، صاحوا وكبَّروا ، فانهزم هو وأصحابه .

وأقام الحسين وأصحابه أياماً يتجهزون فكان مقامهم بالمدينة أحد عشر يوماً ، ثم خرجوا لسِتٍّ بَقَيْن من ذي القعدة ؛ فلما خرجوا عاد الناس إلى المسجد ، فوجدوا فيه العظام التي كانوا يأكلون وآثارهم ، فدعوا عليهم ، ولما فارق المدينة قال : يا أهل المدينةِ لا أَخلف الله عليكم بخيرِ، فقالوا : بل أنت لا أخلفَ اللهُ عليك ولا ردَّك علينا .

وكان أصحابه يحدّثون في المسجد فغسله أهل المدينة .

ولما أتى الحسين مكة أمر فنوديَ أيما عبد أتانا فهو حر ، فأتاه العبيد فانتهى الخبر إلى الهادي .

وكان قد حجَّ تلك السنة رجال من أهل بيته ، منهم : سليمان بن المنصور ، ومحمد بن سليمان بن علي ، والعباس بن محمد بن علي ، وموسى ، وإسماعيل ابنا عيسى بن موسى .

فكتب الهادي إلى محمد بن سليمان بتوليته على الحرب ؛ وكان قد سار بجماعة وسلاح من البصرة لخوف الطريق ، فاجتمعوا بذي طوى ، وكانوا قد أحرموا بعمرة ، فلما قَدِمُوا مكة طافوا وسعوا وحلوا من العمرة ، وعسكروا بذي طوى .

وانضمّ إليه من حجّ من شيعتهم ، ومواليهم ، وقوادهم ؛ ثم انهم اقتتلوا يوم التروية ، فانهزم أصحاب الحسين ، وقُتِلَ منهم وجُرِحَ ؛ وانصرف محمد بن سليمان ومَنْ معه إلى مكةَ ولا يعلمون ما حال الحسين ؛ فلما بلغوا ذا طوى لحقهم رجلٌ من أهل خراسان يقول : البشرى البشرى ، هذا رأس الحسين فأخرجه، وبجبهته ضربة طولى ، وعلى قفاه ضربة أخرى .

وكانوا قد نادوا الأمان فجاء الحسن بن محمد بن عبد الله أبو الزفت، فـ
خلف محمد بن سليمان ، والعباس بن محمد ، فأخذه موسى بن عيس
العباس بن محمد ، فقتلاه ، فغضب محمد بن سليمان غضباً ش

القتلى ، فكانت مائة رأس ونيفاً ، وفيها رأس الحسن[1] بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي ، وأُخِذَتْ أختُ الحسين فَتُرِكَتْ عند زينب بنت سليمان ، واختلط المنهزمون بالحاج .

وأُتِيَ الهادي بستة أسرى فَقَتَلَ بعضهم واستبقى بعضهم ، وغَضِبَ على موسى بن عيسى في قتل الحسن بن محمد وقبض أمواله فلم تزل بيده حتى مات .

وغضب على مبارك التركي وأخذ ماله وجعله سائسَ الدواب ، فبقيَ كذلك حتى مات الهادي .

وأَفْلَت من المنهزمين ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ، فأتى مصر وعلى بريدها واضِحٌ مولى صالح بن المنصور ، وكان شيعياً لعلي فحمله على البريد إلى أرض المغرب ، فوقع بأرض طنجة بمدينة وليلة ، فاستجاب له مَنْ بها من البربر .

فضرب الهادي عنق واضح وصَلَبَهُ ، وقيل : إن الرشيد هو الذي قتله وإن الرشيدَ دسَّ إلى ادريس الشماخ اليمامي مولى المهدي ، فأتاه وأظهر أنه من شيعتهم وعَظَّمَهُ وآثره على نفسه فمال إليه ادريس وأنزله عنده ؛ ثم إن ادريس شكا إليه مرضاً في أسنانه فوصف له دواء وجعل فيه سُمّاً وأمره أن يستنَّ به عند طلوع الفجرِ ، فأخذه منه وهرب الشماخ ، ثم استعمل إدريس الدواء فمات منه فوَلّى الرشيد الشماخ بريد مصر .

ولما مات ادريس بن عبد الله خَلفَ مكانه ابنه ادريس بن ادريس وأعقب بها وملكوها ونازعوا بني أمية في امارة الأندلس على ما نذكره إن شاء الله تعالى ، وحُمِلَت الرؤوس إلى الهادي ؛ فلما وُضِعَ رأس الحسين بين يدي الهادي قال : كأنكم قد جئتم برأس طاغوتٍ من الطواغيتِ إن أقل ما أجزيكم به أنْ أحرمكم جوائزكم فلم يعطهم شيئاً .

وكان الحسين شجاعاً كريماً قَدِمَ على المهدي فأعطاه أربعين ألف دينار ففرّقها في الناس ببغداد ، والكوفة ، وخرج من الكوفة لا يملك ما يلبسه إلا فرْواً ليس تحته قميص .

---

(١) في الطبري « فيها رأس سليمان بن عبدالله بن حسن » .

ذكر عدة حوادث

وغزا الصائفة هذه السنة معيوف بن يحيى من درب الراهب ؛ وقد كانت الروم قبل ذلك جاؤوا مع بِطْرِيقِهِمْ إلى الحديثة(١) ، فهرب الوالي وأهل السوق ، فدخلها الروم .

فقصدهم معيوف فبلغ مدينة أشنة فغنم وسَبَى .

وحجَّ بالناس هذه السنة سليمان بن منصور، وكان على المدينة عمر بن عبدالعزيز العمري ، وعلى مكة، والطائف عبيد اللهبن قثم ، وعلى اليمن ابراهيم بن سلم بن قتيبة ، وعلى اليمامة ، والبحرين سويد بن أبي سويد القائد الخراساني ، وعلى عمان الحسن بن نسيم(٢) الحواري ، وعلى الكوفة موسى بن عيسى ، وعلى البصرة محمد بن سليمان ، وعلى جرجان الحجاج مولى الهادي ، وعلى قومس زياد بن حسان ، وعلى طبرستان، والرويان صالح بن شيخ بن عميرة الأسدي ، وعلى اصبهان طيفور مولى الهادي ، وعلى الموصل هاشم بن سعيد بن خالد ، فأساء السِّيرةَ في أهلها فعزله الهادي وولَّاها عبد الملك بن صالح الهاشمي .

وفيها خرج بالجزيرة حمزة بن مالك الخزاعي وعلى خراجها منصور بن زياد فسيَّر جيشاً الى الخارج فالتقوْا بباعرْبايا(٣) من بلد الموصل فهزمهم الخارجي وغنم أموالهم ، وقَوِيَ أمره ، فأتى رجلان وصحباه ، ثم اغتالاه فقتلاه .

وفيها مات مُطيع بن أياس الليثي الكناني الشاعر ، وأبو عبيد الله معاوية بن عبد الله بن بشار الأشعري مولاهم ، وكان وزير المهدي ، وقيل : مات سنة سبعين ومائة ، وفيها توفي نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المقري صاحب القراءة أحد القراء السبعة ، والربيع بن يونس حاجب المنصور مولاه(٤) .

---

(١) في الطبري « الى الحدث » .

(٢) في الطبري « بن تسنيم » .

(٣) بالراء الساكنة والباء الموحدة .

(٤) كان من عظماء الدولة العباسية ونالته السعادة وطالت أيامه وولي حجوبية المنصور والمهدي وولي نيابة بغداد وغيرها .

ثم دخلت سنة سبعين ومائة

ذكر ما جرى للهادي في خلع الرشيد

كان الهادي قد جدَّ في خلع الرشيد والبيعة لابنه جعفر ؛ وكان سبب ذلك أن الهادي لمَّا عَـزَمَ على خلعه ذَكَـرَهُ لقوَّادهِ ، فـأجابـه إليه يـزيد بن مـزيد الشيبـاني ، وعبدالله بن مالك ، وعلي بن عيسى ، وغيرهم فخلعوا هارون وبايعوا لجعفر ووضعوا الشيعة[١] ، فتكلموا في ذلك وتنقصُّوا الرشيد في مجلس الجماعة ، وقالوا : لا نرضى به ، وصَعُبَ أمرهم ، وأمر الهادي أن لا يسار بين يدي هارون بالحربة ، فاجتنبه الناس وتركوا السلام عليه .

وكان يحيى بن خالد بن برمك يتولى أمور الرشيد بأمر الهادي ، فقيل للهادي : ليس عليك من أخيك خلاف إنما يحيى يفسده فبعث إليه وتهدَّده ورماه بالكفر ؛ ثم انه استدعاه ليلةً ، فخاف ، وأوصى وتحنَّط وحضر عنده فقال له : يا يحيى مـالي ولك قال : ما يكون من العبد إلى مولاه الاّ طاعته فقال : لم تدخل بيني وبين أخي وتفسده عليَّ ؟ فقال : مَنْ أنا حتى أدخلَ بينكما إنمّا صيَّرني المهدي معه ، ثم أمـرتني أنت بالقيام بأمره فانتهيت إلى أمرك فسكنَ غضبه .

وقد كان هارون الرشيد طابَ نفساً بالخلع ، فمنعه يحيى عنه ، فلمـا أحضره الهادي وقال له في ذلك قال يحيى : يا أمير المؤمنين إنك ان حملتَ الناس على نكث الأيمان هانت عليهم أيمانهم ، وإنْ تركتهم على بيعة أخيك ، ثم بايعت لجعفر بعده كان ذلك أوْكدَ للبيعة . قال : صدقْتَ وسكت عنه . فعاد أولئك الذين بايعوه من القواد والشيعة فحملوه على معاودة الرشيد بالخلع ، فأحضر يحيى وحبسه ، فكتب إليه أنْ

---

(١) في الطبري « ودسوا الى الشيعة » .

عندي نصيحةً ؛ فأحضره فقال له : يا أمير المؤمنين أرأيتَ إنْ كان الأمرُ الذي لا تبلغه ونسألُ اللهَ أن يعدمنا قبله ؟ - يعني موت الهادي - أتظن الناس يسلِّمون الخلافة لجعفر - وهو لم يبلغ الحنث؟ أو يرضون به لصلاتهم ، وحجِّهم ، وغزوهم ؟ قال: ما أظن ذلك . قال : يا أمير المؤمنين أفتأمن أن يسموَ إليها أكابرُ أهلِكَ مثل فلان ، ويطمع فيها غيرهم فتخرج من وُلْدِ أبيك ؟ والله لو أن هذا الأمر لم يعقده المهدي لأخيك، لقد كان ينبغي أن تعقده أنت له ، فكيف بأن تحله عنه وقد عقده المهدي له ؟ ولكني أرى أن تقرَّ الأمرَ على أخيك[١]، فإذا بلغ جعفر أتيت بالرشيد فخلع نفسه له وبايعه فقبل قوله وقال: نبَّهتني على أمرٍ لم أتنَّبه له وأطلقه ، ثم إن أولئك القوّاد عاودوا القول فيه فارسل الهادي إلى الرشيد في ذلك وضيَّق عليه ، فقال له يحيى : استأذنه في الصيد، فاذا خرجْتَ فابعد ودافع الأيام ، ففعل ذلك وأذن له فمضى إلى قصر بني مقاتل ، فقام أربعين يوماً ، فأنكر الهادي أمرَهُ، وخافه فكتب إليه بالعود، فتعلّل عليه فاظهر الهادي شتمه ، وبسط مواليه وقواده فيه ألسنتهم، فلما طال الأمر عاد الرشيد .

وقد كان الهادي في أول خلافته جلس وعنده نفر من قواده ، وعنده الرشيد وهو ينظر إليه ثم قال له : يا هارون كأني بك وأنت تُحدِّثُ نفسك بتمام الرُّؤيا، ودون ذلك خرط القتاد. فقال له هارون : يا موسى إنك إن تجبَّرتَ وضِعْتَ وإن تواضعْتَ رُفِعتَ وإن ظلمت قُتِلْتَ[٢] وان أنصفْتَ سَلِمْتَ، وإني لأرجو أن يفضي الأمر إليَّ فأنصفُ مَنْ ظلمت وأَصِلُ من قَطَعْت ، وأجعلُ أولادك أعلى من أولادي، وأزوِّجهم بناتي ، وأبلغ ما تحبُّ[٣]، من حقّ الإمام المهدي، فقال له الهادي : ذلك الظن بك يا أبا جعفر أدنُ مني ، فدنا منه فقبَّل يدَهُ[٤] ، ثم أراد العود إلى مكانه فقال : لا والشيخ الجليل والملك النبيل - أعني المنصور - لا جَلَسْتَ إلاّ معي ؛ فاجلسه في صدر مجلسه ، ثم أمر أن يحمل إليه ألف ألف دينار وأن يحملَ نصف الخراج ، وقال لابراهيم الحراني : اعرضْ عليه ما في الخزائن من مَالنَا وما أخذ من أهل بيت اللعنة - يعني بني أمية - فليأخذْ منه ما

---

(١) في الطبري « على حاله » .

(٢) في الطبري « ختلت » .

(٣) في الطبري « ما يجب » .

(٤) في الطبري « فقبل يديه » بالتثنية .

أراد ، ففعل ذلك فقام عنه . وسئل الرشيد عن الرؤيا فقال : قال المهدي رأيت في منامي كأني دفعت إلى موسى قضيباً وإلى هارون قضيباً فأورق من قضيب موسى أعلاه وأورق قضيب هارون من أوله إلى آخره فعبَّرتُ لهما أنهما يملكان معاً ؛ فأما موسى فتقل أيامه وأما هارون فيبلغ آخر ما عاش خليفة وتكون أيامه أحسن أيام ، ودهره أحسن دهر فكان كذلك .

وذُكِرَ أن الهادي خرج إلى حديثة الموصل ، فمرض بها واشتدَّ مرضُه ، فانصرف وكتب إلى جميع عمّاله شرقاً وغرباً بالقدوم عليه .

فلما ثقل أجمع القواد الذين كانوا بايعوا جعفراً وتآمروا في قتل يحيى بن خالد وقالوا : ان صار الأمر إليه قتلنا وعزموا على ذلك ، ثم قالوا : لعل الهادي يفيق فما عذرنا عنده فامسكوا .

ولما اشتد مرض الهادي أرسلت الخيزران إلى يحيى تأمره بالاستعداد ، فأحضر يحيى كتاباً فكتبوا الكتب من الرشيد إلى العمال بوفاة الهادي وأنه قد ولّاهم ما كان ويكون ، فلما مات الهادي سيرت الكتب.

وقيل : إن يحيى كان محبوساً وكان الهادي قد عزم على قتله تلك الليلة ، وأن هرثمة بن أعين هو الذي أقعد الرشيد على ما سنذكره ، ولما مات الهادي قالت الخيزران : قد كنا نتحدث أنه يموت في هذه الليلة خليفة ويملك خليفة ويولد خليفة فمات الهادي وولي الرشيد ووُلِدَ المأمون ، وكانت الخيزران قد أخذت العلم عن الأوزاعي، وكان الهادي بعيساباذ.

ذكر وفاة الهادي

وفي هذه السنة توفي الهادي موسى بن المهدي محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس في شهر ربيع الأول ، واختلِفَ في سبب وفاته فقيل : كان سببها قرحة كانت في جوفه ، وقيل : مرضَ بحديثة الموصل ، وعاد مريضاً فتوفي على ما نذكره إن شاء الله تعالى ، وقيل : إنّ وفاته كانت من قبل جوار لأمه الخيزران كانت أمرتهن بقتله .

وكان سبب أمرها بذلك ، أنه لمَّا وَلِيَ الخلافة ، كانت تستبدّ بالأمور دونه ،

وتسلك به مسلك المهدي، حتى مضى أربعة أشهر فانثال الناس إلى بابها ؛ وكانت المواكب تغدو وتروح إلى بابها؛ فكلَّمَتْهُ يوماً في أمر لم يجد إلى اجابتها اليه سبيلاً فقالت: لا بدَّ من اجابتي إليه فانني قد ضمنت هذه الحاجة لعبدالله بن مالك. فغضب الهادي وقال : ويلي[1] على ابن الفاعلة ، قد علمت أنه صاحبها ، والله لاقضيتها لك قالت : إذاً والله لا أسألك حاجة أبداً قال : لا أبالي والله فغضبت وقامت مغضبة فقال : مكانك والله وإلاَّ أنا نفي من قرابتي من رسول الله ﷺ لئن بلغني أنه وقف ببابك أحدٌ من قوادي وخاصتي لأضربنَّ عنقه ، ولأقبضنَّ ماله ، ما هذه المواكب التي تغدو وتروح إلى بابك ؟ أمالك مغزلٌ يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك ؟ إياك وإياك لا تفتحي بابك لمسلم ولا ذميّ ، فانصرفت وهي لا تعقل فلم تنطق عنده بعدها ، ثم إنـه قال لأصحابه : أيما خير أنا أم أنتم وأمي أم أمهاتكم ؟ قالوا: بل أنت وأمك خير قال : فأيكم يحب أن يتحدث الرجال بخبر أمه فيقال : فعلت أم فلان وصنعت ؟ قالوا: لا نحب ذلك قال: فما بالكم تأتون أمي فتتحدثون بحديثها؟ فلما سمعوا ذلك انقطعوا عنها ، ثم بعث بأرزٍ وقال : قد استطبتها فكلي منها ، فقيل لها : أمسكي حتى تنظري فجاؤوا بكلب فاطعموه فسقط لحمه لوقته فأرسل إليها كيف رأيت الأرز ؟ قالت: طيباً قال: ما أكلت منها ، ولو أكلت منها لاسترحتُ منك متى أفلح خليفة له أم ؟ وقيل: كان سبب أمرِها بذلك أن الهادي لما جـدّ في خلعِ الرشيـدِ والبيعة لابنـه جعفر خـافت الخيزران على الرشيد، فوضعت جواريها عليه لما مرض، فقتلنه بالغم والجلوس على وجهه ، فمات فأرسلت إلى يحيى بن خالد تُعْلِمُه بموته.

ذكر وفاته ، ومبلغ سنه ، وصفته ، وأولاده

كانت وفاته ليلة الجمعة للنصف من ربيع الاول ، وقيل : لأربع عشرة خلت من ربيع الأول، وقيل: لِستٍّ عشرة منه، قيل: وكانت خلافته سنةً وثلاثة أشهر، وقيل: كانت أربعة عشر شهراً ، وكان عمره ستاً وعشرين سنة ، وقيل : ثلاثاً وعشرين سنة وصلّى عليه الرشيد ؛ وكانت كنيته أبا محمد ، وأمه الخيزران أم ولد .

ودفن بعيساباذ الكبرى في بستانه ، وكان طويلاً جسماً أبيض مشرباً حمرة ، وكان

---

(١) في الطبري « ويل » .

بشفته العليا نقص وتقلص، وكان المهدي قد وكل به خادماً يقول له : موسى أطبق فيضم شفته فلقب موسى أطبق .

وكان له من الأولاد تسعة : سبعة ذكور وابنتان، فمن الذكور جعفر ـ وهو الذي كان يريد البيعة له ـ والعباس ، وعبد الله ، واسحاق وإسماعيل ، وسليمان ، وموسى بن موسى الاعمى ، كلهم لامهات أولاد، والابنتان أم عيسى كانت عند المأمون وأم العباس وكانت تلقب نونة .

ذكر بعض سيرته

تأخر الهادي عن المظالم ثلاثة أيام فقال له الحراني : يا أمير المؤمنين ، إن العامة لا تحتمل هذا ، فقال لعلي بن صالح : ائذن للناس على الجفلي لا النقري فخرج من عنده ولم يفهم قوله ولم يجسر على مراجعته ، فاحضر إعرابياً فسأله عن ذلك فقال : الجفلي أن تأذن لعامة الناس ، فأذن لهم فدخل الناس عن آخرهم ونظر في أمورهم إلى الليل ، فلما تقوَّض المجلس قال له علي بن صالح ما جرى له ، وسأله مجازاة الاعرابي ، فأمر له بمائة الف درهم ، فقال علي : يا أمير المؤمنين إنه أعرابي ويغنيه عشرة آلاف ، فقال : يا علي أجودُ أنا وتبخلُ أنت ، وقيل : خرج يوماً إلى عيادة أمه الخيزران ـ وكانت مريضةً ـ فقال له عمر بن ربيع[1] ـ يا أمير المؤمنين ألا أدلك على ما هو أنفعُ لك من هذا؟ تنظرُ في المظالم .

فرجع إلى دار المظالم وأذن للناس وأرسل الى أمه يتعرف أخبارها .

وقيل : كان عبدالله بن مالك يتولى شرطة المهدي قال : فكان المهدي يأمرني بضرب ندماء الهادي ومغنيه ، وحبسهم صيانة له عنهم فكنت أفعل ، وكان الهادي يرسل إليَّ بالتخفيف عنهم ولا أفعل ، فلما وَلِيَ الهادي أيقنت بالتلف ، فاستحضرني يوماً فدخلت إليه متحنطاً متكفناً وهو على كرسي والسيف والنطع بين يديه ـ فسلَّمْتُ فقال : لا سلم الله عليك ، أتذكر يوم بعثت إليك في أمر الحراني وضربه فلم تجبني ؟ وفي فلان وفلان فعدَّد ندماءه ، فلم تلتفت إلى قولي ؟ فقلت : نعم أفتأذن في ذكر الحجة ؟ قال: نعم قلت : نشدْتك الله أيسرك ، أنك وليتني ، ما

---

(١) في الطبري « عمر بن بزيع » وقد تقدم .

ولاني المهدي وأمرتني بما أمر ، فبعث إلى بعض بنيك بما يخالف أمرك فاتبعتُ أمره وخالفتُ أمرك؟ قال: لا قلت: فكذلك أنا لك وكذا كنت لأبيك، فاستدناني فقبّلتُ يده ، ثم أمر لي بالخلع وقال : وليتك ما كنت تتولاه فامضِ راشداً فصرت الى منزلي مفكراً في أمري وأمره وقلت : حدث يشرب والقوم الذين عصيته في أمرهم ندماؤه ووزراؤه ، وكتابه فكأني بهم حين يغلب عليه الشراب ، قد أزالوه عن رأيه قال : فإني لجالس وعندي بنية لي والكانون بين يدي ، ورقاق أشطره بكامخ وأسخنه، وأطعم الصبية وآكل، وإذا بوقع الحوافر فظننت أن الدنيا قد زلزلت لوقعها ولكثرة الضوضاء فقلت : هذا ما كنت أخافه ؛ وإذا الباب قد فُتِحَ وإذا الخدم قد دخلوا وإذا الهادي في وسطهم على دابته فلما رأيته وثبْتُ عن مجلسي ، فقبلت يده ورجله وحافر دابته فقال لي : يا عبد الله اني فكرت في أمرك فقلت : يسبق إلي وهمك انني إذا شربت وحولي أعداؤك أزالوا حسن رأيي فيك فيقلقك ذلك ، فصرت إلى منزلك لأونسك وأعلمك أن ما كان عندي لك من الحقد قد زال. فهات واطعمني مما كنت تأكل لتعلم اني قد تحرمت بطعامك فيزول خوفك ،فأدنيت اليه من ذلك الرقاق والكامخ ، فأكل ثم قال: هاتوا الزلة التي أزللتها لعبد الله من مجلسي ، فأدخلت إلى أربعمائة بغلٍ موقرة دراهم وغيرها فقال : هذه لك فاستعن بها على أمرك واحفظْ هذه البغال عندك لعلِّي احتاج إليها لبعض أسفاري ثم انصرف.

قيل : وكان يعقوب بن داود يقول : ما لعربي ولا لعجمي عندي ما لعلي بن عيسى بن ماهان، فانه دخل إلى الحبس وقال لي: أمرني أمير المؤمنين الهادي أن أضربك مائة سوط ، فأقبل يضع السوط على يدي ومنكبي، يمسني به مساً إلى أن عدَّ مائة سوط، ثم خرج فقال له الهادي: ما صنعت به؟ قال: صنعت الذي أمرتني به. وقد مات الرجل فقال الهادي : إنا لله وإنا إليه راجعون، فضحتني والله عند الناس يقولون : قتل يعقوب بن داود، فلما رأى شدة جزعه قال: هو والله حي يا أمير المؤمنين قال: الحمد لله على ذلك.

وقيل : كان ابراهيم بن مسلم[1] بن قتيبة من الهادي بمنزلة عظيمة، فمات له ولد فأتاه الهادي يعزّيه فقال له : يا ابراهيم سرُّك وهو عدو وفتنة ، وحزنُك وهو صلاة ورحمة

---

(١) في نسخة « ابراهيم بن سلم » وكذا ما بعده .

فقال : يا أمير المؤمنين ما بقي مني جزء فيه حزن إلا وقد امتلأ عزاء .

فلما مات ابراهيم صارت منزلته لسعيد بن مسلم .

قيل : كان علي بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الذي يلقب الجزري ، قد تزوج رقيَّة بنت عمرو العثمانية ، وكانت قبله تحت المهدي .

فبلغ ذلك الهادي فارسل إليه فحمل إليه فقال له : أعياك النساء إلا امرأة أمير المؤمنين فقال : ما حرَّم الله على خلقه إلا نساء جدي ﷺ ، فأما غيرهن فلا ؛ فشجَّه بمخصرة كانت في يده ، وجلَده خمسمائة سوط ، وأراده أن يطلقها فلم يفعل ، وكان قد غشِيَ عليه من الضرب ، وكان في يده خاتم نفيس فاهوى بعض الخدم إلى الخاتم ليأخذه ، فقبض على يده فدقها ، وأتى الهادي فأراه يده فغضب وقال : تفعل هذا بخادمي مع استخفافك بأبي وقولك لي ما قلت ؟ فقال : سَلْه واستحلفْه أن يصدقُك ؛ ففعل فاخبرَهُ الخادم وصدَّقه فقال : أحسن والله أشهد أنه ابن عمي ، ولو لم يفعل ذلك لانتفيت منه وأمر باطلاقه .

قيل : وكان المهدي قد قال للهادي يوماً ـ وقد قَدِمَ إليه زنديقٌ فقتله وأمر بصلبه ـ : يا بني إذا صار الأمر إليك فتجرّد لهذه العصابة ـ يعني أصحاب ماني ـ فانها تدعو الناس إلى ظاهر حسن كاجتناب الفواحش ، والزهد في الدنيا ، والعمل للآخرة ثم تخرجها من هذا الى تحريم اللحوم ، ومسّ الماء الطهور ، وترك قتل الهوام تحرجاً ، ثم تخرجها إلى عبادة اثنين ، أحدهما النور ، والآخر الظلمة ، ثم تبيح بعد هذا نكاح الأخوات ، والبنات ، والاغتسال بالبول ، وسرقة الأطفال من الطرق لينقذوهم من ضلال الظلمة إلى هداية النور ؛ فارفع فيها الخشب وجرِّدْ السيف فيها وتقرب بامرها إلى الله فإني رأيت جدي العبَّاس رضي الله عنه في المنام ، قلدني سيفين لقتل أصحاب الاثنين ؛ فلما وَلِيَ الهادي قال : لأقتلنَّ هذه الفرقة ، وأمر أن يهيىء له ألف جذع فمات بعد هذا القول بشهرين .

قيل : وكان عيسى بن دأب من أكثر أهل الحجاز أدبا وأعذبهم ألفاظاً، وكان قد حظي عند الهادي حظوة لم تكن لأحدٍ قبله ، وكان يدعو له بما يتكىء عليه في مجلسه وما كان يفعل ذلك بغيره ، وكان يقول له : ما استطلت بك يوماً ولا ليلاً ، ولا غبت عن

عيني إلا تمنيت أن لا أرى غيرك ؛ وأمر له بثلاثين ألف دينار في دفعة واحدة فلما أصبح ابن دأب ، أرسل قهرمانة إلى الحاجب في قبضها فقال الحاجب : هذا ليس إليَّ فانطلق الى صاحب التوقيع وإلى الديوان ، فعاد إلى ابن دأب فأخبره فقال : اتركها ، فبينما الهادي في مستشرف له ببغداد رأى ابن دأب وليس معه إلاَّ غلام واحد فقال للحراني : ألا ترى ابن دأب ما غيَّر حاله وقد وصلناه ليرى أثرنا عليه فقال : إنْ أمرتني عرضت له بالحال فقال : لا هو أعلم بحاله ، ودخل ابن دأب، وأخذ في حديثه فعرض له الهادي بشيء وقال : أرى ثوبك غسيلاً وهذا شتاء يحتاج فيه إلى الجديد فقال : باعي قصيرٌ فقال : وكيف وقد صرفنا إليك ما فيه صلاح شأنك؟ فقال: ما وصل إليَّ شيء ، فدعا صاحب بيت مال الخاصة فقال : عجل الساعة ثلاثين ألف دينار، فأحضرت وحملت بين يديه .

ذكر خلافة الرشيد بن المهدي

وفي هذه السنة بويع للرشيد هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بالخلافة في الليلة التي مات فيها الهادي ، وكان عمره حين وَلِي اثنتين وعشرين سنة ، وأمه الخيزران أم ولد يمانية جرشية[1]؛ وكان مولده بالري في آخر ذي الحجة سنة خمس وأربعين ومائة ، وقيل : ولد مستهلَّ محرم سنة تسع وأربعين . وكان مولد الفضل بن يحيى البرمكي قبله بسبعة أيام وأرضعتْ أم ابن يحيى الرشيد ، وأرضعت الخيزران الفضل بلبان الرشيد ، ولما مات الهادي كان يحيى بن خالد البرمكي محبوساً في قول بعضهم ، وكان الهادي عازماً على قتله فجاء هرثمة بن أعين الى الرشيد فاخرجه وأجلسه للخلافة ، فأرسل الرشيد إلى يحيى فاخرجه من الحبس واستوزره ، وأمر بانشاء الكتب إلى الأطراف بجلوسه للخلافة وموت الهادي .

وقيل : لما مات الهادي جاء يحيى بن خالد إلى الرشيد وهو نائم في فِراشه فقال له : قم يا أمير المؤمنين فقال: كم تروعني إعجاباً منك بخلافتي فكيف يكون حالي مع الهادي إن بَلَغَهُ هذا ؟ فأعلمه بموته وأعطاه خاتمه ، فبينما هو يكلّمه إذ أتاه رسولٌ آخر يبشّره بمولود فسماه عبد الله ـ وهو المأمون ـ ولبس ثيابه وخرج فصلّى على الهادي

(١) في نسخة « حرسية » .

بعيساباذ، وقَتَلَ أبا عصمة وسار إلى بغداد.

وكان سبب قتل أبي عصمة أن الرشيد كان سائراً هو وجعفر بن الهادي فبلغا قنطرة من قناطر عيساباذ فقال له أبو عصمة: مكانك حتى يجوز ولي العهد فقال الرشيد: السمع والطاعة للأمير، ووقف حتى جاز جعفر فكان هذا سبب قتله؛ ولما وصل الرشيد إلى بغداد وبلغ الجسر، دعا الغواصين وقال: كان المهدي قد وهب لي خاتماً، شراؤه بمائة ألف دينار ـ يسمى الجبل ـ فأتاني رسول الهادي يطلب الخاتم وأنا ههنا فألقيته في الماء فغاصوا عليه وأخرجوه فسرَّ به، ولما مات الهادي هجم خزيمة بن خازم تلك الليلة على جعفر بن الهادي فأخذه من فراشه وقال له: لتخلعنها أو لأضربنَّ عنقك فاجاب الى الخلع، وركب من الغد خزيمة وأظهر جعفراً للناس فاشهدهم بالخلع واقال الناس من بيعتهم فحظي بها خزيمة.

ذكر عدة حوادث

وفيها ولد الأمين ـ واسمه محمد ـ في شوّال؛ فكان المأمون أكبر منه، وفيها استوزر الرشيد يحيى بن خالد وقال له: قد قلّدتك أمر الرعية، فاحكمْ فيها بما ترى من الصواب واعزلْ مَنْ رأيت، واستعملْ منْ رأيت، ودفع إليه خاتمه، فقال إبراهيم الموصلي في ذلك:

ألم تـرَ أن الشمس كـانت سقيمـة   فلمـا ولي هـارون أشـرق نـورهـا
بيمن أمين الله هـارون ذي النـدى   فهـارون واليهـا ويحيى وزيـرهـا

وكان يحيى يصدر عن رأي الخيزران أم الرشيد. وفيها توفيَ يزيد بن حاتم المهلبي والي أفريقية واستخلف عليها ابنه داود، وانتقضت جبال باجة، وخرج فيها الاباضية. فسيَّر اليهم داود جيشاً فظفر بهم الأباضية وهزموهم، فجهز إليهم جيشاً آخر فهُزِمَت الأباضية، فتبعهم الجيش فقتلوا منهم فاكثروا، وبقي داود أميراً إلى أن استعملَ الرشيد عمه روح بن حاتم المهلبي أميراً على افريقية، وكانت إمارة داود تسعة أشهر. وفيها عزل الرشيد عمر بن عبد العزيز العمري عن المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام واستعمل عليها اسحاق بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس؛ وفيها ظهر من كان مستخفياً منهم طباطبا العلوي وهو ابراهيم بن اسماعيل، وعلي بن الحسين بن

ابراهيم بن عبدالله بن الحسن ، وبقي نفر من الزنادقة لم يظهروا منهم يونس بن فروة ، ويزيد بن الفيض وفيها عزل الرشيد الثغور كلها عن الجزيرة ، وقنسرين وجعلها حيزاً واحداً وسُمِّيت العواصم ، وأمر بعمارة طرسوس على يدي فرج الحاتم التركي[١] ونزلها الناس .

وحج بالناس الرشيد ، وقسَّم بالحرمين عطاء كثيراً ، وقيل : إنه غزا الصائفة بنفسه ، وغزا الصائفة سليمان بن عبد الله البكائي ، وكان على مكة ، والطائف عبد الله بن قثم[٢] ، وعلى الكوفة موسى بن عيسى ، وعلى البصرة ، والبحرين ، واليمامة ، وعمان ، والأهواز ، وفارس محمد بن سليمان بن علي ، وكان على خراسان الفضل بن سليمان الطوسي ، وعلى الموصل عبد الملك ، وفيها أوقع عبد الرحمن الأموي صاحب الاندلس ببرابر نفزة فأذلَّهم وقَتَلَ فيهم ، وفيها أمر عبد الرحمن ببناء جامع قرطبة ، وكان موضعه كنيسة ، وأخرج عليه مائة ألف دينار .

---

(١) في الطبري « فرج الخادم » .
(٢) في نسخة « عبيدالله بن قثم » .

ثم دخلت سنة احدى وسبعين ومائة

ذكر وفاة عبد الرحمن الاموي صاحب الاندلس

فيها مات عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك صاحب الاندلس في ربيع الآخر ، وقيل : سنة اثنتين وسبعين ومائة وهو أصح ؛ وكان مولده بأرض دمشق ، وقيل : بالعلياء من ناحية تدمر سنة ثلاث عشرة ومائة ؛ وكان موته بقرطبة وصلّى عليه ابنه عبد الله وكان عَهدَ إلى ابنه هشام ، وكان هشام بمدينة ماردة والياً عليها ، وكان ابنه سليمان بن عبد الرحمن ـ وهو الأكبر ـ بطليطلة والياً عليها ، فلم يحضرا موت أبيهما ، وحضره عبد الله المعروف بالبلنسي ، وأخذ البيعة لأخيه هشام ، وكتب إليه بنعي أبيه وبالامارة فسار إلى قرطبة .

وكانت دولة عبد الرحمن ثلاثاً وثلاثين سنة وأشهراً وكانت كنيته ابا المطرف ، وقيل : ابا سليمان ، وقيل : ابا زيد، وكان له من الوُلد أحد عشر ذكراً وتسع بنات ، وكانت أمه بربرية من سبي افريقية، وكان اصهب خفيف العارضين طويل القامة ، نحيف الجسم ، أعور ، له صفيرتان ، وكان فصيحاً لسناً، شاعراً، حليماً ، عالماً، حازماً ، سريع النهضة في طلب الخارجين عليه لا يخلد إلى راحة ولا يسكن إلى دعة ، ولا يكِلُ الأمورَ إلى غيره ، ولا ينفردُ في الامور برأيه ، شجاعاً ، مقداماً ، بعيد الغور ، شديد الحذر ، سخياً جواداً ، يكثر لبس البياض ، وكان يقاس بالمنصور في حزمه، وشدَّته وضبط المملكة .

وبنى الرصافة بقرطبة تشبيهاً بجده هشام حيث بنى الرصافة بالشام ؛ ولمَّا سكنها رأى فيها نخلة منفردة فقال :

تبـدت لنـا وسط الـرصـافـة نخلة   تناءت بأرض الغـرب عن بلد النخل

فقلت شبيهي في التغـرب والنوى   وطـول التنـائي عن بني وعن أهلي
نشـأت بـأرض انت فيهـا غـريبـةٌ   فمثلك في القصـاء والمنتـأى مثلي
سقتك غوادي المزن من صوبها الذي   يسـح ويستمري السِّمـاكين بالـوبـل

وقصده بنو أمية من المشرق ؛ فمن المشهورين عبد الملك بن عمر بن مروان ، وهو قعدد بني أمية ـ وهو الذي كان سبب قطع الدعوة العباسية بالاندلس على ما تقدم ، وكان معه أحد عشر ولداً له .

ذكر إمارة ابنه هشام

كان عبد الرحمن قد عَهدَ إلى ابنه هشام ، ولم يكن أكبرَ وُلْدِه ، فإن سليمان كان أكبرَ منه وإنما كان يتوسم فيه الشهامة والاضطلاع بهذا الأمر ؛ فلهذا عهد اليه ، ولما توفي أبوه كان هو بماردة متولياً لها وناظراً في أمرها وكان أخوه سليمان ـ وهو أكبر منه ـ بمدينة طليطلة وكان يرومُ الأمر لنفسه ويحسدُ أخاه هشاماً على تقديم والده له عليه ، وأضمر له الغشَّ والعصيان . وكان أخوه عبدالله المعروف بالبلنسي حاضراً بقرطبة عند والده ؛ فلما توفي جدَّد عبدالله البيعة لأخيه هشام بعد أن صلَّى على والده ، وكتب إلى أخيه هشام يعرِّفه موتَ والده والبيعة له فسار من ساعته إلى قرطبة ، فدخلها في ستة أيام واستولى على الملك ، وخرج عبدالله إلى داره مظهراً لطاعته وفي نفسه غير هذا ، وسنذكر ما كان منه إن شاء الله تعالى .

ذكر الصحصح الخارجي

وفيها خرج الصحصح الخارجي بالجزيرة ، وكان عليها أبو هريرة ، فوجَّه عسكراً إلى الصحصح فلقوه فهزمهم، وسار الصحصح إلى الموصل فلقِيَهُ عسكرُها بباجرمى ، فقَتَلَ منهم كثيراً ، ورجع إلى الجزيرة فغلب على ديار ربيعة ؛ فسيَّر الرشيد إليه جيشاً فلقوه بدورين ، فقتلوه وعَزَلَ الرشيدُ أبا هريرة عن الجزيرة .

ذكر قتل روح بن صالح

وفيها استعمل الرشيد على صدقات بني تغلب روح بن صالح الهمداني ، وهو من قواد الموصل ـ فجرى بينه وبين تغلب خلاف ، فجمع جمعاً وقصدهم ، فبلغهم الخبر ، فاجتمعوا وساروا إلى روح فبيتوه فقُتِلَ هو وجماعة من أصحابه . فسمع

حاتم بن صالح ـ وهو بالسكير ـ فجمع جمعاً كثيراً وسار إلى تغلب فبيتهم وقَتَل منهم خلقاً كثيراً وأسرَ مثلهم ، وفيها عزل الرشيد عبد الملك بن صالح الهاشمي عن الموصل واستعمل عليها اسحاق بن محمد .

ذكر استعمال روح بن حاتم على افريقية

وفيها استعمل الرشيد على افريقية روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة لمَّا بلغه وفاة أخيه يزيد بن حاتم بها على ما ذكرناه، فقدمها في رجب ، وكان داود بن يزيد أخيه على افريقية ؛ فلما وصل عمه روح ، سار داود إلى الرشيد فاستعمله قال روح : كنت عاملاً على فلسطين ، فأحضرني الرشيد فوصلت وقد بَلَغَهُ موتُ أخي يزيد فقال : أحسن والله عزاءك في أخيك وقد ولَّيتك مكانه ، لتحفظ صنائعه ومواليه ، فسار اليها ولم تزل البلاد معه آمنة ساكنة من فتنة لأن اخاه يزيد كان قد أكثر القتل في الخوارج بأفريقية فذلوا . ثم توفي روح بالقيروان ودُفِنَ إلى جانب قبر أخيه يـزيد ، وكانت وفاته في رمضان سنة أربع وسبعين ومائة .

ولما استعمل المنصور يزيد بن حاتم على افريقية استعمل أخاه روحاً على السند فقيل له : يا أمير المؤمنين لقد باعدت ما بين قبريهما فتوفي يزيد بالقيروان ثم وَلِيها روح فتوفي بها ، ودُفِنَ بها إلى جانب أخيه يزيد وكان روح أشهر بالشرق من يزيد ، ويزيد أشهر بالغرب من روح لطول مدة ولايته وكثرة خروجه فيها والخارجين عليه .

ذكر عدة حوادث

فيها قَدِمَ أبو العباس الفضل بن سليمان الطوسي من خراسان واستعمل الرشيد عليها جعفر بن محمد بن الأشعث، فلما قدم خراسان سيَّر ابنه العباس إلى كابل فقاتل أهلها حتى افتتحها، ثم افتتح سانهار ، وغنم ما كان بها . وفيها قَتَلَ الرشيد أبا هريرة محمد بن فروخ ـ وكان على الجزيرة ؛ فوجه إليه الرشيد أبـا حنيفة حـرب بن قيس فأحضره إلى بغداد وقتله ، وفيها أمر الرشيد باخراج الطالبيين من بغـداد إلى مدينـة النبي ﷺ خلا العباس بن الحسن بن عبدالله بن عباس[1] ، وفيهـا خرج الفضـلُ بن

---

(١) في الطبري « بن عبدالله بن علي بن أبي طالب » .

سعيد الحروري فقتله أبو خالد المروروذي . وفيها قدم روح بن حاتم افريقية .

وحج بالناس هذه السنة عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس[١]

(١) وفي هذه السنة على ما حكاه ابن جرير الطبري ـ خرجت اا
وقت الحج فحجت .

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين ومائة

ذكر خروج سليمان ، وعبد الله ابني عبد الرحمن على أخيهما هشام

في هذه السنة ـ وقيل : سنة ثلاث وسبعين ومائة وهو الصحيح ـ خرج سليمان ، وعبد الله ابنا عبد الرحمن بن معاوية بن هشام أمير الأندلس عن طاعة أخيهما هشام بالأندلس .

وكان هشامُ قد ملكَ بعد أبيه كما ذكرناه، فلما استقرَّ له المُلْكُ، كان معه أخوه عبد الله المعروف بالبلنسي ؛ وكان هشام يؤثره ويبرّه ويقدِّمه، فلم يرض عبد الله إلاَّ بالمشاركة في أمره ، ثم انه خاف من أخيه هشام فمضى هارباً إلى أخيه سليمان وهو بطليطلة ، فلما خرج من قرطبة، أرسل هشام جمعاً في أثره ليردوه ، فلم يلحقوه ، فجمع هشام عساكره وسار إلى طليطلة ، فحصر أخوَيْه بها وكان سليمان قد جمع وحشد خلقاً كثيراً ؛ فلما حصرهما هشام ، سار سليمان من طليطلة وترك ابنه وأخاه عبد الله يحفظان البلد وسار هو إلى قرطبة ليملكها ، فعلم هشام الحال فلم يتحرك ولا فارق طليطلة بل أقام يحصرها ، وسار سليمان فوصل إلى شقندة فدخلها وخرج إليه أهل قرطبة مقاتلين ودافعين عن أنفسهم ؛ ثم إن هشاماً سيَّر في أثره ابنه عميد الملك في قطعة من الجيش فلما قاربه مضى سليمان هارباً فقصدمدينة ماردة فخرج إليه الوالي بها لهشام ، فحاربه، فانهزم سليمان ، وبقي هشام على طليطلة شهرين وأياماً محاصراً لها ثم عاد عنها وقد قطعَ أشجارها، وسار إلى قرطبة، فأتاه أخوه عبدالله بغيرِ أمان، فأكرمه وأحسن إليه، فلما دخلت سنة أربع وسبعين ، سيَّر هشام ابنه معاوية في جيش كثيف إلى تدمير وبها سليمان فحاربه ، وخرَّبوا أعمال تدمير، ودوَّخوا أهلها ومَنْ بها وبلغوا البحر فخرج سليمان من تدمير هارباً ، فلجأ إلى البرابر بناحية بلنسية فاعتصم بتلك الناحية الوعرة المسلك ، فعاد معاوية إلى قرطبة ، ثم إن الحال استقر بين هشام،

وسليمان أن يأخذ سليمان أهله ، وأولاده، وأمواله ويفارق الأندلس ، وأعطاه هشام ستين ألف دينار مصالحة عن تركة أبيه عبد الرحمن فسار الى بلد البرابر فاقام بها.

ذكر خروج جماعة على هشام أيضاً

وفيها خرج بالاندلس أيضاً سعيدُ بن الحسين بن يحيى الأنصاري بشاغنت من أقاليم طرطوشة في شرق الأندلس ؛ - وكان قد التجأ اليها حين قُتل أبوه كما تقدم ، ودعا إلى اليمانية وتعصّب لهم ، فاجتمع له خلق كثير ، وملك مدينة طرطوشة ، وأخرج عامله يوسف القيسي ، فعارضه موسى بن فرتون ، وقام بدعوة هشام ، ووافقته مضر فاقتتلا، فانهزم سعيد وقتل ، وسار موسى إلى سرقسطة فملكها فخرج عليه مولى للحسين بن يحيى اسمه جحدر في جمعٍ كثيرٍ، فقاتله وقتل موسى ، وخرج أيضاً مطروح بن سليمان بن يقظان بمدينة برشلونة ، وخرج معه جمع كثير فملك مدينة سرقسطة ، ومدينة وشقة ، وتغلَّب على تلك الناحية ، وقَوِيَ أمرُه ، وكان هشام مشغولاً بمحاربة أخويه سليمان ، وعبد الله.

ذكر عدة حوادث

وفيها عَزَلَ الرشيد اسحاق بن محمد عن الموصل ، واستعمل سعيد بن سلم الباهلي ، وعَزَلَ الرشيد يزيد بن مزيد بن زائدة، وهو ابن أخي معن بن زائدة - عن ارمينية ، واستعمل عليها أخاه عبيد الله بن المهدي ، وفيها غزا الصائفة إسحاق بن سليمان بن علي ، وفيها وضع الرشيد على أهل السواد العشر الذي كان يؤخذ منهم بعد النصف ، وحج بالناس يعقوب بن المنصور ؛ وفيها مات الفضل بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس وهو أخو عبد الملك[1] ، وتوفي سليمان بن بلال مولى ابن أبي عتيق ، وتوفي أبو يزيد رياح بن يزيد اللخمي الزاهد بمدينة القيروان وكان مجاب الدعوة.

---

(١) وكان أميراً شجاعاً مقداماً شاعراً فصيحاً أديباً صاحب خطب وشعر.

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائة

فيها توفي محمد بن سليمان بن علي بالبصرة[١] ، فأرسل الرشيد من قبض تركته ، وكانت عظيمة من المال ، والمتاع ، والدواب فحملوا منه ما يصلح للخلافة ، وتركوا مالا يصلح . وكان من جملة ما أخذوا ستون ألف ألف ؛ فلما قدموا بذلك عليه أطلق منه للندماء والمغنين شيئاً كثيراً ؛ ورفع الباقي إلى خزانته .

وكان سبب أخذ الرشيد تركته ، أن أخاه جعفر بن سليمان كان يسعى به إلى الرشيد حسداً له ويقول : إنه لا مال له ولا ضيعة إلا وقد أخذ أكثر من ثمنها ليتقوى به على ما تحدث به نفسه ـ يعني الخلافة ـ، وإن أمواله حلّ طلق لأمير المؤمنين .

وكان الرشيد يأمر بالاحتفاظ بكتبه، فلما توفي محمد بن سليمان أُخرجت كتبه إلى جعفر أخيه ، واحتجَّ عليه بها ، ولم يكن له أخ لأبيه وأمه غير جعفر، فأقرَّ بها، فلهذا قبضت أمواله ، وفيها ماتت الخيزران أم الرشيد فحمل الرشيد جنازتها ودفنها في مقابر قريش ، ولما فرغ من دفنها أعطى الخاتم الفضل بن الربيع وأخذه من جعفر بن يحيى بن خالد ، وفيها استقدم الرشيد جعفر بن محمد بن الأشعث من خراسان واستعمل عليها ابنه العباس بن جعفر ، وحج بالناس الرشيد أحرم من بغداد، وفيها مات مورقاط ملك جليقية من بلاد الأندلس ووَلي بعده برمندين قلوريه القس، ثم تبرأ من المُلْكِ وترهَّب ، وجعل ابن أخيه في الملك ، وكان ملك ابن أخيه سنة خمس وسبعين ومائة ، وفيها توفي سلاَّم بن أبي مطيع ـ بتشديد اللام ـ وجويرية بن أسماء بن عبيد البصري ، ومروان بن معاوية بن الحرث بن أسماء الفزاري أبو عبد الله ، وكان موته بمكة فجأة .

---

(١) لليال بقين من جمادى الآخرة منها ، وكان من رجالات قريش وشجعانهم جمع له المنصور بين البصرة والكوفة وزوجه المهدي ابنته العباسة .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومائة

فيها استعمل الرشيد اسحاق بن سليمان على السند، ومكران ؛ وفيها استقضى الرشيد يوسف بن أبي يوسف وأبوه حي ؛ وفيها هلك روح بن حاتم وسار الرشيد إلى الجودي ونزل باقردي ، وبازبدي[١] من أعمال جزيرة ابن عمر فابتنى بها قصراً ، وغزا الصائفة عبد الملك بن صالح .

وحجَّ بالناس الرشيد فقسَّم في الناس مالاً كثيراً[٢] ، وفيها عُزِلَ علي بن مسهر عن قضاء الموصل وولِي القضاء بها اسماعيل بن زياد الدولابي .

---

(١) باقردي قال في المعجم بكسر القاف وفتح الدال المهملة وياء ممال الألف كذا جاء اسمها في الكتب وأهلها يقولون : قردي وينشدون :

بقردي وبازبدي مصيف ومربع　　وعذب يحاكي السلسبيل برود

وعلى الأولى جرى ابن جرير وعلى الثانية جرى المؤلف ، وبازبدي ـ بفتح الزاي وسكون الباء الموحدة مقصور .

(٢) قال ابن جرير الطبري : ووقع الوباء في هذه السنة بمكة فأبطأ عن دخولها هارون ثم دخلها يوم التروية فقضى طوافه وسعيه ولم ينزل بمكة .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائة

وفي هذه السنة عقد الرشيد لابنه محمد بن زبيدة بولاية العهد ، ولقّبه الامين ، وأخذ له البيعة وعمره خمس سنين .

وكان سبب البيعة ان خاله عيسى بن جعفر بن المنصور جاء إلى الفضل بن يحيى بن خالد فسأله في ذلك وقال له : إنه ولدك وخلافته لك ؛ فوعده بذلك وسعى فيها حتى بايع الناس له بولاية العهد. وفيها عزل الرشيد عن خراسان العباس بن جعفر وولاها خالداً الغطريف بن عطاء .

وغزا الصائفة عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح فبلغ اقريطية ، وقيل : غزاها عبد الملك نفسه فاصابهم بردٌ شديدٌ سقط منه كثير من أيدي الجند وأرجلهم . وفيها سار يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي إلى الديلم فتحرك هناك .

وحج بالناس هذه السنة هارون الرشيد .

ذكر ظفر هشام بأخويه ومطروح

وفيها فرغ هشام بن عبد الرحمن صاحب الاندلس من أخويه سليمان ، وعبد الله وأجلاهما عن الاندلس ، فلما خلا سرّه منهما انتدب لمطروح بن سليمان بن يقظان ، فسيَّر اليه جيشاً كثيفاً ، وجعل عليهم ابا عثمان عبيد الله بن عثمان، فساروا إلى مطروح

---

(١) في النجوم الزاهرة « طرطوشة » قال في المعجم طرطوشة بالفتح ثم السكون ثم طاء أخرى وواو ساكنة وشين معجمة مدينة بالأندلس تتصل بمدينة بلنسية ، وقال في طرسونة : بفتح أوله وثانيه ثم بسين مهملة وبعد الواو الساكنة نون مدينة بالأندلس بينها وبين تطيلة أربعة فراسخ ولعل ما هنا محرف عما هناك .

وهو بسرقسطه فحصروه بها فلم يظفروا به ، فرجع أبو عثمان عنه ونزل بحصن طرسونة[١] بالقرب من سرقسطة ، وبث سراياه على أهل سرقسطة يغيرون ويمنعون عنهم الميرة ، ثم ان مطروحاً خرج في بعض الأيام آخر النهار يتصيَّد فأرسل البازي على طائر فاقتنصه ، فنزل مطروح ليذبحه بيده ومعه صاحبان له قد انفرد بهما عن أصحابه فقتلاه ، وأخذا رأسه واتيا به أبا عثمان ، فسار إلى سرقسطة فكاتبه أهلها بالطاعة فقبل منهم وسار إليها فنزلها وأرسل رأس مطروح إلى هشام .

ذكر غزاة هشام بالأندلس

ثم إن أبا عثمان لمَّا فَرِغ من مطروحٍ ، أخذ الجيش، وسار بهم إلى بلاد الفرنج فقصد ألبة[١] والقلاع ، فلقِيَهُ العدو، فظفر بهم وقَتَلَ منهم خلقاً كثيراً ، وفتح الله عليه . وفيها سيَّر هشام أيضاً يوسف بن بخت في جيش إلى جليقية ، فلقي ملكهم وهو برمند الكبير فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وانهزمت الجلالقة وقُتِلَ منهم عالم كثير ، وفيها انقاد أهل طليطلة الى طاعة الأمير هشام فأمنهم . وفيها سَجَنَ هشام أيضاً ابنه عبد الملك لشيء بلغه عنه فبقي مسجوناً حياة أبيه وبعض ولاية أخيه ، فتوفي محبوساً سنة ثمان وتسعين ومائة .

ذكر عدة حوادث

وفيها خرج بخراسان حُصَين الخارجي ، وهو من موالي قيس بن ثعلبة من أهل أوق .

وكان على سجستان عثمان بن عمارة ، فأرسل جيشاً فلقيهم حصين فهزمهم ، ثم أتى خراسان وقصد باذغيس ، وبوشنج ، وهراة، وكتب الرشيد إلى الغطريف في طلبه فسيَّر اليه الغطريف داود بن يزيد في اثني عشر ألفاً فلقيهم حصين في ستمائة فهزمهم ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، ثم سار في خراسان إلى أن قتل سنة سبع وسبعين ومائة .

---

(١) في المعجم أُلية بالياء المثناة من تحت .

وفيها مات الليث بن سعد الفقيه بمصر[١] ، ومحمد بن إسحاق بن ابراهيم أبو العنبس الشاعر ؛ وفيها توفي المسيب بن زهير بن عمر بن مسلم الضبي[٢] وقيل : سنة ست وسبعين ، وكان على شرط المنصور ، والمهدي وولاه المهدي خراسان ؛ وفيها ولد ادريس بن ادريس بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

---

(١) كان الليث رحمه الله تعالى إمام الديار المصرية بلا مدافعة ـ ولد بقرقشندة ـ وهي بفتح القاف وسكون الراء وفتح القاف الثانية والشين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها هاء ساكنة وهي قرية من الوجه البحري من القاهرة ، قال الشافعي رحمه الله : الليث بن سعد أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به .

(٢) كان والي الشرطة ببغداد في أيام المنصور والمهدي والرشيد .

ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائة

ذكر ظهور يحيى بن عبد الله بالديلم

في هذه السنة ظهر يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بالديلم ، واشتدت شوكته، وكثر جموعه، وأتاه الناس من الأمصار. فاغتمَّ الرشيد لذلك فندب اليه الفضل بن يحيى في خمسين ألفاً ومعه صناديد القواد وولاه جرجان، وطبرستان، والري، وغيرها وحمل معه الاموال ، فكاتب يحيى بن عبد الله ولطف به، وحذره وأشار عليه ، وبسط أمله . ونزل الفضل بالطالقان بمكان يقال له : أشب ووالى كتبه إلى يحيى ؛ وكاتب صاحب الديلم ؛ وبذل له ألف ألف درهم على ان يسهِّل له خروج يحيى بن عبد الله ، فاجاب يحيى إلى الصلح على ان يكتب له الرشيد أماناً بخطه يشهد عليه فيه القضاة ، والفقهاء ، وجلة بني هاشم ، ومشايخهم منهم عبد الصمد بن علي ؛ فاجابه الرشيد الى ذلك وسرَّبه وعظمت منزلة الفضل عنده وسيَّر الامان مع هدايا وتحف ، فقدم يحيى مع الفضل بغداد فلقيه الرشيد بكل ما أحب ، وأمر له بمال كثير ، وأجرى له ارزاقاً سنية وأنزله منزلاً سرياً . ثم ان الرشيد حبسه فمات في الحبس ، وكان الرشيد قد عرض كتاب أمان يحيى على محمد بن الحسن الفقيه ، وعلى أبي البختري القاضي فقال محمد : الأمان صحيح فحاجه الرشيد فقال محمد : وما يصنع بالأمان لو كان محارباً ثم وليَ وكان آمناً ؟ وقال أبو البختري : هذا أمان منتقض من وجه كذا فمزَّقه الرشيد.

ذكر ولاية عمر بن مهران مصر

وفيها عَزَلَ الرشيد موسى بن عيسى عن مصر وردَّ أمرَها إلى جعفر بن يحيى بن خالد ، فاستعمل عليها جعفر عمر بن مهران .

وكان سبب عزله أن الرشيد بلغه أن موسى عازم على الخلع فقال : والله لا أعزله إلا بأخسّ من على بابي، فأمر جعفر فأحضر عمر بن مهران وكان أحول مشوَّه الخلق وكان لباسه خسيساً وكان يردفُ غلامهُ خلفه ؛ فلما قال له الرشيد : أتسير الى مصر أميراً ؟ فقال : أتولاها على شرائط إحداها أن يكون اذني إلى نفسي ، إذا أصلحتُ البلاد انصرفت ؛ فأجابه إلى ذلك فسار .

فلما وصل إليها أتى دار موسى فجلس في أخريات الناس ، فلما تفرقوا قال : ألك حاجة ؟ قال : نعم ثم دفع اليه الكتبَ ، فلما قرأها قال : هل يقدم أبو حفص أبقاه الله ؟ قال : أنا أبو حفص ، قال موسى : لعن الله فرعون حيث قال : أليس لي ملك مصر ؟ ثم سلم له العمل ؛ فتقدم عمر الى كاتبه أن لا يقبل هدية إلا ما يدخل في الكيس .

فبعث الناس بهداياهم فلم يقبل دابة ولا جارية ، ولم يقبل إلا المال والثياب ، فأخذها وكتب عليها اسماء اصحابها وتركها .

وكان أهل مصر قد اعتادوا المطل بالخراج وكسره ، فبدأ عمر برجل منهم ، فطالبه بالخراج فَلَواه ، فأقسم أن لا يؤدِّيَه إلا بمدينة السلام ، فَبذلَ الخراج فلم يقبله منه وحمله الى بغداد ، فأدَّى الخراج بها فلم يمطله أحد ؛ فاخذ النجم الأول والنجم الثاني ، فلما كان النجم الثالث وقعت المطاولة ، والمطل ، وشكوا الضيْق ، فأحضر تلك الهدايا ، وحسبها لأربابها وأمرهم بتعجيل الباقي ، فاسرعوا في ذلك ، فاستوفى خراج مصر عن آخره ولم يفعل ذلك غيره ثم انصرف إلى بغداد .

ذكر الفتنة بدمشق

وفي هذه السنة هاجت الفتنة بدمشق بين المضرية ، واليمانية . وكان رأس المضرية أبو الهيذام ـ واسمه عامر بن عمارة بن خريم الناعم بن عمرو بن الحرث بن خارجة بن سنان بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان المري ، أحد فرسان العرب المشهورين .

وكان سبب الفتنة أن عاملاً للرشيد بسجستان قتل أخاً لأبي الهيذام ، فخرج أبو الهيذام بالشام وجمع جمعاً عظيماً وقال يرثي أخاه :

سأبكيك بالبيضِ الرِّقاق وبالقنا   فإنَّ بها ما يُدرِكُ الطالب الوترا
ولَسْنا كَمَنْ ينعي أخاه بعبرةٍ   يعصرُها من ماء مُقْلَتِهِ عصرا
وإنّا أناسٌ ما تفيض دموعنا   على هالك مِنّا وإن قصم الظهرا
ولكنني أشفي الفؤاد بغارةٍ   الهبُ في قطري كتائبها جمرا

وقيل : إن هذه الأبيات لغيرهِ والصحيح أنها له ، ثم إن الرشيد احتال عليه بأخ له كتب اليه ، فارغبه ثم شدَّ عليه فكتَّفه وأتى به الرشيد ؛ فمنَّ عليه وأطلقه ، وقيل : كان أول ما هاجت الفتنة في الشام أن رجلاً من بني القين خرج بطعام له يطحنه في الرحى بالبلقاء ، فمر بحائط رجل من لخم أو جذام ، وفيه بطيخ وقثاء فتناول منه فشتمه صاحبه وتضاربا وسار القيني ، فجمع صاحب البطيخ قوماً من اهل اليمن ليضربوه إذا عاد فلما عاد ضربوه وأعانه قوم آخرون ، فقتل رجل من اليمانية وطلبوا بدمه فاجتمعوا لذلك ـ وكان على دمشق حينئذ عبد الصمد بن علي ـ ، فلما خاف الناس أن يتفاقم ذلك اجتمع أهل الفضل والرؤساء ليصلحوا بينهم فأتوا بني القين ، فكلموهم فأجابوهم إلى ما طلبوا ، فأتوا اليمانية فكلموهم فقالوا : إنصرفوا عنّا حتى ننظرَ ثم ساروا فبيَّتوا بني القين فقتلوا منهم ستمائة، وقيل: ثلاثمائة، فاستنجد بنو القين قضاعة، وسليحا فلم ينجدوهم ، فاستنجدوا قيساً فأجابوهم ، وساروا معهم إلى الصواليك من أرض البلقاء ، فقتلوا من اليمانية ثمانمائة ، وكثر القتال بينهم فالتقوا مرات .

وعُزِلَ عبدُ الصمد عن دمشق ، واستعمل عليها ابراهيم بن صالح بن علي ، فدام ذلك الشرّ بينهم نحو سنتين والتقوا بالبثنية ، فقُتِلَ من اليمانية نحو ثمانمائة ، ثم اصطلحوا بعد شرٍّ طويل ووفد ابراهيم بن صالح على الرشيد وكان مَيْله مع اليمانية ، فوقع في قيس عند الرشيد ، فاعتذر عنهم عبد الواحد بن بشر النصري من بني نصر ، فقبل عذرهم ورجعوا واستخلف ابراهيم بن صالح على دمشق ابنه إسحاق وكان ميله ايضاً مع اليمانية ، فأخذ جماعة من قيس فحبسهم ، وضربهم ، وحلق لحاهم ، فنفر الناس ؛ ووثبت غسان برجل من وُلد قيس بن العبسي فقتلوه ، فجاء أخوه إلى ناس من الزواقيل بحوران ، فاستنجدهم فأنجدوه ، وقتلوا من اليمانية نفراً .

ثم ثارت اليمانية بكليب بن عمرو بن الجنيد بن عبد الرحمن وعنده ضيف له فقتلوه ، فجاءت أم الغلام بثيابه إلى أبي الهيذام ، فألقتها بين يديه فقال : انصرفي

حتى ننظر فإني لا أخبطُ خَبْطَ العشواء حتى يأتيَ الأميرُ ، ونرفعَ إليه دماءنا ، فإن نظر فيها وإلّا فأمير المؤمنين ينظر فيها . ثم ارسل إسحاق فأحضر أبا الهيذام فحضر فلم يأذن له ؛ ثم إن ناساً من الزواقيل قتلوا رجلاً من اليمانية ، وقَتَلَتْ اليمانية رجلاً من سليم ، ونهبت أهل تلفياثا ـ وهم جيران محارب ، فجاءت محارب إلى أبي الهيذام، فركب معهم إلى اسحاق في ذلك ، فوعدهم الجميل فرضي ؛ فلما انصرف أرسل إسحاق الى اليمانية يغريهم بأبي الهيذام ، فاجتمعوا وأتوا أبا الهيذام من باب الجابية ، فخرج إليهم في نفر يسيرٍ ، فهزمهم واستولى على دمشق وأخرج اهل السجون عامة ، ثم ان أهل اليمانية استجمعت واستنجدت كلباً وغيرهم فأمدّوهم .

وبلغ الخبر أبا الهيذام فأرسلَ الى المضرية فأتَتْه الأمدادُ وهو يقاتل اليمانية عند باب توما ، فانهزمت اليمانية ، ثم ان اليمانية أتت قرية لقيس عند دمشق فأرسل أبو الهيذام اليهم الزواقيل فقاتلوهم ، فانهزمت اليمانية أيضاً ، ثم لقيهم جمع آخر فانهزموا أيضاً ، ثم أتاهم الصريخ أدركوا باب توما ، فأتوه ، فقاتلوا اليمانية ، فانهزمت أيضاً ، فهزموهم في يوم واحد أربع مرات ثم رجعوا إلى أبي الهيذام ، ثم ارسل إسحاق إلى أبي الهيذام يأمره بالكف ففعل ، وأرسل الى اليمانية قد كَفَفْتُهُ عنكم ، فدونكم الرجلَ فهو غارٌ ، فأتوه من باب شرقي متسللين .

فأتى الصريخ أبا الهيذام فركب في فوارس من أهله فقاتلهم فهزمهم ، ثم بلغه خبر جمعٍ آخر لهم على باب توما فاتاهم ، فهزمهم أيضاً . ثم جمعت اليمانية أهل الأردن ، والخولان ، وكلباً وغيرهم ، وأتى الخبر أبا الهيذام فأرسل مَنْ يأتيه بخبرهم ، فلم يقفْ لهم على خبر في ذلك وجاؤوا من جهة أخرى كان آمناً منها لبناء فيها ، فلما انتصف النهار ولم ير شيئاً فرّق أصحابه فدخلوا المدينة ، ودخلها معهم وخلف طليعة ، فلما رآه إسحاق قد دخل أرسل الى ذلك البناء فهدمه وأمر اليمانية بالعبور ففعلوا فجاءت الطليعة الى ابي الهيذام فاخبروه الخبر وهو عند باب الصغير ، ودخلت اليمانية المدينة ، وحملوا على أبي الهيذام ، فلم يبرح وأمر بعض أصحابه أن يأتيَ اليمانية من ورائهم ففعلوا ، فلما رأتهم اليمانية تنادوا الكمين الكمين ، وانهزموا وأَخَذَ منهم سلاحاً وخيلاً .

فلما كان مستهلّ صفر ، جمع اسحاق الجنود ، فعسكروا عند قصر الحجاج ،

وأعلم أبو الهيذام أصحابه فجاءته بنو القين وغيرهم ، واجتمعت اليمن إلى اسحاق فالتقى بعض العسكر ، فاقتتلوا فانهزمت اليمانية ، وقتِلَ منهم . ونَهَبَ أصحابُ أبي الهيذام بعضَ داريا وأحرقوا فيها ، ورجعوا، وأغار هؤلاء فنهبوا وأحرقوا واقتتلوا غير مرة فانهزمت اليمانية أيضاً . فأرسلتْ ابنةُ الضحّاك بن رمل السكسكي ـ وهي يمانية ـ إلى أبي الهيذام تطلب منه الأمان ، فأجابها ، وكتب لها ونهبَ القرى التي لليمانية بنواحي دمشق وأحرقها. فلما رأت اليمانية ذلك أرسل اليه ابن خارجة الحرشي ، وابن عزة الخشني وأتاه الأوزاع ، والأوصاب، ومقرا، وأهل كفر سوسية ، والحميريون ، وغيرهم يطلبون الأمان ، فأمنهم فسكن الناس وأمنوا ، وفرق أبو الهيذام أصحابه وبقي في نفر يسير من أهل دمشق ؛ فطمع فيه اسحاق فبذل الاموال للجنود ليواقعَ أبا الهيذام ، فأرسل العذافر الكسكي في جمع إلى أبي الهيذام فقاتلوهم فانهزم العذافر ؛ ودامت الحرب بين أبي الهيذام وبين الجنود من الظهر إلى المساء ، وحمل خيل أبي الهيذام على الجند فجالوا ، ثم تراجعوا ، وانصرفوا وقد جُرِحَ منهم أربعمائة ولم يقتل منهم أحدٌ وذلك نصف صفر ؛ فلما كان الغد لم يقتتلوا إلى المساء ، فلما كان آخر النهار تقدم اسحاق في الجند فقاتلهم عامة الليل وهم بالمدينة ، واستمد أبو الهيذام أصحابه وأصبحوا من الغد فاقتتلوا والجند في اثني عشر ألفاً ؛ وجاءتهم اليمانية ، وخرج أبو الهيذام من المدينة ؛ فقال لأصحابه ـ وهم قليلون ـ : انزلوا ، فنزلوا وقاتلوهم على باب الجابية حتى أزالوهم عنه .

ثم إن جمْعاً من أهلِ حمصَ أغاروا على قرية لابي الهيذام ؛ فأرسل طائفةً من أصحابه إليهم ، فقاتلوهم ، فانهزم أهلُ حمصَ ، وقُتِلَ منهم بشرٌ كثيرٌ ؛ وأحرقوا قرى في الغوطة لليمانية وأحرقوا داريا ، ثم بقوا نيفاً وسبعين يوماً لم تكن حرب ، فقدم السندي مستهل ربيع الآخر في الجنود من عند الرشيد فأتته اليمانية تُغْرِيه بأبي الهيذام ؛ وأرسل أبو الهيذام إليه يخبره أنه على الطاعة ، فاقبل حتى دخل دمشق وإسحاق بدار الحجَّاج، فلما كان الغد أرسل السندي قائداً في ثلاثة آلاف، وأخرج إليهم أبو الهيذام ألفا فلما رآهم القائد رجع إلى السندي فقال: أعطِ هؤلاء ما أرادوا، فقد رأيت قوماً الموتُ أحبُّ إليهم من الحياة؛ فصالح أبا الهيذام وأمِنَ أهل دمشق والناس ؛ وسار أبو الهيذام إلى حوران وأقام السندي بدمشق ثلاثة أيام ، وقدِمَ موسى بن عيسى والياً عليها ، فلما دخلها أقام بها عشرين يوماً واغتنم غرة أبي الهيذام ، فأرسل مَنْ يأتيه به

فكبسوا داره ، فخرج هو وابنه خريم وعَبْدٌ له فقاتلوهم ونجا منهم ، وانهزم الجندُ ، وسمعت خيل أبي الهيذام فجاءته من كل ناحية ، وقصد بصرى وقاتل جنود موسى بطرف اللجاة فقتل منهم وانهزموا ومضى أبو الهيذام ، فلما أصبح ، أتاه خمسة فوارس فكلَّموه فاوصى أصحابه بما أراد، وتركهم ومضى وذلك لعشر بَقَيْنَ من رمضان سنة سبع وسبعين ومائة ، وكان أولئك النفر قد أتوه من عند أخيه يأمره بالكفِّ، ففعل ومضى معهم وأمرَ أصحابه بالتفرق وكان آخر الفتنة ، ومات أبو الهيذام سنة اثنتين وثمانين ومائة ، هذا ما أردنا ذكره على سبيل الاختصار .

(خريم) بضم الخاء المعجمة وفتح الراء ، و (حارثة) بالحاء المهملة والثاء المثلثة ، (نُشبة) بضم النون وسكون الشين المعجمة وبعده باء موحدة ، و (بَغِيض) بالباء الموحدة وكسر الغين المعجمة وآخره ضاد معجمة ، و (ريث) بالراء والياء تحتها نقطتان وآخره ثاء مثلثة .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة غزا عبد الملك بن عبد الواحد بجيش صاحب الاندلس بلاد الفرنج ، فبلغ ألبة والقلاع فغنم وسلم . وفيها استعمل هشام ابنه الحكم على طليطلة ، وسيَّره إليها فضبطها، وأقام بها ووُلِدَ له بها ابنه عبد الرحمن بن الحكم وهو الذي ولِيَ الأندلس بعد أبيه ، وفيها استعمل الرشيد على الموصل الحاكم بن سليمان ، وفيها خرج الفضل الخارجي بنواحي نصيبين فأخذ من أهلها مالاً وسار إلى دارا ، وآمد ، وارزن فأخذ منهم مالاً ، وكذلك فعل بالخلاط ثم رجع إلى نصيبين وأتى الموصل فخرج إليه عسكرها ، فهزمهم على الزاب ، ثم عادوا لقتاله فقتل الفضل وأصحابه ، وفيها مات الفرج بن فضالة ، وصالح بن بشير المري القاري ؛ وكان ضعيفاً في الحديث ، وفيها توفي عبد الملك بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أبو طاهر الأنصاري ، وكان قاضياً ببغداد ، وفيها توفي نعيم بن ميسرة النحوي الكوفي ، وأبو الاحوص ، وأبو عوانة ـ واسمه الوضاح مولى يزيد بن عطاء الليثي ـ وكان مولده سنة اثنتين وتسعين .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائة

ذكر غزو الفرنج بالاندلس

فيها سيَّر هشامُ صاحبُ الاندلس جيشاً كثيفاً، واستعمل عليهم عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث فدخلوا بلاد العدو ، فبلغوا اربونة وجرندة، فبدأ بجرندة ـ وكان بها حامية الفرنج ـ فقتل رجالها وهَدَم أسوارها وابراجها ، وأشرف على فتحها ، فرحل عنها إلى أربونة ، ففعل مثل ذلك، وأوغل في بلادهم، ووَطِىء أرضَ شرطانية، فاستباح حريمها ، وقتَلَ مقاتلتها ، وجاسَ البلاد شهوراً يخرِّب الحصون ويحرق ، ويغنم ، قد أجفل العدو من بين يديه هارباً وأوغل في بلادهم ورجع سالماً معه من الغنائم ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، وهي من أشهر مغازي المسلمين بالاندلس .

ذكر استعمال الفضل بن روح بن حاتم على أفريقية

وفي هذه السنة ـ وهي سنة سبع وسبعين ـ استعمل الرشيد على أفريقية الفضل بن روح بن حاتم ، وكان الرشيد لما توفي روح ، استعمل بعده حبيب بن نصر المهلبي .

فسار الفضل إلى باب الرشيد ، وخطب ولاية أفريقية فولَّاه، فعاد إليها فَقَدِمَ في المحرم سنة سبع وسبعين ومائة ، فاستعمل على مدينة تونس ابن أخيه المغيرة بن بشر بن روح ـ وكان غارا ـ فاستخفَّ بالجند ، وكان الفضل أيضاً قد أوحشهم وأساءَ السيرةَ معهم بسبب ميلهم إلى نصر بن حبيب الوالي قبله ، فاجتمع من بتونس وكتبوا إلى الفضل يستعْفون من ابن أخيه ، فلم يجبهم عن كتابهم ؛ فاجتمعوا على ترك طاعته ، فقال لهم قائد من الخراسانية يُقال له محمد بن الفارسي : كل جماعة لا رئيس لها فهي إلى الهلاك أقربُ ، فانظروا رجلًا يدبر أمركم . قالوا : صدقت ، فاتفقوا على

تقديم قائد منهم يقال له : عبدالله بن الجارود يُعرفُ بِعَبدَوَيْه الأنباري فقدَّموه عليهم ، وبايعوه على السمع والطاعة ، وأخرجوا المغيرة عنهم ، وكتبوا إلى الفضل يقولون : إنّا لم نخرج يداً عن طاعته ، ولكنه أساء السيرة فأخرجناه ، فوَلّ علينا مَنْ نرضاه .

فاستعملَ عليهم ابن عمه عبد الله بن يزيد بن حاتم وسيَّره اليهم ؛ فلما كان على مرحلة من تونس أرسل إليه ابن الجارود جماعةً لينظروا في أي شيء قدم ، ولا يحدثوا حدثاً إلاَّ بأمر فساروا إليه . وقال بعضهم لبعض : إنَّ الفضل يخدعكم بولاية هذا ، ثم ينتقم منكم بإخراجكم أخاه ؛ فعدَوا على عبد الله بن يزيد فقتلوه وأخذوا مَنْ معه من القواد أسارى . فاضطر حينئذ عبد اللهبن الجارود ومَنْ معه إلى القيام والجدّ في إزالة الفضل .

فتولى ابن الفارسي الأمر وصار يكتب إلى كل قائد بافريقية ومتولي مدينة يقول له : إنّا نظرنا في صنيع الفضل في بلاد أمير المؤمنين وسوء سيرتـه ، فلم يسعنا إلاّ الخروج عليه لنخرجه عنا، ثم نظرنا فلم نجد أحداً أَوْلى بنصيحة أمير المؤمنين لبُعد صوته وعطفه على جنده منك، فرأينا أن نجعل نفوسنا دونك فإنْ ظفرنا جعلناك أميرنا ، وكتبنا إلى أمير المؤمنين نسأله وِلاَيتك ، وإنْ كانت الأخرى لم يعلم أحدٌ أننا أردناك والسلام ، فأفسد بهذا كافة الجند على الفضل وكثر الجمع عندهم .

فسير إليهم الفضل عسكراً كثيراً فخرجوا إليه فقاتلوه ، فانهزم عسكره وعاد إلى القيـروان منهزمـاً وتبعهم أصحاب ابن الجـارود، فحاصـروا القيروان يـومهم ذلك. ثم فتح أهل القيروان الابواب ودخل ابن الجارود وعسكره في جمادى الآخرة سنة ثمان وسبعين ومائة ، وأُخرِجَ الفضل من القيروان ووُكِلَ به وبمن معه من أهله أن يوصلهم إلى قابس ، فساروا يومهم ثم ردَّهم ابن الجارود وقُتل الفضلُ بن روح بن حاتم .

فلما قُتِلَ الفضل غضبَ جماعةٌ من الجند ، واجتمعوا على قتال ابن الجارود ، فسيَّر اليهم عسكراً فانهزم عسكره ، وعاد إليه بعد قتال شديد ، واستولى أولئك الجند على القيروان : وكان ابن الجارود بمدينة تونس ، فسار إليهم وقد تفرقوا بعد دخول القيروان. فوصل اليهم ابن الجارود فلقوه، واقتتلوا، فهزمهم ابن الجارود وقَتَل جماعة من أعيانهم ؛ فانهزموا فلحقوا بالاربس وقدّموا عليهم العلاء بن سعيد وَالي بلد الزاب

وساروا إلى القيروان .

ذكر ولاية هرثمة بن اعين بلاد افريقية

اتّفق وصولُ يحيى بن موسى من عند الرشيد ، لما قصد العلاء ومَنْ معه القيروان ؛ وكان سبب وصوله أن الرشيد بلغه ما صنع ابن الجارود وإفساده افريقية .

فوجَّه هرثمة بن أعين ومعه يحيى بن موسى لمحلّه عند أهل خراسان ، وأمر أنْ يتقدّم يحيى فيتلطّف بابن الجارود ، ويستميله ليعاودَ الطاعة قبل وصول هرثمة .

فقدم يحيى القيروانَ ، فجرى بينه وبين ابن الجارود كلامٌ كثيرٌ ودفع إليه كتاب الرشيد فقال : إنَّا على السمع والطاعة ، وقد قرب مني العلاء بن سعيد ومعه البربر ، فإن تركْتُ القيروان وثبَ البربرُ فملكوها فأكون قد ضيَّعتُ بلادَ أمير المؤمنين ، ولكني أخرج إلى العلاء فإنْ ظفرَ بي فشأنكم والثغور ، وان ظفرتُ به ، انتظرت قدومَ هرثمة فأسلّم البلادَ إليه ، وأشيرُ إلى أمير المؤمنين ، وكان قصده المغالطة فإن ظفر بالعلاء منع هرثمة عن البلاد فعلم يحيى ذلك ، وخلا بابن الفارسي وعاتَبه على ترك الطاعة ، فاعتذرَ وحلف أنه عليها ، وبذل من نفسه المساعدة على ابن الجارود .

فسعى ابن الفارسي في افساد حاله واستمال جماعةً من اجناده ، فاجابوه، وكثر جمعه ، وخرج إلى قتال ابن الجارود . فقال ابن الجارود لرجل من أصحابه اسمه طالب : اذا تواقفنا فإنني سأدعو ابن الفارسي لأعاتبَهُ فاقصدْهُ أنت ـ وهو غافل ـ فاقتلْه فأجابه الى ذلك ، وتواقف العسكران ودعا ابن الجارود محمد بن الفارسي وكلَّمه، وحمل طالب عليه ـ وهو غافل ـ فقتله وانهزمَ اصحابه. وتوَجَّه يحيى بن موسى إلى هرثمة بطرابلس ، وأما العلاء بن سعيد ، فإنه لمّا علم الناسُ بقربِ هرثمة منهم كَثُرَ جمْعُهُ وأقبلوا إليه من كل ناحية وسار إلى ابن الجارود . فعلم ابن الجارود أنه لا قوةَ له به ؛ فكتب إلى يحيى بن موسى يستدعيه ليسلِّم إليه القيروان ؛ فسار إليه في جند طرابلس في المحرم سنة تسع وسبعين ومائة .

فلما وصلَ قابساً تلقّاه عامةُ الجندِ وخرجَ ابن الجارود من القيروان مستهلّ صَفَرٍ؛ وكانت ولايته سبعة أشهر ، وأقبل العلاء بن سعيد ، ويحيى بن موسى يستبقان إلى القيروان ، كلٌّ منهما يريد أن يكون الذكر له فسبقه العلاء ، ودخلها وقَتَلَ جماعةً من

أصحاب ابن الجارود وسارَ إلى هرثمة ، وسار ابن الجارود أيضاً إلى هرثمة فسيَّره هرثمة إلى الرّشيد ، وكتب إليه يعلمه أن العلاء كان سبب خروجه .

فكتب الرشيد يأمره بارسال العلاء إليه ، فسيَّره فلما وصل لَقِيَهُ صلةٌ كثيرة من الرشيد، وخُلِعَ فلم يلبث بمصر إلا قليلاً حتى توفي ، وأما ابن الجارود فإنه اعتقلَ ببغداد .

وسار هرثمة إلى القيروان فقَدمَها في ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة فأمن الناس، وسكنهم وبنى القصر الكبير بالمنستير سنة ثمانين ومائة ، وبنى سور مدينة طرابلس مما يلي البحر .

وكان ابراهيم بن الأغلب بولاية الزاب فأكثر الهدية إلى هرثمة ولاطفه ، فولّاه هرثمة ناحيةً من الزاب ، فحسَّن أثره فيها ، ثم إنَّ عيّاض بن وهب الهواري ، وكليب بن جميع الكلبي جَمَعا جموعاً وأرادا قتال هرثمة ، فسيَّر إليهما يحيى بن موسى في جيش كثير ففرَّق جموعهما وقَتَلَ كثيراً من أصحابهما وعاد إلى القيروان .

ولما رأى هرثمة ما بأفريقية من الاختلاف ، واصل كتبه إلى الرشيد يستعفي ، فأمره بالقدوم عليه إلى العراق، فسار عن أفريقية في رمضان سنة احدى وثمانين ومائة فكانت ولايته سنتين ونصفاً .

ذكر الفتنة بالموصل

وفيها خالف العطاف بن سفيان الأزدي على الرشيد ـ وكان من فرسانِ أهلِ الموصلِ ـ واجتمع عليه أربعة آلاف رجل وجبى الخراج ؛ وكان عامل الرشيد على الموصل محمد بن العباس الهاشمي ، وقيل : عبد الملك بن صالح ، والعطاف غالب على الأمر كله وهو يجبي الخراج ، وأقام على هذا سنتين حتى خرج الرشيد إلى الموصل فهدم سورها بسببه .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة عَزَلَ الرشيد جعفر بن يحيى عن مصر ، واستعمل عليها إسحاق بن سليمان ، وعَزَلَ حمزة بن مالك عن خراسان ، واستعمل عليها الفضل بن

يحيى البرمكي مضافاً إلى ما كان إليه من الأعمال وهي الري ، وسجستان ، وغيرهما ، وفيها غزا الصائفة عبد الرزاق بن عبد الحميد التغلبي ، وفيها في المحرم هاجت ريح شديدة وظلمة ثم عادت مرة ثانية في صفر ، وحجَّ بالناس الرشيد ؛ وفيها توفي عبد الواحد بن زيد ، وقيل : سنة ثمان وسبعين ، وفيها توفي شريك بن عبد الله النخعي وجعفر بن سليمان .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائة

ذكر الفتنة بمصر

في هذه السنة وثبت الحوفية بمصر على عاملهم اسحاق بن سليمان ، وقاتلوه ، وأمدَّة الرشيد بهرثمة بن أعين ـ وكان عامل فلسطين ، فقاتلوا الحوفية ! وهم من قيس ، وقضاعة ـ فأذعنوا بالطاعة وأدّوا ما عليهم للسلطان .

فعزل الرشيد إسحاق عن مصر واستعمل عليها هرثمة مقدار شهر ، ثم عزله واستعمل عليها عبد الملك بن صالح .

ذكر خروج الوليد بن طريف الخارجي

وفيها خرج الوليدُ بن طريف التغلبي بالجزيرة، ففتك بابراهيم بن خازم بن خزيمة بنصيبين ، ثم قَوِيَتْ شوكة الوليد ، فدخل إلى أرمينية وحَصَرَ خلاط عشرين يوماً فافتدوا منه أنفسهم بثلاثين ألفاً ـ ثم سار إلى أذربيجان ثم إلى حلوان ، وأرض السواد ، ثم عبر إلى غرب دجلة ، وقصد مدينة بلد ، فافتدوا منه بمائة ألف ، وعاث في أرض الجزيرة ، فسيَّر إليه الرشيدُ يزيدَ بنَ مزيدٍ بن زائدة الشيباني ـ وهو ابنُ أخي معن بن زائدة ـ فقال الوليد :

ستعلم يا يزيد إذا التقينا بشط الزاب أي فتى يكون

فجعل يزيد يخاتِلُه ويماكِرُه ، وكانت البرامكةُ منحرفةً عن يزيد ، فقالوا للرشيد : إنما يتجافى يزيد عن الوليد للرحم ، لأنهما كلاهما من وائل ، وهوَّنوا أمر الوليد ؛ فكتب إليه الرشيد كتابَ مغضبٍ وقال له : لو وجَّهْتُ أحدَ الخدمِ لقام بأكثرِ ممّا تقوم به ، ولكنك مداهنٌ متعصبٌ، وأقسم بالله إن أخَّرْتَ مناجزتَهُ لأوجهنَّ إليك مَنْ يحملُ رأسَكَ ؛ فلَقِيَ الوليد عشية خميس في شهر رمضان سنة تسع وسبعين فيقال : جهد

عطشاً حتى رمى بخاتمه في فيه ، وجعل يلوكُهُ ويقول : اللهم إنها شدةٌ شديدةٌ فاسْتُرْها . وقال لأصحابه : فداكم أبي وأمّي إنما هي الخوارج ولهم حملة فاثبتوا، فإذا انقضت حملتهم ، فاحملوا عليهم فإنهم إذا انهزموا لم يرجعوا؛ فكان كما قال ، حملوا عليهم حملةً ، فثَبَتَ يزيدُ ومن معه من عشيرته ، ثم حمل عليهم فانكشفوا ، فيقال : إن أسد بن يزيدِ كان شبيهاً بأبيه جداً لا يفصل بينهما إلاّ ضربةٌ في وجه يزيد تأخذُ من قِصَاصِ شعرِهِ منحرفةً على جبهته ، فكان أسدٌ يتمنى مثلها ، فهوت إليه ضربة ، فأخرجَ وجهَهُ من الترس ، فأصابته في ذلك الموضع فيقال : لو خطت على ضربة أبيه ما عدا . واتبع يزيدُ الوليدَ بنَ طريف ، فلحقه ، فأخذ رأسَهُ فقال بعض الشعراء :

وائلُ بعضهم يقتلُ بعضاً ... لا يفلُّ الحديدُ إلا الحديدُ

فلما قُتِلَ الوليدُ صبَّحتهم أخته ليلى بنت طريف(١) مستعدة عليها الدرع ، فجعلت تحمل على الناس فعرفت فقال يزيد : دعوها ، ثم خرج إليها فضرب بالرمح قطاة فرسها ثم قال : اعزبي عزب الله عليك فقد فضحْتِ العشيرة فاستحيت وانصرفتْ وهي تقول ترثي الوليد :

بتل تباثا رسمُ قبرٍ كأنه ... على علمٍ فوق الجبال منيف
تضمنَ جوداً حاتمياً ونائلاً ... وسورةَ مقدامٍ وقلبَ حصيفِ
ألاَ قاتَلَ الله الجثي كيف أضمرْتَ ... فتىً كان بالمعروفِ غير عفيفِ
فإن يَكُ أراده يزيدُ بن مزيد ... فيا رُبَّ خيْلٍ فضَّها وصفوفِ
ألا يا لقَوْمي للنوائبِ والردى ... ودهرٌ ملحٌ بالكرامِ عنيفِ
وللبدر من بين الكواكبِ قد هوى ... وللشمس همتْ بعدَه بكسوفِ
فيا شجرَ الخابور مالَكَ مُورِقاً ... كأنكَ لم تجزَعْ على ابنِ طريفِ
فتى لا يحبُ الزاد إلاّ مِنَ التُّقى ... ولا المالَ إلاّ من قنا وسيوفِ
ولا الخيل إلا كلَّ جرداءَ شطبةٍ ... وكلَّ حصانٍ باليدين عروفِ
فلا تجزعا يا آبني طريف فإنني ... أرى الموت نزالاً بكل شريفِ
فقدْناك فِقْدَان الربيع فليتنا ... فدَيْناك من دَهمائنا بألوفِ

---

(١) في ابن خلكان « أخته الفارعة وقيل فاطمة » .

وقال مُسْلم بن الوليد في قتل الوليد ورفق يزيد في قتاله من قصيدة هذه الأبيات :

يفترُّ عند افترار الحرب مبتسماً إذا تغيرَ وجهُ الفارسِ البطل
موفٍ على مُهج في يوم ذي رهج كأنه أجَلٌ يسعى إلى أمل
ينال بالرفقِ ما تعي الرجال به كالموت مستعجلاً يأتي على مهل

وهي حسنة جداً .

ذكر غزو الفرنج والجلالقة بالاندلس

فيها سيَّر هشام صاحب الاندلس عسكراً مع عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث إلى بلاد الفرنج فغزا البة والقلاع ، فغنم ، وسلم ، وسيَّر أيضاً جيشاً آخر مع أخيه عبد الملك بن عبد الواحد إلى بلاد الجلالقة ، فخرَّب دار ملكهم اذفونش ، وكنائسه ، وغنم ، فلما قفل المسلمون ضلَّ الدليل بهم فنالهم مشقة شديدة ومات منهم بشر كثير ونفقت دوابهم وتلفت آلاتهم ثم سلموا وعادوا .

ذكر فتنة تاكرتا

وفيها هاجت فتنة تاكرتا[١] بالأندلس وخلع بربرُها الطاعة وأظهروا الفساد وأغاروا على البلاد وقطعوا الطريق . فسيَّر هشام إليهم جنداً كثيفاً عليهم عبد القادر بن أبان بن عبدالله مولى معاوية بن أبي سفيان فقصدوها وتابعوا قتال مَنْ فيها إلى أن أبادوهم قتلاً وسبياً ، وفر من بقي منهم فدخل في سائر القبائل وبقيت كورة تاكرتا وجبالها خالية من الناس سبع سنين .

ذكر عدة حوادث

وفيها غزا الصائفة معاوية بن زفر بن عاصم ؛ وغزا الشاتية سليمان بن راشد ومعه البند[٢] بطريق صقلية ، وحجَّ بالنّاس هذه السّنة محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي ، وفيها فوَّضَ الرشيدُ أمورَ دولتِهِ كلها إلى يحيى بن خالد البرمكي . وفيها وصل

---

(١) تاكرتا : في معجم البلدان ٢/٦ : تاكرني : كورة كبيرة بالأندلس ذات جبال حصينة .
(٢) في الطبري « ومعه اليد » .

الفضل بن يحيى إلى خراسان ، وغزا ما وراء النهر من بخارى ، فحضر عنده صاحب أشروسنة[١] وكان ممتنعاً وبنى الفضل بخراسان المساجد والرباطات ، وفيها توفّي عبد الوارث بن سعيد ، والمفضل بن يونس ، وجعفر بن سليمان الضبعي .

(١) وسماه ابن جرير الطبري « خاراخرة » .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائة

ذكر غزو الفرنج بالاندلس

فيها سيَّر هشام صاحب الاندلس جيشاً كثيفاً ، عليهم عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث إلى جليقية ، فساروا حتى انتهوا إلى استرقة ؛ وكان اذفونش ملكُ الجلالقةِ قد جمع وحشد، وأمدَّه ملك البشكنس وهم جيرانه ومن يليهم من المجوس وأهل تلك النواحي ، فصار في جمع عظيم ، فأقدم عليه عبد الملك ، فرجع أذفونش هيبة له وتبعهم عبد الملك يقفو أثرهم ويهلكُ كلَّ مَنْ تخلَّف منهم ، فدوخ بلادهم ، وأوغل فيها ، وأقام فيها يغنمَ ، ويقتل ، ويخرِّب وهَتَكَ حريمَ اذفونش ورجع سالماً .

وكان قد سيَّر هشام جيشاً آخر من ناحية أخرى فدخلوا أيضاً على ميعاد من عبد الملك فأخربوا، ونهبوا وغنموا ؛ فلما أرادوا الخروج من بلاد العدو اعترضهم عسكر للفرنج فنال منهم ، وقتلَ نفراً من المسلمين ثم تخلصوا، وسلموا وعادوا سالمين سوى مَنْ قُتِلَ منهم .

ذكر عدة حوادث

فيها عاد الفضلُ بن يحيى من خراسان ، فاستعملَ الرشيدُ منصورَ بن يزيدَ بن منصور الحميري خال المهدي؛ واعتمر الرشيد في شهر رمضان شكراً لله تعالى على قتل الوليد بن طريف ، وعاد إلى المدينة، فأقام بها إلى وقت الحجّ ؛ وحجَّ بالناس ومشى من مكة إلى منى، ثم إلى عرفات وشهد المشاهد والمشاعر كلها ماشياً ورجع على طريق البصرة ، وفيها خرج بخراسان حمزة بن اترك السجستاني ؛ وفيها تـوفي حماد بن يزيد بن درهم الازدي مولاهم أبو اسماعيل[1] ، ومالك بن أنس الأصبحي

(١) هو أحد الحمادين صاحبي المذهبين المشهورين واحد العلماء حفاظ الحديث المجودين : قال =

الإمام أستاذ الشافعي[١] .

وفيها توفي مسلم بن خالد الزنجي أبو عبد الله الفقيه المكّي ، وصحِبَهُ الشافعي قبل مالك وأخذ عنه الفِقْهَ ؛ وإنما قيل له الزنجي لأنـه كان أبيض مُشـرَّباً بحمـرةٍ ، وعباد بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة المهلبي البصري، وأبو الأحوص سلاَّم بن سليم الحنفي (سلاَّم) بتشديد اللام .

= عبد الرحمن بن مهدي : أئمة النـاس اربعة : الثـوري بالكـوفة ، ومـالك بـالحجاز ، وحمـاد بن زيد بالبصرة ، والأوزاعي بالشام ، وكان من أهل الورع والدين وكان ضريراً طرأ عليه العمى .

(١) الإمام مالك امام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المدونة المتبعة ، ومناقبه وأحواله كثيرة جداً افردت في رسائل .

ثم دخلت سنة ثمانين ومائة

ذكر وفاة هشام

فيها مات هشام بنُ عبدِ الرحمنِ بنُ معاوية بنُ هشام بنُ عبد الملك بنُ مروان صاحبُ الأندلس في صفر. وكانت إمارته سبع سنين وسبعة أشهر وثمانية أيام ، وقيل : تسعة أشهر ، وقيل : عشرة أشهر ، وكان عمره تسعاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر ، وكنيته أبو الوليد ، وكانت أمه أم ولد ، وكان أبيضَ أشهل مشرّباً بحمرة، بعينيه حولٌ وخلَّف خمسة بنين ، وكان عاملاً ، حازماً ، ذا رأي ، وشجاعة وعدلٍ خيِّراً ، محباً لأهل الخير والصلاح ، شديداً على الأعداء ، راغباً في الجهاد .

ومن أحسن عمله أنه أخرج مصدقاً يأخذ الصدقة على كتاب الله وسنة نبيه أيام ولايته ، وهو الذي تمَّم بناء الجامع بمدينة قرطبة ؛ وكان أبوه قد مات قبل فراغه منه وبنى عدة مساجد معه، وبلغ من عزِّ الاسلام في أيامه وذلِّ الكفر أن رجلاً مات في أيامه ، وكان وصّى أن يفكّ أسير من المسلمين من تركته فطلب ذلك فلم يوجد في دار الكفار أسير يشترى ويفك ، لضعف العدو وقوة المسلمين .

ومناقبه كثيرة قد ذكرها أهل الاندلس كثيراً وبالغوا حتى قالوا : كان يشبه في سيرته بعمر بن عبد العزيز رحمه الله .

ذكر ولاية ابنه الحكم ولقبه المنتصر

ولمّا مات استخلف بعده ابنه الحكم ، وكان الحكم صارماً حازماً ، وهو أوّل من استكثرَ من المماليك بالأندلس ، وارتبط الخيلُ ببابه وتشبَّهَ بالجبابرة، وكان يباشر الأمور بنفسه ، وكان فصيحاً شاعراً .

ولما ولِيَ خرجَ عليه عماه سليمان ، وعبد الله وكانا في برّ العدوة الغربية ، فعبر

عبد الله البلنسي إلى الأندلس ، فتولى بلنسية، وتبعه أخوه سليمان ـ وكان بطنجة ـ وأقبلا يؤلبان الناس على الحَكَم ، ويثيران الفتنة ، فتحاربوا مدة ، والظفر للحكم ، ثم إنّ الحكم ظَفِرَ بعمِّهِ سليمان ، فقَتَلَهُ سنة أربع وثمانين ومائة، وأما عبدالله فأقام ببلنسية وقد كفَّ عن الفتنة وخاف ، فراسل الحكم في الصلح ، فأجابه إلى ذلك فوقِّع الصلح بينهما سنة ست وثمانين وزوَّج أولاد عبدالله بإخوته وسكنت الفتنة .

ولمّا اشتغل الحكم بالفتنة مع عميه، اغتنم الفرنج الفرصة فقصدوا بلاد الإسلام، وأخذوا مدينة برشلونـة ، واتخذوهـا داراً، ونقلوا أصحابهم إليهـا وتأخـرت عساكـر المسلمين عنها ، وكان أخذها سنة خمس وثمانين ومائة .

ذكر غزو الفرنج بالأندلس

في هذه السنة سيَّر الحكمُ صاحبُ الاندلس جيشاً مع عبد الكريم بن مغيث إلى بلاد الفرنج ، فدخل البلاد وبثّ السرايا ينهبون ، ويقتلون ، ويحرقون البلاد، وسيّر سرية ، فجازوا خليجاً من البحر كان الماء قد جزر عنه ؛ وكان الفرنج قد جعلوا أموالهم وأهليهم وراء ذلك الخليج ، ظناً منهم أن أحداً لا يقدر أن يعبرَ إليهم ، فجاءهم ما لم يكن في حسابهم ، فغنم المسلمون جميع مالهم ، وأسروا الرجال ، وقتلوا منهم فأكثروا وسبوا الحريم ، وعادوا سالمين إلى عبد الكريم ؛ وسيَّر طائفةً أخرى فخرّبوا كثيراً من بلاد فرنسية، وغَنِمَ أموال أهلها ، وأسروا الرجال ، فأخبره بعض الأسرى أن جماعة من ملوك الفرنج قد سبقوا المسلمين إلى واد وعر المسلك على طريقهم ، فجمع عبد الكريم عساكره وسار على تعبية وجد السير ، فلم يشعر الكفَّار إلاَّ وقد خالطهم المسلمون ، فوضعوا السيف فيهم ، فانهزموا ، وغنم ما معهم ، وعاد سالماً هو ومَنْ معه .

ذكر ولاية علي بن عيسى خراسان

وفيها عَزَلَ الرشيدُ منصورَ بن يَزيدَ عن خراسان واستعملَ عليها علي بن عيسى بن ماهان، فوليها عشر سنين، وفي ولايته خرج حمزة بن أترك الخارجي أيضاً، فجاء إلى بوشنج ، فخرج إليه عمرويه بن يزيد الأزدي ـ وكان على هراة ـ في ستة آلاف فقاتله ، فهزمه حمزة ، وقتَلَ من أصحابه جماعةً ومات عمرويه في الزحام؛ فوجّه إليه

علي بن عيسى ابنه الحسين في عشرة آلاف ، فلم يحارب حمزة ، فعزله وسيَّر عوضه ابنه عيسى بن عليّ ، فقاتل حمزة فهزَمَهُ حمزة ، فردَّه أبوه إليه أيضاً فقاتله بباخرز ؛ وكان حمزة بنيسابور ـ فانهزم حمزة وقُتِلَ أصحابه ، وبقيَ في أربعين رجلاً فقصد قهستان .

وأرسل عيسى أصحابه إلى اوق ، وجوين فَقَتلوا منْ بها من الخوارج ، وقصد القرى التي كان أهلها يعينون حمزة فأحرقها، وقَتَلَ مَنْ فيها حتى وصل إلى زرنج ، فقَتَلَ ثلاثين ألفاً ، ورجع وخلف بزرنج عبد الله بن العباس النفسي ، فجبى الأموال، وسار بها فَلَقِيَهُ حمزة بأسفزار[1] ، فقاتله ، فصبر له عبد الله ومن معه من الصغد ، فانهزم حمزة ، وقُتِل كثيرٌ من أصحابه ، وجُرِحَ في وجهه ، واختفى هو ومَنْ سلم من أصحابه في الكروم ؛ ثم خرجَ وسار في القرى يقتل ولا يبقي على احد ، وكان علي بن عيسى قد استعمل طاهر بن الحسين على بوشنج فسار إليه حمزة وانتهى إلى مكتب فيه ثلاثون غلاماً فقتلهم ، وقتلَ معلمهم ، وبلغ طاهراً الخبر فأتى قرية فيها قَعَد الخوارجُ وهم الذين لا يقاتلون ، ولا ديوان لهم ، فقتلهم طاهر وأخذ أموالهم ، وكان يشدُّ الرَّجُلَ منهم في شجرتين ، يجمعهما ، ثم يرسلهما ، فتأخذ كل شجرة نصفه ، فكتب القعد إلى حمزة بالكف ، فكفَّ وواعدهم وأمِنَ الناس مدةً ، وكانت بينه وبين اصحاب علي بن عيسى حروبٌ كثيرةٌ .

ذكر عدة حوادث

وفيها سار جعفر بن يحيى بن خالد إلى الشام للعصبية التي بها ، ومعه القوّاد، والعساكر ، والسلاح، والاموال ، فسكَّن الفتنة ، وأطفأ النائرة ، وعاد الناس إلى الأمن والسكون . وفيها أخذ الرشيد الخاتمَ من جعفر ، فدفعه إلى أبيه يحيى بن خالد . وفيها ولّى جعفر خراسان ، وسجستان ، ثم عزله عنها بعد عشرين ليلة ، واستعمل عليها عيسى بن جعفر ، ووليَ جعفر بن يحيى الحرس ؛ وفيها هدم الرشيد سور الموصل بسبب العطاف بن سفيان الأزدي ؛ سار إليها بنفسه، وهدم سورها ، واقسم ليقتلنَّ من لقيَ من أهلها ، فأفتاه القاضي أبو يوسف ومنعَه من ذلك .

---

(١) أسفزار : بفتح الهمزة وسكون السين ، والفاء تضم وتكسر وزاي وألف وراء : مدينة من نواحي سجستان من جهة هراة .

وكان العطاف قد سار عنها نحو أرمينية ، فلم يظفر به الرشيد ومضى إلى الرقة فاتخذها وطناً . وفيها عزلَ هرثمة بنَ أعينٍ عن افريقية ، واستقدمه إلى بغداد واستخلفه جعفر بن يحيى على الحرس ، وفيها كانت بمصر زلزلة عظيمة سقط منها رأس منارة الاسكندرية. وفيها خرج خراشة الشيباني بالجزيرة ، فقتله مسلم بن بكار العقيلي . وفيها خرجت المحمرة بجرجان[١] .

وفيها عزل الفضل بن يحيى عن طبرستان ، والرويان ووَلَيها عبد الله بن خازم ، ووليَ سعيدُ بنُ سلم الجزيرة ؛ وغزا الصائفة محمد بن معاوية بن زفرة بن عاصم ، وفيها سار الرشيد إلى الحيرة[٢] وابتنى بها المنازل ، فاقطع أصحابه القطائع ، فثار بهم أهل الكوفة ، وأساؤوا مجاورته فعاد إلى بغداد .

وحجَّ بالناس هذه السنة موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي ؛ وفيها استعمل الرشيد على الموصل يحيى بن سعيد الحرشي ، فأساء السيرة في أهلها، وظلمهم وطالبهم بخراج سنين مضت، فجلا أكثر أهل البلد .

وفي هذه السنة توفِّيَ المبارك بن سعيد الثوري أخو سفيان[٣] ، وسلمة الأحمر ، وسعيد بن خيثم ، وأبو عبيدة عبد الوارث بن سعيد ، وعبد العزيز بن أبي حازم ، وتوفّي وهو ساجد ـ وأبو ضمرة أنس بن عياض الليثي المدني ، وفيها أمر الرشيد ببناء مدينة عين زربة وحصَّنها، وسيَّر إليها جنداً من أهل خراسان وغيْرِهم فاقطعهم بها المنازل .

---

(١) لأنهم كانوا يلبسون الحمرة واتبعوا رجلاً يقال له : عمرو بن محمد العمركي وكان ينسب الى الزيدية فبعث الرشيد يأمر بقتله فقتل بمرو واطفأ الله نارهم .

(٢) في الطبري « الى البصرة » .

(٣) ولد بالكوفة وسكن ببغداد ، وكان ثقة ديناً .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ومائة

ذكر ولاية محمد بن مقاتل افريقية

وفي هذه السنة استعمل الرشيد على أفريقية محمد بن مقاتل بن حكيم العكي ، لمّا استعفى منها هرثمة بن أعين على ما ذكرناه سنة سبع وسبعين ومائة ؛ وكان محمد هذا رضيعَ الرشيد، فقَدِمَ القيروان أول رمضان، فتسلمها وعاد هرثمة إلى الرشيد؛ فلما استقرَّ فيها لم يكن بالمحمود السيرةِ، فاختلف الجند عليه، واتفقوا على تقديم مخلد بن مرة الأزدي ، واجتمع كثير من الجند ، والبربر ، وغيرهم . فسيَّر إليه محمد بن مقاتل جيشاً فقاتلوه ، فانهزم مخلد واختفى في مسجد فأُخِذَ وذُبِحَ . وخرج عليه بتونس تمام بن تميم التميمي في جمع كثيرٍ ، وساروا إلى القيروان في رمضان سنة ثلاث وثمانين وخرج إليه محمد بن مقاتل العكي في الذين معه فاقتتلوا بمنية الخيل ؛ فانهزمَ ابن العكي إلى القيروان ، وسار تمام ، فدخل القيروان، وأَمَّنَ ابن العكي على أن يخرج عن أفريقية، فسار في رمضان إلى طرابلس، فجمع ابراهيم بن الأغلب التميمي جمعاً كثيراً ، وسار إلى القيروان منكراً لما فَعَلَهُ تمام ، فلمّا قاربها سار عنها إلى تونس، ودخل ابراهيم القيروان ، وكتب إلى محمد بن مقاتل يعلمه الخبر ، ويستدعيه إلى عمله، فعاد إلى القيروان ، فثقل ذلك على أهل البلد ، وبلغ الخبر إلى تمام فجمع جمعاً وسار إلى القيروان ظناً منه أنّ الناسَ يكرهون محمداً ويساعدونه عليه ، فلمّا وصل ، قال ابن الأغلب لمحمد : إن تماماً انهزم منّي وأنا في قلة ، فلما وصلْتُ إلى البلاد تجدّد له طمع لعلمِهِ أنّ الجندَ يخذلونك ، والرأي أن أسيرَ أنا ومن معي من أصحابي فنقاتله ، ففعل ذلك ، وسار إليه فقاتله ، فانهزم تمام وقُتِلَ جماعة من أصحابه ولحق بمدينة تونس ، فسار ابراهيم بن الأغلب إليه ليحصره فطلب منه الأمان فأمنه

ذكر ولاية ابراهيم بن الأغلب إفريقية

لمَّا استقرّ الأمرُ لمحمد بن مقاتل ببلاد إفريقية، وأطاعهُ تمام ، كره أهل البلاد ذلك ، وحملوا إبراهيم بن الأغلب على أن كتب إلى الرشيد ، يطلب منه ولاية افريقية ؛ فكتب إليه في ذلك ، وكان على ديار مصر كل سنة مائة ألف دينار تحملُ إلى إفريقية معونة ، فنزل ابراهيم عن ذلك وبذل أن يحمل كل سنة أربعين ألف دينار ، فأحضر الرشيد ثُقَاتَهُ واستشارهم فيمن يوليه إفريقية، وذكر لهم كراهة أهلها ، وولاية محمد بن مقاتل . فأشار هرثمة بابراهيم بن الأغلب وذكر له ما رآه من عقله، ودينه ، وكفايته، وأنه قام بحفظ إفريقية على ابن مقاتل ، فولّاه الرشيد في المحرم سنة أربع وثمانين ومائة فانقمع الشرُّ وضبطَ الأمر ؛ وسيَّر تماماً، وكل من يتوثب على الولاة إلى الرشيد، فسكنت البلاد ، وابتنى مدينة سماها العباسية بقرب القيروان ، وانتقل إليها بأهله وعبيده.

وخرج عليه سنة ست وثمانين ومائة رجل من أبناء العرب، بمدينة تونس اسمه حمديس فنزع السواد ، وكثر جمعه ؛ فبعث إليه ابن الأغلب عمران بن مخلد في عساكر كثيرة ، وأمره أن لا يُبْقي على أحد منهم ، ان ظفر بهم فسار عمران ، والتقوا ، واقتتلوا، وصار أصحاب حمديس يقولون : بغداذ بغداذ ؛ وصبر الفريقان فانهزم حمديس ومَنْ معه وأخذهم السيف، فقُتِلَ منهم عشرة آلاف رجل ودخل عمران تونس ، ثم بلغ ابن الأغلب أن إدريس بن إدريس العلوي قد كثر جمعه بأقاصي المغرب ، فأراد قصده فنهاه أصحابه ، وقالوا : اتركه ما تركك ، فاعمل الحيلة وكاتب القيمَ بأمره من المغاربة ، واسمه بهلول بن عبد الواحد وأهدى إليه ، ولم يزل به حتى فارق إدريس، وأطاع ابراهيم ، وتفرَّق جمعُ إدريس فكتب إلى ابراهيم يستعطفه ، ويسأله الكف عن ناحيته ، ويذكر له قرابته من رسول الله ﷺ فكفَّ عنه .

ثم إنّ عمران بن مخلد المقدم ذكره ـ وكان من بطانة ابراهيم بن الأغلب وينزل معه في قصره ، ركب يوماً مع ابراهيم وجعل يحدثه فلم يفهم من حديثه شيئاً لاشتغال قلبه بمهم كان له ، فاستعاد الحديث من عمران فغضب، وفارق ابراهيم ، وجمع جمعاً كثيراً ، وثار عليه .

فنزل بين القيروان والعباسية وصارت القيروان وأكثر بلاد إفريقية معه ، فخندق

إبراهيم على العباسية ، وامتنع فيها . ودامت الحرب بينهما سنة كاملة ، فسمع الرشيد الخبر فانفذ إلى ابراهيم خزانة مال ، فلمّا صارت إليه الأموال أمر منادياً ينادي : من كان من جند أمير المؤمنين فليحضر لأخذ العطاء ، ففارق عمران أصحابه وتفرقوا عنه فوثب عليهم أصحاب إبراهيم فانهزموا ، فنادى ابراهيم بالأمان والحضور لقبض العطاء فحضروا فأعطاهم وقلع أبواب القيروان ، وهدم في سورها .

وأما عمران فسار حتى لحق بالزاب فأقام به حتى مات ابراهيم ووليَ ابنه عبد الله ، فأمن عمران ، فحضر عنده ، وأسكنه معه ، فقيل لعبد الله : إنَّ هذا ثأرٌ بأبيك ولا نأمنه عليك فقتله ، ولما انهزم عمران سكن الشرُّ بافريقية ، وأمن الناس ، فبقي كذلك إلى أن توفي إبراهيم في شوال سنة ست وتسعين ومائة ، وعمره ست وخمسون سنة ؛ وامارته اثنتا عشرة سنة وأربعة أشهر وعشرة أيام .

ذكر ولاية عبد اللهبن ابراهيم بن الأغلب إفريقية

ولمّا توفّي ابراهيم بن الأغلب وليَ بعده ابنه عبد الله ؛ وكان عبد الله غائباً بطرابلس قد حصره البربر على ما نذكره سنة ست وتسعين ومائة ؛ فعهد إليه أبوه بالامارة، وأمر ابنه زيادة اللهبن ابراهيم أن يبايع لأخيه عبد الله بالامارة ، فكتب إلى أخيه بموت أبيه وبالامارة ، ففارق طرابلس ووصل إلى القيروان فاستقامت الامور . ولم يكن في أيامه شرٌّ ولا حربٌ وسكن الناس، فعمرت البلاد ، وتوفّي في ذي الحجة سنة إحدى ومائتين .

ذكر من خالف بالاندلس على صاحبها

وفي هذه السنة خالف بهلول بن مرزوق ، المعروف بأبي الحجاج في ناحية الثغر من بلاد الاندلس ، ودخل سرقسطة ومَلِكها؛ فقدم على بهلول فيها عبد الله بن عبد الرحمن ، عمُّ صاحبها الحكم ويعرف بالبلنسي ، وكان متوجهاً إلى الفرنج ، وخالف فيها عبيدة بن حميد بطليطلة ، وأمر الحكم القائد عمروس بن يوسف وهو بمدينة طلبيرة[١] أن يحارب أهل طليطلة ، فكان يكثر قتالهم وضيَّقَ عليهم، ثمّ إن عمروس بن

---

(١) هو بفتح أوله وثانيه وكسر الباء الموحدة ثم ياء مثناة من تحت ساكنة وراء مهملة مدينة بالأندلس من أعمال طليطلة .

يوسف كاتبَ رجالاً من أهل طليطلة، يعرفون ببني مخشي ، واستمالهم ، فوثبوا على عبيدة بن حميد وقتلوه وحملوا رأسه إلى عمروس ، فسُيِّرَ الرأس إلى الحكم ، وأنزل بني مخشي عنده ، وكان بينهم وبين البربر الذين بمدينة طلبيرة ذحول ، فتسور البربر عليهم فقتلوهم . فسيَّر عمروس رؤوسهم مع رأس عبيدة إلى الحكم ، وأخبره الخبر[١] من باب آخر ، فمن دخل منهم عدل به إلى موضع آخر فقتلوه حتى قُتِلَ منهم سبعمائة رجل ، فاستقامت تلك الناحية .

ذكر عدة حوادث

فيها غزا الرشيد أرضَ الروم ، فافتتحَ حصن الصفصاف . وفيها غزا عبدُ الملكِ بنُ صالح أرضَ الرومِ فبلغ انقرة ، وافتتح مطمورة . وفيها توفّي حمزة بن مالك[٢] ؛ وفيها غَلَبَتِ المحمرة على خراسان[٣] ؛ وفيها أحدث الرشيد في صدر كتبه الصلاة على رسول الله ﷺ وحجَّ بالناس الرشيد وفي هذه السنة كان الفداء بين الروم والمسلمين ، وهو أول فداء كان أيام بني العباس ؛ وكان القاسم بن الرشيد هو المتولي له وكان الملك فغفور ،فَفَرِحَ بذلك الناسُ ففُودِيَ بكلِ أسيرٍ في بلاد الروم ، وكان الفداءُ باللامس على جانب البحر بينه وبين طرسوس اثنا عشر فرسخاً؛ وحضر ثلاثون ألفاً من المرتزقة مع أبي سليمان، فخرج الخادم متولي طرسوس، وخلق كثيرٌ من أهل الثغور ، وغيرهم من العلماء ، والأعيان ، وكان عدة الأسرى ثلاثة آلاف وسبعمائة ، وقيل : أكثر من ذلك . وفيها توفي الحسن بن قحطبة ، وهو من قواد المنصور هو وأبوه ، وكان عمره أربعاً وثمانين سنة ، وعبد الله بن المبارك المروزي توفي في رمضان بهيت وعمره ثلاث وستون سنة[٤] وعلي بن حمزة أبو الحسن الأزدي المعروف

---

(١) قال الأستاذ الظاهر أنه كان هنا كلام قد سقط من أصل النسخة .

(٢) كان ولي امرة خراسان في أيام الرشيد .

(٣) في الطبري « على جرجان »

(٤) هو أبو عبد الرحمن عبدالله بن المبارك فريد الزمان وشيخ الاسلام جمع رضي الله عنه الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء والشعر.

بالكسائي المقري النحوي بالري ، وقيل : مات سنة ثلاث وثمانين، وفيها توفي مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة الشاعر وكان مولده سنة خمس ومائة[١].

وفيها توفّي أبو يوسف القاضي ـ واسمه يعقوب بن ابراهيم ، وهو أكبر أصحاب أبي حنيفة[٢] ؛ وفيها توفي يعقوب بن داود بن عمر بن طهمان مولى عبد اللهبن خازم السلمي؛ وكان يعقوب وزير المهدي، وهاشم بن البريد، ويزيد بن زريع[٣] وحفص بن ميسرة الصنعاني من صنعاء دمشق (البَرِيد) بفتح الباء الموحدة وكسر الراء وبالياء تحتها نقطتان .

---

(١) هو من أهل اليمامة قدم بغداد فمدح المهدي ، وهارون الرشيد ، وكان يتقرب الى الرشيد بهجاء العلويين ، وكان من الشعراء المجيدين والفحول المتقدمين وأجود ما قاله مروان قصيدته الغراء اللامية التي فضل بها على شعراء زمانه يمدح فيها معن بن زائدة الشيباني وأخذ عليها مالاً كثيراً .

(٢) هو أول من لقب قاضي القضاة ويقال له قاضي قضاة الدنيا وأول من ولاه القضاء الهادي بن المنصور ، وكان يحضر في مجلس حكمه العلماء على طبقاتهم حتى أن الإمام احمد بن حنبل كان شاباً وكان يحضر مجلسه في أثناء الناس فيتناظرون ويتباحثون وهو مع ذلك يحكم ويصنف أيضاً وكان أتبع أصحاب أبي حنيفة للحديث وأعلمهم .

(٣) هو شيخ الإمام احمد بن حنبل في الحديث كان ثقة عالماً عابداً ورعاً توفي ابوه وكان والي البصرة وترك من المال خمسمائة درهم فلم يأخذ منها يزيد درهماً واحداً . وكان يعمل الخوص بيده ويقتات منه هو وعياله .

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين ومائة

في هذه السنة بايع الرشيد لعبد الله المأمون بولاية العهد بعد الأمين ، وولّاه خراسان، وما يتّصل بها إلى همدان ، ولقّبه المأمون وسلّمه إلى جعفر بن يحيى ، وهذا من العجائب فإن الرشيد قد رأى ما صنع أبوه وجدُّه المنصور بعيسى بن موسى حتى خلع نفسه من ولاية العهد ، وما صنع أخوه الهادي ليخلع نفسه من العهد ، فلو لم يعاجله الموت لخلعه . ثم هو بعد ذلك يبايع للمأمون بعد الأمين ، وحبك الشيء يعمي ويصم ، وفيها حملت ابنة خاقان ملكِ الخزر إلى الفضل بن يحيى ، فماتت ببرذعة فرجع مَنْ معها إلى أبيها، فأخبروه أنها قتلت غيلةً، فتجهَّزَ إلى بلاد الاسلام .

وغزا الصائفة عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح ، فبلغ أفسوس[١] مدينة أصحاب الكهف ؛ وفيها سملت الروم عيني ملكهم قسطنطين بن أليون ، وأقرّوا أمه ريني ، وتلقب أغطسة .

وحجَّ بالناس موسى بن عيسى بن موسى ؛ وكان على الموصل هرثمة بن أعين ، وفيها جاز سليمان بن عبد الرحمن صاحب الأندلس إلى بلاد الأندلس من الشرق، وتعرَّض لحرب ابن أخيه الحكم بن هشام بن عبد الرحمن صاحب البلاد ، فسار إليه الحكم في جيوش كثيرة . وقد اجتمع الى سليمان كثيرٌ من أهل الشّقاق، ومَنْ يريدُ الفتنة ، فالتقيا ، واقتتلا، واشتدَّت الحربُ ، فانهزم سليمان واتبَعَهُ عسكرُ الحكم ، وعادت الحرب بينهم ثانية في ذي الحجة ، فانهزم فيها سليمان واعتصم بالوعر والجبال ، فعاد الحكم ، ثم عاد سليمان ، فجمع برابرَ وأقبل إلى جانب إسْتِجة ، فسار

---

(١) في الطبري «دفسوس» وما هنا موافق لما في المعجم .

إليهم الحكم ، فالتقوا ، واقتتلوا سنة ثلاث وثمانين ومائة ، واشتدَّ القتـال ، فانهـزم سليمان واحتمى بقرية ، فحصَرَهُ الحكم ، وعاد سليمان منهزماً إلى ناحية قـريش . وفيها كان بقرطبة سيْلٌ عظيم ، فغرق كثير من ربضها القبلي ، وخرب كثير منه ، وبلغ السيل شقندة ، وفي هذه السنة مات جعفر الطيالسي المحدّث ، وعمار بن محمد بن أخت سفيان الثوري ، وعبد العزيز بن محمد بن أبي عبيد الدراوردي مـولى جُهينة ، وكان أبوه من دارابجرد ، فاستثقلوا نسبته إليها ، فقالوا دراوردي . وفيها توفي دراج أبو السمـح ، واسمه عبـدالله بن السمح ، وقيـل : عبد الـرحمن بن السمح بن أسـامة التجيبي المصـري ، وكان مـولده سنـة خمس وعشرين ومـائـة ، وعفيف بن سـالم الموصلي .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائة

ذكر غزو الخزر بلاد الاسلام

وفيها خرج الخزر بسبب ابنة خاقان من باب الابواب ، فأوقعوا بالمسلمين وأهل الذمة ، وسبوا أكثر من مائة ألف رأس ، وانتهكوا أمراً عظيماً لم يُسْمَعْ بمثله في الأرض ، فوَلَّى الرشيد أرمينية يزيد بن مزيد مضافاً إلى أذربيجان وقوَّاه بالجند ، ووجهَّه إليهم ، وأنزل خزيمة بن خازم نصيبين ، رداً لأهل أرمينية ، وقيل : إن سبب خروجهم أن سعيد بن سلم قَتَلَ المنجم السلمي فدخل ابنه بلاد الخزر ، واستجاشهم على سعيد ، فخرجوا ودخلوا أرمينية من الثلمة ؛ فانهزم سعيد وأقاموا نحو سبعين يوماً فوجَّه الرشيد خزيمة بن خازم ، ويزيد بن مزيد فاصلحا ما أفسد سعيد وأخرجا الخزر وسدَّا الثلمة .

ذكر عدة حوادث

وفيها استقدم الرشيد علي بن عيسى من خراسان ثم ردَّه عليها من قبل ابنه المأمون ، وأمره بحرب أبي الخصيب ، وفيها خرج بنسا من خراسان أبو الخصيب وهيب بن عبد الله النسائي ؛ وحجَّ بالناس العباس بن الهادي ؛ وفيها مات موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[1] ببغداد في حَبْسِ الرشيد ، وكان سببُ حبسِهِ أنَّ الرشيد اعتمرَ في شهر رمضان من سنة تسع وسبعين ومائة ، فلما عاد إلى المدينة على ساكنها الصلاة والسلام ، دخل إلى قبر النبي ﷺ يزوره ومعه الناس ، فلما انتهى إلى القبر ، وقف فقال : السلام عليك يا رسول الله يا ابن عم ؛ إفتخاراً على مَنْ حوله ، فدنا موسى بن جعفر فقال : السلام عليك يا ابتِ

(١) وهو أحد الأئمة الاثني عشر المعصومين على اعتقاد الإمامية وكان إذا بلغه عن أحد أنه يؤذيه أرسل اليه بالذهب والتحف .

فتغيَّر وجه الرشيد وقال : هذا الفخر يا أبا الحسن جدّاً ، ثم أخذه معه إلى العراق، فحبسه عند السندي بن شاهك وتَوَلّى حبسه أخت السندي بن شاهك، وكانت تتدين .

فحكت عنه أنه كان إذا صلّى العتمة ، حمد الله ، ومجَّده ، ودعاه إلى أن يزولَ الليل ، ثم يقومُ فيصلّي حتى يصلي الصبح ، ثم يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ، ثم يقعد إلى ارتفاع الضّحى ، ثم يرقدُ يستيقظ قبل الزوال ثم يتوضأ ويصلّي حتى يصلّي العصر ثم يذكر الله حتى يصلي المغرب ، ثم يصلي المغرب ، ثم يصلي ما بين المغرب والعتمة، فكان هذا دأبه إلى أن مات ، وكانت إذا رأته قالت: خاب قومٌ تعرّضوا لهذا الرجل الصالح ، وكان يلقَّبُ الكاظم[1] لأنه كان يحسن إلى من يسيء إليه كان هذا عادته أبداً ؛ ولما كان محبوساً بعث إلى الرشيد رسالة أنه لن ينقضي عني يوم من البلاء إلا ينقضي عنك معه يوم من الرخاء حتى ينقضيا جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون . وفيها كانت بالأندلس فتنة وحرب بين قائد كبير يقال له: أبو عمران وبين بهلول بن مرزوق ـ وهو من أعيان الأندلس ، وكان عبد الله البلنسي مع أبي عمران ؛ فانهزم أصحاب بهْلول ، وقُتِلَ كثيرٌ منهم ، وفيها توفي يونس بن حبيب النحوي المشهور ؛ أخذ العلم عن أبي عمرو بن العلاء وغيره ، وكان عمره قد زاد على مائة سنة ؛ وفيها مات موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، ومحمد بن صبيح أبو العباس مولى بني عجل المذكر المعروف بابن السماك وهشيم بن بشير الواسطي ، توفي في شعبان وكان ثقةً إلاّ أنه كان يصحف ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة قاضي المدائن بها ، وكان عمره ثلاثاً وستين سنة ، ويوسف بن يعقوب بن عبد الله بن أبي سلمةالماجِشون.(صبيح) بفتح الصاد المهملة وكسر الباء الموحدة ، و (بشير) بفتح الباء الموحدة وكسر الشين المعجمة .

---

(١) هو في الطبقة الخامسة من الأدب بعد علي كرم الله وجهه اختلف اليه أبو عبيد أربعين سنة وأبو زيد عشر سنين وخلف الأحمر عشرين سنة كانت له حلقة بالبصرة ينتابها أهل العلم والأدب والفصحاء من الحاضرين والغرباء ، وله عدة تصانيف .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائة

وفيها ولّى الرشيد حماداً البربري اليمن ، ومكة ، وولّى داود بن يزيد بن حاتم المهلبي السند، ويحيى الحرشي الجبل ، ومهرويه الرازي طبرستان، وقام بأمر افريقية ابراهيم بن الأغلب فولّاه إياها الرشيد ؛ وفيها خرج أبو عمرو الشاري فوجّه إليه زهيراً القصاب فقتله بشهرزور ؛ وفيها طلب أبو الخصيب الأمان فأمنه علي بن عيسى بن ماهان .

وحجَّ بالناس ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي ؛ وكان على الموصل وأعمالها يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني، وفيها سار عبدالله بن عبدالرحمن البلنسي إلى مدينة أشقة من الأندلس فنزل بها مع أبي عمران ومع العرب ؛ فسار اليهم بهلول بن مرزوق وحاصرهم فيها ، فتفرق العرب عنهم، ودخل بهلول مدينة أشقة ، وسار عبد الله إلى مدينة بلنسية ، فأقام بها ؛ وفيها توفي المعافي بن عمران الموصلي الأزدي ، وقيل : سنة خمس وثمانين ؛ وفيها توفي عبد الله بن عبد العزيز بن عمر بن الخطاب الذي يقال له العابد ، وعبد السلام بن شعيب بن الحبحاب الأزدي ، وعبد الاعلى بن عبد الله الشامي المصري من بني شامة بن لؤي ، وعبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي أبو محمد.

ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائة

في هذه السنة قَتَلَ أهلُ طبرستان مهرويه الرازي وهو واليها ، فولّى الرشيدُ مكانه عبدَ الله بن سعيد الحرشي ؛ وفيها قَتَلَ عبد الرحمن الأنباري أبان بن قحطبة الخارجي بمرج القلعة ؛ وفيها عاث حمزة الخارجي بباذغيس من خراسان فَقَتَل عيسى بن علي بن عيسى من أصحابه عشرة آلاف، وبلغ عيسى كابل ، وزابلستان ، والقندهار ، وفيها غدر أبو الخصيب ثانية وغلب على أبيورد، وطوس، ونيسابور، وحصر مرو، ثم انهزم عنها وعاد إلى سرخس، وعاد أمره قوياً ، وفيها استأذن جعفر بن يحيى[1] في الحجّ والمجاورة فأذِنَ له فخرج في شعبان واعتمر في رمضان ، وأقام بجدة مرابطاً إلى أن حجَّ . وفيها جَمَعَ الحكم صاحب الأندلس عساكره وسار إلى عمّه سليمان بن عبد الرحمن وهو بناحية قريش، فقاتله فانهزَم سليمان، وقصد ماردة، فتبعه طائفة من عسكر الحكم ، فأسروه ، فلما حضر عند الحكم قتله وبعثَ برأسه إلى قرطبة .

وكتب إلى أولاد سليمان وهم بسرقسطة كتاب أمان ، واستدعاهم، فحضروا عنده بقرطبة، وفيها وقعت في المسجد الحرام صاعقة قتلت رجلين.

وحجَّ بالناس فيها منصور بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي ؛ وفيها مات عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس ولم يكن سقط له سن ؛ وقيل : كانت أسنانه قطعة واحدة من أسفل، وقطعة واحدة من فوق ـ وهو قعدد بني عبد مناف ـ لأنه كان في القرب الى عبد مناف بمنزلة يزيد بن معاوية ، وبين موتهما ما يزيد على مائة وعشرين سنة ، وفيها مَلِكَ الفرنج لعنهم الله مدينة برشلونة بالأندلس، وأخذوها من المسلمين ،

---

(١) في الطبري : « يحيى بن خالد » . وكذا في البداية والنهاية ١٠/١٩٣ طبعة دار الكتب العلمية ببيروت .

ونقلوا حماة ثغورهم إليها، وتأخر المسلمون إلى ورائهم؛ وكان سبب مُلْكهم اياها اشتغال الحكم صاحب الأندلس بمحاربة عمَّيْه عبد الله ، وسليمان على ما تقدم ، وفيها سار الرشيد من الرقة إلى بغداد على طريق الموصل ، وفيها مات يقطين بن موسى ببغداد . وفيها أيضاً توفي يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني[1] ـ وهو ابن أخي معن بن زائدة ـ بمدينة برذَعة ووليَ مكانه أسد بن يزيد ، وكان يزيد ممدحاً جواداً كريماً شجاعاً ، وأكثر الشعراء مراثيه ؛ ومن أحسن ما قيل في المراثي ما قاله أبو محمد التميمي يرثيه به فأثبته لجودته :

أحقّاً انه أودى يزيدُ ... تبيّنْ أيّها الناعي المشيدُ
أتدري مَن نعيتَ وكيف فاهت ... به شفتاك كان بها الصعيدُ
أحامي المجد والاسلام أودي ... فما للأرض ويحك لا تميدُ
تأملْ هل ترى الإسلامَ مالتْ ... دعائمه وهَلْ شابَ الوليدُ
وهل مالتْ سيوف بني نزارٍ ... وهل وُضِعَتْ عن الخيل اللبودُ
وهل تسقي البلاد عشارُ[2] مزنٍ ... بدرتها وهل يخضرُّ عودُ
أما هُدَّت لمصرعه نزارٌ ... بلى وتقوَّض المجدُ المَشيدُ
وحلّ ضريحَهُ إذ حلّ فيه ... طريفُ المجدِ والحسبُ التليدُ
أما والله ما تنفكُّ عيني ... عليكَ بدمعها أبداً تجودُ
فإن تجْمُد دموعُ لئيمِ قوم ... فليس لدمع ذي حسب جمودُ
أبعْدَ يزيدَ تختزنُ البواكي ... دموعاً أو يصان لها خدودُ
لِتبكِكَ قُبَّةُ الاسلامِ لما ... وهت أطنابها ووهي العمودُ
ويبكِك[3] شاعرٌ لم يبقِ دهرٌ ... له نَسَبا[4] وقد كسَدَ القصيدُ
فمنْ يدعو الإمام لكل خَطْبٍ ... ينوبُ وكل معْضِلةٍ تؤود
ومنْ يحمي الخميسَ إذا تعايا ... بحيلةٍ نفسهُ البطلُ النجيدُ
فإن يهلكْ يزيدُ فكلُّ حيٍّ ... فريسٌ للمنية أو طريدُ

---

(١) انظر وفيات الأعيان ٦/٣٢٧ ـ ٣٤٢ .

(٢) في وفيات الأعيان ٦/٣٣٨ : « ثقال » .

(٣) في وفيات الأعيان ٦/٣٣٨ : ويبكيك » .

(٤) في وفيات الأعيان ٦/٣٣٨ : « نشباً » .

ألـمْ تعـجـبْ لـه أنّ الـمـنـايـا ... فَـتَـكْـنَ بـه وهُـنَّ لـه جـنـودُ
قـصـدْنَ لـه وكُـنَّ يـحـذْنَ ... إذا مـا الحـربُ شبَّ لهـا وقـودُ
لـقـد عَـزَّى ربيـعـة أنَّ يـومـاً ... عـليهـا مـثـلُ يـومِـكَ لا يعودُ

وكان الرشيد إذا سمع هذه المرثية بكى وكان يستجيدها ، ويستحسنها ، وفيها توفي محمد بن ابراهيم الامام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ببغداد ؛ وعبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ، والمغيرة بن عبد الرحمن بن الحرث بن عياش المخزومي ـ ويعرف بالحزامي ، وكان مولده سنة أربع وعشرين ومائة ، وحجاج الصواف وهو ابن أبي عثمان ميسرة. (عيَّاش) بالشين المعجمة والياء المثناة من تحت (الحزامي) بالحاء المهملة والزاي .

ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائة

ذكر اتفاق الحكم صاحب الاندلس وعمه عبد الله

في هذه السنة اتفق الحَكَمُ بنُ هشام بن عبد الرحمن أمير الأندلس، وعمُّه عبدالله بن عبد الرحمن البلنسي، وسبب ذلك أن عبدالله لما سمع بقتل أخيه سليمان عظم عليه، وخاف على نفسه، ولزم بلنسية ولم يفارقها، ولم يتحرك لإثارة فتنة، وأرسل إلى الحكم يطلب المسالمة والدخول في طاعته، وقيل: بل الحكم أرسل إليه رُسلاً وكَتَبَ إليه يعرضُ عليه المسالمة ويُؤمِنَهُ؛ وبذل له الأرزاق الواسعة ولأولاده، فأجاب عبد الله إلى الاتفاق واستقرَّت القاعدة بينهم على يد يحيى بن يحيى صاحب مالك وغيره من العلماء، وزوَّج الحكم أخواته من أولاد عمه عبد الله، وسار إليه عبد الله، فأكرمه الحكم، وعظَّم محله، وأجرى له ولأولاده الأرزاق الواسعة، والصلات السنية.

وقيل: إن المراسلة في الصلح كانت هذه السنة، واستقر الصلح سنة سبع وثمانين ومائة.

ذكر حج الرشيد وأمر كتاب ولاية العهد

في هذه السنة حجَّ بالناس هارون الرشيد، سار إلى مكة من الأنبار فبدأ بالمدينة، فأُعطِيَ فيها ثلاثة أعطية: أعطى هو عطاء، ومحمد الأمين عطاء، وعبد الله المأمون عطاء، وسار إلى مكة فأعطى أهلها، فبلغ ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار.

وكان الرشيد قد ولَّى الأمين العراق، والشام، وإلى آخر المغرب؛ وضم إلى المأمون من همذان الى آخر المشرق، ثم بايع لابنه القاسم بولاية العهد بعد المأمون، ولقَّبه المؤتمن وضمَّ اليه الجزيرة؛ والثغور، والعواصم؛ وكان في حجر عبد الملك بن

صالح ، وجعل خلعه وإثباته إلى المأمون .

ولما وصل الرشيد إلى مكة ومعه أولاده ، والفقهاء، والقضاة ، والقواد كتب كتاباً أشهدَ فيه على محمّد الأمين، وأشهدَ فيه من حضر بالوفاء للمأمون ، وكتب كتاباً للمأمون أشهدَهم عليه فيه بالوفاء للأمين، وعلّق الكتابين في الكعبة، وجدَّد العهودَ عليهما في الكعبة، ولما فعل الرشيد ذلك قال الناس : قد ألقى بينهم شراً وحرباً . وخافوا عاقبة ذلك فكان ما خافوه ، ثم إن الرشيد في سنة تسع وثمانين شخص إلى قرماسين ومعه المأمون وأشهدَ على نفسه من عنده من القضاة ، والفقهاء ، أن جميع ما في عسكره من الأموال ، والخزائن، والسلاح، والكراع ، وغير ذلك للمأمون ، وجدد له البيعة عليهم وأرسل إلى بغداد، فجدَّد له البيعة على محمد الأمين .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة سار علي بن عيسى بن ماهان من مرو إلى نسا لحرب أبي الخصيب فحاربه ، فقتله ، وسبى نساءه وذراريه ، واستقامت خراسان ، وفيها توفي خالد بن الحرث ، وبشر بن المفضل ، وأبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفزاري ، وفيها مات عبد الله بن صالح بن علي بن عبد اللهبن عباس بسلمية في ربيع الأول . وفيها توفي علي بن عباس[١] بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس في رجب ، وعمره خمس وستون سنة وستة أشهر ، وهو ابن أخي السفاح ، والمنصور ، وفيها توفي عمر بن يونس منصرفه من الحجّ باليمامة ، وفيها توفي عباد بن عباد بن العوّام الفقيه ببغداد ، وتوفي شقران بن علي الزاهد بالأندلس وكان فقيهاً ، وفيها توفي راشد مولى عيسى بن عبد اللهبن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وكان قد دخل المغرب مع إدريس بن عبد الله بن الحسن ، وقام بعده بأمر البربر أبو خالد يزيد بن الياس/ .

---

(١) في البداية والنهاية طبعة دار الكتب العلمية ببيروت ١٠/١٩٥ : العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس عم الرشيد . كان من سادات قريش ، ولي إمارة الجزيرة في أيام الرشيد . وإليه تنسب العباسة .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائة

ذكر إيقاع الرشيد بالبرامكة

وفي هذه السنة أوقعَ الرشيدُ بالبرامكة ، وقتل جعفر بن يحيى ، وكان سبب ذلك أن الرشيد كان لا يصبر عن جعفر وعن أخته عباسة بنت المهدي ، وكان يحضرهما إذا جلس للشرب فقال لجعفر : أزوجكها، ليحل لك النظر اليها ، ولا تقربها فإني لا أطيق الصبرَ عنها ، فأجابه إلى ذلك فزوَّجها منه ، وكانا يحضران معه ثم يقوم عنهما وهما شابان ؛ فجامعها جعفر فحملت منه فولدت له غلاماً فخافت الرشيد ـ فسيَّرته مع حواضن له إلى مكة فأعطته الجواهر ، والنفقات ، ثم إنَّ عباسة وقع بينها وبين بعض جواريها ، شرٌّ فأنهت أمرها وأمر الصبي إلى الرشيد وأخذت علماً بمكانه .

فحجَّ هارون هذه السنة ، وبحث عن الأمر فعلمه ، وكان جعفر يصنع للرشيد طعاماً بعسفان ، إذا حجَّ فصنع ذلك ودعاه فلم يحضر عنده ، فكان ذلك أولُ تغيّرِ أمرهم .

وقيل : كان سبب ذلك أن الرشيد دفع يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي إلى جعفر بن يحيى بن خالد ، فحبسه ، ثم دعا به ليلة وسأله عن بعض أمرِهِ، فقال له : اتق الله في أمري، ولا تتعرض أن يكون غداً خصمك محمد ﷺ ، فوالله ما أحدثت حدثاً ولا آويت محدثاً؛ فرقَّ له وقال: اذهبْ حيث شئت من بلاد الله قال : فكيف أذهبُ ولا آمنَ أن أؤخذ بعد قليل فوجه معه مَنْ أدَّاه إلى مأمنه ، وبلغ الخبر الفضل بن الربيع من عين كانت له من خواص جعفر فرفعه إلى الرشيد فقال: ما أنت وهذا فعله عن أمري ؛ ثم أحضر جعفراً للطعام فجعل يلقِّمه ويحادثه ثم سأله عن يحيى فقال: هو بحاله في الحبس الضيّق والأكبال فقال: بحياتي ففطن جعفر وكان من أدقِّ الخلْقِ ذهناً وأصحّهم فكراً ؛ فهجس في نفسه أنه قد علم بشيء من أمره

فقال : لا وحياتك ؛ وقصَّ عليه أمره وقال : علمت أنه لا مكروه عنده فقال : نعم ما فعلت ما عدوت ما في نفسي ، فلما قام عنه قال : قتلني الله إن لم أقتلك ؛ فكان من أمره ما كان.

وقيل : كان من الأسباب أن جعفراً ابتنى داراً غرم عليها عشرين ألف ألف درهم ، فرفع ذلك إلى الرشيد ، وقيل : هذه غرامته على دار فما ظنُّك بنفقاته وصلاته وغير ذلك ، فاستعظمه؛ وكان من الأسباب أيضاً ما لا تعدُّه العامة سبباً ، وهو أقوى الأسباب ما سُمِعَ من يحيى بن خالد وهو يقول وقد تعلَّق بأستار الكعبة في حجته هذه : اللهمّ إن كان رضاك أن تسلبني نعمك عندي فاسلبني ، اللهم إن كان رضاك أن تسلبني مالي وأهلي وولدي فاسلبني إلاَّ الفضل ثم ولَّى ؛ فلما كان عند باب المسجد رجع فقال مثل ذلك وجعل يقول : اللهم إنه سمج بمثلي أن يستثني عليك ، اللهم والفضل ، وسمع أيضاً يقول في ذلك المقام : اللهم إنّ ذنوبي جمّة عظيمةٌ لا يحصيها غيرك ، اللهم إن كنت تعاقبني فاجعل عقوبتي بذلك في الدنيا ، وإن أحاط ذلك بسمعي وبصري وولدي ومالي حتى يبلغ رضاك ، ولا تجعل عقوبتي في الآخرة فاستجيب له؛ فلما انصرفوا من الحج ونزلوا الأنبار ونزل الرشيد العمر ، نكبهم.

وكان أول ما ظهر من فساد حالهم ، أنّ علي بن عيسى بن ماهان سعى بموسى بن يحيى بن خالد، واتَّهمه في أمر خراسان ، وأعلم الرشيد أنه يكاتبهم، ليسير اليهم ، ويخرجهم عن الطاعة فحبسه ثم أطلقه .

وكان يحيى بن خالد يدخل على الرشيد بغير إذن ، فدخل عليه يوماً وعنده جبرائيل بن بختيشوع الطبيب ، فسلّم فرَّد الرشيد ردّاً ضعيفاً ، ثم أقبل الرشيد على جبرائيل فقال : أيدخُلُ عليك منزلك أحدٌ بغير إذن؟ فقال: لا ، قال: فما بالنا يدخل علينا بغير إذن ؟ فقال يحيى : يا أمير المؤمنين ما ابتدأت ذلك الساعة ، ولكن أمير المؤمنين خصَّني به حتى إنْ كنت لأدخل وهو في فراشه مجرداً حيناً وحيناً في بعض إزاره وما علمت أن أمير المؤمنين كَرِهَ ما كان يحبّ فإذا قد علمت فإني سأكون عنده في الطبقة التي يجعلني فيها ؛ فاستحيى هارون وكان من أرقّ الخلفاء وجهاً وعيناه في الأرض ما يرفع إليه طرفه وقال : ما أردت ما تكره .

وكان يحيى إذا دخل على الرشيد ، قام له الغلمان ، فقال الرشيد لمسرور : مر

الغلمان لا يقومون ليحيى ، إذا دخل الدار فدخلها ، فلم يقوموا فتغيَّر لونه ، وكانوا بعد ذلك إذا رأوه أعرضوا عنه .

فلمَّا رجع الرشيد من الحج نزل العمر الذي عند الأنبار، سلخ المحرم، وأرسل مسروراً الخادمَ ومعه جماعةٌ من الجند إلى جعفر ليلاً وعنده ابن بختيشوع الطبيب، وأبو زكار المغني ـ وهو في لهوه ـ وأبو زكار يغني :

فـلا تبعـد فكـل فتى سيأتي   عليه الموت يـطرقُ أو يغـادي
وكـلُّ ذخيـرةٍ لا بـدَّ يـومـاً   وإن كـرمتْ تصيـرُ إلى نفـاد

قال مسرور : فقلت له : يا أبا الفضل الذي جئت له هو والله ذاك قد طرقك، أجِبْ أمير المؤمنين ، فوقع على رجليَّ يقبلها وقال : حتى أدخل فأوصي . فقلت : أمَّا الدخول فـلا سبيل إليـه، وأمّا الـوصيَّة، فـاصنع مـا شئت؛ فأوصى بمـا أراد وأعتق مماليكه ؛ وأتتني رُسُـل الرشيد تستحثني، فمضيت به إليه فأعلمته ـ وهو في فراشه ـ فقال: اِئتني برأسه، فأتيت جعفراً فأخبرته فقال: الله الله والله ما أمرك بما أمرك به إلاَّ وهو سكران، فدافع حتى أصبح أو راجعْه في ثانية، فعدت لأراجعه فلما سمع حسي قال: يا ماص بظرَ أمِّهِ ، اِئتني برأسه . فرجعت إليه فأخبرته فقال : آمره فرجعت فحذفني بعمود كان في يده وقال : نفيت من المهدي، إن لم تأتني برأسه لاقتلنَّك، قال: فخرجْتُ فقتلته ، وحملت رأسه إليه ، وأمر بتوجيه من أحاط بيحيى ، وولده ، وجميع أسبابه ، وحُوِّلَ الفضل بن يحيى ليلاً فحُبِسَ في بعض منازل الرشيد ، وحبس يحيى في منزله وأخذ ما وجد لهم من مال ، وضياع ومتاع ، وغير ذلك، وأرسل من ليلته إلى سائر البلاد في قبض أموالهم ، ووكلائهم ورقيقهم ، وأسبابهم، وكلِّ مالهم ، فلما أصبح ، أرسل جيفة جعفر إلى بغداد، وأمر أن ينصب رأسه على جسر ، ويُقطَعُ بدنُهُ قطعتين تنصب كلُّ قطعة على جسر .

ولم يتعرض الرشيد لمحمد بن خالد بن برمك، وولده، وأسبابه لأنه علم براءته ممـا دخل فيـه أهله ، وقيل : كـان يسعى بهم ، ثم حبس يحيى، وبنيه الفضـل ، ومحمداً ، وموسى محبساً سهلاً ولم يفرّق بينهم وبين عدّةٍ من خدمِهم، ولا ما يحتاجون إليه من جارية وغيرها، ولم تزلْ حالهم سهلة ، حتى قبض الرشيد على عبد الملك بن

صالح ، فعمّهم بسخطه وجدَّد له ولهم التهمة عند الرشيد، فضيِّق عليهم ، ولما قُتِلَ جعفر بن يحيى قيل لأبيه : قتل الرشيد ابنك، قال: كذلك يقتـل ابنه ، قيـل : وأقد أخربَ ديارك قال : كذلك تخرب دياره ، فلما بلغ ذلك الرشيد قال : قد خفت أن يكون ما قاله ، لأنه ما قال شيئاً إلاَّ ورأيت تأويله .

قال سلام الأبرش : دخلت على يحيى وقت قبضه، وقد هُتكَت الستورُ وجُمِعَ المتاعُ فقال : هكذا تقوم القيامة قال : فحدثت الرشيد فأطرق مفكراً ، وكان قَتْلُ جعفر ليلة السبت مستهلَّ صفر وكان عمره سبعاً وثلاثين سنة ، وكانت الوزارة إليهم سبع عشرة سنة ، ولما نكبوا قال الرقاشي ، وقيل أبو نواس :

الآن استـرحنا واسـتراحت رِكابُنـا ... وأمسك من يحدي ومن كان يحتدي
فقلْ للمطايا قد أمنت من السـرى ... وطي الفيـافي فَدْفـدا بعـد فَـدْفَـدِ
وقـلْ للمنايـا قـد ظفـرت بجعفـرَ ... ولن تـظفـري من بعـده بمسـودِ
وقـلْ للعطايـا بعد فضـل تعـطّلي ... وقـل للرزايـا كـل يـوم تجـددي
ودونــك سيفـاً بـرمكياً مهنّــدا ... أصيب بسيـفٍ هـاشمي مهنَّـدِ

وقال يحيى بن خالد لما نكب : الدنيا دول ، والمال عاريـة ، ولنا بمن قبلنـا اسوة ، وفينا لمن بعدنا عبـرةٌ ، ووقع يحيى على قصـة محبوسٍ : العـدوان أوبقه ، والتوبة تطلِقُهُ ، وقال جعفر بن يحيى : الخط سَمْط الحكمة به تُفصَلُ شذورُها، وينظَمُ منثورُها، قال نمامة : قلت لجعفر : ما البيان ؟ قال: أن يكون الاسم محيطاً بمعناك ، مخبراً عن مغزاك، مخرجاً من الشركة ، غير مستعان عليه بالفكرة .

ذكر القبض على عبد الملك بن صالح

وفي هذه السنة غضب الرشيدُ على عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكان سبب ذلك أنه كان له ولد اسمه عبد الرحمن ، ـ وبه كان يُكنّى ـ وكان من رجال الناس ، فسعى بأبيه هـو وقمامة كاتب أبيه ، وقالا للرشيد : إنه يطلب الخلافة ويطمعُ فيها ، فأخذَهُ وحبسَهُ عند الفضل بن الربيع ، واحضره يوماً حين سخط عليه وقال له : أكُفْراً بالنعمة وجحوداً لجليل المنّةِ والتكرمة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين لقد بُؤْتُ إذاً بالندم وتعرَّضْتُ لاستحلال النقم وما ذاك إلا بغي حاسدٍ، نافسني فيك مودة

القرابة وتقديم الولاية ، إنك يا أمير المؤمنين خليفة رسول الله ﷺ على أمته ، وأمينُهُ على عترته، لك عليها فرض الطاعة ، وأداء النصيحة ، ولها عليك العدل في حكمها ، والغفران لذنوبها ، والتثبّت في حادثها ، فقال له الرشيد : أتضعُ لي من لسانك وترفعُ لي من جنانك ؟ هذا كاتبك قمامة يخبر بغلك، وفساد نيتك ، فاسمعْ كلامه ؛ فقال عبد الملك : أعطاك ما ليس في عقده ، ولعله لا يقدر أن يعضهني أو يبهتني بما لم يعرفه مني ؛ فأحضر قمامة فقال له الرشيد : تكلّم غيرَ هائبٍ ولا خائفٍ فقال : أقول إنه عازم على الغدر بك ، والخلاف عليك ، فقال عبد الملك : كيف لا يكذب عليّ من خلفي من يبهتني في وجهي ؟ فقال الرشيد : فهذا ابنك عبد الرحمن يخبرني بعتوّك ، وفساد نيّتك، ولو أردت أن احتجّ عليك لم أجد أعدلَ من هذين الاثنين لك ، فلِمَ تدفعهما عنك ؟ فقال عبد الملك : هو مأمورٌ، أو عاقٌ مجبور، فإنْ كان مأموراً فمعذور وإنْ كان عاقاً ففاجرٌ كفورٌ أخبر الله عز وجلّ بعداوته ، وحذر منه ، بقوله: ﴿ان من أزواجكم وأولادكم عدوًا لكم فاحذروهم﴾[1] فنهض الرشيد وهو يقول : ما أمرك إلا قد وضح ولكني لا أعجل حتى أعلم الذي يرضي الله عزَّ وجلّ فيك ، فإنه الحكم بيني وبينك ؛ فقال عبد الملك: رضيت بالله حكماً وبأمير المؤمنين حاكماً فإني أعلم أنه لن يؤثر هواه على رضا ربّهِ ، وأحضره الرشيد يوماً آخر فكان ممّا قال له :

أريدُ حياتهُ ويريدُ قتلي   عذيرك من خليلك من مرادِ

ثم قال : أما والله ، لكأني أنظر إلى شؤبوبها قد همع ، وعارضها قد بلع ، وكأني بالوعيد قد أورى زناداً يسطع ، فاقلع عن براجمَ بلا معاصمَ، ورؤوس بلا غلاصم ؛ فمهلاً مهلاً بني هاشم ، فبي والله سهل لكم الوعر ، وصفا لكم الكدر وألقت اليكم الأمورُ أزمتها فنذار لكم نذار قبل حلول داهية خبوط باليد، لبوط بالرجل .

فقال عبد الملك : اتقِّ الله يا أمير المؤمنين فيما ولّاك من رعيته التي استرعاك، ولا تجعلْ الكفرَ مكان الشكر ، ولا العقابَ موضع الثواب ، فقد نحلت لك النصيحة ومحضت لك الطاعة ، وشدَدْتَ أواخي ملكك بأثقلَ من ركني يلملم ، وتركت عدوَّك

---

(١) التغابن : ١٤ .

مشتغلاً ، فالله الله في دمي إلى رحمك[1] أن تقطعه بعد أن وصلته بظن أوضح الكتاب بعضه[2] أو ببغي باغٍ ينهس اللحم ويلغ الدم ، فقد والله سُهِّلَتْ لك الوعور ، وذُلِّلَتْ لك الأمور ، وجُمِعَتْ على طاعتك القلوبُ في الصدور ، فكم ليل تمام فيك كابدته ومقَام ضيّق لك قمَّته كنت فيه كما قال أخو بني جعفر بن كلاب ـ يعني لبيداً ـ :

ومقام ضيِّق فرجته ... ببناني ولساني وجدل
لو يقوم الفيل أو فياله ... زلَّ عن مثل مقامي وزحل

فقال له الرشيد : والله لولا إبقائي على بني هاشم لضربْتُ عنقك ، ثم أعاده إلى محبسه ، فدخل عبدُ الله بنُ مالك على الرشيد، وكان على شرطته، فقال له: والله العظيم يا أمير المؤمنين، ما علمت عبد الملك إلّا ناصحاً، فعلام حبسته ؟ فقال : بلغني عنه ما أوحشني ولم آمنه أن يضربَ بين ابني هذين ـ يعني الأمين والمأمون ؛ فإن كنت ترى أن نطلقَهُ من الحبس أطلقناه فقال : أما إذا حبسته فلست أرى في قرب المدة أن تطلقه، ولكن تحبسه محبساً كريماً قال : فإني أفعل .

فأمر الفضل بن الربيع أن يمضي إليه ، وينظر ما يحتاج إليه ، فيوظفه له ففعل .

ولم يزل عبد الملك محبوساً حتى مات الرشيد ، فأخرجه الأمين واستعمله على الشام ، فأقام بالرقَّة وجعل لمحمد الامين عهد الله لئن قتل ، وهو حي لا يعطي المأمون طاعة أبداً ، فمات قبل الأمين .

وكان ما قال للأمين : إن خفت فالجأْ إليَّ فوالله لأصوننَّك .

وقال الرشيد يوماً لعبد الملك : ما أنت لصالح قال : فلمن أنا؟ قال: لمروان الجعدي، قال: ما أبالي أي الفحلين غلب علي .

وأرسل الرشيد يوماً إلى يحيى بن خالد بن برمك، أن عبد الملك أراد الخروج علي ومنازعتي في الملك ، وعلمت ذلك فاعلمني ما عندك فيه فإنك إن صدقتني أعدتك إلى حالك فقال : والله ما اطلعت من عبد الملك على شيء من هذا، ولو

---

(١) في الطبري : « في ذي رحمك » .

(٢) في الطبري : « أفصح الكتاب لي بعضه » .

اطلعت عليه لكنت صاحبه دونك ، لأن ملكك كان ملكي وسلطانك كان سلطاني ، والخير والشر كان فيه علي ولي ، وكيف يطمع عبد الملك في ذلك مني ؟ وهل كان إذا فعلت به ذلك يفعل معي أكثر من فعلك؟ وأعيذك بالله أن تظن بي هذا الظن، ولكنه كان رجلاً محتملاً يسرُّني أن يكون في أهلك مثله، فوليته لما حمدت أثره ومذهبه، وملت إليه لأدبه واحتماله ، فلما أتاه الرسول بهذا أعاده عليه فقال له : إن أنت لم تقرَّ عليه ، قتلت الفضل ابنك فقال له : أنت مسلّط علينا ، فافعل ما أردت ، فأخذ الرسول الفضل فأقامه فودَّع أباه وقال له : ألست راضياً عنّي؟ قال : بلى فرضي الله عنك ففرق بينهما ثلاثة أيام فلما لم يجد عندهما في ذلك شيئاً جمعهما .

ذكر غزو الروم

وفي هذه السنة دخل القاسم بن الرشيد أرض الروم في شعبان ، فأناخ على قرَّة، وحصرها ؛ ووجَّه العبَّاس بن جعفر بن محمد بن الأشعث، فحصرَ حصن سنان حتى جهد اهلها ، فبعث إليه الروم ثلاثمائة وعشرين أسيراً من المسلمين على أن يرحل عنهم، فأجابهم ورحل عنهم صلحاً .

ومات علي بن عيسى في هذه الغزاة بأرض الروم ؛ وكان يملك الروم حينئذ امرأة اسمها ريني ، فخلعتها الروم، وملكت نقفور، وتزعَم الروم أنه من أولاد جفنة بن غسان ، وكان قبل أن يملك يلي ديوان الخراج ؛ وماتت ريني بعد خمسة أشهر من خلعها ؛ فلما استوثقت الروم ، لنقفور ، كتب إلى الرشيد: من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب : أما بعد فإن الملكة التي كانت قبلي أقامتك مقام الرُّخ ، وأقامت نفسها مقام البيدق فحملت اليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أضعافها إليها ، لكنَّ ذلك لضعف النساء ، وحمقهن ، فإذا قرأت كتابي هذا ، فارددْ ما حصل لك من أموالها ، وافتدِ نفسَك بما تقع به المصادرة لك ، وإلا فالسيف بيننا وبينك؛ فلما قرأ الرشيد الكتاب استفزَّه الغضبُ حتى لم يقدر أحدٌ أن ينظر اليه دون ان يخاطبه ، وتفرَّق جلساؤه ، فدعا بدواة، وكتب على ظهر الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم ، قد قرأت كتابك يا بن الكافرة ، والجواب ما تراه دون ما تسمعه، والسلام .

ثم سار من يومه حتى نزل على هِرَقْلَة ففتح ، وغنم، وأحرق ، وخرَّب فسأله نقفور المصالحة على خراج يحمله كل سنة ، فأجابه إلى ذلك، فلمَّا رجع من غزوته وصار بالرقَّة، نقض نقفور العهد، وكان البرد شديداً ، فأمن رجعة الرشيد إليه ؛ فلما جاء من الخبر بنقضه ، ما جسر أحدٌ على إخبار الرشيد خوفاً على أنفسهم من العود في مثل ذلك البرد ، واشفاقاً من الرشيد ، فاحتيل له بشاعر من أهل جنده وهو ابو محمد عبد الله بن يوسف ، وقيل : هو الحجاج بن يوسف التيمي فقال أبياتاً منها :

نقضَ الـذي أعـطيتَـه نقفـورُ ... فعليـه دائـرةُ البـوارِ تـدورُ
أبشـرْ أميـرَ المؤمنيـن فـإنـه ... فتـحٌ أتـاك بـه الإلـهُ كبيـرُ
فتحٌ يزيـدُ على الفتوح يَـؤُمنـا ... بـالنصـرِ فيـه لـواؤك المنصـور

في أبيات غيرها ، فلما سمع الرشيد ذلك قال : أوقد فعل ذلك نقفور ؟ وعلم أن الوزراء قد احتالوا له في ذلك ، فرجع إلى بلاد الروم في أشدّ زمان ، وأعظم كلفة ، حتى بلغ بلادهم، فأقام بها حتى شفي ، واشتفى ، وبلغ ما أراد.

وقيل : كان فعل نقفور وهذه الأبيات سبباً لسير الرشيد ، وفتح هرقلة على ما نذكره سنة تسعين ومائة إن شاء الله تعالى .

ذكر قتل ابراهيم بن عثمان بن نهيك

وفيها قتل الرشيدُ ابراهيمَ بنَ عثمان بن نهيك ، وسببُ قتله أنه كان كثيراً ما يذكر جعفر بن يحيى والبرامكة ويبكي عليهم إلى أن خرج من البكاء إلى حد طالبي الثار ؛ فكان إذا شرب النبيذ مع جواريه ، أخذ سيفه ويقول : واجعفراه ، واسيداه والله لاقتلنَّ قاتلك ؛ ولأثأرنَّ بدمك ، فلما كثر هذا منه ، جاء ابنه فأعلمَ الرشيد هو وخصي كان لابراهيم ،فأحضر ابراهيم وسقاه نبيذاً فلما أخذ منه النبيذ قال له : إني قد ندمت على قتل جعفر بن يحيى وودَدْت أنّي خرجتُ من ملكي وأنه كان بقي له ، فما وجدت طعم النوم مُذْ فارقته ولا لذة العيش منذ قتلته ؛ فلما سمعها ابراهيم أسبل دموعه وقال : رحم الله أبا الفضل ، والله يا سيدي لقد أخطأت في قتله ، وأوطأت العشوة في أمره ، وأين يوجد في الدنيا مثله؟ فقال الرشيد : قمْ عليك لعنة الله يا بن اللخناء فقام ، وما يعقلُ ما يطأ؛ فما كان بين هذا وبين أن دخل عليه ابنه وضربه بالسيف إلَّا ليال قلائل.

ذكر ملك الفرنج مدينة تطيلة بالأندلس

في هذه السنة ملك الفرنج مدينة تطيلة بالأندلس ، وسبب ذلك أن الحكم صاحب الأندلس استعمل على ثغور الاندلس قائداً كبيراً من أجناده ، اسمه عمروس بن يوسف ، فاستعمل ابنه يوسف على تطيلة ، وكان قد انهزم من الحكم أهل بيت من الأندلس ، أولو قوةٍ وبأس ، لأنهم خرجوا عن طاعته ، فالتحقوا بالمشركين فقَوِيَ أمرهم ، واشتدتْ شوكتهم ، وتقدّموا إلى مدينة تطيلة ، فحصروها ، وملكوها من المسلمين ، فأسروا أميرها يوسف بن عمروس ، وسجنوه بصخره قيس ؛ واستقرَّ عمروس بن يوسف بمدينة سرقسطة ليحفظها من الكفار، وجمع العساكر وسيَّرها مع ابن عم له، فلقيَ المشركين، وقاتلهم ، ففضَّ جمعهم ، وهزمهم ، وقتل أكثرهم ، ونجا الباقون منكوبين ، وسار الجيش إلى صخرة قيس فحصروها ، وافتتحوها ، ولم يقدر المشركون على منعها منهم ، لما نالهم من الوهن بالهزيمة ، ولما فتحها المسلمون، خلّصوا يوسف بن عمروس أمير الثغر وسيّروه إلى أبيه وعظم أمر عمروس عند المشركين ، وبَعُدَ صوته فيهم وأقام في الثغر أميراً عليه .

ذكر ايقاع الحكم باهل قرطبة

كان الحكم في صدر ولايته تظاهر بشرب الخمر والانهماك في اللذات ؛ وكانت قرطبة دار علم ، وبها فضلاء في العلم والورع ، منهم يحيى بن يحيى الليثي راوي موطأ مالك عنه وغيره ، فثار أهل قرطبة، وأنكروا فعله ، ورجموه بالحجارة، وأرادوا قتله، فامتنع منهم بمن حضر من الجند وسكن الحال.

ثم بعد أيام اجتمع وجوه أهل قرطبة وفقهاؤها، وحضروا عند محمد بن القاسم القرشي المرواني عم هشام بن حمزة، وأخذوا له البيعة على أهل البلد ، وعرَّفوه أن الناس قد ارتضوه كافة، فاستنظر ليلة ليرى رأيه ، ويستخير الله سبحانه وتعالى فانصرفوا، فحضر عند الحكم، وأطلعه على الحال، وأعلمه أنه على بيعته فطلب الحكم تصحيح الحال عنده، فأخذ معه بعض ثقات الحكم ، وأجلسه في قبة في داره ، وأخفى أمره، وحضر عنده القوم يستعلمون منه هل تقلد أمرهم أم لا ؟ فأراهم المخافة على نفسه، وعظم الخطب عليهم ، وسألهم: تعداد اسمائهم ومن معهم،

فذكروا له جميع مَنْ معهم من أعيان البلد ، وصاحب الحكم يكتب أسماءهم ، فقال لهم محمد بن القاسم: يكون هذا الأمر يوم الجمعة إن شاء الله في المسجد الجامع؛ ومشى إلى الحكم مع صاحبه. فاعلماه جلية الحال وكان ذلك يوم الخميس، فما أتى عليه الليل حتى حبس الجماعة المذكورين عن آخرهم، ثم أمر بهم بعد أيام، فصُلِبوا عند قصره ، وكانوا اثنين وسبعين رجلاً ؛ ومنهم أخو يحيى بن يحي ، وابن أبي كعب وكان يومهم يوماً شنيعاً فتمكنت عداوة الناس للحكم .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة هاجت العصبية بالشام بين المضرية واليمانية ، فارسل الرشيدُ محمد بن منصور بن زياد فأصلح بينهم ، وفيها زلزلت المصيصة، فانهدم سورها[١] ونَضُبَ ماؤهَا ساعة من الليل ؛ وفيها خرج عبد السلام بآمد ،فحكم فقتله يحيى بن سعيد العقيلي ؛ وفيها أغزى الرشيد ابنه القاسم الصائفة ، وهبه لله وجعله قرباناً له وولّاه العواصم .

وحج بالناس هذه السنة عبد الله بن العباس بن محمد بن علي ، وفيها توفي الفضيل بن عياض الزاهد وكان مولده بسمرقند ، وانتقل الى مكة فمات بها[٢] ، وفيها توفي المعمر بن سليمان بن طرخان التيمي أبو محمد البصري ، وكان مولده سنة ست أو سبع ومائة ، وعمر بن عبيد الطنافسي[٣] الكوفي ، وفيها توفي أبو مسلم معاذ الهراء النحوي ، وقيل : كنيته أبو علي وعنه أخذ الكسائي النحو ووُلِدَ أيام يزيد بن عبد الملك .

(١) في الطبري « فانهدم بعض سورها » .

(٢) هو أحد أئمة الزهاد وأوحد العلماء والأولياء وله مع الرشيد مجالس ونصائح .

(٣) الطنافسي ـ بفتح الطاء والنون وبعد الألف فاء مكسورة ثم سين مهملة .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائة

في هذه السنة غزا ابراهيم بن جبرائيل الصائفة، فدخل أرض الروم من درب الصفصاف ، فخرج إليه نقفور ملك الروم ، فأتاه من ورائه أمر صرفه عنه ، ولقي جمعاً من المسلمين ، فجُرِحَ ثلاث جراحات، وقُتِلَ من الروم ـ فيما قيل ـ أربعون ألفاً وسبعمائة[١] ؛ وفيها رابط القاسم بن الرشيد بدابق .

وحجَّ بالناس فيها الرشيد ، فقسَّم أموالاً كثيرة وهي آخر حجَّة حجَّها في قول بعضهم ، وفيها توفي جرير بن عبد الحميد الضبي الرازي ، وله ثمان وسبعون سنة ، وفيها توفي العباس بن الأحنف الشاعر ، وقيل : سنة ثلاث وتسعين ، ومات أبوه الأحنف سنة خمسين ومائة ؛ وفيها توفي شُهَيْدُ بنُ عيسى بالاندلس وعمره ثلاث وتسعون سنة ، وكان دخوله الاندلس مع عبد الرحمن بن معاوية (شُهَيد) بضم الشين المعجمة وفتح الهاء .

(١) في الطبري « وأخذ أربعة الاف دابة » .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائة

ذكر مسير هارون الرشيد إلى الري

وفي هذه السنة سار الرشيد إلى الري ، وسبب ذلك أن الرشيد لما استعمل علي بن عيسى بن ماهان على خراسان ظَلمَ أهلها وأساء السيرة فيهم ، فكتب كبراء أهلها وأشرافها إلى الرشيد يشكون سوء سيرته ، وظلمه واستخفافه بهم ، وأخذَ أموالهم ؛ وقيل للرشيد : إن عليّ بن عيسى قد أجمع على الخلاف ، فسار إلى الري في جمادى الأولى ومعه ابناه ، عبد الله المأمون ، والقاسم ، وكان قد جعله وليَّ عهدٍ بعد المأمون وجعل أمرَهُ إلى المأمون ، إن شاء أقرَّه وإن شاء خَلَعَهُ ، وأحضر القضاة ، والشهود ، وأشهدهم أن جميع ما في عسكره من الاموال ، والخزائن والسلاح ، والكراع ، وغير ذلك للمأمون، وليس له فيه شيء .

وأقام الرشيد بالري أربعة أشهر حتى أتاه علي بن عيسى من خراسان؛ فلمّا قَدِمَ عليه أهدى له الهدايا الكثيرة ، والاموال العظيمة ، وأهدى لجميع من معه من أهل بيته ، وولده ، وكتّابه ، وقوّاده من الطرف ، والجواهر ، وغير ذلك ، ورأى الرشيد خلاف ما كان يظن ، فردَّه إلى خراسان .

ولما قام الرشيد بالري سيَّر حسيناً الخادم إلى طبرستان، وكتب معه أماناً لشروين أبي قارن ، وأماناً لوندا هرمز جدّ مازيار ، وأماناً لمرزبان بن جستان صاحب الديلم ، فقدم جستان ووندا هرمز ، فاكرمهما ، وأحسن إليهما ، وضمن وندا هرمز السمع ، والطاعة ، وأداء الخراج عن شروين ورجع الرشيد إلى العراق ، ودخل بغداد في آخر ذي الحجة ، فلمَّا مرَّ بالجسرِ أمرَ باحراق جثة جعفر بن يحيى . ولم ينزل بغداد ومضى من فوره إلى الرقّة ، ولما جاز بغداد قال: والله اني لأطوي مدينة ما وضع بشرق ، ولا غرب مدينة أيمن ، ولا أيسر منها ، وإنها لدار مملكة بني العباس ما بقوا ، وحافظوا

عليها ولا رأى أحدٌ من آبائي سوءاً ولا نكبة منها، ولنعم الدار هي ، ولكني أريد المناخ على ناحية أهل الشقاق ، والنفاق ، والبغض ، لائمة الهدى ، والحب لشجرة اللعنة بني أمية مع ما فيها من المارقة ، والمتلصصة ، ومخيفي السبيل ولولا ذلك ما فارقت بغداد ، ما حييت . فقال العباس بن الأحنف في طي الرشيد بغداد :

ما انحنا حتى ارتحلنا فما نفـ ـرق بين المناخ والارتحال
سألونا عن حالنا إذ قدمنا فقرأنا وداعهم بالسؤال

ذكر الفتنة بطرابلس الغرب

في هذه السنة كثر شغب أهل طرابلس الغرب على ولاتهم ، وكان ابراهيم بن الأغلب أمير إفريقية، قد استعمل عليهم عدةَ وُلاةٍ ، فكانوا يشكون من ولاتهم ، فيعزلهم ، ويولي غيرهم ؛ فاستعمل عليهم هذه السنة سفيان بن المضاء ـ وهي ولايته الرابعة ؛ فاتفق أهل البلد على إخراجه عنهم وإعادته إلى القيروان ، فزحفوا إليه فأخذ سلاحه وقاتلهم هو وجماعة ممن معه ، فأخرجوه من داره، فدخل المسجد الجامع فقاتلهم فيه ، فقتلوا أصحابه ، ثم أمنوه ، فخرج عنهم في شعبان من هذه السنة ؛ فكانت ولايته سبعاً وعشرين يوماً ، واستعمل الجند الذين بطرابلس على البلد وأهله ابراهيم بن سفيان التميمي ، ثم وَقَع بين الابناء بطرابلس أيضاً وبين قوم يعرفون ببني أبي كنانة ، وبني يوسف حروب كثيرة ، وقتال حتى فسدت طرابلس ، فبلغ ذلك ابراهيم بن الأغلب ، فأرسل جمعاً من الجند ، وأمرهم أن يحضروا الابناء ، وبني أبي كنانة، وبني يوسف فاحضروهم عنده بالقيروان في ذي الحجة فلما قدموا عليه سألوه العفو عنهم في الذي فعلوه ؛ فعفا عنهم فعادوا إلى بلدهم.

ذكر عدة حوادث

بها كان الفداء بين المسلمين والروم ، فلم يبق بأرض الروم مسلم إلا فودي به .

وحجَّ بالناس العباس بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ؛ وفيها وَلَّى الرشيد عبد الله بن مالك طبرستان ، والري ، ودنباوند ، وقومس ، وهمذان ، وهو متوجه إلى الري ، فقال أبو العتاهية في مسيره إليها وكان الرشيدُ وُلد بها :

إن أميـــن الله فـــي خـــلقـــه حـنٌ بــه البـــرّ إلـى مـــولـــده
لـيـصـلح الــري وأقـــطارهـــا ويمـــطر الخيـر بهـــا من يـــده

وفيها مات محمد بن الحسن الشيباني الفقيه صاحب أبي حنيفة[1]،وحميد بن عبد الرحمن بن حميد الرؤاسي أبو عوف ، وسابق بن عبد الله الموصلي ، وكان من الصالحين البكائين من خشية الله تعالى .

---

(١) انتهت اليه رياسة العلم في زمانه بعد موت أبي يوسف ، قال الشافعي رحمه الله : لو أشاء أن أقول نزل القرآن بلغة محمد بن الحسن لقلت لفصاحته وقد حملت عنه وقربختي كتباً ـ أي حمل بعير .

ثم دخلت سنة تسعين ومائة

ذكر خلع رافع بن الليث بن نصر بن سيار

وفي هـذه السنة ظهـر رافع بن الليث بن نصـر بما وراء النهـر مخالفـاً للرشيد بسمرقند ، وكان سبب ذلك أن يحيى بن الأشعث بن يحيى الطائي ، تزوج ابنة لعمّه أبي النعمان ، وكانت ذات يسار ولسان ، ثم تركها بسمرقند ، وأقام ببغداد ، واتخذ السراري ، فلما طال ذلك عليها أرادت التخلص منه ، وبلغ رافعاً خبرهـا ، فطمـع فيها ، وفي مالها ، فدسَّ إليها مَنْ قال لها : إنه لا سبيل إلى الخلاص من زوجها إلا أن تشهدَ عليها قوماً أنها أشركت بالله ، ثم تتوب، فينفسخ نكاحها ، وتحل لـلازواج ؛ ففعلت ذلك ، وتزوجها رافع ، فبلغ الخبر يحيى بن الأشعث ، فشكا إلى الرشيد ، فكتب إلى علي بن عيسى بن ماهان يأمره أن يفرِّق بينهما وأن يعاقب رافعاً ويجلدَهُ الحد ويقيِّده ويطوفَ به في سمرقند على حمار ، ليكون عِظَةً لغيـره ، ففعل بـه ذلك ولم يحدَّه ، وطَلَّقها رافع ، وحُبِسَ بسمرقند ، فهرب من الحبس ليلاً فلحق بعلي بن عيسى ببلخ ، فأراد ضرب عنقه ، فشفع فيه عيسى بن علي بن عيسى ، وأمره بالانصراف إلى سمرقند ، فرجع إليها ووثب بعامل ابن عيسى عليها ، فقتله واستولى عليها ، فوجه إليه ابنه ، فلقِيَهُ فهزمه رافع فاخذ علي بن عيسى في جمع الرجال والتـأهب لمحاربتـه ، وانقضت السنة .

ذكر فتح هرقلة

وفي هذه السنة فَتَحَ الرشيدُ هرقلة وأخربها ، وكان سبب مسيره إليها ما ذكرناه سنة سبع وثمانين ومائة من غَدْرِ نقفور ؛ وكان فتحها في شوَّال وكان حصرها ثلاثين يوماً وسبى أهلها، وكان قد دخل البلاد في مائة ألف وخمسة وثلاثين ألفاً من المرتزقة سوى

الاتباع والمتطوعة ومن لا ديوان له ، وأناخ عبدالله بن مالك على ذي الكلاع ، ووجَّه داود بن عيسى بن موسى سائراً في أرض الروم في سبعين ألفاً ، يخرّب وينهب ، ففتح الله عليه .

وفتح شراحيل بن معن بن زائدة حصن الصقالبة ودلسة[١] ؛ وافتتح يزيد بن مخلد الصفصاف ، وملقونية[٢] ؛ واستعمل حميد بن معيوف على سواحل الشام ؛ ومصر فبلغ قبرس ، فهدم ، وأحرق ، وسبى من أهلها سبعة عشر ألفاً[٣] فأقدمهم الرافقة ، فبيعوا بها ، وبَلَغَ فداء أسقف قبرس ألفيْ دينار ؛ ثم سار الرشيد إلى طوانة فنزل بها ، ثم رحل عنها ، وخلف عليها عقبة بن جعفر ؛ وبعث نقفور بالخراج والجزية عن رأسه أربعة دنانير ، وعن رأس ولده دينارين ، وعن بطارقته كذلك ؛ وكتب نقفور إلى الرشيد في جارية من سبي هرقلة كان خطبها لولده فارسلها اليه[٤] .

ذكر عدة حوادث

وخرج في هذه السنة خارجي من ناحية عبد القيس يقال له : سيف بن بكير، فوجَّه إليه الرشيد محمد بن يزيد بن مزيد فقتله بعين النورة ، وفيها نقض أهل قبرص العهد ، فغزاهم معيوف بن يحيى فسبى أهلها .

وحجّ بالناس عيسى بن موسى الهادي ؛ وفيها أسلم الفضل بن سهل على يد المأمون ، وقيل : بل أسلم أبوه سهل على يد المهدي وكان محبوساً ، وقيل : أسلم الفضل ، وأخوه الحسن على يد يحيى بن خالد ، فاختاره يحيى لخدمة المأمون ، فلهذا كان الفضل يرعى البرامكة ويثني عليهم ، ولقب بذي الرياستين لأنه تقلد الوزارة ، والسيف وكان يتشيَّع، وهو الذي اشار على المأمون بالعهد لعلي بن موسى الرضا عليه السلام .

وكان على الموصل هذه السنة خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب؛ ولما

---

(١) في الطبري « ودبسة » بالباء الموحدة .

(٢) في الطبري « ملقوبية » بالباء الموحدة وفي بعض النسخ مقلونية وكلاهما دخله التصحيف وصوابه ما هنا وهو بفتح أوله وثانيه وقاف وواو ساكنة ونون مكسورة وياء تحتها نقطتان .

(٣) في الطبري « ستة عشر ألفاً » .

(٤) ذكر ابن جرير كتاب نقفور الى هارون الرشيد .

دخل الموصل انكسر لواؤه في باب المدينة فتطير منه ، وكان معه أبو الشيص الشاعر فقال في ذلك :

ما كان منكسر اللواء لطيْرة تخشى ولا أمر يكون موبلا
لكن هذا الرمح أضعف رُكنَهُ صغر الولاية فاستقلَّ الموصلا

فسرى عن خالد ؛ وفيها غزا الرشيد الصائفة واستخلف المأمون بالرقَّة ، وفوَّض إليه الأمور ، وكتب إلى الآفاق بذلك ، ودفع إليه خاتم المنصور تيمُّناً به ، ونقشه : الله ثقتي آمنت به ، وفيها خرجت الروم إلى عين زربة والكنيسة السوداء ، وأغاروا ؛ فاستنقذ أهل المصيصة ما كان معهم من الغنيمة ؛ وفيها توفي أسد بن عمرو بن عامر أبو المنذر البجلي الكوفي صاحب أبي حنيفة[١] ؛ وفيها توفي يحيى بن خالد بن برمك محبوساً بالرافقة في المحرم وعمره سبعون سنة ، وعُمَر بن علي بن عطاء بن مقدم[٢] المقدمي البصري[٣] .

---

(١) حكم ببغداد وبواسط فلما انكف بصره عزل نفسه عن القضاء .

(٢) مقدم بقاف وميم مشددة وزن محمد .

(٣) وممن مات في هذه السنة على ما حكاه ابو الفدا ، سعدون المجنون صام ستين سنة فخف دماغه فسماه الناس مجنوناً ، وقف يوماً على حلقة ذي النون المصري فسمع كلامه فصرخ ثم انشأ يقول :

ولا خير في شكوى الى غير مشتكي ولا بد من شكوى اذا لم يكن صبر

ثم دخلت سنة احدى وتسعين ومائة

ذكر الفتنة من أهل طليطلة وهو وقعة الحفرة

في هذه السنة أوقع الأمير الحكم بن هشام الاموي صاحب الاندلس بأهل طليطلة ، فقتل منهم ما يزيد على خمسة آلاف رجل من أعيان أهلها ، وسبب ذلك أن أهل طليطلة كانوا قد طمعوا في الأمراء ، وخلعوهم مرة بعد أخرى ، وقويتْ نفوسهم بحصانة بلدهم ، وكثرة أموالهم ، فلم يكونوا يطيعوا أمراءهم طاعة مُرْضِية ، فلمَّا أعيا الحكم شأنهم ، أعمل الحيلة في الظفر بهم ، فاستعان في ذلك بعمروس بن يوسف المعروف بالمولد ، وكان قد ظهر في هذا الوقت بالثغر الأعلى ، فأظهر طاعة الحكم ، ودعا إليه فاطمأن إليه بهذا السبب ، ـ وكان من أهل مدينة وشقة ـ[١] فاستحضره ، فحضر عنده ، فأكرمه الحكم ، وبالغ في إكرامه ، واطلعه على عزمه في أهل طليطلة ، وواطأهُ على التدبير عليهم ، فولَّاه طُليْطلة ، وكتب إلى أهلها يقول : إني قد اخترت لكم فلاناً ، وهو منكم لتطمئِنَّ قلوبكم إليه ، وأعفيتكم ممن تكرهون من عمالنا ومواليـنا ، ولتعرفوا جميلَ رأينا فيكم ، فمضى عمروس إليهم ودخل طليطلة فأنس به أهلها واطمأنوا إليه وأحسن عشرتهم ، وكان أول ما عمل عليهم من الحيلة أن أظهر لهم موافقتهم على بغض بني أمية ، وخلع طاعتهم فمالوا إليه ووثقوا بما يفعله ، ثم قال لهم : إن سبب الشر بينكم وبين أصحاب الأمير ، إنما هو اختلاطهم بكم ، وقد رأيت أن أبني بناءً اعتزلُ فيه أنا وأصحاب السلطان ، رفقاً بكم ، فأجابوه إلى ذلك ، فبنى في وسط البلد ما أراد فلمَّا مضى لذلك مدة ، كتب الأمير الحكم إلى عامل له على الثغر الأعلى سراً يأمره أن يرسل إليه يستغيث من جيوش الكفرة ، وطلب النجدة والعساكر ،

---

(١) بفتح اوله وسكون ثانيه وقاف .

ففعل العامل ذلك ، فحشد الحكم الجيوش من كل ناحية واستعمل عليهم ابنه عبد الرحمن ، وحشد معه قوّاده ووزراءه ، فسار الجيش واجتاز بمدينة طليطلة ولم يعرض عبد الرحمن لدخولها ، فأتاه وهو عندها الخبر من ذلك العامل ، أن عساكر الكفرة قد تفرقت وكفى الله شرها فتفرق العسكر ، وعزم عبد الرحمن على العود إلى قرطبة ، فقال عمروس عند ذلك لأهل طليطلة : قد ترون نزول ولد الحكم إلى جانبي ، وأنه يلزمني الخروج إليه ، وقضاء حقه فإن نشطتم لذلك وإلا سرتُ إليه وحدي ؛ فخرج معه وجوه أهل طليطلة ، فأكرمهم عبد الرحمن وأحسن إليهم .

وكان الحكم قد أرسل مع ولده خادماً له ، ومعه كتابٌ لطيف إلى عمروس ؛ فأتاه الخادم ، وصافحه ، وسلَّم الكتابَ إليه من غير أن يحادثه ؛ فلما قرأ عمروس الكتابَ رأى فيه كيف تكون الحيلة على أهل طليطلة ، فأشار إلى أعيان أهلها ، بأن يسألوا عبد الرحمن الدخول إليهم ليرى هو وأهل عسكره كثرتهم ومنعتهم وقوتهم ، فظنُّوه ينصحهم ، ففعلوا ذلك ، وادخلوا عبد الرحمن البلد ونزل مع عمروس في داره ، وأتاه أهل طليطلة ارسالاً يسلمون عليه ؛ وأشاعَ عمروسُ أن عبد الرحمن يريد أن يتخذ لهم وليمةً عظيمةً ، وشرع في الاستعداد لذلك وواعدهم يوماً ذكره ، وقرر معهم أنهم يدخلون من باب ، ويخرجون من آخر ، ليقلَّ الزحام ، ففعلوا ذلك ؛ فلما كان اليوم المذكور أتاه الناس أفواجاً ، فكان كلما دخل فوج أخذوا وحملوا إلى جماعة من الجند على حفرة كبيرة في ذلك القصر ، فضُرِبَتْ رقابهم عليها ، فلما تعالى النهار أتى بعضهم فلم ير أحداً فقال : أين الناس ؟ فقيل : إنهم يدخلون من هذا الباب ويخرجون من الباب الآخر فقال : ما لقيني منهم أحدٌ وعلم الحال ، وصاح ، وأعلم الناس هلاك أصحابهم ، فكان سبب نجاة من بقي منهم ، فذلت رقابهم بعدها، وحسنت طاعتهم بقية أيام الحكم، وأيام ولده عبد الرحمن ، ثم انجبرت مصيبتهم، وكثروا، فلما هلك عبد الرحمن وولي ابنه محمد ، عاجلوه بالخلع على ما نذكره .

ذكر عصيان أهل ماردة على الحكم وما فعله باهل قرطبة

وفيها عَصَى أصبغ بن عبد الله، ووافقه أهل مدينة ماردة من الاندلس على الحكم ، وأخرجوا عامله ، واتصل الخبر بالحكم ، فسار إليها وحاصرها ، فبينما هو مجدٌّ في الحصار ، أتاه الخبر عن أهل قرطبة أنهم أعلنوا بالعصيان له، فرجع مبادراً،

فوصل إلى قرطبة في ثلاثة أيام ، وكشَفَ عن الذين أثاروا الفتنة ، فصلبهم منكسين ، وضرب أعناق جماعة ، فارتدع الباقون بذلك ، واشتدت كراهيتهم له ؛ ولم يزل أهل ماردة تارة يطيعون، ومرة يعصون ، إلى سنة اثنتين وتسعين؛ فضعف أمر أصبغ، لأن الحكم تابع إرسال الجيوش إليه، واستعمال جماعة من أعيان أهل ماردة، وثقاته من أصحابه ، فمالوا إليه ، وفارقوا أصبغ حتى أخوه، فتحيَّر اصبغ وضعفت نفسه ، فأرسل يطلب الأمان ؛ فأمنه الحكم ففارق ماردة ، وحضر عند الحكم، وأقام عنده بقرطبة .

ذكر غزو الفرنج بالاندلس

في هذه السنة تجهَّز لذريق ملك الافرنج بالاندلس، وجمع جموعه ، ليسير إلى مدينة طرطوشة ، ليحصرها فبلغ ذلك الحكم ؛ فجمع العساكر وسيَّرها مع ولده عبد الرحمن ، فاجتمعوا في جيش عظيم ، وتبعهم كثير من المتطوعة ، فساروا فلقوا الافرنج في أطراف بلادهم قبل أن ينالوا من بلاد المسلمين شيئاً ، فاقتتلوا وبذل كل من الطائفتين جهدَه واستنفذ وسعه ، فانزل الله تعالى نصره على المسلمين ، فانهزم الكفار، وكثر القتل فيهم والاسر ، ونُهِبَت أموالهم ، وأثقالهم ، وعاد المسلمون ظَافرين غانمين .

ذكر عصيان حزم على الحكم

في هذه السنة خالف حزم بن وهب بناحية باجة ، ووافقه غيره ، وقصدوا لشبونة[1] ، وكان الحكم يسمِّي حزماً ـ في كتبه ـ النبطي ؛ فلما سمع الحكم خبره ، سيَّر إليه ابنه هشاماً في جمعٍ كثيرٍ ، فأذلَّه ومَنْ معه ، وقطع الاشجار وضيَّق عليهم حتى أذعنوا لطلب الأمان فأمنه.

ذكر عزل علي بن عيسى بن ماهان عن خراسان وولاية هرثمة

وفيها عَزَلَ الرشيد علي بن عيسى بن ماهان عن خراسان ، وكان سبب ذلك ما ذكرناه من قتل ابنه عيسى فلما قتل، جَزَعَ عليه أبوه ، فخرج عن بلخ إلى مرو ، مخافة عليها أن يسير إليها رافع بن الليث ليأخذها ، وكان ابنه عيسى قد دفنَ في بستان في داره

---

(١) بفتح اللام وسكون الشين المعجمة وباء موحدة وواو ساكنة ونون وهاء ويقال: أشبونة بالألف

ببلخ أموالاً عظيمة ، قيل : كانت ثلاثين ألف ألف ولم يعلم بها أبوه ولم يطلع عليها إلاّ جارية له ؛ فلما سار علي بن عيسى إلى مرو أطلعت الجارية على ذلك بعض الخدم ، وتحدث به الناس ، واجتمعوا ، ودخلوا البستان ، ونهبوا المال ، وبلغ الرشيد الخبر فقال : خرج عن بلخ من غير أمري ، وخلّف مثل هذا المال وهو يزعم أنه قد باع حليّ نسائه فيما أنفق على محاربة رافع ، فعزله ، واستعمل هرثمة بن أعين .

وكان قد نقم الرشيد عليه ما كان يبلغه من سوء سيرته وإهانته أعيان الناس واستخفافه بهم ؛ فمن ذلك أنه دخل عليه يوماً الحسين بن مصعب والد طاهر بن الحسين، وهشام بن فرخسرو فسلّما عليه فقال للحسين: لا سلّم الله عليك يا ملحد ابن الملحد، والله إني لأعرف ما أنت عليه من عداوة الاسلام ، والطعن في الدين ولم أنتظر بقتلك إلا أمر الخليفة ، ألست المرجف بي في منزلي هذا بعد أن ثملْتَ من الخمر ، وزعمت انك جاءتك كتب من بغداد بعزلي ؟ أخرج إلى سخط الله لعنك الله فعن قريب ما يكون منها ؛ فاعتذر إليه فلم يقبل عذره ، وأمر بإخراجه فأُخرِج ، وقال لهشام بن فرخسرو : صارت دارك دار الندوة ، يجتمع إليك السفهاء ، تطعن على الولاة سفك الله دمي ، إن لم أسفك دمك ، فاعتذر إليه ، فلم يعذره ، فأخرجه .

فأما الحسين فسار إلى الرشيد ، فاستجار به ، وشكا إليه فأجاره ، وأما هشام فإنه قال لبنت له : إني أخاف الأمير على دمي وأنا مفضٍ إليك بأمر إن أنت اظهرته قُتِلْتُ وإن أنتِ كتمته سلِمْتُ قالت : وما هو؟ قال: قد عزمت على أن أظهر أن الفالج قد أصابني، فإذا كان في السحر فاجمعي جواريك واقصدي فراشي وحركيني ، فإذا رأيت حركتي ثقلت ، فصيحي أنتِ وجواريك ، واجمعي اخوتك ، فأعلميهم علتي ؛ ففعلت ما أمرها وكانت عاقلة فأقام مطروحاً على فراشه حيناً لا يتحرك إلى أن جاء هرثمة والياً، فركب إلى لقائه فرآه علي بن عيسى بن ماهان فقال : إلى أين؟ فقال: أتلقى الأمير أبا حاتم قال : الم تكن عليلاً ؟ فقال: وهب الله العافية ، وعزل الطاغية في ليلة واحدة فعلى هذا تكون ولاية هرثمة ظاهرة .

وقيل : بل كانت ولايته سرّاً، لم يطلع الرشيد أحداً ، فقيل : إنه لما أراد عزل علي بن عيسى ، استدعى هرثمة وأسر إليه ذلك ، وقال له : ان علي بن عيسى قد كتب يستمدني بالعساكر والأموال، فأظهر للناس أنك تسيِّر إليه نجدة له ؛ وكتب له الرشيد

كتاباً بولايته بخط يده ، وأمر كتَّابه أن يكتبوا له إلى علي بن عيسى بأنه قد سيَّر هرثمة نجدة له، فسار هرثمة ولا يعلم بأمره أحد حتى ورد نيسابور ، فلما وردها، استعمل أصحابه على كورها وسار مجدّاً يسبق الخبر، فأتى مرو والتقاه علي بن عيسى ، فاحترمه هرثمة، وعظّمه، حتى دخل البلد ثم قبض عليه ، وعلى أهله ، وأصحابه، وأتباعه وأخذ أمواله فبلغت ثمانين ألف ألف ، وكانت خزائنه وأثاثه على ألف وخمسمائة بعير ، فأخذ الرشيد ذلك كله ؛ وكان وصول هرثمة إلى خراسان سنة اثنتين وتسعين ، فلما فرغ هرثمة من أخذ أموالهم اقامهم لمطالبة الناس ، وكتب إلى الرشيد بذلك ، وسيَّر علي بن عيسى اليه ، على بعيرٍ بغير وطاء ولا غطاء .

ذكر عدة حوادث

فيها خرج خارجي يقال له : ثروان[١] بن سيف بناحية حولايا ، وتنقّل في السواد فوجّه إليه طوق بن مالك ، فهزمه طوق وجرحه ، وقَتَلَ عامة أصحابه ؛ وفيها خرج أبو النداء[٢] بالشام ، فسيَّر الرشيد في طلبه يحيى بن معاذ، وعقدَ له على الشام ؛ وفيها ظفر حماد البربري بهيصم اليماني ، وفيها أرسل أهل نسف إلى رافع بن الليث ، يسألونه أن يوجه إليهم مَنْ يعينهم على قتل عيسى بن علي بن عيسى، وعلي بن عيسى فأرسل إليهم جمعاً ، فقتلوا عيسى وحدَه في ذي القعدة ولم يعرضوا لأصحابه ، وفيها غزا يزيد بن مخلد الهبيري أرض الروم في عشرة آلاف ، فأخذت الروم عليه المضيق، فقتلوه وخمسين رجلاً ، وسَلِمَ الباقون ، وكان ذلك على مرحلتين من طرسوس ، وفيها استعمل الرشيد على الصائفة هرثمة بن أعين قبل أن يوليه خراسان، وضمَّ إليه ثلاثين ألفاً من أهل خراسان ، ورتَّب الرشيد بدرب الحدْث عبد الله بن مالك ، وبمرعش سعيد بن سلم بن قتيبة ، فأغارت الروم عليها فأصابوا من المسلمين وانصرفوا ، ولم يتحرك سعيد من موضعه ، وبعث محمد بن يزيد بن مزيد إلى طرسوس؛ وأقام الرشيد بدرب الحدث ثلاثة أيام من رمضان ، وعاد الى الرقة ؛ وأمر الرشيد بهدم الكنائس بالثغور ، وأخذ أهل الذمَّة، بمخالفة هيئة المسلمين في لباسهم ، وركوبهم ، وأمر هرثمة ببناء طرسوس، وتمصيرها، ففعل، وتولى ذلك فرخ الخادم بأمر الرشيد؛ وسيَّر

---

(١) في نسخة « بزوان » بالباء الموحدة والزاي وهو تصحيف وما هنا موافق لما في الطبري .

(٢) في نسخة « أبو الوليد» وهو تصحيف وما هنا موافق لما في الطبري .

إليها جنداً من أهل خراسان ثلاثة آلاف ، ثم اشخص إليهم ألفاً من أهل المصيصة ، وألفاً من أهل انطاكية ، وتمَّ بناؤها سنة اثنتين وتسعين ومائة وبنى مسجدها .

وحجَّ بالناس هذه السنة الفضل بن العباس بن محمد بن علي ، وكان أميراً على مكة ، وكان على الموصل محمد بن الفضل بن سليمان . وفيها توفي الفضل بن موسى السيناني أبو عبد الله المروزي مولى بني قطيعة، وكان مولده سنة خمس عشرة ومائة. (السيناني) بكسر السين المهملة وبالياء المثناة من تحتها وبالنون قبل الألف ثم بنون بعده منسوب إلى سينان وهي قرية من قرى مرو .

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ومائة

ذكر مسير الرشيد إلى خراسان

فيها سار الرشيد من الرقَّة إلى بغداد، يريد خراسان لحرب رافع بن الليث، ـ وكان مريضاً ـ واستخلف على الرقة ابنه القاسم ، وضمَّ إليه خزيمة بن خازم ، وسار من بغداد إلى النهروان لخمس خلَوْنَ من شعبان، واستخلف على بغداد ابنه الأمين، وأمر المأمون بالمقام ببغداد ؛ فقال الفضل بن سهل للمأمون حين أراد الرشيد المسير إلى خراسان : لست تدري ما يحدث بالرشيد وخراسان ولايتك ومحمد الأمين المقدّم عليك وإنّ أحسن ما يصنع بك أن يخلعك وهو ابن زبيدة ، وأخواله بنو هاشم ، وزبيدة وأموالها ؛ فاطلب إلى أمير المؤمنين أن تسير معه ؛ فطلب إليه ذلك فأجابه بعد امتناع ؛ فلما سار الرشيد سايره الصباح الطبري فقال له : يا صباح لا أظنك تراني أبداً ، فدعا، فقال: ما أظنك تدري ما أجد ، قال الصباح : لا والله فعدل عن الطريق واستظلّ بشجرة ، وأمر خواصه بالبعد ، فكشف عن بطنه ، فإذا عليه عصابة حرير حوالي بطنه فقال : هذه علة أكتمها الناس كلّهم ، ولكل واحدٍ من ولدي عليَّ رقيب، فمسرور رَقيبُ المأمون ؛ وجبرائيل بن بختيشوع رقيبُ الأمين وما منهم أحدٌ إلَّا وهو يحصي أنفاسي ويستطيل دهري ، وان أردت أن تعلم ذلك ، فالساعة أدعو بدابَّة فيأتوني بدابة أعجف قطوفَ ، لتزيد بي علتي فاكتم عليَّ دلك ؛ فدعا له بالبقاء ، ثم طلب الرشيد دابة فجاؤوا بها على ما وصف فنظر إلى الصباح وركبها .

ذكر عدة حوادث

وفيها تحركت الخرمية بناحية آذربيجان، فوجّه إليهم الرشيد عبد الله بن مالك في عشرة آلاف ، فقتل ، وسبى، وأسر ووافاه بقرماسين ، فأمره بقتل الأسرى، وبيع

السبي ؛ وفيها قدم يحيى بن معاذ على الرشيد بأبي النداء فقتله ، وفيها فارقَ جماعةٌ من القواد رافع بن الليث ، وصاروا إلى هرثمة، منهم عجيف بن عنبسة وغيره؛ وفيها استعمل الرشيد على الثغور ثابت بن نصر بن مالك، وغزا، فافتتح مطمورة، وفيها كان الفداء بالبذندون ؛ وفيها خرج ثروان الحروري بطف البصرة ، فقاتل عامل السلطان بها ؛ وفيها مات عيسى بن جعفر بن المنصور بالدسكرة(١) وهو يريد اللحاق بالرشيد ؛ وفيها قتل الرشيد الهيصم الكناني(٢) .

وحجَّ بالناس هذه السنة العباس بن عبد الله بن جعفر بن المنصور ؛ وفيها كان وصول هرثمة إلى خراسان كما تقدم ، وحصر هرثمة رافع بن الليث بسمرقند ، وضايقه ، واستقدَم طاهر بن الحسين ، فحضر عنده ، وخلت خراسان لحمزة الخارجي ، حتى دخلها، وصار يقتل ، ويجمع الأموال ، ويحملها إليها عمال هراة ، وسجستان ، فخرج إليه عبد الرحمن النيسابوري ، فاجتمع اليه نحو عشرين ألفاً ، فسار إلى حمزة، فقاتله قتالاً شديداً فقتلَ من أصحاب حمزة خلقاً ، وسار خلفه حتى بلغ هراة ، وكان ذلك سنة أربع وتسعين ، فكتب إليه المأمون فردَّه ، وأدام هرثمة على حصار سمرقند حتى فتحها على ما نذكره إن شاء الله تعالى ؛ وقتل رافع بن الليث وجماعة من أقربائه ، واستعمل على ما وراء النهر ابن يحيى ، فعاد ، وكان قتله رافعاً سنة خمس وتسعين .

وفي هذه السنة توفي عبد الله بن ادريس بن يزيد الأودي الكوفي(٣) ، ويوسف بن أبي يوسف القاضي(٤) ؛ وفيها كان الفداء الثاني بين المسلمين والروم ، وكان القيِّم به ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي ؛ وكان عدة الأسرى من المسلمين ألفين وخمسمائة أسير .

---

(١) وقيل بطرارستان .

(٢) في الطبري « الهيصم اليماني » .

(٣) كان الرشيد استدعاه ليوليه القضاء فقال : لا أصلح وامتنع اشد الامتناع .

(٤) ولي القضاء الجانب الشرقي ببغداد في حياة أبيه ابي يونس .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائة

ذكر موت الفضل بن يحيى

في هذه السنة مات الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك في الحبس بـالرقـة، وكانت علته أنه أصابه ثقل في لسانه وشقّه ، فعولج أشهراً فبرأ ، وكان يقول : ما أحب أن يموت الرشيد لأن أمري قريب من أمره، فلما صحَّ من علته ، وتحدث ، عـادته العلَّة ، واشتدت عليه ، وانعقد لسانه ، وطرفه ، فمات في المحرم ، وصلَّى عليه اخوانه في القصر الذي كانوا فيه ، ثم أُخرِجَ فصلَّى عليـه الناس ، وجـزِعَ الناسُ ، وكـان موتـهُ قبل الـرشيد بخمسـة أشهـر وهـو ابن خمس وأربعين سنـة ، وكـان من محاسن الدنيا لم ير في العالم مثله ، ولاشتهار أخباره، وأخبار أهله وحسن سيرتهم لم نذكرها ؛ وفيها مات سعيد الطبري المعروف بالجوهري ؛ وفيها كانت وقعة بين هرثمة وأصحاب رافع كان الظفر لهرثمة وافتتح بخارى وأسر بشيراً أخا رافـع فبعث به إلى الرشيد .

ذكر موت الرشيد

وفي هذه السنة مات الرشيد أول جمادى الآخرة لثلاث خلَوْن منه ، وكانت قد اشتدت علَّته بالطريق بجرجان ، فسار إلى طوس فمات بها .

قال جبرائيل بن بختيشوع : كنت مع الرشيد بالرقَّة ، وكنت أول من يدخل عليه في كل غداة أتعرَّف حاله في ليلته ، ثم يحدثني وينبسط إليَّ ويسألني عن أخبار العامة ، فدخلت عليه يوماً ، فسلَّمت عليه ، فلم يكد يرفع طرْفه ، ورأيته عابساً مفكراً مهموماً ، فوقفتُ ملياً من النهار وهو على تلك الحال ، فلمَّا طال ذلك أقدمْتُ فسألته عن حاله ، وما سببه ، فقال : إن فكري وهمّي لرؤيا رأيتها في ليلتي هذه قـد أفزعتني ومـلأتْ

صدري ، فقلت : فرجت عني يا أمير المؤمنين ؛ ثم قبلتُ يده ورجله ، وقلت : الرؤيا إنما تكون لخاطر أو بخارات رديئة ، وتهاويل السوداء وهي أضغاث أحلام قال : فإني أقصُّها عليك ، رأيت كأني جالس على سريري هذا إذ بدت من تحتي ذراع أعرفها وكفُّ أعرفها ، لا أفهم اسم صاحبها وفي الكف تربة حمراء ، فقال لي قائل أسمعه ، ولا أرى شخصه : هذه التربة التي تُدفَنُ فيها ، فقلت : وأين هذه التربة ؟ قال : طوس وغابت اليدُ وانقطع الكلامُ ، فقلت : أحسبك لما أخذت مضجعك فكرت في خراسان ، وما ورد عليك منها ، وانتقاض بعضها ، فذلك الفكر أوجب هذه الرؤيا ، فقال : كان ذلك فأمرته باللهو والانبساط ، ففعل ، ونسينا الرؤيا ، وطالت الأيام ؛ ثم سار إلى خراسان لحرب رافع فلما صار ببعض الطريق ، ابتدأت به العلَّة ، فلم تزل تزيد حتى دخلنا طوس ، فبينا هو يمرضُ في بستان في ذلك القصر الذي هو فيه إذْ ذَكَرَ تلك الرؤيا ، فوثب متحاملاً يقوم ، ويسقط ، فاجتمعنا إليه نسأله ، فقال : أتذكر رؤياي بالرقة في طوس ، ثم رفع رأسه إلى مسرور فقال : جئني من تربة هذا البستان فأتاه بها في كفِّه حاسراً عن ذراعيه ، فلما نظر إليه قال : هذه والله الذراع التي رأيتها في منامي ، وهذه الكف بعينها ، وهذه التربة الحمراء ما خرمت شيئاً ؛ وأقبل على البكاء والنحيب ، ثم مات بعد ثلاثة .

قال أبو جعفر : لما سار الرشيد عن بغداد إلى خراسان بلغ جرجان في صفر ـ وقد اشتدَّت علته ـ ، فسير ابنه المأمون إلى مرو وسيَّر معه من القواد عبدالله بن مالك ، ويحيى بن معاذ ، وأسد بن يزيد ، والعباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث ، والسندي الحرشي ، ونعيم بن حازم ؛ وسار الرشيد إلى طوس ، واشتدَّ به الوجع حتى ضعف عن الحركة ، فلما أثقل أرجف به الناس ، فبلغه ذلك فأمر بمركوب ليركبه ليراه الناس ، فأُتي بفرس فلم يقدر على النهوض فأُتي ببرذون فلم يطق النهوض ، فأُتي بحمار فلم ينهض فقال : ردوني ردوني صدق والله الناس ، ووصل إليه ـ وهو بطوس ـ بشير بن الليث أخو رافع أسيراً فقال الرشيد : والله لو لم يبق من أجلي إلا أن أحرك شفتي بكلمة لقلت : اقتلوه ، ثم دعا بقصَّاب فأمر به ففصل أعضاءه ، فلما فرغ منه أغمي عليه ، وتفرق الناس عنه ، فلما آيس من نفسه أمر بقبره ، فحفر في موضع من الدار التي كان فيها ، وأنزل إليه قوماً فقرؤوا فيه القرآن حتى ختموا ـ وهو في محفة على

شفير القبر يقول ـ : ابن آدم تصير إلى هذا وكان يقول في تلك الحال : واسوأتاه من رسول الله ﷺ، وقال الهيثم بن عدي : لما حضرت الرشيدَ الوفاةُ غشي عليه ، ففتح عينيه منها فرأى الفضل بن الربيع على رأسه فقال : يا فضل .

أحين دنـا مـا كنت أرجـو دُنُـوَّهُ ... رمتني عيونُ الناس من كلّ جانبِ
فأصبحتُ مـرحومـاً وكنت محسداً ... فصبـراً على مكروه أمن العـواقبِ
سأبكي على الوصْل الذي كان بيننا ... وأنـدبُ أيـامَ السـرورِ الـذواهبِ

قال سهل بن صاعد : كنت عند الرشيد ـ وهو يجود بنفسه ـ فدعا بملحفةٍ غليظةٍ فاحتبى بها ، وجعل يقاسي ما يقاسي ، فنهضت فقال : اقعد ، فقعدتُ طويـلاً لا يكلمني ولا أكلمه فنهضتُ فقال : أين يا سهل ؟ فقلت : ما يتسع قلبي يا أمير المؤمنين تعاني من المرض ما تعاني[1] فلو اضطجعت يا أمير المؤمنين فضحك ضحكاً صحيحاً ثم قال : يا سهل أذكر في هذه الحال قول الشاعر :

وإني من قـوم كـرام يـزيـدهم ... شمـاسـاً وصبـراً شـدة الحـدثـان

ثم مات وصلّى عليه ابنه صالح ، وحضر وفاته الفضل بن الربيع ، واسماعيل بن صبيح ، ومسرور ، وحسين ، ورشيد ، وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وشهـرين وثمانية عشر يوماً ، وقيل : ملك ثلاثاً وعشرين سنة وشهراً وستة عشر يوماً ، وكان عمره سبعاً وأربعين سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام ، وكان جميلاً وسيماً أبيض جعداً قـد وخطه الشيب قال : وكان في بيت المال لما توفّي تسعمائة ألف ونيِّف .

ذكر ولاة الأمصار أيام الرشيد

(ولاة المدينة) اسحـاق بن عيسى بن علي ، عبد الملك بن صـالح بن علي محمد بن عبد الله ، موسى بن عيسى بن موسى ، ابراهيم بن محمد بن ابـراهيم ، علي بن عيسى بن مـوسى ، محمـد بن ابـراهيم ، عبـد الله بن مصعب ، بكـار بن عبد الله بن مصعب ، محمد بن علي ، أبو البختري ، وهب بن منبه .

(ولاة مكة) العبَّاس بن محمد بن ابراهيم ، سليمان بن جعفر بن سليمـان ،

---

(١) في نسخة « يعانيِ من المرض ما يعاني » .

موسى بن عيسى بن موسى ، عبدالله بن محمد بن ابراهيم ، عبدالله بن قثم بن العباس ، عبيد الله بن قثم ، عبد الله بن محمد بن عمران ، عبيد الله[1] بن محمد بن ابراهيم ، العباس بن موسى بن عيسى ، علي بن موسى بن عيسى ، محمد بن عبد الله العثماني ، حماد البربري ، سليمان بن جعفر بن سليمان ، الفضل بن العباس بن محمد ، أحمد بن اسماعيل بن علي .

(ولاة الكوفة) موسى بن عيسى بن موسى ، محمد بن ابراهيم ، عبيد الله بن محمد بن ابراهيم ، يعقوب بن أبي جعفر ، موسى بن عيسى بن موسى، العباس بن عيسى بن موسى ، اسحاق بن الصباح الكندي ، موسى بن عيسى بن موسى ، العباس بن عيسى بن موسى ، موسى بن عيسى بن موسى ، جعفر بن أبي جعفر .

(ولاة البصرة) محمد بن سليمان بن علي ، سليمان بن أبي جعفر ، عيسى بن جعفر بن أبي جعفر ، خزيمة بن خازم ، عيسى بن جعفر ، جرير بن يزيد ، جعفر بن سليمان ، جعفر بن أبي جعفر ، عبد الصمد بن علي ، مالك بن علي الخزاعي ، اسحاق بن سليمان بن علي ، سليمان بن أبي جعفر ، عيسى بن جعفر ، الحسن بن جميل مولى أمير المؤمنين ، عيسى بن جعفر بن أبي جعفر ، جرير بن يزيد ، عبد الصمد بن علي ، اسحاق بن عيسى بن علي .

(ولاة خراسان) أبو العباس الطوسي ، جعفر بن محمد بن الأشعث ، العباس بن جعفر ، الغطريف بن عطاب، سليمان بن راشد .(على الخراج) حمزة بن مالك ، الفضل بن يحيى بن خالد ، منصور بن يزيد بن منصور ، جعفر بن يحيى وخليفته بها علي بن عيسى بن ماهان ، هرثمة بن أعين ، العباس بن جعفر ، للمأمون بها علي بن الحسن بن قحطبة .

ذكر نسائه وأولاده

قيل : تزوج زبيدة ـ وهي أم جعفر بنت جعفر بن المنصور ـ وأعرس بها سنة خمس وستين ومائة فولدت محمداً الأمين ، وماتت سنة ست وعشرين ومائتين ، وتزوَّج أمة العزيز ، أم ولد الهادي ، فولدت له علي بن الرشيد ، وتزوَّج أم محمد بنت صالح

(١) في الطبري « عبدالله بالتكبير » .

المسكين ، وتزوَّج العباسية بنت سليمان بن المنصور ، وتزوّج عزيزة ابنة خاله الغطريف ، وتزوج العثمانية وهي ابنة عبد اللهبن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وجدة أبيها فاطمة بنت الحسين بن علي .

ومات الرشيد عن أربع مهائر: زبيدة، وأم محمد بنت صالح ، وعباسة ، والعثمانية ، وكان قد ولد له من الذكور محمد الأمين من زبيدة ، وعبد الله المأمون لأم ولد اسمها مراجل ، والقاسم المؤتمن ، وأبو اسحاق محمد المعتصم ، وصالح ، وأبو عيسى محمد ، وأبو يعقوب محمد ، وأبو العباس محمد ، وأبو سليمان محمد ، وأبو علي محمد ، وأبو محمد وهو اسمه ، وأبو أحمد محمد كلهم لأمهات أولاد ، وله من البنات سكينة ، وأم حبيب ، وأروى ، وأم الحسن ، وأم محمد وهي حمدونة ، وفاطمة ، وأم أبيها ، وأم سلمة ، وخديجة ، وأم القاسم ، ورملة ، وأم جعفر ، وأم علي ، والغالية[١] ، وريطة ، كلهن لأمهات اولاد.

ذكر بعض سيرته

قيل : كان الرشيد يصلِّي كل يوم مائة ركعة إلى أن فارق الدنيا إلاَّ من مرض[٢] ، وكان يتصدق من صلب ماله كلَّ يوم بألف درهم بعد زكاته ، وكان إذا حجَّ ، حجَّ معه مائة من الفقهاء وأبنائهم، فإذا لم يحجَّ، أحجَّ ثلاثمائة رجل بالنفقة السابغة ، والكسوة الطاهرة[٣] . وكان يطلب العمل بآثار المنصور إلاّ في بذل المال ، فإنه لم يرَ خليفةً قبله كان أعطى منه للمال ، وكان لا يضيع عنده إحسانُ محسنٍ ، ولا يؤخّر ذلك ، وكان يحب الشعر والشعراء، ويميل إلى أهل الأدب والفقه، ويكره المراء في الدين، وكان يحب المديح لا سيما من شاعر فصيح ، ويجزل العطاء عليه ، ولما مدحه مروان بن أبي حفصة بقصيدة التي منها :

وسدت بهارون الثغور فأحكمت ... به من أمور المسلمين المرائر

أعطاه خمسة آلاف دينار وخلعه، وعشرة من الرقيق الرومي، وبرذوناً من خاص

---

(١) في نسخة « والعالية » .

(٢) في الطبري « الا أن تعرض له علة » .

(٣) في الطبري « والكسوة الباهرة » .

مركبه، وقيل: كان مع الرشيد ابن أبي مريم المديني، وكان مضحاكاً فكهاً، يعرف أخبار أهل الحجاز، والقاب الأشراف، ومكايد المجّان، فكان الرشيد لا يصبر عنه، وأسكنه في قصره، فجاء ذات ليلة وهو نائم فقام الرشيد إلى صلاة الفجر فكشف اللحاف عنه ، وقال : كيف أصبحت ؟ فقال: ما أصبحت بعد، اذهب الى عملك قال : قم إلى الصلاة، قال: هذا وقت صلاة أبي الجارود ، وأنا من أصحاب أبي يوسف فمضى الرشيد يصلّي، وقام ابن أبي مريم وأتى الرشيد ، فرآه يقرأ في الصلاة ﴿ ومالي لا أعبد الذي فطرني ﴾ فقال : ما أدري والله ، فما تمالك الرشيد أن ضحك ثم قال ـ وهو مغضب ـ: في الصلاة أيضاً ؟ قال: ما صنعت ؟ قال: قطعت عليَّ صلاتي قال : والله ما فعلت إنما سمعتُ منك كلاماً غمني حين قلت : ﴿ ومالي لا أعبد الذي فطرني ﴾ فقلت: لا أدري فعاد الرشيد الضحكة ثم قال له : إياك والقرآن والدين ، ولك ما شئت بعدهما.

وقيل : استعمل يحيى بن خالد رجلاً على بعض أعمال الخراج، فدخل على الرشيد يودعه، وعنده يحيى، وجعفر فقال لهما الرشيد: أوصياه فقال يحيى : وفِّر[1]، وأعمر ، وقال جعفر : انصف وانتصف فقال الرشيد : اعدل وأحسن ، وقيل : حجَّ الرشيد مرة فدخل الكعبة فرآه بعض الحجبة ، وهو واقف على أصابعه يقول: يا مَنْ يملك حوائج السائلين ، ويعلم ضميرَ الصامتين ، فإن لكل مسألة منك ردّاً حاضراً وجواباً عتيداً، ولكل صامتٍ منك علم محيط ناطق بمواعيدك الصادقة ، وأياديك الفاضلة ، ورحمتك الواسعة ، صلِّ على محمد وعلى آل محمد واغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا يا مَنْ لا تضره الذنوب ، ولا تخفى عليه الغيوب[2] ولا تنقصه مغفرة الخطايا، يا مَنْ كبس الأرض على الماء ، وسدَّ الهواء بالسماء، واختار لنفسه أحسن الأسماء صلِّ على محمد وعلى آل محمد ، وخر لي في جميع أموري يا من خشعت له الأصوات بأنواع اللغات يسألونه[3] الحاجات ، إن من حاجتي إليك أن تغفرَ لي ذنوبي إذا توفيتني ، وصُيِّرت في لحدي ، وتفرَّق عني أهلي وولدي ، اللهم لك الحمد حمداً يفضل كل

---

(١) في الطبري «وفر» بالفاء .

(٢) في الطبري « العيوب » بالعين المهملة .

(٣) في الطبري « يسألونك » .

حمد كفضلك على جميع الخلق ، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد صلاةً تكون له رضاً ، وصلِّ عليه صلاة تكون له ذخراً[١] وأجْزه عنَّا الجزاء الأوفى ، اللهم أحْيِنا سعداء ، وتوفَّنا شهداء ، واجعلنا سعداء مرزوقين ، ولا تجعلنا أشقياء مرجومين .

وقيل : دخل ابن السماك على الرشيد فبينما هو عنده ، إذ طلب ماء ، فلما أراد شربه قال له ابن السماك : مهلاً يا أمير المؤمنين بقرابتك من رسول الله ﷺ لو منعت هذه الشربة بكم كنت تشتريها ؟ قال: بنصف ملكي قال : اشربْ فلما شرب قال : أسألك بقرابتك من رسول الله ﷺ لو منعت خروجها من بدنك بماذا كنت تشتريها ؟ قال : بجميع ملكي قال : إنَّ ملكاً لا يساوي شربة ماء وخروج بولة لجدير أن لا ينافسَ فيه ؛ فبكى الرشيد ، وقيل : كان الفضيل بن عياض يقول : ما من نفس أشدُّ عليَّ موتاً من هارون الرشيد لودَدْت أن الله زاد من عمري في عمره ، فعظم ذلك على أصحابه .

فلما مات وظهرت الفتن وكان من المأمون ما حمل الناس عليه من القول بخلق القرآن قالوا : الشيخ أعلم بما تكلم به ، وقال محمد بن منصور البغدادي : لما حبس الرشيد أبا العتاهية جعل عليه عيناً يأتيه بما يقول فرآه يوماً قد كتب على الحائط :

أما والله إنَّ الظلم لؤمٌ ... وما زال المسيء هو الظلوم
إلى ديان يوم الدين نمضي ... وعند الله تجتمعُ الخصومُ

فأخبر بذلك الرشيد فبكى ، وأحضره واستحلَّه ، وأعطاه ألف دينار ، وقال الأصمعي : صنع الرشيد يوماً طعاماً كثيراً وزخرف مجالسه ، وأحضر أبا العتاهية فقال له : صفْ لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا فقال :

عِشْ ما بدَا لكَ سالماً ... في ظل شاهقة القصور

فقال : أحسنت ثم قال : ماذا؟ فقال :

يسعى عليك بما اشتهيـ ... ـت لدى الرواح وفي البكور

فقال: أحسنت ثم ماذا؟ فقال:

(١) في الطبري « حرزا » .

فــإذا الـنفــوسُ تـقعـقعـتْ   في ظلِّ حشرجـةِ الصـدورِ
فـهـنــاك تـعـلـمُ مــوقـنــاً   مــا كـنـت إلاَّ فــي غــرور

فبكى الرشيد ، وقال الفضل بن يحيى : بعث إليك أمير المؤمنين لتسرَّه فحزنته فقال : دعه ، فإنه رآنا في عمى فكَرِهَ أن يزيدنا .

خلافة الأمين

وفي هذه السنة بويع الأمين بالخلافة في عسكر الرشيد صبيحة الليلة التي تُوفي فيها : وكان المأمون حينئذ بمرو ، فكتب حمويه مولى المهدي صاحب البريد إلى نائبه ببغداد ـ وهو سلام أبو مسلم ، يعلمه بوفاة الرشيد فدخل أبو مسلم على الأمين فعزَّاه ، وهنَّاه بالخلافة ؛ فكان أول الناس فعَلَ ذلك .

وكتب صالح بن الرشيد إلى أخيه الأمين يخبره بوفاة الرشيد مع رجاء الخادم ، وأرسل معه الخاتم ، والقضيب ، والبردة ، فلمَّا وصل رجاء انتقل الأمين من قصره بالخلد إلى قصر الخلافة ، وصلَّى بالناس الجمعة ثم صعد المنبر ، فنعى الرشيد ، وعزَّى نفسه ، والناس ، ووعدهم الخير ، وأمن الأبيض ، والأسود ، وفرَّق في الجند الذين ببغداد رزق أربعة وعشرين شهراً ودعا إلى البيعة فبايعه جلة أهل بيته ، وكل عم ابنه[١] ، وأمر سليمان بن المنصور بأخذ البيعة على القوّاد وغيرهم ، فأمر السندي أيضاً بمبايعة مَنْ عداهم .

ذكر ابتداء الاختلاف بين الأمين ، والمأمون

في هذه السنة ابتدأ الاختلاف بين الأمين ، والمأمون ، ابني الرشيد ، وكان سبب ذلك أن الرشيد لما سار نحو خراسان ، وأخذ البيعة للمأمون على جميع مَنْ في عسكره من القواد وغيرهم ، وأقرَّ له بجميع ما معه من الأموال وغيرها على ما سبق ذكره ، عَظُمَ على الأمين ذلك ، ثم بلغه شدَّة مرض الرشيد ، فأرسل بكر بن المعتمر ، وكتب معه كتبا وجعلها في قوائم صناديق المطبخ ، وكانت منقورةً ، وألبسها جلودَ البقر وقال : لا تظهرَنَّ أمير المؤمنين ولا غيره على ذلك حتى يموت أمير المؤمنين ، ولو قتلت فإذا مات

(١) في الطبري « ووكل ببيعته على من بقي منهم عم أبيه سليمان بن أبي جعفر » وسليمان بن أبي جعفر : هو سليمان بن المنصور وهو عم هارون الرشيد ففي النسخ تحريف وما في الطبري صحيح .

فادفعْ إلى كل إنسان منهم ما معك ؛ فلما قدم بكر بن المعتمر طوس بلغ هارون قدومه ، فدعا به ، وسأله عن سبب قدومه فقال : بعثني الأمين لآتيه بخبرك . قال : فهل معك كتاب ؟ قال: لا ، فأمر بما معه ففتِّش، فلم يصيبوا شيئاً فأمر به فضُرب، فلم يقرَّ بشيء، فحبسه، وقيَّده، ثم أمر الفضل بن الربيع بتقريره، فإن أقرَّ وإلاَّ اضرِبْ عنقه ، فقرَّره فلم يقرَّ بشيء ، ثم غشِيَ على الرشيد ، فصاح النساء، فأمسك الفضل عن قتله، وحضر عند الرشيد فأفاق ـ وهو ضعيف ـ قد شغل عن بكر ، وغيره ثم مات .

وكان بكر قد كتب إلى الفضل يسأله أن لا يعجل في أمره بشيء فان عنده أشياء ، يحتاج إلى عملها ، فاحضره الفضل وأعلمه بموت الرشيد ، وسأله عما عنده ، فخاف أن يكون الرشيد حيّاً ، فلما تيقَّن موته ، أخرج الكتب التي معه وهي كتاب إلى أخيه المأمون[1] ، يأمره بترك الجزع وأخذ البيعة على الناس لهما ولأخيهما المؤتمن ، ولم يكن المأمون حاضراً، كان بمرو ، وكتاب إلى أخيه صالح[2] يأمره بتسيير العسكر ، واستصحاب ما فيه ، وأن يتصرفَ هو ومن معه برأي الفضل ، وكتاب إلى الفضل يأمره بالحفظ والاحتياط على ما معه من الحرم والاموال وغير ذلك، وأقرَّ كلَّ منْ كان اليه عملٌ كصاحب الشرطة ، والحرس، والحجابة ، فلما قرؤوا الكتب ، تشاوروا هُم والقواد في اللحاق بالأمين ، فقال الفضل بن الربيع : لا أدعُ ملكاً حاضراً لآخر ما أدري ما يكون من أمره ؛ وأمر الناس بالرحيل ، فرحلوا محبة منهم لأهلهم ووطنهم ، وتركوا العهود التي كانت أخذت عليهم للمأمون ، فلمَّا بلغ المأمون ذلك ، جمع مَنْ عنده من قوَّاد أبيه ، وهم عبد الله بن مالك ، ويحيى بن معاذ ، وشبيب بن حميد بن قحطبة ، والعلاء مولى هارون وهو على حجابته ، والعباس بن المسيب بن زهير وهو على شرطته، وأيوب بن أبي سمير وهو على كتابته ، وعبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح ، وذو الرياستين ، وهو أعظمهم عنده قدراً وأخصَّهم به ، واستشارهم ، فأشاروا أن يلحقهم في الفي فارس جريدة، فيردّهم فخلا به ذو الرياستين وقال : إن فعلت ما أشار به هؤلاء جعلوك هديةً إلى أخيك[3] ولكنَّ الرأي أن تكتب إليهم كتاباً، وتوجِّه

(١) وقد أورد الطبري نص الكتاب فليراجع .

(٢) وقد أورد الطبري نص الكتاب فليراجع .

(٣) في الطبري « جعلت هؤلاء هدية الى محمد» .

رسولاً يذكِّرهم البيعة ، ويسألهم الوفاء ، ويحذرهم الحنث وما فيه دنياً وآخرة ؛ ففعل ذلك ، ووجَّه سهل بن صاعد ، ونوفلاً الخادم ، ومعهما كتاب ، فلحقا الجند ، والفضل بنيسابور فأوصلا إلى الفضل كتابه فقال : إنَّما أنا واحد من الجند ؛ وشدَّ عبد الرحمن بن جبلة الأنباري على سهل بالرمح ليطعنه ، فأمره على جنبه وقال له : قل لصاحبك لو كنت حاضراً لوضعته في فيك وسبَّ المأمون ، فرجعا إليه بالخبر ، فقال ذو الرياستين : أعداء استرحت منهم ولكن افهم عني أن هذه الدولة لم تكن قط أعزَّ منها أيام المنصور ؛ فخرج عليه المقنع وهو يدعي الربوبية ، وقيل : طلب بدم أبي مسلم ، فضعضع العسكر بخروجه بخراسان ، وخرج بعده يوسف البرم وهو عند المسلمين كافرٌ فتضعضعوا أيضاً له ؛ فأخبرني أنت أيها الأمير كيف رأيت الناس عند ما ورد عليهم خبر رافع ؟ قال : رأيتهم اضطربوا اضطراباً شديداً قال : فكيف بك وأنت نازل في أخوالك وبيعتك في أعناقهم ، كيف يكون اضطراب أهل بغداد؟ اصبرْ وأنا أضمن لك الخلافة قال المأمون : قد فعلت وجعلت الأمر إليك فقُمْ به ؛ قال ذو الرياستين : والله لأصدقنَّك إنّ عبدالله بن مالك ومَنْ معه من القوَّاد ان قاموا لك بالأمر كانوا أنفع لك منِّي برياستهم المشهورة وبما عندهم من القوة على الحرب ؛ فمن قام بالأمر كنت خادماً له حتى تبلغ أملك وترى رأيك .

وقام ذو الرياستين وأتاهم في منازلهم وذكرهم ما يجب عليهم من الوفاء قال : فكأنّي جئتهم بجيفة على طبق ، فقال بعضهم : هذا لا يحلُّ ، اخرجْ ، وقال بعضهم : من الذي يدخل بين أمير المؤمنين وأخيه ، فجئت وأخبرته فقال : قم بالأمر قال : قلت له : قرأت القرآن ، وسمعت الأحاديث ، وتفقهت في الدين ، فأرى أن تبعث إلى مَنْ بحضرتك من الفقهاء ، فتدعوهم إلى الحقّ والعمل به ، وإحياء السنة ، وتقعد على الصوف ، وتردّ المظالم ، ففعل ذلك جميعه ، وأكرمه القواد ، والملوك ، وأبناء الملوك ؛ وكان يقول للتميمي : نقيمك مقامَ موسى بن كعب ، وللربعي : نقيمك مقام أبي داود ، وخالد بن ابراهيم ، ولليماني : نقيمك مقام قحطبة ، ومالك بن الهيثم ، وكل هؤلاء نقباء الدولة العباسية ، ووضع عن خراسان ربع الخراج فحسن ذلك عند أهلها وقالوا : ابن أختنا وابن عمّ نبينا ، وأما الأمين فلما سكن الناس ببغداد ، أمر ببناء ميدان حول قصر المنصور بعد بيعته بيوم للصوالجة واللعب فقال شاعرهم :

بَنَى أمين الله ميداناً وصيَّر الساحة بستانا
وكانت الغزلان فيه بانا يهدى إليه فيه غزلانا

وأقام المأمون يتولى ما كان بيده من خراسان ، والري وأهدى إلى الأمين، وكتب إليه وعظَّمه.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة دخل هرثمةبن أعين حائط سمرقند ، فأرسل رافع بن الليث إلى الترك ، فأتوْه وصار هرثمة بين رافع والترك ؛ ثم إن الترك انصرفوا فضَعفَ رافع . وفيها قدمت زبيدةُ امرأةُ الرشيد من الرَّقة إلى بغداد ، فلقيها ابنها الامين بالانبار ومعه جمع من بغداد من الوجوه ، وكان معه أخوه ابن الرشيد ؛ وفيها قُتِلَ نقفور ملك الروم في حرب برجان، وكان مَلِكَ سبع سنين، وملك بعده ابنه استبراق، وكان مجروحاً فبقي شهرين ومات ، فملك بعده ميخائيل بن جورجس ختنه على أخته . وفيها عَزَلَ الأمين أخاه القاسم المؤتمن عن الجزيرة ، وأقرَّه على قنسرين ، والعواصم ، واستعمل على الجزيرة خزيمة بن خازم .

وحجَّ بالناس هذه السنة داود بن عيسى بن موسى بن محمد ـ وهو أمير مكة ـ . وفيها توفي صقلاب بن زياد الأندلسي ـ وهو من أصحاب مالك ـ وكان فقيهاً زاهداً[١] .

وفي هذه السنة مات مروان بن معاوية الفزاري ، وقيل : سنة أربع وتسعين في ذي الحجة ، وفيها توفي اسماعيل بن علية[٢] ، وأبو بكر بن عيَّاش[٣] وله ست وتسعون سنة (عياش) بالياء المثناة من تحت والشين المعجمة.

---

(١) صقلاب ـ بالصاد المهملة بعدها قاف ـ كان من أهل الفضل والعبادة والاجتهاد ثقة مأمونا .

(٢) هو من أئمة العلماء والمحدثين الرفعاء ثقة نبيلاً جليلاً كبيراً كان ولي المظالم ببغداد وكان ناظر الصدقات وكان قليل التبسم يتّجر في البز وينفق على عياله منه ويحج ويبر أصحابه منه مثل السفانين وغيرهما ولاه الرشيد القضاء فلما بلغ ابن المبارك ذلك كتب اليه يلومه نظماً ونثراً فاستعفى من القضاء فأعفاه

(٣) كان أحد الأئمة حبراً فاضلاً لم يضع جنبه الى الأرض أربعين سنة ، ومكث ستين سنة يختم القرآن في كل يوم ختمة كاملة .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائة

ذكر خلاف أهل حمص على الأمين

في هـذه السنـة خـالف أهـل حمص على الأمين وعلى عـاملهم إسحـاق بن سليمان ، فانتقل عنهم إلى سلمية ، فعزله الأمين ، واستعمل مكانه عبد الله بن سعيد الحرشي ، فقتل عدّةً من وجوههم ، وحبس عدةً وألقى النار في نواحيها فسألوا الأمان فأجابهم، ثم هاجوا بعد ذلك فقَتَل عدةً منهم .

ذكر ظهور الخلاف بين الأمين، والمأمون

وفي هذه السنة أمر الأمين بالدعاء على المنابر لابنه موسى بالأمرة، وكان السبب في ذلك أن الفضل بن الربيع لمَّا قَدِمَ العراق من طوس ، ونكث عهد المأمون، أفكر في أمره ، وعلم أن المأمون إن أفضت إليه الخلافة ـ وهو حي ـ لم يُبق عليه ، فسعى في إغراء الأمين ، وحثّه على خلع المأمون ، والبيعة لابنه موسى بولاية العهد ، ولم يكن ذلك في عزم محمد الأمين ، فلم يزل الفضل يصغر عنده أمر المأمون ، ويزيّن له خلعه ، وقال له : ما تنتظر بعبد الله ، والقاسم ؟ فإن البيعة كانت لك قبلهما ، وإنما أُدخِلَ فيها بعدك ، ووافقه على هذا علي بن عيسى بن ماهان ، والسندي ، وغيرهما ، فرجع الأمين إلى قولهم ؛ ثم إنه أحضر عبد الله بن خازم ، فلم يزل في مناظرته حتى انقضى الليل .

وكان مما قال عبد الله : أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تكون أول الخلفاء نكث عهده ، ونقض ميثاقه ، ورد رأي الخليفة قبله ، فقال : اسكت فعبد الملك كان أفضل منك رأياً وأكمل نظراً يقول : لا يجتمع فحلان في أجمة[1]؛ ثم جمع القواد، وعرض

---

(١) الأجمة : الشجر الملتف ، والأجم ، بضمتين : الحصن . وفي الطبري « في هجمة » .

عليهم خلع المأمون ، فأبوا ذلك ، وربما ساعده قوم حتى بلغ إلى خزيمة بن خازم فقال : يا أمير المؤمنين لم ينصحك من كذبك ، ولم يغشّك من صدقك، لا تجرىء القوّاد على الخلع فيخلعوك ، ولا تحملهم على نكث العهد فينكثوا عهدك وبيعتك، فان الغادر مخذول، والناكث مفلول ، فأقبل الأمين على علي بن عيسى بن ماهان فتبسّم وقال : لكن شيخ الدعوة ونائب[1] هذه الدولة ، لا يخالف على إمامه، ولا يوهن طاعته ، ثم رفعه إلى موضع لم يرفعه إليه قبلها لأنه كان هو ، والفضل بن الربيع ، يعينانه على الخلع .

ولجّ الأمين في خلع المأمون حتى أنه قال يوماً للفضل بن الربيع : يا فضل أحياةٌ مع عبد الله ؟ لا بدَّ من خلعه والفضل يغريه ، ويقول : فمتى ذلك إذا غلب على خراسان وما فيها ؟ فأول ما فعله أن كتب إلى جميع العمال بالدعاء لابنه موسى بالامرة بعد الدعاء للمأمون، وللمؤتمن، فلما بلغ ذلك المأمون مع عزل المؤتمن عما كان بيده ، أسقط اسم الأمين من الطرز، وقطع البريد عنه .

وكان رافع بن الليث بن نصر بن سيار لمَّا بلغه حُسْنُ سيرة المأمون طلبَ الأمان ، فأجابه إلى ذلك ، فحضر عند المأمون ، وأقام هرثمة بسمرقند ومعه طاهر بن الحسين ، ثم قَدِمَ هرثمة على المأمون ، فأكرمه وولاّه الحرَسَ فأنكر ذلك كلَّه الأمينُ.

فكان مما وتر عليه أن كتب إلى العباس بن عبدالله بن مالك ـ وهو عامل المأمون على الري ـ يأمره أن ينفذ بغرائب غروس الري، يريد امتحانه إليه بما أمرَهُ وكتم ذلك عن المأمون ، وذي الرياستين ، فبلغ المأمون فعزله بالحسن بن علي المأموني ، ثم وجه الأمين إلى المأمون أربعة أنْفُس[2] ، وهم العباس بن موسى بن عيسى بن محمد بن علي ، وعيسى بن جعفر بن المنصور ، وصالح صاحب المصلى ، ومحمد بن عيسى بن نهيك ، يطلب إليه أن يقدم ابنه موسى على نفسه ويحضر عنده ، فقد استوحش لبعده ، فبلغ الخبر المأمون فكتب إلى عماله بالري ونيسابور

---

(١) في الطبري « وناب » .

(٢) في الطبري « ثلاثة أنفس » .

وغيرهما ، يأمرهم بإظهار العدة ، والقوة ، ففعلوا ذلك ، وقَدِمَ الرسلُ على المأمون وأبلغوه الرسالة .

وكان ابن ماهان أشار بذلك وأخبر الأمين أن أهلَ خُراسان معه ـ فلما سمع المأمون هذه الرسالة استشار الفضل بن سهل فقال له : أحضر هشاماً والد علي ، وأحمد ابني هشام واستشره، فاحضره واستشاره فقال له : إنما أُخِذَت البيعة علينا على أن لا تخرج من خراسان ، فمتى فعلت ذلكَ فلا بيعة لك في أعناقنا ، والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، ومتى همَمْتَ بالمسير اليه تعلقْتُ بِكَ بيميني ، فاذا قطعت تعلقت بيساري ، فاذا قطعت تعلقت بلساني ، فإذا ضُرِبَتْ عنقي كنت أديْتُ ما عليَّ ، فقَوِيَ عزم المأمون على الامتناع ، فأحضر العباس وأعلمه أنه لا يحضر، وأنه لا يقدِّم موسى على نفسه ؛ فقال العباس بن موسى : ما عليك أيها الأمير من ذلك ، فهذا جدّي عيسى بن موسى قد خُلع فما ضرَّه، فصاح به ذو الرياستين ، اسكتْ إن جدّك كان أسيراً في أيديهم وهذا بين أخواله وشيعته ، ثم قاموا فخلا ذو الرياستين بالعباس بن موسى واستماله ، ووعده إمرة الموسم ،ومواضعَ من مصر، فأجاب إلى بيعة المأمون ، وسمَّى المأمون ذلك الوقت بالإمام ؛ فكان العباس يكتب إليهم بالأخبار من بغداد ويشير عليهم بالرأي ؛ ورجع الرسل إلى الأمين فأخبروه بامتناع المأمون ، وألحَّ الفضل ،وعلي بن عيسى على الأمين في خلع المأمون، والبيعة لابنه موسى بن الأمين.

وكان الأمين قد كتب إلى المأمون يطلب منه أن ينزل عن بعض كور خراسان ، وأن يكون له عنده صاحب البريد يكاتبه بالأخبار ، فاستشار المأمون خواصه ، وقواده ، فأشاروا باحتمال هذا الشرّ ، والإجابة إليه خوفاً من شرّ هو أعظم منه ؛ فقال لهم الحسن بن سهل : أتعلمون أن الأمين طلب ما ليس له ؟ قالوا: نعم ويحتمل ذلك لضرر منعه . قال : فهل تثقون بكفّه بعد إجابته فلا يطلب غيرها . قالوا: لا، قال: فإنْ طلب غيرها فما ترون ؟ قالوا : نمنعه، قال: فهذا خلافُ ما سمعناه من قولِ الحكماء : استصلح عاقبة أمرك باحتمال ما عرض من مكروه في يومك، ولا تلتمس هدنةَ يومك[١] بإخطار أدخلْتَهُ على نفسك في غدك ؛ فقال المأمون لذي الرياستين : ما تقول أنت ؟

---

(١) في الطبري « هدية يومك » .

فقال: أسعدك الله هل تأمن أن يكون الأمين طالبك بفضل قوتك ليستظهر بها عليك؟ بل إنما أشار الحكماء بحمل ثقل ترجون به صلاحَ العاقبة؛ فقال المأمون: بإيثار دعة العاجل صار إلى فساد العاقبة في دنياه وآخرته، فامتنع المأمون من إجابته إلى ما طلب.

وأنفذ المأمون ثقته إلى الحد فلا يمكّنُ أحداً من العبور إلى بلاده إلا مع ثقة من ناحيته، وحصر أهل خراسان أن يُستمالوا برغبة أو رهبة، وضَبَطَ الطرقَ بثقاتِ أصحابه، فلم يمكّنوا من دخول خراسان إلاّ من عرفوه وأتى بجوازٍ، أو كان تاجراً معروفاً وفُتِّشَتِ الكتب.

وقيل: لما أراد الأمين أن يكتب إلى المأمون يطلب بعض كُوَرِ خراسان قال له إسماعيل بن صبيح: يا أمير المؤمنين إن هذا مما يقوّي التهمة، وينبّه على الحذر، ولكن اكتبْ إليه، فأعلمه حاجتك، وما تحب من قُربِهِ والاستعانة به على ما ولاّك الله واسأله القدوم عليك، لترجع إلى رأيه فيما تفعل؛ فكتب إليه بذلك وسيّر الكتاب مع نفر، وأمرهم أن يبلغوا الجهد في إحضاره، وسيَّر معهم الهدايا الكثيرة، فلما حضر الرسل عنده، وقرأ الكتاب، أشاروا عليه بإجابة الأمين، وأعلموه ما في إجابته من المصلحة العامة والخاصة، فأحضر ذا الرياستين، وأقرأه الكتاب، واستشاره فأشار عليه بملازمة خراسان، وخوَّفه من القرب من الأمين، فقال: لا يمكنني مخالَفَتُهُ وأكثر القواد والأموال معه، والناس مائلون إلى الدِّرهم والدينار، لا يرغبون في حفظ عهد، ولا أمانة، ولست في قوة حتى أمتنع.

وقد فارق جيغويه الطاعة، والتوى خاقان ملك التبت، وملك كابل قد استعدَّ للغارة على ما يليه، وملك اتراذبنده[١] قد منع الضريبة، ومالي بواحد من هذه الأمور بدٌّ وأنا أعلم أن محمداً لم يطلب قدومي إلا لشرّ يريده، ولا أرى إلا تخلية ما أنا فيه، واللحاق بخاقان ملك الترك، والاستجارة به لعلّي آمن على نفسي؛ فقال ذو الرياستين: إن عاقبة الغدر شديدة، وتبعة البغْي غير مأمونة، ورُبَّ مقهور قد عاد قاهراً وليس النصر بالكثرة والقلة، والموت أيسرُ من الذل والضيْم، وما أرى أن تصيرَ إلى

---

(١) في الطبري «اترابنده».

أخيك متجرداً من قوادك وجندك ، كالرأس الذي فارق بدنه فتكون عنده كبعض رعيته يجري عليك حُكمه من غير أن تبديَ عذراً في قتال .

واكتبْ إلى جيغويه ، وخاقان فولِّهما بلادهما ، وابعثْ إلى ملك كابل بعض هدايا خراسان ووادِعْهُ ، واتركْ لملك اترادبنده ضريبته ، ثم اجمعْ إليك أطرافك، وضُمَّ جندك واضربْ الخيل بالخيل ، والرجال بالرجال ، فإن ظفرت ، وإلا لحقت بخاقان .

فعرف المأمون صِدْقَهُ ، ففعل ما أشار به فرضي أولئك الملوك العصاة ، وضمَّ جنده ، وجمعهم عنده ، وكتب إلى الأمين : أما بعد فقد وصل إليَّ كتاب أمير المؤمنين ، وإنما أنا عامل من عماله ، وعونٌ من أعوانه ، أمرني الرشيد بلزوم الثغر ، ولعمري إن مقامي به أردُّ على أمير المؤمنين وأعظمُ غناء للمسلمين من الشخوص إلى أمير المؤمنين، فإن كنت مغتبطاً بقربه مسروراً بمشاهدة نعمة الله عنده ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يقرَّني على عملي ويعفيني من الشخوص إليه فَعَلَ إن شاء الله .

فلمَّا قرأ الامين كتاب المأمون علم أنه لا يتابعه على ما يريده ، فكتب إليه يسأله أن ينزل عن بعض كور خراسان كما تقدم ذكره ؛ فلما امتنع المأمون أيضاً من إجابته الى ما طلب ، أرسل جماعة ليناظروه ، في منع ما طلب منه ، فلما وصلوا الى الري منعوا، ووجدوا تدبيره محكماً ، وحفظوا في حال سفرهم إقامتهم من أن يخبروا ، ويستخبروا ، وكانوا معدّين لوضع الأخبار في العامة فلم يمكنهم ذلك فلما رجعوا أخبروا الأمين بما رأوا .

وقيل : ان الامين لما عزم على خلع المأمون وزين له ذلك الفضل ، وابن ماهان دعا يحيى بن سليم وشاوره في ذلك فقال : يا أمير المؤمنين كيف تفعل ذلك مع ما قد أكَّد الرشيد من بيعته وأخذ الشرائط والايمان في الكتاب الذي كتبه ؟ فقال الأمين : ان رأيَ الرشيد كان فلتة ، شبهها عليه جعفر بن يحيى ، فلا ينفعنا ما نحن فيه إلّا بخلعه ، وقلْعه ، واحتشاشه ، فقال يحيى : إذا كان رأي أمير المؤمنين خلعه ، فلا تجاهره فيستنكر الناس ذلك ، ولكن تستدعي الجند بعد الجند ، والقائد بعد القائد، وتؤنسهما بالالطاف، والهدايا، وتفرّق ثقاته، ومَنْ معه، وترغبهم بالأموال، فإذا وهنت قوته،

واستفرغت رجاله ، أمرْتَهُ بالقدوم عليك ، فإن قدم صار إلى الذي تريد منه ، وإنْ أبى كنت قد تناولته وقد كَلَّ حدُّه ، وانقطعَ عزُّه ؛ فقال الأمين : أنت مهذار خطيب ، ولست بذي رأي مصيب ، قمْ فالحق بمدادك وأقلامك .

وكان ذو الرياستين الفضل بن سهل قد اتخذ قوماً يثق بهم ببغداد يكاتبونه بالأخبار ، وكان الفضل بن الربيع قد حفظ الطرق ، وكان أحد أولئك النفر إذا كاتب ذا الرياستين بما تجدّد ببغداد سيَّر الكتاب مع امرأة ، وجعله في عود أكفاف وتسير كالمجتازة من قرية إلى قرية ، فلما ألحَّ الفضل بن الربيع في خلع المأمون ، أجابه الامين إلى ذلك ، وبايع لولده موسى في صفر ، وقيل : في ربيع الأول سنة خمس وتسعين ومائة على ما نذكره إن شاء الله تعالى وسمَّاه الناطق بالحق ونهى عن ذكر المأمون والمؤتمن على المنابر ، وأرسل إلى الكعبة بعض الحَجَبَة ، فأتاه بالكتابين الذين وضعهما الرشيد في الكعبة ، ببيعة الامين، والمأمون فأحضرهما عنده فمزّقهما الفضل .

فلما أتت الأخبار الى المأمون بذلك ، قال لذي الرياستين : هذه أمور أخبر الرأي عنها ، وكفانا أن نكون مع الحق ، فكان أول ما دبره ذو الرياستين حين بلغه ترك الدعاء للمأمون ، وصحّ عنده أن جمع الأجناد الذين كان اتخذهم بجنبات الري مع الأجناد الذين كانوا بها وأمدّهم بالأقوات وغيرها ؛ وكانت البلاد عندهم قد أجدبت - فأكثر عندهم ما يريدونه حتى صاروا في أرغد عيش وأقاموا بالحدّ لا يتجاوزونه ، ثم أرسل اليهم طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق بن أسعد أبا العباس الخزاعي أميراً فيمن ضمَّ اليه من قوّاده وأجناده، فسار مجدّاً حتى ورد الري ، فنزلها فوضع المسالح والمواصل ، وبث عيونه وطلائعه ؛ فقال بعض شعراء خراسان :

رمى أهل العراق ومن عليها ... إمام العدل والملك الرشيدُ
بحزم من نشا[1] رأياً وحزماً ... وكيداً نافذاً مما يكيدُ
بداهية تؤد خنيفقيق[2] ... يشيب لهول صولتها الوليدُ

---

(١) في الطبري « من مشى » .

(٢) في الطبري « تأد خنفقيق » .

فأما الأمين فانه وجّه عصمة بن حماد بن سالم إلى همذان في الف رجل ، وأمره أن يوجّه مقدمته إلى ساوة ويقيم بهمذان ، وجعل الفضل بن الربيع ، وعلي بن عيسى يبعثان الأمين ويغريانه بحرب المأمون ، ولما بايع الأمين لولده موسى ، جعله في حُجْر علي بن عيسى ، وجعل على شرطه محمد بن عيسى بن نهيك ، وعلى حرسه عثمان بن عيسى بن نهيك ، وعلى ديوان رسائله علي بن صالح صاحب المصلى .

ذكر خلاف أهل تونس على ابن الأغلب

في هذه السنة عصى عمران بن مجالد الربيعي ، وقريش بن التونسي بتونس على ابراهيم بن الأغلب أمير أفريقية، واجتمع فيها خلق كثير ، وحصر ابراهيم بن الاغلب بالقصر ، وجمع من أطاعه ، وخالف عليه أيضاً أهل القيروان في جمادى الآخرة فكانت بينهم وقعة ، وحرب قُتِلَ فيها جماعةٌ من رجال ابن الاغلب .

وقدم عمران بن مجالد فيمن معه فدخل القيروان عاشر رجب ، وقدم قريش من تونس إليه فكانت بينهم وبين ابن الاغلب وقعة في رجب ، فانهزم أصحاب ابن الاغلب ، ثم التقوا في العشرين منه فانهزموا ثانية أيضاً ؛ ثم التقوا ثالثة فيه أيضاً فكان الظفر لابن الاغلب ، وأرسل عمران بن مجالد إلى أسد بن الفرات الفقيه ليخرج معهم فامتنع ، فأعاد الرسول يقول له : تخرج معنا وإلا أرسلت اليك من يجرّ برجلك ، فقال أسد للرسول : قل له والله إن خرجت لأقولنّ للناس إن القاتل والمقتول في النار فتركه .

ذكر عصيان أهل ماردة وغزو الحكم بلاد الفرنج

في هذه السنة عاود أهل ماردة الخلاف على الحكم بن هشام أمير الأندلس، وعصوا عليه ، فسار بنفسه إليهم وقاتلهم ، ولم تزل سراياه وجيوشه تتردد إلى مقاتلتهم هذه السنة ، وسنة خمس، وسنة ست وتسعين ومائة ، وطمع الفرنج في ثغور المسلمين ، وقصدوها بالغارة ، والقتل ، والنهب والسبي ، وكان الحكم مشغولاً بأهل ماردة ، فلم يتفرغ للفرنج فأتاه الخبر بشدة الأمر على أهل الثغور وما بلغ العدو منهم ، وسمع أن امرأة مسلمة أُخِذَتْ سبية فنادت : واغوثاه يا حكم فعظم الأمر عليه وجَمعَ عسكره واستعدَّ، وحشد، وسار إلى بلد الفرنج سنة ست وتسعين ومائة ، وأثخن في بلادهم وافتتح عدة حصون ، وخرَّب البلاد ونهبها ، وقتل الرجال وسبى الحريم،

ونهب الأموال ، وقصد الناحية التي كانت بها تلك المرأة ، فأمر لهم من الأسرى بما يفـادرون به أسـراهم ، وبالـغ في الوصيـة في تخليص تلك المرأة ، فتخلصت من الأسر ، وقتل باقي الأسرى ، فلما فرغ من غزاته ، قال لأهل الثغور : هل أغـاثكم الحكم ؟ فقالوا : نعم . ودعوا له وأثنوا عليه خيراً وعاد إلى قرطبة مظفراً .

ذكر عدة حوادث

وفيها وثبت الروم على ملكهم ميخائيل ، فهرب وترهَّب وكانَ مَلِكَ نحو سنتين ، وملك بعده أليون[1] القائد ، وكان على الموصل ابراهيم بن العباس إستعمله الأمين .

وفي هذه السنة قتل شقيق البلخي الزاهد[2] في غزاة كولان من بلاد الترك ؛ وفيها مات الوليد بن مسلم صاحب الاوزاعي ، وقيل : سنة خمس وتسعين وكان مولده سنة عشر ومائة ؛ وفيها مات حفص بن غياث النخعي قاضي الكوفة وكان مولده سنة سبع عشرة ومائة (غياث) بالغين المعجمة ؛ وفيها توفي عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي وكان مولده سنة عشرة ومائة وكان قد اختلط في آخر عمره ، وكان حديثه صحيحاً إلى أن اختلط ، وفيها توفي سيبويه النحوي واسمه عمرو بن عثمان بن قنبـر أبو بشيـر ، وقيل : كان توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة ، قيل : وكان عمره قـد زاد على أربعين سنة ، وقيل : كان عمره اثنتين وثلاثين سنة ؛ وفيها توفي يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص وعمره أربع وسبعون سنة .

(١) في الطبري « ليون » .
(٢) هو شيخ حاتم الأصم .

ثم دخلتَ سنة خمس وتسعين ومائة

ذكر قطع خطبة المأمون

في هذه السنة أمرَ الأمين باسقاط ما كـان ضرب لأخيـه المأمـون من الدراهم والدنانير بخراسان في سنة أربع وتسعين ومائة ، لأنها لم يكن عليها اسم الأمين ؛ وأمر فدعي لموسى بن الأمين على المنابر ، ولقَّبه الناطق بالحق ـ وقطع ذكر المأمون لقول بعضهم ـ وكان موسى طفلاً صغيراً ـ ولابنه الآخر عبد الله ولقَّبه القائم بالحق .

ذكر محاربة علي بن عيسى وطاهر

ثم إن الأمين أمر علي بن عيسى بن ماهان بالمسير لحرب المأمون ، وكان سبب مسيره دون غيره أن ذا الرياستين كان له عين عند الفضل بن الربيع ، يرجع إلى قوله ، ورأيه ، فكتب ذو الرياستين إلى ذلك الرجل يأمره أن يشير بانفاذ ابن ماهان لحربهم ، وكان مقصوده أن ابن ماهان لمّا وَليَ خراسان أيام الـرشيد أسـاء السيرة في أهلهـا ، فظلمهم ، فعزله الرشيد لذلك ؛ ونفر أهل خراسان عنه وأبغضوه فأراد ذو الرياستين أن يزداد أهل خراسان جدّا في محاربـة الأمين وأصحابـه ، ففعل ذلـك الرجـل ما أمر ذو الرياستين ؛ فأمر الأمين بن ماهان بالمسير ؛ وقيل : كان سببه أن علياً قال للأمين : إن أهل خراسان كتبوا إليه يذكرون أنه إن قصدهم هو أطاعوه ، وانقادوا له ، وإن كان غيره فلا ، فأمره بالمسير وأقطعه كور الجبل كلها نهاوند ، وهمذان ، وقم ، واصبهان ، وغير ذلك وولّاه حربها وخراجها ، وأعطاه الأموال ، وحكمه في الخزائن ، وجهَّز معه خمسين ألف دارس ؛ وكتب إلى أبي دلف القـاسم بن إدريس بن عيسى العجلي ، وهلال بن عبدالله الحضرمي بالانضمام إليه ، وأمدَّه بالأموال والرجال شيئاً بعد شيء .

فلما عزم على المسير من بغداد، ركب الى باب زبيدة أم الأمين ليودّعها، فقالت

له : يا علي إنَّ أمير المؤمنين إن كان ولدي، واليه انتهت شفقتي، فإني على عبد الله منعطفة مشفقة لما يحدث عليه من مكروه، وأذى؛ وإنما ابني مَلَكٌ نافسَ أخاه في سلطانه الكريم، يأكل لحمه ويمقيه غيره[١] فاعرف لعبد الله حق ولادته[٢] وأخوته ولا تجبهه بالكلام فانك لست بنظيره، ولا تقتسره اقتسار العبيد، ولا توهنه بقيد[٣] ولا غلّ ولا تمنع عنه جارية، ولا خادماً ولا تعنف عليه في السير، ولا تساوه في المسير ولا تركبْ قبله، وخذ بركابه، وان شتمك فاحتملْ منه؛ ثم دفعتْ إليه قيداً من فضة وقالت : إن صار اليك فقيِّدْه بهذا القيد، فقال لها : سأفعل مثل ما أمرت.

ثم خرج علي بن عيسى في شعبان وركب الأمين يشيعه ومعه القواد، والجنود[٤]؛ وذَكَر مشايخ بغداد أنهم لم يروا عسكرا أكثر رجالاً وأفره كراعاً، وأتمّ عدة وسلاحاً من عسكره، ووصّاه الأمين، وأمره إن قاتله المأمون أن يحرص على أسره؛ ثم سار فلقيه القوافل عند جلولاء، فسألهم فقالوا له: إن طاهراً مقيمٌ بالري، يعرض أصحابه ويرم آلته، والامدادُ تأتيه من خراسان وهو يستعد للقتال، فيقول : إنما طاهرٌ شوكة من أغصاني وشرارة من ناري وما مثل طاهر يتولى الجيوش ويلقى الحروب، ثم قال لاصحابه : ما بينكم وبين أن ينقصف انقصاف الشجر من الريح العاصف، إلّا أن يبلغه عبورنا عقبة همذان، فإن السخال لا تقوى على النطاح، والثعالب لا صبر لها على لقاء الاسد، وان أقام تعرَّض لحد السيف وأسِنَّةِ الرماح، وإذا قابلنا الرَّي ودَنوْنا منهم، فتّ ذلك في أعضادهم، ثم أنفذ الكتب إلى ملوك الديلم، وطبرستان وما والاها من الملوك، يعدهم الصِلات وأهدَى لهم التيجان، والاسورة وغيرها، وأمرهم أن يقطعوا طريق خراسان، فاجابوه إلى ذلك، وسار حتى أتى أول أعمال الري ـ وهو قليل الاحتيال ـ فقال له جماعة من أصحابه : لو أركبت العيون[٥]، وعملت خندقاً لأصحابك، وبعثت الطلائع، لأمنت البيات وفعلت

(١) في الطبري « ويميته غيره ».
(٢) في الطبري « حق والده ».
(٣) في الطبري « ولا ترهنه بقيد ».
(٤) قال ابن جرير ؛ وأشخص معه الصناع والفعلة فيقال : ان عسكره كان فرسخاً بفساطيطه وأهبته وأثقاله.
(٥) في الطبري « أذكيت العيون ».

الرأي، فقال: مثل طاهر لا يستعدُّ له وإنَّ حاله يؤول إلى أمرين إما أن يتحصن بالري فيبيته[١] أهلها فيكفونا أمره ، وإما أن يرجع ويتركها إذا قربت خيلنا منه ، فقالوا له : لو كان عزمه تركها والرجوع لَفَعَلَ فإننا قد قربنا منه فلم يفعل .

ولما صار بينه وبين الري عشرة فراسخ ، استشار طاهر أصحابه، فأشاروا عليه أن يقيم بالري ويدافع القتال ما قدر عليه ، إلى أن يأتيَهُ من خراسان المددُ ، وقائدٌ يتولى الامور دونه ، وقالوا له : إن مقامك بمدينة الري أرفقُ بأصحابك ، وأقدرُ لهم على الميرة ، واكن من البرد فتعتصم بالبيوت ، وتقدر على المماطلة ، فقال طاهر : إن الرأي ليس ما رأيتم ، إن أهل الري لعلي هائبون، ومن سطوته مشفقون ومعه من أعراب البوادي ، وصعاليك الجبال والقرى، كثير ولست آمن إن أقمت بالري أن يثب أهلها بنا، خوفاً من علي وما الرأي إلا أن نسيرَ إليه ، فإنْ ظفرنا والا عولنا عليها ، فقاتلناه ، فيها ، إلى أن يأتينا مددٌ .

فنادى طاهر في أصحابه فخرج من الري في أقل من أربعة آلاف فارس وعسكر على خمسة فراسخ من الري بقرية يقال لها كاواص فأتاه أحمد بن هشام ، ـ وكان على شرطة طاهر ـ فقال له : إن أتانا علي بن عيسى فقال : أنا عامل أمير المؤمنين ، وأقررنا له بذلك ، فليس لنا ان نحاربه ، فقال طاهر : لم يأتني في ذلك شيء فقال : دعني وما أريد فقال : افعل فصعد المنبر فخلع محمداً ، ودعا للمأمون بالخلافة ، وساروا عنها ، وقال له بعض أصحابه : ان جندك قد هابوا هذا الجيش ، فلو أخرت القتال إلى أن يشامهم أصحابك ، ويأنسوا بهم ، ويعرفوا وجه المأخذ في قتالهم ، فقال : إني لا أوتى من قلة تجربة وحزم ، إنّ أصحابي قليل ، والقوم عظيمٌ سوادهم، كثيرٌ عددهم، فإن أخرت القتال اطلعوا على قلتنا واستمالوا مَنْ معي برغبة وترهبة، فيخذلني أهل الصبر والحفاظ؛ ولكن ألف الرجال بالرجال، وأقحمْ الخيل[٢] على الخيل، واعتمد على الطاعة والوفاء ، واصبرْ صبرَ محتسب للخير حريصٍ على الفوز بالشهادة فإن نَصَرَنا الله فذلك الذي نريده ونرجوه ، وإن تكن الأخرى فلست بأول من قاتل وقُتِلَ وما عند الله أجزل وأفضل.

---

(١) في الطبري « فيبهته » .

(٢) في الطبري «والحم الخيل».

وقال علي لأصحابه : بادروهم ، فإنهم قليلون ولو وجـدوا حرارة السيـوف ، وطعن الرماح ، لم يصبروا عليها ، وعبَّى جنده ميمنة ، وميسرة ، وقلبا ، وعبّى عشرة رايات مع كل راية مائة رجل وقدَّمها راية راية ؛ وجعل بين كل رايتين غلوة سهم ، وأمر أمراءها إذا قاتلت الراية الأولى وطال قتالهم أن تتقدَّم التي تليهـا، وتتأخـر هي حتى تستريح ؛ وجعل أصحاب الجواشن أمام الرايات ، ووقف في شجعان أصحابه ؛ وعبى طاهر أصحابه كراديس ، وسار بهم يحرضهم ، ويوصيهم ، ويـرجيهم ، وهرب من أصحاب طاهر نفرٌ إلى على فَجَلَد بعضهم ، وأهان الباقين ، فكان ذلك مما ألَّب الباقين على قتاله ، وزحف الناسُ بعضهم إلى بعض ، فقال أحمد بن هشام لطاهر : ألا تذكِّر علي بن عيسى البيعة التي أخذها هو علينا للمأمون خاصة معاشر أهل خراسان قال : أفعل . فأخذ البيعة فعلَّقهـا على رمح ، وقـام بين الصفين ، وطلب الأمان ، فـأمنه علي بن عيسى فقال له : ألا تتقي الله عزّ وجلّ ، هذه نسخة البيعة التي أخذتها أنت خاصة ؟ اتق الله فقد بلغتَ باب قبرك ، فقال علي : من أتـاني به، فله الفـدرهم، فشتمه أصحابُ أحمد ، وخرج من أصحاب علي رجل » يقال له : حاتم الطائي ، فحمل عليه طاهر ، وأخذ السيف بيديه ، وضربه ، فصرعه ، فلذلك سمّي طاهر ذا اليمينين .

ووثب أهل الري ، فأغلقوا باب المدينة ، فقال طاهر لاصحابه ، اشتغلوا بمن أمامكم عمَّن خلفكم فإنه لا ينجيكم إلَّا الجدُّ والصدق ، ثم اقتتلوا قتالاً شـديداً ، وحملت ميمنة عليّ على ميسرة طاهر ، فانهزمت هزيمة منكرة ، وميسرته على ميمنة طاهر فأزالتها أيضاً عن موضعها ، فقال طاهر : اجعلوها جدَّكم وبأسكم على القلب ، واحملوا حملة خارجية ، فإنكم متى فضَضْتم منها راية واحدة ، رجعت أوائلها على أواخرها، فصبر أصحابه صبراً صادقاً وحملوا على أول رايات القلب ، فهزموهم ، وأكثروا فيهم القتل ، ورجعت الرايات بعضها على بعض، فانتقضتْ ميمنة علي ؛ ورأى ميمنة طاهر وميسرته ما فعل أصحابهم ، فرجعوا على مَنْ بإزائهم ، فهزموهم ، وانتهت الهزيمة إلى عليّ ، فجعل ينادي أصحـابه ، أين أصحـاب الخواص ، والجـوائز ، والأسورة ، والأكاليل الى الكرة بعد الفرة ، فرماه رجل من أصحاب طاهر بسهم فقتله ؛ وقيل : داود سياه هو الذي حمل رأسه إلى طاهر وشدَّت يداه إلى رجليه ، وحُمِلَ على

خشبة إلى طاهر ، فأمر به فألقي في بئر فأعتق طاهر مَنْ كان عنده من غلمانه شكراً لله تعالى ، وتمّت الهزيمة ، ووَضع أصحابُ طاهر فيهم السيوفَ ، وتبعوهم فرسخين ، واقعوهم فيها اثنتي عشرة مرة في كل ذلك ينهزم عسكر الأمين ، وأصحاب طاهر يقتلون ويأسرون ، حتى حال الليل بينهم وغنموا غنيمة عظيمة ، ونادى طاهر مَنْ القى سلاحه فهو آمن ، فطرحوا أسلحتهم ونزلوا عن دوابهم .

ورجع طاهر إلى الري وكتب إلى المأمون ، وذي الرياستين : بسم الله الرحمن الرحيم كتابي إلى أمير المؤمنين ورأس علي بن عيسى بين يديَّ ، وخاتمه في اصبعي ، وجنده مصرفون تحت أمري ، والسلام ؛ فورد الكتاب مع البريد في ثلاثة أيام ، وبينهما نحو من خمسين ومائتي فرسخ .

فدخل ذو الرياستين على المأمون فهنَّأه بالفتح ، وأمر الناسَ، فدخلوا عليه فسلّموا عليه بالخلافة ، ثم وصل رأس علي بعد الكتاب بيومين ، فطِيفَ به في خراسان .

ولما وصل الكتاب بالفتح كان المأمون قد جهز هرثمة في جيش كثير ، ليسيّره نجدة لطاهر ، فأتاه الخبر بالفتح ؛ وأما الأمين فإنه أتاه نعي علي بن عيسى ـ وهو يصطاد السمك ـ فقال للذي أخبره : ويلك دعني فإن كوثراً قد اصطاد سمكتين ؛ وأنا ما صدْتُ شيئاً بعد، ثم بعث الفضل إلى نوفل الخادم وهو وكيل المأمون على ملكه بالسواد، والناظر في أمر أولاده ببغداد ، وكان للمأمون معه ألف ألف درهم ، كان قد وصله بها الرشيد ـ فأخذ جميع ما عنده وقبض ضياعه وغلاته ، فقال بعض شعراء بغداد في ذلك :

أضاع الخلافةَ غشُّ الوزيرِ	وفُسْقُ الأميرِ وجَهْلُ المُشيرِ
ففَضْلُ وزيرٌ وبكرٌ مشيرٌ	يريدان ما فيه حَتْفَ الأميرِ
وما ذاك إلّا طريقُ غرورٍ	وشرُّ المسالِكِ طرقُ الغرور

في عدة أبيات تركتها لما فيها من القذف الفاحش، ولقد عجبت لأبي جعفر[1]

(١) يعني ابن جرير الطبري .

حيث ذكرها مع ورعه ، وندم الامين على نكثه وغدره ، ومشى القوّاد بعضهم إلى بعض في النصف من شوال ، فاتفقوا على طلب الأرزاق والشغب ، ففعلوا ذلك ففرق فيهم مالًا كثيراً بعد أن قاتلهم عبد الله بن خازم فمنعه الأمين .

ذكر توجيه عبد الرحمن بن جبلة

لما اتصل بالأمين قَتْلُ علي بن عيسى وهزيمةُ عسْكرِهِ ، وجَّه عبد الرحمن بن جبلة الأنباري[١] في عشرين ألف رجل[٢] نحو همذان ، واستعمله عليها، وعلى كل ما يفتحه من أرض خراسان ، وأمره بالجدّ وأمدّه بالأموال ، فسار حتى نزل همذان ، وحصّنها، ورمّ سورها ، وأتاه طاهر إلى همذان ، فخرج إليه عبد الرحمن على تعبية ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وصبر الفريقان وكَثُرَ القتل ، والجراح فيهم ، ثم انهزم عبد الرحمن ودخل همذان فأقام بها أياماً حتى قَوِيَ أصحابه ، واندمل جراحهم ، ثم خرج إلى طاهرَ فلما رآهم قال لأصحابه : إن عبد الرحمن يريد أن يتراءى لكم ، فإذا قرَّبتم منه قاتلكم ، فإن هزمتموه ودخل المدينة قاتلكم على خندقها ، وإن هزمكم اتسع له المجال ، ولكن قفوا قريباً من عسكرنا ، وخندقنا فإنْ قَرُبَ منّا قاتلناه ، فوقفوا .

فظن عبد الرحمن أن الهيبة منعتهم ، فتقدم إليهم فاقتتلوا قتالاً شديداً وصبر الفريقان ، وكثر القتل في أصحاب عبد الرحمن ، وجعل يطوف عليهم ، ويحرضهم ، ويأمرهم بالصبر ، ثم إن رجلاً من أصحاب طاهر حمل على صاحب علم عبد الرحمن ، فقتله ، وزحمهم أصحاب طاهر ، فانهزموا ، ووضع فيهم أصحاب طاهر السيوف يقتلونهم ، حتى انتهوا إلى المدينة ، وأقام طاهر على بابها محاصراً لها فاشتدَّ بهم الحصار ، وضجر أهل المدينة ، فخاف عبد الرحمن أن يثب به أهل المدينة مع ما فيه أصحابه من الجهد ، فأرسل إلى طاهر يطلب الأمان لنفسه ، ولمن معه ، فأمنه فخرج عن همذان .

ذكر استيلاء طاهر على أعمال الجبل

لما نزل طاهر بباب همذان وحصر عبد الرحمن بها تخوَّف أن يأتيه كثير بن قادرة

(١) في الطبري « الأبناوي » ولعلها الصحيحة .
(٢) في الطبري « في عشرين ألف رجل من الأبناء » .

من ورائه ـ وكان بقزوين ـ فأمر أصحابه بالقيام ، وسار في الف فارس نحو قزوين ، فلما سمع به كثير بن قادرة ـ وكان في جيش كثيف ـ هرب من بين يديه، وأخلى[١] قزوين ، وجعل طاهرٌ فيها جنداً، واستعمل عليها رجلاً من أصحابه، وأمره أن يمنع مَنْ أراد دخولها ، واستولى على سائر أعمال الجبل معها .

ذكر قتل عبد الرحمن بن جبلة

في هذه السنة قُتِلَ عبد الرحمن بن جبلة الأنباري ، وكان سبب قَتْلِهِ ، أنه لمَّا خرج في أمان طاهر ، أقام يري طاهراً وأصحابه أنه مسالم لهم ، راضٍ بأمانهم، ثم اغترَّهم وهم آمنون، فركب في أصحابه، وهجم على طاهر وأصحابه، ولم يشعروا فثبت له رجالة طاهر ، وقاتلوه حتى أخذت الفرسان أهبتها ، واقتتلوا أشدّ قتال رآه الناس حتى تقطّعت السيوف ، وتكسرت الرماح ، وانهزم عبد الرحمن وبقي في نفرٍ من أصحابه فقاتل وأصحابه يقولون له : قد أمكنك الهرب ، فاهرب فقال : لا يرى أمير المؤمنين وجهي منهزماً أبداً ولم يزل يقاتل حتى قُتِلَ، وانتهى مَنْ انهزم من أصحابه إلى عبد الله ، واحمد ابني الحرشي ، وكانا في جيش عظيم بقصر اللصوص قد سيَّره الأمين معونة لعبد الرحمن ، فلما بلغ المنهزمون إليهما انهزما أيضاً في جندهما من غير قتال حتى دخلوا بغداد وخَلَتِ البلادُ لطاهر ، فأقبل يحوزها بلدة بلدة وكورة كورة ، حتى انتهى إلى شلاشان من قرى حلوان ، فخندق بها وحصّن عسكره ، وجمع أصحابه .

ذكر خروج السفياني

في هذه السنة خرج السفياني وهو علي بن عبد الله بن خالد يزيد بن معاوية ، وأمّه نفيسة بنت عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب ، وكان يقول : أنا من شيخي صفين ـ يعني علياً ، ومعاوية ـ وكان يلقبْ بأبي العميطر ، لأنه قال يوماً لجلسائه : أي شيء كنية الحرذون ؟ قالوا : لا ندري قال : هو أبو العميطر ، فلقبوه به ، ولما خرج ، دعا لنفسه بالخلافة في ذي الحجة ، وقَويَ على سليمان بن المنصور عامل دمشق ، فأخرجه عنها ، وأعانه الخطاب بن وجه الفلس مولى بني أمية ، وكان قد تغلب على صيدا، ولمَّا خرج سيَّر اليه الأمين الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان ،

---

(١) في نسخة « أجلى » بالجيم .

فبلغ الرقة ولم يسر الى دمشق ، وكان عُمْرُ أبي العميطر حين خرج تسعين سنة ، وكان الناس قد أخذوا عنه علماً كثيراً ؛ وكان حسن السيرة، فلما خرج ظلم واساء السيرة ، فتركوا ما نقلوا عنه ؛ وكان أكثر أصحابه من كلب ؛ وكتب إلى محمد بن صالح بن بيهس الكلابي يدعوه الى طاعته ، ويتهدّده إنْ لم يفعل فلم يجبْهُ إلى ذلك .

فأقبل السفياني على قصد القيسية ، فكتبوا إلى محمد بن صالح ، فأقبل إليهم في ثلاثمائة فارس من الضباب ومواليه ، واتصل الخبر بالسفياني فوجَّه إليه يزيد بن هشام في اثني عشر ألفاً ، فالتقوا فانهزم يزيد ومَنْ معه ، وقَتَلَ منهم إلى أن دخلوا أبواب دمشق زيادة على ألفي رجل ، وأسرَ ثلاثة آلاف ، فأطلقهم ابن بيهس ، وحلق رؤوسهم ولحاهم ، وضعف السفياني وحُصر بدمشق ، ثم جمع جمعاً وجعل عليهم ابنه القاسم وخرجوا الى ابن بيهس ، فالتقوا فقُتِلَ القاسم ، وانهزم أصحابُ السفياني ، وبُعِثَ رأسه إلى الأمين ، ثم جمع جمعاً آخر ، وسيَّرهم مع مولاه المعتمر، فلقيهم ابن بيهس فقُتِلَ المعتمر ، وانهزم أصحابه ، فوهن أمر أبي العميطر ، وطمع فيه قيس .

ثم مرض ابن بيهس فجمع رؤساء بني نمير ، فقال لهم : ترون ما أصابني من علتي هذه فارفقوا ببني مروان، وعليكم بمسلمة بن يعقوب بن علي بن محمد بن سعيد بن مسلمة بن عبد الملك فإنه ركيك ، وهو ابن أختكم ، واعلموه أنكم لا تتبعون بني أبي سفيان ؛ وبايعوه بالخلافة وكيّدوا به السفياني .

وعاد ابن بيهس إلى حوران، واجتمعت نمير على مسلمة ، وبذلوا له البيعة ، فقبل منهم ، وجمع مواليه ، ودخل على السفياني ، فقبض عليه، وقيده ، وقبض على رؤساء بني أمية ، فبايعوه وأدنى قيساً، وجعلهم خاصته .

فلما عوفي ابن بيهس عاد إلى دمشق فحصرها فسلَّمها إليه القيسية وهرب مسلمة والسفياني في ثياب النساء إلى المزة ، وكان ذلك في المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة ؛ ودخل ابن بيهس دمشق وغلب عليها ، وبقي بها إلى أن قدم عبدالله بن طاهر دمشق ، ودخل إلى مصر ، وعاد إلى دمشق ، فأخذ ابن بيهس معه إلى العراق فمات بها .

ذكر عدة حوادث

وكان العامل على مكة ، والمدينة لمحمد الأمين داود بن عيسى بن موسى ، وهو الذي حجَّ بالناس سنة ثلاث وتسعين أيضاً ، وكان على الكوفة العباس بن الهادي للأمين ؛ وعلى البصرة له أيضاً منصور بن المهدي .

وفيها مات محمد بن خازم أبو معاوية الضرير ، وكان يتشيَّع وهو ثقة في الحديث[1] ؛ وفيها توفي أبو نوَّاس الحسن بن هانىء ، الشاعر المشهور ، وكان عمره تسعاً وخمسين سنة ودُفِنَ بالشونيزي ببغداد ، ومحمد بن فضل بن غزوان بن جرير الضبي مولاهم ، ويوسف بن اسباط أبو يعقوب .

---

(١) هو أحد مشايخ الحديث الثقات المشهورين .

ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائة

ذكر توجيه الأمين الجيوش الى طاهر وعودهم من غير قتال

في هذه السنة سيَّر الامين أسد بن يزيد بن مزيد ، وسيَّر عمَّه أحمد بن مزيد ، وعبد الله بن حميد بن قحطبة إلى حلوان لحرب طاهر ؛ وكان سبب ذلك ما ذكره أسد قال : أنه لما قُتِلَ عبد الرحمن أرسل إليّ الفضل بن الربيع يستدعيني ، فجئته ، ودخلت عليه وهو قاعد ، بيده رقعة قد قرأها ، وقد احمرت عيناه ، فاشتدّ غضبه وهو يقول : ينام نوم الطائر ، وينتبه انتباه الذئب ، همُّه بطنه ، يقاتل الرعاء والكلاب ترصده ، لا يفكر في زوال نعمة ولا يروي في امضاء رأي ، قد ألهاه كأسُهُ، وشغله قدحُه ، فهو يجري في لهوه ، والايام توضع[1] في هلاكه، قد شمر له عبد الله عن ساق وفوق له أصوب[2] أسهمه يرميه على بعد الدار بالحتف النافذ، والموت القاصد، وقد عبى له المنايا على ظهور الخيل ، وناط له البلاء في أسِنَّةِ الرماح ، وشفار السيوف ، ثم استرجع وتمثل بشعر البعيث :

ومجدولة جدل العنان خريدةٌ ... لها شعرٌ جعدٌ ووجْهُ مقسَّمُ
وثغرٌ نقيُّ اللونِ عذبٌ مذاقُهُ ... يضيء له الظلماء ساعة تبسمُ
وثديان كالحقّيْن والبطن ضامر ... خميص ووجهُ[3] ناره تتضرمُ
لهوتُ بها ليل التمام ابن خالد ... وأنت[4] بمرو الروذ غيظاً تجرمُ
أظل أناغيها وتحت ابن خالد ... أمية نهدِ المركلين عثمثمُ

---

(١) في الطبري « والأيام تضرع » .
(٢) في الطبري « وفوق له أصيب » .
(٣) في الطبري « وجهر » .
(٤) في الطبري « على » .

طواه[١] طرادُ الخيل في كل غارة ... لها عارض فيه الأسنَّة ترزمُ
يقارع أتراك ابن خاقان ليله ... إلى أن يرى الاصباح ما يتلعثمُ
فيصبح من طول الطراد وجسمه ... نحيلٌ واضحى في النعيم أصمُ
أبا كِرُهَا صهباء كالمسك ريحها ... لها أرج في دنّها حين يرسم[٢]
فشتَّان ما بيني وبين ابن خالد ... أمية في الرزق الذي الله يقسم[٣]

ثم التفتَ إليَّ فقال : أبا الحرث ، أنا وإياك نجري الى غاية إن قصرنا عنها ذُمِمْنا وإن اجتهدنا في بلوغها انقطعنا ، وإنما نحن شعب من أصل ، إن قوي قوينا وإن ضعف ضعفنا ؛ ان هذا الرجل قد ألقى بيده إلقاء الأمة الوكعاء ، يشاور النساء ، ويعتزم على الرؤيا ، وقد أمكن ما معه من أهل اللهو والجسارة ، فهم يعدونه الظفر ، ويمنونه عقب الأيام والهلاك ، أسرع اليه من السيل الى قيعان الوحل ، وقد خشيتُ والله أن نهلك بهلاكه ، ونُعْطَبَ بعطبه ، وأنت فارس العرب وابن فارسها ، وقد فزع اليك في هذا الأمر ، ولقاء هذا الرجل ، وأطمعه فيما قبلك أمران ، أحدهما صدق الطاعة وفضل النصيحة ، والثاني يمنُ نقيبتك ، وشدة بأسك ، وقد أمرني بازاحة ما عليك وبسط يدك فيما أحبَبْتَ ، غير أن الاقتصاد رأس النصيحة ومفتاح اليُمْن والبركة ، أنجزْ حوائجك ، وعجّل المبادرة الى عدوك ، فإني أرجو أن يوليك الله شرفَ هذا الفتح ، ويلمُّ بك شعثَ هذه الخلافة والدولة ، فقلت : أنا لطاعة أمير المؤمنين ، وطاعتك مقدم ، ولكل ما دخل فيه الوهن على عدوّه وعدوك حريص غير أن المحارب لا يعمل بالغدر ، ولا يفتح[٤] أمره بالتقصير والخلل ؛ وإنما ملاك المحارب الجنود وملاك الجنود المال ، والذي أسأل أن يُؤمرَ لأصحابي برزق سنة ، وتحْمَل معهم أرزاق سنةٍ ، وتخصَّ أهل الغناء والبلاء ، وأبدل من فيهم من الضعفى وأحمل الف رجل ممن معي على الخيل ، ولا اسأل عن محاسبة ما افتتحت من المدن والكور ، فقال : قد أشططت[٥] ولا بدَّ من مناظرة أمير المؤمنين .

---

(١) في الطبري « طواها » .
(٢) سقط هذا البيت من الطبري .
(٣) في الطبري « قاسم » .
(٤) في الطبري « لا يفتتح ».
(٥) في الطبري « قد اشتططت » .

ثم ركب وركبت معه فدخل قبلي على الأمين ، وأذن لي فدخلت، فما كان إلا كلمتان حتى غضب، وأمر بحبسي ، وقيل : إنه طلب أن يدفع ولدَي المأمون ، فإن أطاعه وإلا قتلهما فقال الأمين : أنت أعرابي مجنون ، أدعوك إلى ولاية أعنَّة العرب ، والعجمَ وأطعمك خراج كور الجبال إلى خراسان ، وأرفع منزلتك على نظرائك من أبناء القواد والملوك ، وتدعوني إلى قتل ولدي وسفك دماء أهل بيتي ، إنّ هذا للخرق[1] والتخليط.

وكان ببغداد ابنان للمأمون مع أمهما أم عيسى ابنة الهادي وقد طلبهما المأمون من أخيه في حال السلام ، فمنعهما من المال الذي كان له ، فلما حبس أسداً قال : هل في أهل بيته مَنْ يقوم مقامه فإني أكرهُ أن أفسدَهم مع نَبَاهتهم ، وما تقدم من طاعتهم ، ونصيحتهم؟ قالوا : نعم عمُّه أحمد بن مزيد، وهو أحسنهم طريقة، له بأسٌ ونجدةٌ وبصرٌ بسياسة الحرب فأنفذْ إليه أحضره . فأتى الفضل فدخل عليه ـ وعنده عبد الله بن حميد بن قحطبة ـ وهو يريده على المسير إلى طاهر وعبد الله يشط،[2] قال أحمد : فلما رآني الفضل رحَّب بي ورفعني إلى صدر المجلس ثم أقبل على عبد الله يداعبه ثم قال :

إنّا وجدنا لكم إذ رثّ حبلكم ... من آل شيبان أمّا دونكم وأبا
الأكثرون إذا عدّ الحصى عدداً ... والأقربون إلينا منكم نسباً

فقال عبد الله : أقسم أنهم لكذلك[3] ، وفيهم سد الخلل ونكاء العدو، ودفع معرة أهل المعصية عن أهل الطاعة ، فقال له الفضل : ان أمير المؤمنين أجرى ذكرك ، فوصفتك له بحسن الطاعة والشدّة على أهل المعصية ، فأحبَّ اصطناعك والتنويه باسمك، وأن يرفعك إلى منزلة لم يبلغها أحد من أهل بيتك ، ثم مضى ومضيت معه إلى الأمين ، فدخلنا عليه فقال لي في حبس أسد واعتذر إليَّ وأمرني بالمسير إلى حرب طاهر فقلت : سأبذل في طاعة أمير المؤمنين مهجتي وأبلغ في جهاد عدوّه، أفضل ما أمله عندي ، ورجاه من غنائي وكفايتي إن شاء الله تعالى.

---

(١) في نسخة « للخرف » بالفاء وما هنا موافق لما في الطبري .

(٢) في الطبري « يشتط » بزيادة تاء .

(٣) في نسخة « اقسم لك ذلك » وهو تصحيف .

فأمر الفضل بأن يمكنه من العساكر ، يأخذ منهم مَنْ أراد ، وأمره بالجدّ في المسير والتجهّز؛ فأخذ من العسكر عشرين ألف فارس وسار معه عبد الله بن حميد بن قحطبة في عشرين ألفاً من الابناء وسار بهم إلى حلوان، وشفع في أسد ابن أخيه فأطلقه ، وأقام أحمد ، وعبد الله بخانقين ، وأقام طاهر بموضعه ، ودسَّ الجواسيس والعيون ، وكانوا يرجفون في عسكر أحمد ، وعبد الله ويخبرونهم أن الأمين قد وضع العطاء لأصحابه، وأمر لهم بالأرزاق الوافرة ، ولم يزل يحتال في وقوع الاختلاف بينهم حتى اختلفوا وانتقض أمرهم ، وقاتل بعضهم بعضاً ورجعوا عن خانقين من غير أن يلقوا طاهراً .

وتقدم طاهر فنزل حلوان فلما نزلها لم يلبث إلَّا يسيراً حتى أتاه هرثمة في جيش من عند المأمون ومعه كتاب الى طاهر يأمره بتسليم ما حوى من المدن والكور إلى هرثمة ، ويتوجَّه هو إلى الاهواز، ففعل ذلك ، وأقام هرثمة بحلوان وحصَّنها وسار طاهر إلى الأهواز .

ذكر الفضل بن سهل

في هذه السنة خطب للمأمون بإمرة المؤمنين ، ورفع منزلة الفضل بن سهل ، وسبب ذلك أنه لمَّا أتاه خبر قتل ابن ماهان ، وعبد الرحمن بن جبلة ، وصحَّ عنده الخبر بذلك ، أمر ان يخطب له ، ويخاطب بأمير المؤمنين ، ودعا الفضل بن سهل ، وعقدَ له على المشرق من جبل همذان إلى التبت طولاً ، ومن بحر فارس إلى بحر الديلم ، وجرجان عرضا ، وجعل له عمالة ثلاثة آلاف الف درهم ، وعقد له لواء على سنان ذي شعبتين، ولقبه ذا الرياستين رياسة الحرب ، والقلم ، وحمل اللواء علي بن هشام ، وحمل القلم نعيم بن حازم ، وولّى الحسن بن سهل ديوان الخراج .

ذكر عبد الملك بن صالح بن علي وموته

قد ذكرنا قَبْضَ الرشيد على عبد الملك بن صالح وحَبْسِهِ إيَّاه ، فلم يزل محبوساً حتى مات الرشيد ، فأخرجه الأمين من الحبس في ذي القعدة سنة ثلاث وتسعين ، وأحسن إليه، فشكر عبد الملك ذلك له .

فلمّا كان من طاهر ما كان دخل عبد الملك على الأمين فقال له : يا أمير المؤمنين أرى النـاس قد طمعـوا فيك ، وجنـدك قد أعيتهم الهـوام ، وأضعفتهم الحـروب ، وامتلأت قلوبهم هيبة لعدوهم ، فإن سيَّرتهم إلى طاهر غَلَبَ بقليل مَنْ معه كثيرهم ، وهزم بقوة نيَّته ضعف نصائحهم ونياتهم ، وأهل الشام قَوْمٌ قـد ضرَّستهم الحـرب ، وأدَّبتهم الشدائد، وكلهم منقاد إليّ، متنازع إلى طاعتي ، وإن وجَّهني أمير المؤمنين اتخذتُ له منهم جنداً يعظم نكايتهم في عدّوه ؛ فولاّه الأمين الشام ، والجزيرة وقوّاه بمال ورجال ، وسيَّره سيراً حثيثاً ، فسار حتى نزل الرقّة، وكاتب رؤساء أهل الشام وأهل القوة، والجلد، والبـأس، فأتـوه رئيساً بعـد رئيس ، وجماعـة بعد جمـاعة ، فأكرمهم، ومناهم ، وخلع عليهم، وكَثُرَ جمعه ، فمرض واشتدَّ مرضه .

ثم ان بعض جنود خرسان المقيمين في عسكر الشام رأى دابة كانت أخذت منه في وقعة سليمان بن أبي جعفر تحت بعض الزواقيل من أهل الشام أيضاً، فتعلق بها ، واجتمع جماعةٌ من الزواقيل والجند ، فتضاربوا ، واجتمعت الابناء ،وتألبوا ، وأتوا الزواقيل ـ وهم غارون ، فوضعوا فيهم السيوف فقتلوا منهم مقتلةً عظيمةً ، وتنـادى الزواقيـل ، فركبـوا خيولهم ، ونشبت الحرب بينهم ، وبلغ ذلك عبد الملك ، فوجَّه إليهم يأمرهم بالكفّ ، فلم يفعلوا ، واقتتلوا يومهم ذلك قتالاً شديداً ، وأكثرت الأبناء القتل في الزواقيل ، فأُخبِرَ عبد الملك بذلك ـ وكان مريضاً مدنفاً ـ فضرب بيده على يد وقال : واذلاّه تستضام العرب في دورها وبلادها ، فغضبَ منْ كان أمسك عن الشرّ من الأبناء ، وتفاقم الأمـر ، فيما بينهم، وقام بأمر الأبناء الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان.

وأصبح الزواقيل فاجتمعوا بالرقَّة، واجتمع الابناء ، وأهل خراسان بالرافقة ، وقام رجلٌ من أهلِ حمْصَ فقال : يا أهل حمص الهرب أهونُ من العطبِ ، والموتُ أهونُ من الذلّ ، إنكم قد بعدتم عن بلادكم ترجون الكثرة بعد القلة ، والعزّة بعد الذلّة ألاَ وفي الشر وقعتم ، وفي حوْمةِ الموتِ أنختم ، إن المنايا في شـوارب المسودة ، وقـلانسهم ، النفير النفيـر قبل أن ينقـطع السبيل ، وينـزل الأمر الجليـل ، ويفـوتَ المطلب ، ويعسرَ المهرب .

وقام رجل من كلب في غرز ناقته فقال نحواً من ذلك ثم قال : ألا وإني سائر فمن أراد الانصراف فلينصرف معي ؛ ثم سار معه عامة أهل الشام ، وأحرَقَتِ الزواقيلُ ما

كان التجار قد جمعوه من الاعلاق ؛ وأقبل نصر بن شبث العقيلي ، ثم حمل وأصحابه فقاتل قتالاً شديداً ، وصبر الجند لهم ؛ وكان أكثر القتل في الزواقيل لكثير بن قادرة ، وأبي القيل ، وداود بن موسى بن عيسى الخراساني ، وانهزمت الزواقيل وكان على حاميتهم يومئذ نصر بن شبث ، وعمرو بن عبد العزيز السلمي ، والعباس بن زفر الكلابي، ثم توفي عبد الملك بن صالح بالرقة في هذه السنة .

ذكر خلع الأمين والمبايعة للمأمون وعود الأمين الى الخلافة

فلمّا مات عبد الملك بن صالح نادى الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان في الجند ، فجعل الرجالة في السفن وسار الفرسان على الظهر في رجب ؛ فلما قدم بغداد لقيه القواد وأهل بغداد ، وعملت له القباب ، ودخل منزله فلما كان جوف الليل بعث إليه الأمين يأمره بالركوب إليه ، فقال للرسول : ما أنا بمغن ولا مسامر ، ولا مضحك، ولا ولِيْتُ له عملاً ، ولا مالاً فلأيّ شيء يريدني هذه الساعة ؟ انصرفْ فإذا أصبحت غدوت إليه إن شاء الله .

وأصبح الحسين ، فوَافَى باب الجسر، واجتمع إليه الناس فقال : يا معشر الابناء ، إن خلافة الله لا تُجاوَرُ بالبطر ، ونعمته لا تُستَصحَب بالتجبُّر، وان محمداً يريد أن يوقع إذلالكم[1] ، وينقل عزّكم إلى غيركم ، وهو صاحب الزواقيل بالأمس، وبالله ان طالت به مدة ليرجعنَّ وبال ذلك عليكم ، فاقطعوا أثره قبل أن يقطع آثاركم ، وضعوا عزّه قبل أن يضع عزّكم ، فوالله لا ينصره ناصر منكم إلاّ خُذِلَ وما عند الله عزّ وجل لأحد هوادة، ولا يراقب على الاستخفاف بعهوده والحنث بايمانه .

ثم أمر الناس بعبور الجسر ، فعبروا وصاروا الى سكة باب خراسان ، وتسرعت خيول الأمين إلى الحسين ، فقاتلوه قتالاً شديداً فانهزم أصحاب الأمين ، وتفرقوا ، فخلع الحسين الأمين يوم الاحد لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب ، وأخذ البيعة للمأمون من الغد يوم الأثنين ؛ فلما كان يوم الثلاثاء وثب العبَّاس بن موسى بن عيسى بالأمين فأخرجه من قصر الخلد، وحبسه بقصر المنصور ، وأخرج أمه زبيدة أيضاً فجعلها مع ابنها ، فلما كان يوم الأربعاء طالب الناس الحسين بالأرزاق ، وماج بعضهم

---

(١) في الطبري « ان يوتغ اديانكم » والوتغ الاثم والهلاك والملامة

في بعض فقام محمد بن خالد[1] بباب الشام ، فقال : أيها الناس والله ما أدري بأي سبب تأمر الحسين بن علي علينا ، وتولّى هذا الأمر دوننا ، ما هو بأكبرنا سنّاً ، وما هو بأكبر منّا حسباً ، ولا بأعظمنا منزلة وغنىً ، وإني أولكم أنقض عهده ، وأظهر الانكار لفعله ، فمن كان على رأيي فليعتزل معي .

وقال أسد الحربي : يا معشر الحربية ، هذا يوم له ما بعده إنكم قد نمتم ، فطال نومكم ، وتأخرتم ، فتقدم عليكم غيركم ، وقد ذهب أقوام بخلع الأمين ، فاذهبوا أنتم بذكر فكّه وإطلاقه .

وأقبل شيخ على فرس فقال : أيها الناس هل تعتدون على محمد بقطع أرزاقكم ؟ قالوا : لا قال : فهل قصر بأحد من رؤسائكم ، وعزل أحداً من قوادكم ؟ قالوا : لا قال : فما بالكم خذلتموه ، وأعنتم عدوّه، على أسره وأيم الله ما قتل قوم خليفتهم إلّا سلط الله عليهم السيف ؛ انهضوا إلى خليفتكم ، فقاتلوا عنه مَنْ أراد خلعه، فنهضوا، وتبعهم أهل الأرباض فقاتلوا الحسين قتالاً شديداً ، فأُسِرَ الحسين بن علي ، ودخل أسد الحربي على الأمين ، فكسر قيوده ، وأقعده في مجلس الخلافة ، ورأى الأمين أقواماً ليس عليهم لباس الجندِ ، فأمرهم بأخذ السلاح ، فانتهبه الغوغاء ، ونهبوا غيره ، وحُمِل إليه الحسين أسيراً ، فلامه ، فاعتذر له الحسين فاطلقه ، وأمره بجمع الجند ، ومحاربة أصحاب المأمون ، وخلع عليه ، وولّاه ما وراء بابه ، وأمره بالمسير إلى حلوان ، فوقف الحسين بباب الجسر - والناس يهنونه - فلما خف عنه الناس قطع الجسر وهرب ؛ فنادى الأمين في الجند يطلبه فركبوا كلهم فادركوه بمسجد كوثر على فرسخ من بغداد فقاتلهم فعثر به فرسه ، فسقط عنه فقتل ، وأخذوا رأسه ، وقيل : إن الأمين كان استوزره ، وسلّم اليه خاتمه ، وجدّد الجند البيعة للأمين بعد قتل الحسين بيوم ، وكان قتله خامس عشر رجب ، فلمّا قُتِلَ الحسين بن علي هرب الفضل بن الربيع واختفى .

ذكر ما فعله طاهر بالأهواز

لما نزل طاهر بشلاشان وجّه الحسين بن عمر الرستمي إلى الأهواز، وأمره

---

(١) في الطبري « محمد بن ابي خالد » .

بالحذر ، فلما توجَّه أتت طاهراً عيونه ، فأخبروه أن محمد بن يزيد بن حاتم المهلبي ـ وكان عاملاً للأمين على الأهواز ـ قد توجّه في جمع عظيم، يريد جند يسابور ليحمي الأهواز من أصحاب طاهر ، فدعا طاهر عدة من أصحابه ، منهم محمد بن طالوت ، ومحمد بن العلاء ، والعباس بن بخار اخذاه وغيرهم ، وأمرهم أن يجدّوا السيْرَ حتى يتصل أولهم بآخر أصحاب الرستمي ؛ فإن احتاج إلى مدد أمدّوه ، فساروا حتى شارفوا الأهواز ، ولم يلقوا أحداً ، وبلغ خبرهم محمد بن يزيد ، فسار حتى نزل عسكر مكرم ، وصيّر العمران والماء وراء ظهره، وتخوّف طاهر أن يعجل إلى أصحابه، فأمدَّهم بقريش بن شبل ، وتوجَّه هو بنفسه حتى كان قريباً منهم .

وسيَّر الحسين بن علي المأموني إلى قريش والرستمي ، فسارت تلك العساكر حتى أشرفوا على محمد بن يزيد بعسكر مكرم ، فاستشار أصحابه في المطاولة والمناجزة ، فأشاروا عليه بالرجوع إلى الأهواز ، والتحصن بها ، وأن يستدعي الجند من البصرة ، وقومه الأزد ، ففعل ذلك ، فسيَّر طاهر وراءه قريش بن شبل ، وأمره بمبادرته قبل أن يتحصّن بالأهواز ، فسبقه محمد بن يزيد ووصل بعده بيوم قريش ، فاقتتلوا قتالاً شديداً؛ فالتفت محمد إلى من معه من مواليه ـ وكان أصحابه قد رجعوا عنه ـ فقال لمواليه : ما رأيكم ؟ إني أرى مَنْ معي قد انهزم، ولست آمن خذلانهم، ولا أرجو رجعتهم ، وقد عزمت على النزول والقتال بنفسي حتى يقضيَ الله بما أحب ، فمن أراد الانصراف فلينصرف ، فوالله لئن تبقوا أحب إليّ من أن تموتوا ؛ فقالوا : والله ما أنصفناك إذاً تكون قد اعتقتنا من الرقّ ، ورفعتنا من الضعة ، واغنيتنا بعد القلة ، ثم نخذلك على هذه الحال ، فلعن الله الدنيا والعيش بعدك ، ثم نزلوا، فعرقبوا دوابهم ، وحملوا على أصحاب قريش حمله منكرة ، فأكثروا فيهم القتل ؛ وقُتِلَ محمد بن يزيد المهلبي ، واستولى طاهر على الأهواز وأعمالها ، واستعمل العمال على اليمامة ، والبحرين ، وعمان ، وجُرِحَ في تلك الوقعة عدة جراحات، وقطعت يده ، وقال بعض المهالبة :

فما لمت نفسي غير أني لم أطق ... حراكاً وأني كنت بالضرب مُثْخناً
ولو سلِمَتْ كفاي قاتلتُ دونه ... وضاربتُ عنه الطاهري الملعنا
فتى لا يرى أن يخذل السيف في الوغى ... إذا ادرع الهيجاء في النقع واكتنى

ولما دخل ابن أبي عيينة المهلبي على طاهر ومدحه فحين انتهى إلى قوله :

ما ساء ظني إلا بواحدة في الصدر محصورة عن الكلم

تبسم طاهر ثم قال : أما والله ساءني من ذلك ما ساءك وآلمني ما آلمك ولقد كنت كارهاً لما كان غير أن الحتف واقع ، والمنايا نازلة ، ولا بدَّ من قطع الأواصر ، والشكر للأقارب في تأكيد الخلافة ، والقيام بحقّ الطاعة ،فظن مَنْ حضر أنه أراد محمد بن يزيد بن حاتم .

ذكر استيلاء طاهر على واسط وغيرها

ثم سار طاهر من الأهواز إلى واسط وبها السندي بن يحيى الحرشي ، والهيثم بن شعبة خليفة خزيمة بن خازم ، فجعل طاهر كلما تقدم نحوهم ، تقوَّضتِ المسالح والعمال بين يديه حتى أتى واسط فهرب السندي والهيثم بن شعبة عنها .

واستولى طاهر على واسط ، ووجّه قائداً من قوّاده إلى الكوفة ، وعليها العباس بن موسى الهادي ، فلما بلغه الخبر خلع الأمين وبايع للمأمون ، وكتب بذلك إلى طاهر ، ونزلت خيل طاهر فم النيل ، وغلب على ما بين واسط والكوفة ، وكتب المنصور بن المهدي ـ وكان عاملا للأمين على البصرة ـ إلى طاهر ببيعته وطاعته ، وأتته بيعة المطلب بن عبد الله بن مالك بالموصل للمأمون وخلع الأمين ، وكان هذا جميعه في رجب من هذه السنة فأقرّهم طاهر على أعمالهم ، وولّى داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي الهاشمي مكة والمدينة ، واستعمل يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبدالله القسري البجلي على اليمن ، ووجّه الحرث بن هشام ، وداود بن موسى إلى قصر ابن هبيرة ، وأقام طاهر بجرجرايا .

فلما بلغ الأمين خبر عامله بالكوفة ، وخلعه ، والبيعة للمأمون ، وجّه محمد بن سليمان القائد ، ومحمد بن حماد البربري وأمرهما أن يبيتا الحرث بن هشام ، وداود بالقصر ؛ فبلغ الحرث الخبر فركب هو وداود ، فعبرا في مخاضة في سوراء إليهم فأوقعا بهم وقعة شديدة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وانهزم أهل بغداد ، ووجّه الأمين أيضاً الفضل بن موسى بن عيسى الهاشمي عاملاً على الكوفة في خيل ، فبلغ طاهراً الخبر ، فوجّه محمد بن العلاء في جيش إلى طريقه فلقيَ الفضل بقرية الاعراب ، فبعث إليه

الفضل أني سامع مطيع ، وإنما كان مخرجي كيداً مني لمحمد الامين ، فقال له ابن العلاء : لست أعرف ما تقول فإن أردت طاهراً فارجع وراءك فهو أسهل الطريق ؛ فرجع الفضل ، فقال محمد بن العلاء : كونوا على حذر فلا آمن مكره؛ ثم إن الفضل رجع إلى ابن العلاء وهو يظن أنه على غير أهبة فرآه متيقظاً حذراً ، فاقتتلوا قتالاً شديداً كأشدِّ ما يكون من القتال، فانهزم الفضل وأصحابه .

ذكر استيلاء طاهر على المدائن ونزوله بصرصر

ثم إن طاهراً سار إلى المدائن ، وبها جيش كثير للأمين عليهم البرمكي قد تحصَّن بها، والمدد يأتيه كل يوم والخلع والصلات من قبل محمد ، فلمّا قرب طاهر منه ، وجّه قريش بن شبل ، والحسين بن علي المأموني في مقدمته ، فلما سمع أصحاب البرمكي طبول طاهر أسرجوا، وركبوا، وأخذ البرمكي في التعبية، فكان كلما سوَّى صفا انتفض واضطرب، وانضمَّ أولهم إلى آخرهم فقال : اللهم إنّا نعوذ بك من الخذلان ؛ ثم قال لصاحب ساقته : خلِّ سبيل الناس ، فلا خيرَ عندهم ، فركب بعضهم بعضاً نحو بغداد، فنزل طاهر المدائن واستولى على تلك النواحي ثم سار إلى صرصر فعقد بها جسراً ونزلها.

ذكر البيعة للمأمون بمكة والمدينة

وفي هذه السنة خلع داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي الأمين ـ وهو عامله على مكة ، والمدينة ـ وبايع للمأمون ، وكان سبب ذلك أنه لما بلغه ما كان من الأمين ، والمأمون وما فعل طاهر ، وكان الأمين قد كتب إلى داود بن عيسى يأمره بخلع المأمون ، وبعث أخذ الكتابين من الكعبة كما تقدم ؛ فلما فعل ذلك جمع داود وجوه الناس ، ومَنْ كان شهد في الكتابين .

وكان داود أحدهم فقال لهم: قد علمتم ما أخذ الرشيد علينا وعليكم من العهد والميثاق عند بيت الله الحرام لابنَيْهِ لنكونَنَّ مع المظلوم منهما على ظالمه ، ومع المغدور به على الغادر ، وقد رأينا ورأيتم أن محمداً قد بدأ بالظلم، والبغي ، والغدر، والنكث على أخويه المأمون والمؤتمن وخلعهما عاصياً لله وبايع لابنه طفل صغير رضيع لم يفطم ، وأخذ الكتابين من الكعبة، فخرقهما ظالماً ، فقد رأيت خلعه والبيعة

للمأمون إذ كان مظلوماً مبغياً عليه ، فأجابوه إلى ذلك ، فنادى في شعاب مكة فاجتمع الناس فخطبهم بين الركن والمقام[1] وخلع محمداً وبايع للمأمون وكتب إلى ابنه سليمان ـ وهو عامله على المدينة ـ يأمره أن يفعل مثل ما فعل ، فخلع سليمان الأمين ، وبايع للمأمون ؛ فلما أتاه الخبر بذلك سار من مكة على طريق البصرة ثم إلى فارس ثم إلى كرمان حتى صار إلى المأمون بمرو فأخبره بذلك فسر المأمون بذلك سروراً شديداً ، وتَيمَّن ببركة مكة ، والمدينة ؛ وكانت البيعة بهما في رجب سنة ست وتسعين ومائة ، واستعمل داود على مكة ؛ والمدينة وأضاف إليه ولاية علًّ ، وأعطاه خمسمائة ألف درهم معونة وسيَّر معه ابن أخيه العباس بن موسى بن عيسى بن موسى وجعله على الموسم ، فسارا حتى أتيا طاهراً ببغداد ، فاكرمهما وقرَّبهما ووجَّه معهما يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري البجلي عاملاً على اليمن ، وبعث معه خيلاً كثيفة ؛ فلما قدم اليمن دعا أهلها إلى خلع الامين ، والبيعة للمأمون ، ووعدهم العدل والاحسان، وأخبرهم بسيرة المأمون ، فأجابوه الى ما طلب ، وخلعوا محمداً وبايعوا للمأمون ، وكتب بذلك إلى طاهر وإلى المأمون وسار فيهم أحسن سيرة ، وأظهر العدل .

ذكر ما فعله الامين

وفي هذه السنة عقد محمد الامين في رجب وشعبان نحواً من أربعمائة لواء لقواد شتَّى ، وأمر عليهم علي بن محمد بن عيسى بن نهيك ، وأمرهم بالمسير إلى هرثمة بن أعين، فساروا اليه ، فالتقوا بنواحي النهروان في رمضان ، فانهزموا وأسِرَ علي بن محمد بن عيسى ، فسيَّره هرثمة الى المأمون ورحل هرثمة فنزل النهروان .

ذكر وثوب الجند بطاهر والأمين ونزوله بغداد

وأقام طاهر بصرصر مشمراً في محاربة الأمين ، وكان لا يأتيه جيش إلاَّ هزمه ؛ وبذل الأمين الأموال فاشتدَّ ذلك على أصحاب طاهر فسار إليه منهم نحو خمسة آلاف فسرَّ بهم الأمين ، ووعدهم، ومناهم ، وفرّق فيهم مالاً عظيماً، وغلَّف لحاهم بالغالية فسُمُّوا قواد الغالية ، وقوَّد جماعة من الحربية ، ووجَّههم إلى دسكرة الملك ،

---

(١) ذكر ابن جرير الطبري خطبته مفصلة فليراجع .

والنهـروان فلم يكن بينهم قتال كثيـر ، وندب جمـاعة من قـواد بغداد ووجَّههم إلى الياسرية ، والكوثرية ، وفرَّق الجواسيس في أصحاب طاهر، ودسَّ إلى رؤساء الجند فأطمعهم ورغَّبهم فشغبوا على طاهر ، واستأمن كثيرٌ منهم الى الأمين، فانضموا إلى عسكره وساروا حتى أتوا صرصرا .

فعبى طـاهر أصحـابه كـراديس، وسار فيهم يُمنيهم ، ويحـرّضهم ، ويعدهم النصر ، ثم تقدم ، فاقتتلوا مليّاً من النهار ، ثم انهزم أصحاب الأمين ، وغنم عسكر طاهر ما كان لهم من السلاح والدواب وغير ذلك ، وبلغ ذلك الأمين ، فأخرج الأموال وفرَّقها ، وجمع أهل الأرباض، وقوَّد منهم جماعة ، وفرّق فيهم الأموال ، وأعطى كل قائد منهم قارورة غالية ، ولم يفرق في أجناد القواد وأصحابهم شيئاً .

فبلغ ذلـك طاهـراً فراسلهم ، ووعـدهم ، واستمـالهم ، وأغـرى أصـاغـرهم بأكابرهم ، فشغبوا على الامين في ذي الحجـة ؛ فصعب الأمر عليـه ، فأشـار عليه أصحابه باستمالتهم والاحسان اليهم ، فلم يفعل، وأمر بقتالهم جماعة من المستأمنة والمحـدثين ، فقاتلوهم ، وراسلهم طـاهر ، وراسلوه ، وأخـذ رهـائنهم على بـذل الطاعة ، وأعطاهم الاموال ، ثم تقدم فصار إلى موضع البستان الذي على باب الانبار في ذي الحجة، فنزل بقوّاده وأصحابه، ونزل مَنْ استأمن إليه من جند الأمين في البستان والأرباض، وأضعف للقواد وأبنائهم والخواص العطاء، ونقب أهل السجون ـ السجون ـ وخرجوا منها ، وفتن الناس ، وساءت حالهم ، ووثب الشطّار على أهل الصلاح ، ولم يتغيَّر بعسكر طاهر حال لتفقد حـالهم ، وأخذه على أيـدي السفهاء، وغـادي القتال ورواحه حتى تواكل الفريقان، وخربت الديار .

وحجَّ بالناس هذه السنة العباس بن مـوسى بن عيسى بن موسى ودعا للمأمـون بالخلافة وهو أول موسم دُعِي له فيه بالخلافة بمكة والمدينة .

ذكر الفتنة بافريقية مع أهل طرابلس

في هذه السنة ثار أبو عصام ، ومَنْ وافقه على ابراهيم بن الأغلب أمير افريقية ؛ فحاربهم ابراهيم فظفر بهم ؛ وفيها استعمل ابن الاغلب ابنه عبد الله على طرابلس الغرب ، فلما قدم اليها ، ثار عليه الجند ، فحصروه في داره ، ثم اصطلحوا على أن

يخرج عنهم ، فخرج عنهم ، فلم يبعد عن البلد، حتى اجتمع إليه كثيرٌ من النـاس ووضع العطاء، فأتاه البربر من كل ناحية ، وكان يعطي الفارس كل يوم أربعة دراهم ، ويعطي الراجل في اليوم درهمين ، فاجتمع له عددٌ كثير ، فزحف بهم إلى طرابلس، فخرج اليه الجند ، فاقتتلوا، فانهزم جند طرابلس ودخل عبد الله المدينة ، وأمن الناس وقام بها ؛ ثم عزله أبوه واستعمل بعده سفيان بن المضاء ، فثارت هوارة بطرابلس ، فخرج الجند اليهم ، والتقوا، واقتتلوا، فهزم الجنـد إلى المدينـة، فتبعهم هوارة ، فخـرج الجند هـاربين إلى الأمير ابـراهيم بن الاغلب ، ودخلوا المدينـة ، فهـدمـوا أسوارها ، وبلغ ذلك ابراهيم بن الاغلب فسيَّر اليه ابنه أبا العباس عبد الله في ثلاثة عشر ألفـ فارس فاقتتل هو والبربر ، فانهزم البربر ، وقَتَلَ كثيراً منهم ، ودخل طرابلس ، وبنى سورها .

وبلغ خبر هزيمة البربر إلى عبد الوهاب بن عبدالرحمن بن رستم، وجمع البربر، وحرّضهم، وأقبل بهم إلى طرابلس ، وهم جمع عظيمٌ عَصَباً للبربر ونصرةً لهم ، فنزلوا على طرابلس، وحصروها .

فسدَّ أبو العباس عبد الله بن ابراهيم باب زناتة ، وكان يقاتل من باب هوارة ، ولم يزل كذلك إلى أن توفّي أبوه ابراهيم بن الأغلب، وعهد بالامارة لولده عبدالله؛ فأخذ أخوه زيادة الله بن ابراهيم له العهود على الجند ، وسيّر الكتاب إلى أخيه عبد الله يخبره بمـوت أبيه ، وبـالامارة لـه ، فأخـذ البربـر الرسـول ، والكتاب ، ودفعـوه إلى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، فأمر بأن ينادي عبد الله بن ابراهيم بموت أبيه ، فصالحهم على أن يكون البلد والبحر لعبد الله، وما كان خارجاً من ذلك يكون لعبد الوهاب . وسار عبد الله إلى القيروان، فلَقِيَه الناس ، وتسلّم الأمر ، وكانت أيامه أيام سكون ودِعَةٍ .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائة

ذكر حصار بغداد

في هـذه السنة حـاصر طـاهر ، وهـرثمة ، وزهيـر بن المسيب الأمين محمداً ببغداد، فنزل زهير بن المسيب الضبي برقة كلواذي ، ونصب المجانيق، والعرادات ، وحفر الخنادق ، وكان يخرج في الأيـام عند اشتغـال الجند بحـرب طاهـر ، فيرمى بالعرادات ، ويعشر أموال التجار ، فشكا الناس منه إلى طاهر .

فنزل هرثمة نَهْرِبِينَ ، وعمل عليه خندقاً وسوراً ، ونزل عبيـد الله بن الوضّـاح بالشماسية، ونزل طاهر البستان الذي بباب الأنبار ؛ فلما نزله شقَّ ذلك على الأمين ، وتفرَّق ما كان بيده من الأموال ، فأمر ببيع ما في الخزائن من الأمتعة ، وضَرْبِ آنيةِ الذّهب والفضّة، ليفرقها في أصحـابه ، وأمـر باحـراقِ الحربية ، فرُميَتْ بـالنفط ، والنيران ، وقُتلَ بها خلق كثير.

واستأمن الى طاهر سعيد بن مالك بن قادم فولاّه الاسواق ، وشاطىء دجلة ، وما اتصل به ، وأمره بحفر الخنادق وبناء الحيطان في كل ما غلب عليه من الدروب ، وأمدَّه بالاموال والرجال فكثر الخراب ببغداد والهدم ، فدرست المنازل ، ووكَّل الامين علياً افراهمرد بقصر صالح ، وقصر سليمان بن المنصور إلى دجلة ، فألحَّ في إحراق الدور والدروب ، والرمي بالمجانيق ، وفعل طاهر مثل ذلك فأرسل إلى أهل الأرباض من طريق الأنبار وباب الكوفة ، وما يليها ، فكلَّما أجابه أهـل ناحيـة خَنْدَقَ عليهم ومَنْ أبى إجابته قاتله ، وأحرق منزله ، ووحشت بغداد ، وخربت ، فقال حسين الخليع :

أتـسـرع الـرحـلةُ أغـذاذا   عـن جـانـبي بـغـداد أمـاذا
أمـا تــرى الفتنـة قـد ألفت   إلـى أولـي الـفـتـنـة شـذاذا

وانتقضتْ بغـداذ عمـرانـهـا عـن رأيٍ لا ذاك ولا هـذا
هدماً وحـرقاً قـد أباد أهلهـا[١] عـقـوبـةً لاذَتْ بـمـن لاذا
ما أحسن الحالات ان لم تعـد بـغـداذ فـي الـقـلة بـغـداذا

وسمّى طاهر الأرباض التي خالفها أهلها ، ومدينة المنصور ، وأسواق الكرخ ، والخلد دارَ النكث ، وقبض ضيـاعَ مَنْ لم يخرج إليه من بني هاشم ، والقـواد ، وغيرهم ، وأخذ أموالهم فذلوا وانكسروا ، وذلّ الأجناد، وضعفوا عن القتال إلاّ باعة الطريق ، والعراة ، وأهلِ السجون ، والأوباش ، والطرارين ، وأهل السوق ، فكانوا ينهبون أموال الناس .

وكان طاهر لا يفترُ في قتالهم ، فاستأمن إليه علي أفراهمرد الموكل بقصر صالح فأمنه ، وسيَّر إليه جنداً كثيفاً ، فسلم إليه ما كان بيده من تلك الناحية في جمادى الآخرة ، واستأمن إليه محمد بن عيسى صاحب شرطة الأمين ، وكان مجدّاً في نصرة الأمين ، فلما استأمن هذان إلى طاهر أشفى الأمين على الهلاك ، وأقبلت الغواة من العيارين ، وباعة الطريق ، والأجناد ، فاقتتلوا داخل قصر صالح قتالاً عظيماً ، قُتِلَ فيه من أصحاب طاهر جماعة كثيرة ، ومن قواده جماعة ؛ ولم تكن وقعة قبلها ولا بعدها أشد على طاهر منها .

ثم إن طاهراً كاتب القواد الهاشميين وغيرهم بعد أن أخذ ضياعهم، ودعاهم إلى الأمان والبيعة للمأمون ، فأجابه جماعة ، منهم عبد الله بن حميد بن قحطبة ، واخوته ، وولـد الحسن بن قحطبـة ، ويحيى بن علي بن ماهـان ، ومحمد بن أبي العباس[٢] الطائي ، وكاتَبَهُ غيرهم ، وصارت قلوبهم معه .

وأقبل الأمين بعد وقعة قصر صالح على الأكل والشرب ووكّل الأمر إلى محمد بن عيسى بن نهيك والي الهرش ، فكان من معهما من الغوغاء والفسّاق يسلبون مَنْ قدروا عليه ، وكان منهم ما لم يبلغنا مثله ؛ فلما طال ذلك بالناس خرج عن بغداد من كانت به قوة وكان أحدهم إذا خرج أمن على ماله ونفسه ، وكان مثلهم كما قال الله : ﴿ فضرب

---

(١) في الطبري « قد ابيد أهلها » .
(٢) في الطبري « ومحمد بن ابي العاص » .

بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره مِنْ قِبَلِهِ العذاب ﴾[١] وخرج عنها قوم بعلة الحجّ ففي ذلك يقول شاعرهم :

أظهروا الحجّ وما ينوونه ... بل من الهرش يريدون الهرب
كم أناس أصبحوا في غبطة ... وكل الهرش عليهم بالعطب

وقال بعض فتيان بغداذ :

بكيتُ دماً على بغداذ لما ... فقدتْ غضارة العيش الأنيق
تبدلنا هموماً من سرور ... ومن سعة تبدلنا بضيقِ
أصابتنا من الحسّاد عينٌ ... فأفنت أهلها بالمنجنيقِ
وقوم أحرقوا بالنارِ قسراً ... ونائحةٍ تنوحُ على غريقِ
وصائحةٍ تنادي وأصباحاً ... وباكية لفقدان الشقيقِ
وحوراء المدامعِ ذات دلٍّ ... مضمخة المجاسدِ بالخلوقِ
تفِرُّ من الحريق إلى انتهاب ... ووالدها يفرُّ إلى الحريقِ
وسالبة الغزالةِ مقلتيها ... مضاحكها كلألاء البروقِ
حيارى هكذا[٢] ومفكرات ... عليهنَّ القلائدُ في الحلوق
ينادين الشفيقَ ولا شفيقَ ... وقد فُقِدَ الشفيقُ من الشفيقِ[٣]
ومغتربٍ قريب الدار ملقىً ... بلا رأس بقارعةِ الطريقِ
توسطَ من قتالهم جميعاً ... لما يدرون من أي الفريقِ
فما[٤] ولدٌ يقيمُ على أبيه ... وقد فر الصديق عن[٥] الصديقِ
ومهما أنسَ من شيء تولىٰ ... فإني ذاكرٌ دار الرفيقِ

---

(١) سورة الحديد ١٣

(٢) في الطبري « حيارى كالهدايا » .

(٣) ترك المصنف هنا بيتاً ذكره الطبري وهو :

وقوم أخرجوا من ظل دنيا ... متاعهم يباع بكل سوق

(٤) في الطبري « فلا » .

(٥) في الطبري « بلا » .

وقال الجرمي[١] قصيدة طويلة نحو مائة وخمسين بيتاً أتى فيها على جميع الحوادث ببغداذ في هذه الحرب تركتها لطولها .

وذكر أن قائداً من أهل خراسان من أصحاب طاهر من أهل النجدة والبأس خرج يوماً إلى القتال فنظر إلى قوم عراة لا سلاح معهم فقال لأصحابه ؛ ما يقاتلنا الا من نرى ؟ استهانة بأمرهم واحتقاراً لهم فقيل له : نعم هؤلاء هم الآفة . فقال لهم : أفٍّ لكم حين تنهزمون من هؤلاء وأنتم في السلاح والعدّة والقوة ، وفيكم الشجاعة ، وما عسى يبلغ كيد هؤلاء ولا سلاح معهم ، ولا جنة تقيهم ، وتقدم إلى بعضهم وفي يديه بارية مقيرة ، وتحت إبطه مخلاة فيها حجارة ، فجعل الخراساني كلما رمى بسهم استتر منه العيار ، فوقع في باريته أو قريباً منها ، فيأخذه ، ويتركه معه ، وصاح دانق أي ثمن النشابة دانق قد أحرزه ، فلم يزالا كذلك حتى فنى سهام الخراساني ، ثم حمل عليه العيار ورُمِيَ بحجر من مخلاته في مقلاع فما أخطأ عينه ، ثم خرّ فكاد يصرعه ، فانهزم وهو يقول ؛ ليس هؤلاء بناس[٢] فلما سمع طاهر خبره ، ضحك منه .

فلما طال ذلك على طاهر، وقتل من أصحابه في قصر صالح مَن قُتِلَ أمر بالهدم والاحراق ، فهدم دُورَ مَنْ خالفه ما بين دجلة ، ودار الرقيق ، وباب الشام ، وباب الكوفة إلى الصراة، وربض حميد، ونهر كرخايا، فكان أصحابه إذا هدموا داراً أخذ أصحاب الامين أبوابها وسقوفها فيكونون أشدّ على أهلها فقال شاعر منهم :

لنا كل يوم ثلمة لا نسدُّها ... يزيدون فيما يطلبون وننقص

إذا هدموا دارا أخذنا سقوفها ... ونحن لأخرى غيرها نتربص

فإن حرصوا يوماً على الشرّ جهدَهم ... فغوغاؤنا منهم على الشرّ أحرصُ

فقد ضيّقوا من أرضنا كل واسع ... وصار لهم أهل بها وتعرّصوا

يثيرون بالطبل القنيص فإن بدا ... لهم وجهَ صيدٍ من قريب تقنّصوا

لقد أفسدوا شرق البلاد وغربها ... علينا فما ندري إلى أين نشخص

إذا حضروا قالوا بما يعرفونه ... وإن لم يروا شيئاً قبيحاً تخرّصوا

وما قتل الأبطال مثل مجرب ... رسول المنايا ليلة يتلصص

---

(١) في الطبري « الخزيمي » .

(٢) في الطبري « بانس » .

في أبيات غيرها ، فلما رأى طاهر أن هذا جميعه لا يجفلون به ، أمر بمنع التجار عنهم، ومنع من حمل الأقوات وغيرها ، وشدّد في ذلك ، وصرف السفن التي يحمل فيها إلى الفرات ، فاشتدّ ذلك عليهم ، وغلت الاسعار، وصاروا في أشدّ حصار .

فأمر الأمين ببيع الأموال ، وأخذها ووكّل بها بعضَ أصحابه ، فكان يهجم على الناس في منازلهم ليلاً ونهاراً ، فاشتد ذلك على الناس وأخذوا بالتهمة والظنّة ، ثم كان بينهم وقعة بدرب الحجارة ، قُتِلَ فيها من أصحاب طاهر خلقٌ كثيرٌ ، ووقعة بالشماسية، خرج فيها حاتم بن الصقر في العيارين وغيرهم إلى عبيدالله بن الوضاح، فأوقعوا به ، وهو لا يعلم ، فانهزم عنهم ، وغلبوه على الشماسية ، فأتاه هرثمة يعينه ، فأسره بعض أصحاب الأمين ، وهو لا يعرفه، فقاتل عليه بعض أصحابه حتى خلصه ، وانهزم أصحاب هرثمة ، فلم يرجعوا يومين .

فلما بلغ طاهراً ما صنعوا، عقد جسراً فوق الشماسية ، وعبر أصحابه اليهم ، فقاتلوا أشدّ قتالٍ حتى ردّوا أصحاب الأمين ، وأعاد أصحاب عبيد اللهبن الوضاح إلى مراكزهم ، وأحْرَقَ منازلَ الأمين بالخيزرانية ، وكانت النفقة عليها بلغت عشرين الف الف درهم .

وقتل من العيارين كثير ، فضعف أمر الأمين ، فأيقن بالهلاك ، وهرب منه عبد الله بن خازم بن خزيمة إلى المدائن خوفاً من الأمين ، لأنه اتّهمه ، وتحامل عليه السفلة ، والغوغاء ، فأقام بها ، وقيل : بل كاتبه طاهر ، وحذره قبض ضياعه ، وأمواله ، ثم إن الهرش خرج ومعه لفيفة، وجماعة إلى جزيرة العبّاس، وكانت ناحية لم يقاتل فيها ، فخرج إليه بعض أصحاب طاهر ، فقاتلوه فقَوِيَ عليهم ، فأمدّهم طاهر بجند آخر ، فأوقعوا بالهرش وأصحابه وقعةً شديدةً ، فغرق منهم بشرٌ كثيرٌ ، وضجر الأمين وخاف حتى قال يوماً : وددت أن الله قتل الفريقين جميعاً فأراح الناس منهم ، فما منهم إلاّ عدو لي ، أما هؤلاء فيريدون مالي ، وأما أولئك فيريدون نفسي ، وضعف أمره وانتشر جنده وأيقن بظفر طاهر به .

ذكر عدة حوادث

وحجَّ بالناس هذه السنة العبَّاس بن موسى بن عيسى بتوجيه طاهر إياه على

الموسم بأمر أمير المؤمنين المأمون، وفيها سار المؤتمن بن الرشيد، ومنصور بن المهدي إلى المأمون بخراسان، فوجَّه المأمون أخاه المؤتمن إلى جرجان. وفيها كان بالأندلس غلاء شديد، وكان الناس يطوون الأيام، ويتعلّلون بما يضبط النفس. وفيها مات وكيع بن الجراح الرؤاسي بفيد[١] وقد عاد عن الحجّ. وبقية بن الوليد الحمصي وكان مولده سنة عشر ومائة، ومحمد بن مليح بن سليمان الأسلمي. ومعاذ بن معاذ أبو المثنى العنبري، وله سبع وسبعون سنة.

(١) فيد بفتح أوله وسكون ثانيه وآخره دال مهملة.

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائة

ذكر استيلاء طاهر على بغداد

في هذه السنة لحق خزيمة بن خازم بطاهر ، وفارق الأمين ، ودخل هرثمة إلى الجانب الشرقي ، وكان سبب ذلك أن طاهراً أرسل الى خزيمة أن انفصلَ الأمر بيني وبين محمد ، ولم يكن لك في نصرتي الاّ أقصّر في أمرك[1] فأجابه بالطاعة، وقال له : لو كنت أنت النازل الجانب الشرقي مكان هرثمة لحمل نفسه اليه ، وأخبره قلة ثقته بهرثمة إلا أن يضمن له القيام دونه لخوفه من العامة .

فكتب طاهر إلى هرثمة يعجزه، ويلومه، ويقول : جمعْتَ الأجناد وأتلفْت الأموال، وقد وقفْت وقوف المحجم عمَّن بإزائك فاستعد للدخول إليهم ، فقد أحكمت الأمر على دفع العسكر ، وقطع الجسور ، وأرجو أن لا يختلف عليك اثنان ، فأجابه هرثمة بالسمع والطاعة فكتب طاهر إلى خزيمة بذلك ، وكتب إلى محمد بن علي بن عيسى بن ماهان بمثل ذلك ، فلما كان ليلة الأربعاء لثمان بَقَيْنَ من المحرم ، وثب خزيمة، ومحمد بن علي بن عيسى على جسر دجلة ، فقطعاه، وخلعا محمداً الأمين، وسكن أهل عسكر المهدي ، ولم يدخل هرثمة حتى مضى إليه نفر من القواد، وحلفوا له أنه لا يرى منهم مكروهاً، فدخل إليهم فقال الحسين الخليع في ذلك :

علينا جميعاً من خزيمة منَّةٌ   بما أخمد الرحمن نائرة الحربِ
تولّى أمور المسلمين بنفسه   فذبَّ وحامى عنهم أشرف الذبِّ
ولولا أبو العباس ما انفكّ دهرنا   ينيب على عتب ويعدو على عَتَبِ[2]

---

(١) في الطبري « ان الأمر يقطع بينه وبين محمد لم يكن له اثر في نصرته ولم يقصر في أمره » .

(٢) في الطبري « يبيت على عتب ويغدو على عتب » .

خزيمة لم يذكر[١] له مثل هذه ... إذا اضطربت شرق البلاد مع الغرب
أناخ بجسري دجلة القطع والقنا ... شوارع والأرواح في راحة الغضب[٢]

وهي عدة أبيات، فلما كان الغد تقدم طاهر إلى المدينة، والكرخ، فقاتل هناك قتالا شديدا فهزم الناس حتى ألحقهم بالكرخ، وقاتلهم فيه فهزمهم، فمرّوا لا يلوون على شيء، فدخلها طاهر بالسيف، وأمر مناديه فنادى من لزم بيته فهو آمن، ووضع بسوق الكرخ وقصر الوضاح جنداً على قدر حاجته، وقصد إلى مدينة المنصور، وأحاط بها وبقصر زبيدة، وقصر الخلد من باب الجسر إلى باب خراسان، وباب الشام، وباب الكوفة، وباب البصرة، وشاطىء الصراة إلى مصبها في دجلة.

وثبت على قتال طاهر حاتم بن الصقر، والهرش، والأفارقة، فنصب المجانيق بازاء قصر زبيدة، وقصر الخلد وأخذ الأمين أمّه وأولاده إلى مدينة المنصور وتفرّق منه عامة جنده وخصيانه وجواريه في الطريق، لا يلوي أحدٌ على أحد وتفرّق السفلة والغوغاء وتحصّن محمد بمدينة المنصور، وحصره طاهرٌ وأخذ عليه الأبواب، وبلغ خبر هذه الوقعة عمرو الوراق، فقال لمخبره: ناولني قدحاً ثم تمثل:

خذْها فللخمرة أسماءٌ ... لها دواء ولها داء
يُصلِحُها الماء إذا أصفقتْ ... يوماً وقد يُفسِدُها الماء
وقائلٌ كانت لهم وقعةٌ ... في يومنا هذا وأشياء
قلت له أنت امرؤ جاهلٌ ... فيك عن الخيرات إبطاء
اشربْ ودعنا من أحاديثهم ... يصطلح الناس إذا شاؤوا

وحكى ابراهيم بن المهدي أنه كان مع الأمين لما حصرَه طاهر قال: فخرج الأمين ذات ليلة يريد أن يتفرّج من الضيق الذي هو فيه، فصار إلى قصر له بناحية الخلد، ثم أرسل إليَّ فحضرت عنده فقال: ترى طيب هذه الليلة، وحسن القمر في السماء وضوءه في الماء على شاطىء دجلة، فهل لك في الشرب؟ فقلت: شأنك فشرب رطلاً وسقاني ثم غنيته ما كنت أعلم أنه يحبه فقال لي: ما تقول فيمن يضرب

---

(١) في الطبري «لم ينكر».
(٢) في الطبري «العضب» بالعين المهملة.

عليك ؟ فقلت : ما أحوجني إليه فدعا بجارية متقدمة عنده ، اسمها ضعف فتطيَّرتُ من اسمها ونحن في تلك الحال فقال لها : غني ، فغنَّت بشعر النابغة الجعدي :

كليب لعمري كان أكثرَ ناصراً   وأيسرَ جرماً(١) منك ضرّج بالدم

فاشتدَّ ذلك عليه وتطيّر منه وقال : غني غير ذلك فغنت :

أبكي فراقكم عيني فارقها(٢)   إن التفرّق للأحباب بكاءُ
ما زال يعدو عليهم ريبَ دهرِهم   حتى تفانوا وريبُ الدهر عداءُ

فقال لها : لعنك الله أما تعرفين من الغناء غير هذا ؟ فقالت : ما تغنيت إلا ما ظننت أنك تحبه ثم غنَّت آخر :

أما ورب السكون والحرك   ان المنايا كثيرة الشرك
ما اختلف الليلُ والنهار وما(٣)   دارت نجوم السماء في الفلك
ألا لِنقل السلطان(٤) عن ملك   قد زال سلطانه إلى ملك(٥)
وملك ذي العرش دائم أبداً   ليس بفانٍ ولا بمشترك

فقال لها : قومي غضب الله عليك ولعنك ، فقامت ، وكان له قدحٌ من بلّور حسن الصنعة ، كان يسميه زبَّ رباح ، وكان موضوعاً بين يديه ، فعثرت الجارية به ، فكسرته فقال : ويحك يا ابراهيم ما ترى ما جاءت به هذه الجارية ، ثم ما كان من كسر القدح ، والله ما أظن أمري إلاَّ وقد قرب ، فقلت : يديمُ الله ملكَكَ ، ويعزُّ سلطانَكَ ، ويكبتُ عدوَّك ، فما استتمَّ الكلام حتى سمعنا صوتاً من دجلة ، قُضِيَ الأمر الذي فيه تستفتيان ، فقال : يا إبراهيم أما سمعت ما سمعت ؟ قلت : ما سمعت شيئاً ، وكنت قد سمعت قال : تسمع حساً ، فدنوت من الشطر فلم أر شيئاً ، ثم عاودنا الحديث ، فعاد الصوت بمثله ، فقام من مجلسه مغتماً إلى مجلسه بالمدينة ، فما مضى إلا ليلة أو ليلتان حتى قُتِلَ.

---

(١) في الطبري « ذنباً » .
(٢) في الطبري « أبكي فراقهم عيني وارقها » .
(٣) في الطبري « ولا » .
(٤) في الطبري « النعيم » .
(٥) في الطبري « عان بحب الدنيا الى ملك » .

ذكر قتل الأمين

لما دخل محمد إلى مدينة المنصور ، واستولى طاهر على أسواق الكرخ وغيرها كما تقدم ، وقرَّ بالمدينة علم قوّاده وأصحابه أنهم ليس لهم فيها عدة الحصـر ، وخافوا أن يظفر بهم طاهر ، فأتاه محمد بن حاتم بن الصقر ، ومحمد بن ابراهيم بن الأغلب الافريقي وغيرهما فقالوا : قد آلت حالنا إلى ما ترى، وقد رأينا رأياً نعرضه عليك فانظر واعزم عليه ،[١] فإنَّا نرجو أن يجعل الله فيه الخيرة قال: وما هو ؟ قالوا : قد تفرّق عنك الناس وأحاط بك عدوُّك من كلّ جانب ، وقد بقي معك من خيلك سبعة آلاف فرس[٢] من خيارها ، فنرى أن تختار ممَّن عرفناه بمحبتك من الأبناء سبعة آلاف ،[٣] فتحملهم على هذه الخيل ، وتخرج ليلاً على باب من هذه الأبواب ، فإن الليل لأهله ولن يثبت لنا أحد إن شاء الله تعالى ، فتخرج حتى نلحق بالجزيرة، والشام ، فنفرض الفروض ، ونجبي الخراج ، ونصير في مملكة واسعة ، ومُلْكٍ جـديدٍ، فينسـاغ إليك النـاسُ ، وينقطعُ عن طلبك الجُنْدُ ، ويحدث الله أموراً ، فقال لهم : نعم ما رأيتم ؛ وعزم على ذلك .

وبلغ الخبر إلى طاهر ، فكتب الى سليمان بن المنصور ، ومحمد بن عيسى بن نهيك ، والسندي بن شاهك : والله لئن لم تردُّوه عن هذا الرأي لا تركت لكم ضيعة إلا قبضتها ، ولا يكون لي همّة إلاّ أنفسكم ، فدخلوا على الأمين فقالوا له قد بَلَغَنَا الذي عَزَمْتَ عليه ، فنحن نذكرك الله في نفسك أن هؤلاء صعاليك، وقد بلغ بهم الحصار إلى ما ترى ، فهم يرون أن لا أمان لهم عند أخيك ، وعند طاهر لجدهم في الحرب ، ولسنا نأمنُ إذا خرجْتَ معهم أن يأخذوك أسيراً أو يأخذوا رأسك ، فيتقرَّبُوا بك ، ويجعلوك سبب أمانهم ، وضربوا له فيه الأمثال ، فرجع إلى قـولهم وأجاب إلى طلب الأمـان والخروج، فقالوا له : إنما غايتك السلامة واللهو ، وأخـوك يتركـك حيث أحببت ، ويجعل لك فيه كل ما يصلحك، وكلَّ ما تحب وتَهْوَى، وليس عليك من بأس، ولا مكروه، فركن إلى ذلك وأجاب إلى الخروج إلى هرثمة بن أعين ، فدخل عليه أولئك

(١) في نسخة « وأعزم عليك » وما هنا موافق لما في الطبري .

(٢) في الطبري « من خيلك الف فارس » .

(٣) في الطبري « سبعمائة رجل » .

النفرُ الذي أشاروا بقصد الشأم ، وقالوا : إذا لم تقبل ما أشرْنا به عليك ، وهو الصواب ، وقبلتَ من هؤلاء المداهنين ، فالخروج إلى طاهر خيرٌ لكَ من الخروج إلى هرثمة فقال: أنا أكره طاهراً لأني رأيت في منامي كأني قائمٌ على حائط من آجر شاهق في السماء ، عريض الأساس ، لم أر مثله في الطول والعرض ، وعلى سوادي ، ومنطقتي وسيفي ، وكان طاهر في أصل ذلك الحائط فما زال يضربه حتى سقط ، وسقطت ، وطارت قلنسوتي عن رأسي فأنا أتطيّر منه؛ وأكرهه ، وهرثمة مولانا ، وهو بمنزلة الوالد ، وأنا أشدُّ أنْساً به ، وثقةً إليه ، فأرسل يطلب الأمان فأجابه هرثمة إلى ذلك وحلف له أنه يقاتل دونه إنْ همَّ المأمون بقتله .

فلما علم ذلك طاهر اشتَدَّ عليه وأبى أن يدعه يخرج إلى هرثمة وقال : هو في جندي والجانب الذي أنا فيه ، وأنا أخرجته بالحصار حتى طلب الأمان ؛ فلا أرضى أن يخرجَ إلى هرثمة فيكون له الفتح دوني ، فلمَّا بلغ ذلك هرثمة والقواد ، اجتمعوا في منزل خزيمة بن خازم ، وحضر طاهر وقواده ، وحضر سليمان بن المنصور ، والسندي ، ومحمد بن عيسى بن نهيك وأداروا الرأي بينهم ، وأخبروا طاهراً أنه لا يخرج إليه أبداً ، وأنه إن لم يجب إلى ما سأل لم يؤمن إلا أن يكون الأمر مثله أيام الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان ، وقالوا له : إنه يخرج الى هرثمة ببدنة ، ويدفع اليك الخاتم ، والقضيب ، والبُرْدَةَ وذلك هو الخلافة فاغتنمْ هذا الأمر ، ولا تفسدْهُ فأجاب إلى ذلك ورَضِيَ به .

ثم إن الهرش لمَّا علم بالخبر أراد التقرُّب إلى طاهر فأخبر أن الذي جرى بينهم مكر ، وأن الخاتم والقضيب والبُرْدة يُحمَلُ مع الأمين إلى هرثمة ، فاغتاظ منه ، وجعل حول قصر أم الأمين ، وقصور الخلد قوماً معهم العتل والفؤوس ولم يعلم بهم أحد .

فلما تهيَّأ الأمين للخروج إلى هرثمة، عطش قبل خروجه عطشاً شديداً فطلب له في خزانة الشراب ماء ، فلم يوجد فلما أمسى ليلة الاحد لخمس بقيْن من محرَّم سنة ثمان وتسعين ومائة ، خرج بعد العشاء الآخرة إلى صحن الدار ، وعليه ثياب بيضٌ ، وطيلسان أسود ، فأرسل إليه هرثمة . وافيت للميعاد لأحملك ولكني أرى أن لا تخرج الليلة فإني قد رأيت على الشّطِ أمراً قد رابني وأخاف أن أغلبَ وتُؤخذ من يدي وتذهب نفسك ونفسي ، فأقمْ الليلة حتى استعدَّ الليلة القابلة فإن حُوربْتَ حاربت دونك .

فقال الأمين للرسول : إرجع اليه وقلْ له لا يبرح فإني خارجٌ اليه الساعة لا محالة ، ولست أقيمُ إلى غد ، وقَلِقَ وقال : قد تفرَّق عني الناس من الموالي ، والحرس ، وغيرهم ولا آمن إن انتهى الخبر إلى طاهر أن يدخل عليَّ فيأخذني ؛ ثم دعا بابنيْه فضمَّهُما إليه ، وقبَّلهما وبكىٰ ، وقال : استودعكما الله عزَّ وجلّ ، ودمعت عيناه ، فمسح دموعه بكمّهِ ثم جاء راكباً إلى الشّط ، فاذا حراقة هرثمة ، فصعد إليها .

فذكر أحمد بن سلام صاحب المظالم قال : كنت مع هرثمة في الحراقة ، فلمَّا دخلها الأمين قمنا له ، وجثى هرثمة على ركبتيه ، واعتذر اليه مِنْ نِقْرس به ، ثم احتضنه ، وضمَّه إليه ، وجعله في حجره ، وجعل يقبّلُ يديه ، ورجليه ، وعينيه ، وأمر هرثمة الحراقة أن تدفع إذ شدّ علينا أصحاب طاهر في الزواريق وعطعطوا ونقبوا الحرَّاقة ورموهم بالآجر والنشّاب ، فدخل الماء إلى الحراقة ، فغرقت، وسقط هرثمة إلى الماء، وسقطنا، فتعلق الملاح بشعر هرثمة ، فأخرجه .

وأما الأمين، فانه لما سقط إلى الماء شق ثيابه وخرج الى الشط، فأخذني رجل من أصحاب طاهر ، وأتى بي رجلا من أصحاب طاهر ، وأعلمه ، اني من الذين خرجوا من الحراقة ، فسألني من أنا ، فقلت : أنا أحمد بن سلام صاحب المظالم مولى أمير المؤمنين قال : كذبت فأصدقني ، قلت : قد صدقتك، قال : فما فعل المخلوع ؟ قلت : رأيته وقد شق ثيابه ، فركب وأخذني معه أعدو ، وفي عنقي حبل فعجزت عن العدو ، فأمر بضرب عنقي فاشتريت نفسي منه بعشرة آلاف درهم ، فتركني في بيت حتى يقبض المال ـ وفي البيت بواري وحصر مدرجة ووسادتان ـ فلماذهب من الليل ساعة ، واذ قد فتحوا الباب وأدخلوا الأمين وهو عريان وعليه سراويل وعمامة ، وعلى كتفه خرقة خلقة ، فتركوه معي ،. فاسترجعت وبكيت فيما بيني وبين نفسي ، فسألني عن اسمي فعرفته فقال : ضمني إليك فاني أجد وحشة شديدة قال : فضممته الي ، واذا قلبه يخفق خفقانا شديداً فقال : يا أحمد ما فعل أخي ؟ قلت : حي هو قال : قبح الله بريدهم كان يقول : قد مات شبه المعتذر من محاربته، فقلت: بل قبح الله وزراءك، فقال : ما تراهم يصنعون بي أيقتلونني ، أم يفوا لي بأمانهم ؟ فقلت بل يفون لك ، وجعل يضم الخرقة على كتفه ، فنزعت مبطنة كانت علي وقلت : ألق هذه عليك فقال : دعني فهذا من الله عز وجل في مثل هذا الموضع خير كثير ؛ فبينما نحن

كذلك اذ دخل علينا رجل فنظر في وجوهنا فاستثبتها ، فلما عرفته انصرف ، وإذا هو محمد بن حميد الطاهري ، فلما رأيته علمت أن الأمين مقتول .

فلما انتصفَ الليل ، فتح الباب ودخل الدار قوم من العجم ، معهم السيوف مسلولة ، فلما رآهم قام قائماً وجعل يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ذهبت والله نفسي في سبيل الله ، أما من مغيث ، أما من أحد من الابناء ، وجاؤوا حتى وقفوا على باب البيت الذي نحن فيه ، وجعل بعضهم يقول لبعض : تقدم ويدفع بعضهم بعضاً ، وأخذ الأمين بيده وسادةً وجعل يقول : ويحكم أنا ابن عمِّ رسول الله ، أنا ابن هارون أنا أخو المأمون ، الله الله في دمي ، فدخل عليه رجل منهم فضربه بالسيف ضربة وقعت في مقدم رأسه ، وضربه الأمين بالوسادة على وجهه ، وأراد أن يأخذ السيف منه ، فصاح : قتلني قتلني ، فدخل منهم جماعة فنسخه واحد منهم بالسيف في خاصرته ، وركبوه فذبحوه ذبحاً من قفاه ، وأخذوا رأسه ، ومضوا به الى طاهر وتركوا جثته ، فلما كان السحر أخذوا جثته فأدرجوها في جل وحملوها ، فنصب طاهر الرأس على برج وخرج أهل بغداد للنظر وطاهر يقول ؛ هذا رأس المخلوع محمد ، فلما قتل ، ندم جند بغداد وجند طاهر على قتله ، لما كانوا يأخذون من الأموال ، وبعث طاهر برأس محمد إلى أخيه المأمون ، مع ابن عمه محمد بن الحسين بن مصعب ، وكتب معه بالفتح ، فلما وصل، أخذ الرأس ذو الرياستين فادخله على ترس ، فلما رآه المأمون سجد . وبعث معه طاهر بالبردة والقضيب والخاتم ، ولما بلغ أهل المدينة ، أن طاهراً أمر مولاه قريشاً فقتله ، قال شيخ من أهل المدينة : سبحان الله كنا نروي أنه يقتله قريش فذهبنا إلى القبيلة فوافق الاسم، ولما قتل الأمين نودي في الناس بالأمان فأمن الناس كلهم ، ودخل طاهر المدينة يوم الجمعة فصلى بالناس وخطب للمأمون وذم الأمين ، وكتب إلى المعتصم ـ وقيل : إلى ابن المهدي ـ أما بعد فإنه عزيز عليَّ أن أكتب إلى رجل من أهل بيت الخلافة بغير التأمير ، ولكنه بلغني أنك تميل بالرأي وتصغي بالهوىٰ الى الناكث المخلوع ، فإن كان ذلك فكثيراً ما كتبت إليك ، وإن كان غير ذلك فالسلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته ، ولما قتل الأمين قال ابراهيم بن المهدي يرثيه :

عوَجَا بمغنىٰ الطللِ الدائرِ[١] بالخلدِ ذاتِ الصخرِ والآجُرِ

---

(١) في الطبري « طلل دائر » .

والمرمرِ المنسوبِ[١] يطلىٰ بـه والبـابِ باب الـذهبِ النـاضـرِ
عَـوِّجـا بهـا فـآستَيْقِنـا عندها عـلى يـقـيـنِ قـدرةِ الـقـادرِ
وابـلغـا عنـي مقـالاً إلـى الـ ـمولىٰ على المأمـور والآمـر
قـولا له يـا ابن أبي الناصـر[٢] طـهِّـرْ بـلادَ الله من طـاهـرِ
لـم يـكـفـه أن حـزَّ أوْداجَـهُ ذَبـح الـهـدايـا بمِـدى الجـازِرِ
حتى أتـى يسـحبُ أوداجَـهُ[٣] في شطنٍ هذا مـدىٰ السائـر[٤]
قـد بـردَ المـوتُ على جنْبـهِ فـطرفُـهُ مُنْكَسـرُ النـاظـرِ

فلما بلغ المأمون قوله اشتد عليه .

ذكر صفة الأمين ، وعمره ، وولايته

قيل : إن محمداً ولي يوم الخميس لإحدىٰ عشرة ليلة بقيت من جمادىٰ الأولىٰ سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وقتل ليلة الأحد لست بقينَ من المحرم[٥] سنة ثمان وتسعين ومائة ، وكنيته أبو موسى ، وقيل : أبو عبد الله ، وهو ابن الرشيد هارون بن أبي عبد الله المهدي بن أبي جعفر المنصور ، وأمه زُبيدة ابنة جعفر الأكبر ابن المنصور ، وكانتْ خلافته أربعَ سنين وثمانيةَ أشهر وخمسةَ أيام ، وقيل : كانتْ ولايتـه في النصف من جمادىٰ الآخرة وكان عمره ثمانياً وعشرين سنة . وكان سبطا انزع صغيرَ العينين أقنىٰ ، جميلاً طويلاً عظيمَ الكراديس بعيد ما بين المنكبين ، وكان مولده بالرصافة ، ولما وصل خبر قتله إلى المأمون أذن للقواد وقرأ الفضل بن سهل الكتاب عليهم فهنؤوه بالظفر ودعوا له ، وكتب إلى طاهر وهرثمة بخلع القاسم المؤتمن من ولاية العهد فخلعاه في شهر ربيع الأول من هذه السنة .

وأكثر الشعراء في مراثي الأمين وهجائه تركنا أكثره لأنه خارج عن التاريخ . فمما

---

(١) في الطبري « المسنون » .
(٢) في الطبري « يا ابن ولي الهدى » .
(٣) في الطبري « أوصاله » .
(٤) في الطبري « في شطن يغني مدى الشابر » .
(٥) في الطبري « من صفر » .

قيل في مراثيه قولُ الحسين بن الضحاك وكان من ندمائه وكان لا يصدق بقتله ويطمع في رجوعه :

يـا خيـرَ اسـرتِـهِ وإن زعمـوا ... اني عليـكَ لمُثْبَتٌ أسِـفُ
اللهُ يـعـلـمُ أنَ لـي كـبـداً ... حَـرَّىٰ عليـكَ ومقلة تَكِـفُ
ولئـن شجيتُ لمـا رُزِئْتُ بـه ... اني لأضمـرُ فـوق مـا أصِفُ
هـلّا بقيتَ لسـدٍّ فـاقتِنْـا ... أبـداً وكـان لـغيـرِكَ التـلفُ
فلقـد خَلفتَ خـلائفـاً سلفـوا ... أوَلَيْسَ يعـوزُ بعـدكَ الخَلفُ
لا بـاتَ رَهْطُكَ بعـدَ هَـونِهمْ ... إني لـرهـطكَ بعـدَهـا شَنِفُ
هتكـوا لِحُـرْمَتِـكَ التي هُتِكَتْ ... حرم الرسـولِ ودونهـا السَجَفُ
وَنَبَتْ[١] أقـارِبُكَ التي خُـذِلتْ ... وجميعُهـا بـالـذل مُعتَـرِفُ[٢]
تَـركـوا حـريمَ أبيهـم نفـلاً ... والمحصنـاتِ صـوارخُ هُتَـفُ
أبـدتْ مخلخلهـا على دهشٍ ... أبكـارُهـنَّ ورنـت النِصـفُ
سلبتْ معـاجـرهُنَّ واختلست[٣] ... ذاتُ النقـابِ ونـوزع الشَنَّـفُ
فكـأنهـنَّ خـلال منتهـب ... درٌ تـكشـف دونَـهُ الصَدَفُ
سلك تخـوَّفَ نظمَـهُ قَـدَرٌ[٤] ... فَوَهَى فصَرفُ[٥] الدَّهـرِ مختلف
هيهـاتَ بعـدكَ أن يَـدُومَ لنـا ... عِـزٌ وان يَبقـى لنـا شـرفُ[٦]
أفـبعـدَ عـهـدِ اللهِ تـقـتـلهُ ... والقتـلُ بعـد أمـانـة سـرفُ
فستعـرفـون غـداً بعـاقبـة ... عـزَّ الإلـه فـاورِدُوا وقِفـوا
يـا من يُخَوّنُ نـومـهُ أرقـا[٧] ... هَـدَتِ الشجُـونُ وقلبُـهُ لهِفُ.

---

(١) في الطبري « ثبت » .

(٢) بعد هذا بيت تركه المؤلف وذكره ابن جرير وهو :

لـم يـفـعـلوا بـالـشط إذ حـضـروا ... مـا تـفـعـل الـغـيرانـة الأنـف

(٣) في الطبري « واجتليت » .

(٤) في الطبري « ملك تخون ملكه قدر » .

(٥) في الطبري « وصرف » بالواو .

(٦) وبعده بيت ذكره الطبري هو :

لاهـيـبـوا صـحـفـا مـشـرفـة ... لـلغـادريـن تـحـتـهـا الـجـدف

(٧) في الطبري « ارق »

قـد كـنتَ لـي أمـلاً غنيتُ بـه ... فـمضـى وحـلّ محـله الأسفُ
مـرَج النـظامُ وعـاد منكَـرُنـا ... عـرفـاً وأنكِـر بَعْـدَه[١] العـرفُ
والشمـل مُنتشـر لفَقـدكَ والـد ... نيـا سـدًى والبـاب منكشف[٢]

وقال خزيمة بن الحسين يرثيهِ على لسانِ أمهِ زُبيدة وتخاطب المأمون وكنية زبيدة أم جعفر :

لخيـر امـام قـام من خيـر عنصـر ... وافضـل سـام فـوق أعـواد منبـر
لـوارث عـلم الاوليـن وفهـمهـم ... وللملك المـأمـون من أم جعفـر
كتبت وعيني مستهـل دمـوعهـا ... اليك ابن عمي من جفون ومحجر
وقـد مسنـي ضـر وذل كـآبـة ... وارقّ عيني يـا ابن عمي تفكُّـري
وهمت لمـا لاقيت بعـد مصـابـه ... فـامـري عـظيم منكـر جـد منكـر
سأشكـو الـذي لقيتـه بعـد فقـده ... اليـك شكـاة المستضيم المقتـر[٣]
وأرجـو لما قـد مر بي مـذ فقدتـه ... فـأنـت لبثي خيـر رب مغيـر
أتى طـاهـراً لا طهـر الله طـاهـراً ... فمـا طـاهـر فيمـا أتى بمـطهر
فأخرجني مكشوفة الـوجه حـاسراً ... وأنهب أموالي وأخرب أدوري[٤]
يعـز على هـارون مـا قـد لقيتـه ... وما مر بي من نـاقص الخلق أعور
فان كان مـا أبدى[٥] بـامر أمـرته ... صبـرت لامـر من قـديـر مقـدر
تـذكـر أميـر المؤمنين قـرابـتي ... فـديتـك من ذي حـرمـة متـذكـر

فلما قرأها المأمونُ بكى وقال : أنا والله الطالبُ بثأر أخي قتل الله قتلته ؛ ولقد أسرف الحسين بن الضحاك في مراثي الأمين وذم المأمون ، فلهذا حجبه المأمون عنه ولم يسمع مديحه مدة ، ثم أحضر يوماً فقال له : أخبرني هـل رأيت يوم قتـل أخي هاشمية قتلت وهتكت ؟ قال: لا ، قال: فما قولك :

---

(١) في الطبري « بعدك » .
(٢) في الطبري « منكثف » .
(٣) في الطبري « المستهام المقهر » .
(٤) في الطبري « آدرى » .
(٥) في الطبري « ما أسدى » .

ومِمـا شجَا قلبي وكفكف عبـرتي ... محـارم من آلِ النبـي استحلت
ومهتـوكة بـالخلد عنهـا سجـوفهـا ... كعاب كقرن الشمس حين تبـدت
إذا خفـرتهـا روعـة من منـازع ... لها المرط عادت بالخشـوع ورنت
وسـرب ظبـاء من ذؤابـة هـاشم ... هتفن بـدعوى خيـر حي وميت
ارد يـدأ مني إذا مـا ذكـرتـه ... على كبـد حـرى وقلب مفتت
فـلا بـات ليـل الشامتين بغبـطة ... ولا بـلغت آمـالهـا مـا تمنت

فقال: يا أميرَ المؤمنين لوعةٌ غلبتني، وروعةٌ فاجـأتني ، ونعمة سلبتهـا بعد أن غمرتني، وإحسان شكرته فانطقني وسيد فقدته فأقلقني ، فإن عاقبت فبحقـك ، وان عفوت فبفضلك ، فدمعت عين المأمون قال : قد عفوتُ عنكَ وَأمرتُ بإدرارِ أرزاقك عليك وعطائك ما فاتك متمماً ، وجعلت عقوبة ذنبكِ امتناعي من استخدامك ، ثم إن المأمون رضي عنه وسمع مديحهُ ، ومما قيل في هجائه :

لـم نبكيـكَ لـمـاذا لـلطرب ... يـا أبا مـوسى وَتَـرْويـج اللعبْ
ولِتَـرْكِ الخمس في أوقـاتهـا ... حَـرَصاً منـكَ على مـاء العنبْ
وَشَـنـيفٍ أنـا لا أبكـي لـه ... وعلى كـوثر لا أخشى العَـطَبْ
لـم تـكـن تَعـرِفُ الـرِّضَـا ... لا ولا تَعْـرفُ مـا حَـد الغضبْ
لـم تكـن تَصـلُحُ للمُـلكِ ولـم ... تُعْطِـكَ الطاعةَ بالمُلك العرب[١]
لم نبكيـكَ لـمـا عَـرضَتنـا ... لـلمجـانيق وطَـوراً لـلسَّلبْ
في عـذابٍ وحصـار مُجهـدٍ ... سَدَّد الطرقَ فلا وجه الطلبْ[٢]
زعـمـوا أنـك حيٌ حـاشِـرُ ... كل من قد قال هذا قد كذبْ[٣]
ليتـه قـد قـالـه في وجـده[٤] ... من جميـع ذاهبٌ حيثُ ذهبْ
أوجـبَ اللهُ عـلينـا قـتـله ... وإذا مـا أوجبَ الأمـر وجبْ

---

(١) ذكر الطبري بعد هذا البيت بيتاً هو :

أيـهـا الـبـاكـي عـلـيـه لا بـكـت ... عـيـن مـن ابـكـاك الا لـلـعـجـب

(٢) في الطبري « فلا وجه طلب » .

(٣) في نسخة « فكذب » .

(٤) في الطبري « ليت من قد قاله في وحدة » .

كـان والله عـلينـا فـتـنـة　　غَضِبَ الله عـليـه وَكَتَبْ

وقيل فيه : غير ذلك تركنا ذكره خوف الاطالة .

ذكر بعض سيرة الأمين

لما ملك الأمينُ وكاتَبَهُ المأمونُ وأعطاهُ بيعته طلبَ الخصيان واتباعهم وغالىٰ فيهم فصيّرهم لخلوته ليله ونهاره ، وقوّام طعامه وشرابه ، وأمره ونهيه ، وفرض لهم فرضاً سماهم الجرادية ، وفرضاً من الحبشان سماهم الغرابية ، ورفض النساءَ[1] الحرائر والإماء حتى رمىٰ بهن ؛ وقيل في الاشعار ، فمما قيل فيه :

الا يـا أيهـا[2] المثـوى بـطوس　　عَـزيبـاً مـا تفـادى بـالنفـوسِ
لقـد أبقيتَ للخصيـان هَقـلاً[3]　　يحمَّـل منهـمُ شؤم البَسـوسِ
فـامـا نـوفـلٌ فـالشـأنُ فيـه　　وفي بـدر فيـا لـك من جَليسِ
ومـا للمعصمي شيءٌ[4] لـديـه　　إذا ذكـروا بـذي سهم خسيسِ
ومـا حَسَنُ الصغيرُ أخسُّ حـالا　　لـديـه عند مخترق[5] الكُؤوسِ
لـهم مـن عُمْـره شَطْرٌ وشـطرٌ　　يعـاقـرُ فيـه شربَ الخنـدريسِ
ومـا لـلغـانيـاتِ لـديـه حظٌّ　　سوى التقطيبِ والوجهِ[6] العبوسِ
إذا كـان الـرئيس كـذا سقيمـاً　　فكيفَ صَـلاحُنا بعـد الرئيسِ
فـلو علمَ المقيم بـدار طـوس　　لَعـزَّ على المقيم بـدار طـوسِ

ثم وجهَ إلى جميع البلدانِ في طلب الملهين وضمَّهم إليـه وأجـرى عليهم الأرزاق ، واحتجبَ عن أخويه وأهل بيته واستخف بهم وبقواده ، وقسم ما في بيوت الأموالِ وما بحضرته من الجواهرِ في خصيانه وجلسائه ومحدثيه ، وأمرَ ببناء مجالس لمتنزهاته وموضع خلواته ولهوهِ ولعبهِ ، وعمل خمسَ حراقات في دجلة على صورةِ

---

(١) في نسخة « فرض النساء الحرائر » وهو تصحيف .
(٢) في الطبري « أيا مزمن » .
(٣) في الطبري « بعلا » .
(٤) في الطبري « وما العصمى بشار » .
(٥) في الطبري « محترق » بالحاء المهملة .
(٦) في الطبري « بالوجه » .

الأسدِ والفيل ، والعقاب ، والحية ، والفرس ، وانفق في عملها مالاً عظيماً فقال أبو نواس في ذلك :

سخَّـرَ اللَّهُ لـلأمين مـطايـا ... لم تسخـرْ لصـاحبِ المحـرابِ
فـإذا مـا ركـابـه سِـرْنَ بـراً ... سـار في المـاء راكبـاً ليثُ غـابِ
عجِبَ النـاسُ إذ رأوكَ على صو ... رةِ ليـثٍ تـمـر مـرَّ السحـابِ
سبَّحـوا إذ رأوك سـرت عـليـه ... كيف لـو أبصـرُوك فـوق العُقـابِ
ذاتِ زورٍ ومِـنَسـرٍ وجَـنـاحيـ ... ـن تشقّ العُبـابَ بَعـدَ العُبـابِ
تسبقُ الطيرَ في السمـاء إذا ما اسـ ... ـتَعجَلوهـا بـحيـة وذهـابِ[١]

قال الكوثرُ : أمر الأمين أن يُفرش له على دكان في الخلدِ يوماً ففُرش عليها بساطٌ زرعي ونمارقُ وفُرشٌ مثله وهيىء من آنية الذهب والفضة والجواهر أمرٌ عظيم ، وأمرَ قيِّمة جواريه أن تهيىء له مائة جارية صانعة فتُصْعِدَ إليه عشراً بأيديهن العيدانُ يُغنينَ بصوتٍ واحدٍ فأصعدت إليه عشراً فاندفعن يغنين بصوت واحد :

هُمْ قتلوه كي يكـونـوا مكـانَـه ... كما غدرتْ يـومـاً بكسرىٰ مرازبُـهُ

فسبَّهُنَ وطردهُنَ ثمّ أمرها فأصعدت عشراً غيرهن فغنَّيْنَهُ :

من كان مسروراً بمقتلِ مالـكٍ ... فليـأتِ نسـوتنـا بـوجـه نهـارِ

ففعل مثل ما فعله وأطرق طويلاً ثم قال : اصعدي عشراً فأصعدتهن فغنين :

كليبٌ لعمـري كـان أكثـرُ نـاصـراً ... وأيسرُ حزماً[٢] منك ضُرِجَ بالـدمِ

فقامَ من مجلَسِهِ وأمرَ بهدمِ الدكان تطيراً مما كان ، قيل : وذكر محمد الأمين عند الفضلِ بن سهل بخراسانَ فقال : كيف لا يُستَحل قتلُ محمد وشاعره يقول في مجلسه ؟ :

ألا فٱسقني خمراً وقل لي هي الخمر ... ولا تسقني سراً فقد[٣] أمكنَ الجهرُ

(١) ترك المصنف منها أبياتاً ذكرها ابن جرير الطبري .

(٢) في الطبري « ذنبا » .

(٣) في الطبري « اذا » .

فبلغت القصةُ الأمينَ فحبسَ أبا نـواس ؛ لم نجد في سيرته ما يستحسن ذكره من حلم أو معدلة أو تجربة حتى نذكرها وهذا القدر كاف .

ذكر وثوب الجند بطاهرَ

وفي هذه السنة وثب الجند بطاهرَ بعد مقتل الأمين بخمسة أيام ، وكان سبب ذلك أنهم طلبوا منه مالاً فلم يكن معه شيء فثاروا به فضاق به الأمر ، وظن أن ذلك من موطأة من الجند وأهل الأرباضِ وأنهم معهم عليه ، ولم يكنْ تحركَ من أهل الأرباضِ أحدٌ، فخشي على نفسه فهربَ ونهبوا بعض متاعه ومضى الى عقرقوف[1] ، وكان لما قتل الأمين أمر بحفظ الأبواب وحول زبيدة أم الأمين ، وولديه : موسى، وعبـد الله معها ، وحملهم في حراقة إلى همينيا على الزاب الأعلى ، ثم أمر بحمـل موسى ، وعبد الله إلى عمهما المأمون بخراسان ، فلما ثار به الجند نادوا موسى يا منصور وبقوا كذلك يومَهم ومن الغد، فصوب الناس إخراج طاهر ولدي الأمين ، ولما هرب طاهرُ إلى عقرقوف خرج معه جماعة من القواد وتعبىٰ لقتال الجند وأهل الأرباض ببغداد، فلما بلغ ذلك القواد المختلفين عنه والأعيان من أهل المدينة خرجوا واعتذروا ، وأحالوا على السفهاء والاحداث وسألوه الصفح عنهم وقبول عذرهم ، فقال طاهر : ما خرجت عنكم إلا لوضع السيف فيكم وأقسم بالله العظيم عز وجل لئن عُدْتُمْ لمثلها لأعودَنَّ إلى رأيي فيكم ، ولأخْرُجَنَّ إلى مكروهكم فكسرهم بذلك، وأمر لهم برزق أربعة أشهر ، وخرج إليه جماعة من مشيخة أهل بغداد ، وعمِيرة أبو شيخ بن عَمِيرة الأسدي فحلفوا له أنه لم يتحرك من أهل بغداد ولا من الأبناء أحد ، وضمنوا له مَنْ وراءهم، فسكن غضبه وعفا عنهم ، ووضعت الحرب أوزارها واستوثق الناس في المشرق والمغرب على طـاعة المأمون والانقياد لخلافته (عميرة) بفتح العين وكسر الميم .

ذكر خلاف نصر بن سيار بن شبث العقيلي على المأمون

وفي هذه السنة أظهر نصر بن سيار بن شبث العقيلي الخلاف على المأمون ، وكان نصر بن بني عقيل يسكن كَيْسُوم ناحية شمالي حلب ، وكان في عنقه بيعة للأمين وله فيه هوى ، فلما قتل الأمين أظهر نصر الغضب لذلك وتغلب على ما جـاوره من

---

(١) في الطبري « عاقرقوف » وما هنا موافق لما في المعجم .

البلاد ، وملك سميساط واجتمع عليه خلق كثير من الأعراب وأهل الطمع ، وقويت نفسه وعبرَ الفرات إلى الجانب الشرقي وحدثته نفسه بالتغلب عليه ، فلما رأى الناس ذلك منه كثرت جموعه وزادت عما كانت وكان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى (شبث) بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة والثاء المثلثة .

ذكر ولاية الحسنُ بن سهل العراقَ وغيره من البلاد

وفي هذه السنة استعمل المأمون الحسن بن سهل أخا الفضل على كل ما كان افتتحه طاهرُ من كور الجبال والعراق ، وفارس ، والأهواز ، والحجاز ، واليمن ، بعد أن قتل الأمين وكتب إلى طاهر بتسليم ذلك إليه ،فقدم الحسنُ بين يديه علي بن أبي طاهر سعيد فدافعه طاهر بتسليم الخراج إليه حتى وَفى الجند أرزاقهم ،وسلم إليه العمل ، وقدم الحسن سنة تسع وتسعين وفرق العمال ، وأمر طاهراً أن يسيرَ إلى الرقة لمحاربة نصر بن سيار بن شَبث العقيلي وولاه الموصل ، والجزيرة ، والشام ، والمغرب ، فسار طاهر إلى قتال نصر بن سيار بن شَبث وأرسل إليه يدعوه إلى الطاعة وترك الخلاف فلم يجبه إلى ذلك ، فتقدم إليه طاهر والتقوا بنواحي كَيْسوم واقتتلوا شديداً أبلىٰ فيه نصرُ بلاءً عظيماً ، وكان الظفر له ، وعاد طاهر شبه المهزوم الى الرقة ، وكان قصارى أمر طاهر حفظ تلك النواحي ؛ وكتب المأمون إلى هرثمة يأمره بالمسير إلى خراسان ، وحج بالناس العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد .

ذكر وقعة الربض بقرطبة

في هذه السنة كانت بقُرطُبة الوقعة المعروفة بالربض ، وسببها أن الحكم بن هشام الأموي صاحبها كان كثير التشاغل باللهو والصيد والشرب وغير ذلك مما يجانسه ، وكان قد قتل جماعة من أعيان قرطبة فكرهه أهلها وصاروا يتعرضون لجنده بالأذى والسبِّ إلى أن بلغ الأمر بالغوغاء أنهم كانوا ينادون عند انقضاء الأذان الصلاة يا مخمورَ ، الصلاة . وشافهه بعضهم بالقول وصفقوا عليه بالأكف فشرع في تحصين قرطبة وعمارة أسوارها وحفر خنادقها ، وارتبط الخيل على بابه واستكثر المماليك ، ورتب جمعاً لا يفارقون باب قصره بالسلاح . فزاد ذلك في حقد أهل قرطبة وتيقنوا أنه بفعل ذلك للانتقام منهم ، ثم وضع عليهم عشر الأطعمة كل سنة من غير خرص فكرهوا ذلك ، ثم عمد إلى عشرة من رؤساء سفهائها فقتلهم ، وصلبهم ، فهاجَ لذلك أهل

الرَبْض ، وانضاف إلى ذلك أن مملوكاً له سلم سيفاً إلى صيقل ليصقله فمطله . فأخذ المملوك السيف فلم يزل يضرب الصيقل به إلى أن قتله ، وذلك في رمضان من هذه السنة ، فكان أول من شهر السلاح أهل الربض واجتمع أهل الأرباضِ جميعهم بالسلاح واجتمع الجند ، والأمويون ، والعبيد بالقصر ، وفرق الحكَم الخيل والأسلحة وجعل أصحابه كتائب ووقع القتال بين الطائفتين فغلبهم أهل الربض وأحاطوا بقصره ، فنزل الحكم من أعلى القصر ولبس سلاحه وركب وحرض الناس فقاتلوا بين يديه قتالاً شديداً ، ثم أمر ابن عمه عبيد الله فثلم في السور ثلمة وخرج منها ومعه قطعة من الجيش وأتى أهل الربض من وراء ظهورهم ولم يعلموا بهم فأضرموا النار في الربض وانهزم أهله وقُتلوا مقتلةً عظيمة ، وأخرجوا من وجدوا في المنازل والدور فأسروهم فانتقى من الأسرى ثلاثمائة من وجوههم فقتلهم وصلبهم منكسين ، وأقام النهب والقتل والحريق والخراب في أرباض قرطبة ثلاثة أيام .

ثم استشار الحكم عبد الكريم بن عبد الواحد بن عبد المغيث ولم يكن عنده من يوازيه في قربه فأشار عليه بالصفح عنهم والعفو وأشار غيره بالقتل فقبل قوله ، وأمر فنودي بالأمان على أنه من بقي من أهل الربض بعد ثلاثة أيام قتلناه وصلبناه ، فخرج من بقي بعد ذلك مستخفياً وتحملوا على الصعب والذلول خارجين من حضرة قرطبة بنسائهم وأولادهم وما خف من أموالهم ، وقعد لهم الجند والفسقة بالمراصد ينهبون ومن امتنع عليهم قتلوه ، فلما انقضت الايام الثلاثة أمر الحكم بكف الأيدي عن حرم الناس وجمعهن إلى مكان وأمر بهدم الربض القبلي .

وكان بزيع مولىٰ أمية ابن الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام محبوساً في حبس الدم بقرطبة في رجليه قيد ثقيل ، فلما رأى أهل قرطبة قد غلبوا الجند سأل الحرس أن يفرجوا له فأخذوا عليه العهود إن سلم أن يعود إليهم وأطلقوه فخرج فقاتل قتالاً شديداً لم يكن في الجيش مثله ، فلما انهزم أهل الربض عاد إلى السجن فانتهى خبره إلى الحكم فأطلقه وأحسن إليه ، وقد ذكر بعضهم هذه الوقعة سنة اثنتين ومائتين .

ذكر الوقعة بالموصل المعروفة بالميدان

وفيها كانت الوقعة المعروفة بالميدان بالموصل بين اليمانية ، والنزارية ، وكان

سببها أن عثمان بن نعيم البرجمي صار إلى ديار مُضر فشكا الأزد ، واليمن ، وقال : إنهم يتهضموننا ويغلبوننا على حقوقنا واستنصرهم فسار معه إلى الموصل ما يقارب عشرين ألفاً ، فأرسل إليهم علي بن الحسن الهمداني - وهو حينئذ متغلب على الموصل - فسألهم عن حالهم فأخبروه فأجابهم إلى ما يريدون فلم يقبل عثمان ذلك ، فخرج إليهم علي من البلد في نحو أربعة آلاف رجل فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً عدة وقائع فكانت الهزيمة على النزارية ، وظفر بهم علي وقتل منهم خلقاً كثيراً وعاد إلى البلد .

ذكر عدة حوادث

وفي هذه السنة خرج الحسن الهرشي[١] في جماعة من سفلة الناس معه خلق كثير من الأعراب ودعا إلى الرضا من آل محمد واتى النيل فجبى الأموال ونهب القرى . وفيها مات سفيان بن عيينة الهلالي[٢] بمكة وكان مولده سنة تسع ومائة . وفيها توفي عبد الرحمن بن المهدي[٣] وعمره ثلاث وستون سنة ، ويحيى بن سعيد القطان[٤] في صفر ومولده سنة عشرين ومائة .

---

(١) في الطبري « الحسن الهرش » .

(٢) هو أحد الأعلام وشيخ الحجاز أبو محمد سفيان بن عيينة الهلالي مولاهم الكوفي نزيل مكة ، قال الشافعي : لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز وكان آية في التفسير مات في رجب وله احدى وتسعون سنة .

(٣) هو أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدي البصري اللؤلؤي الحافظ أحد أركان الحديث بالعراق . قال احمد بن سنان : كان عبد الرحمن بن مهدي لا يتحدث في مجلسه ولا يبرى قلم ولا يقوم أحد قائماً كأن على رؤوسهم الطير وكأنهم في صلاة فإذا رأى أحداً منهم يتبسم أو يتحدث لبس نعله وخرج .

(٤) هو أبو سعيد يحيى بن سعيد القطان البصري الحافظ أحد الأعلام وكان سيد الحفاظ في زمانه أقام رحمه الله عشرين سنة يختم كل ليلة ولم يفته الزوال في المسجد أربعين سنة مات وله ثمان وسبعون سنة .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائة

ذكر ظهور ابن طباطبا العلوي

وفيها ظهر أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام لعشرٍ خلونَ من جمادىٰ الآخرة بالكوفة يدعو إلى الرضا من آل محمد ﷺ والعمل بالكتاب والسنة ـ وهو الذي يعرف بابن طباطبا ـ وكان القيِّم بأمره في الحرب أبو السرايا السري بن منصور ، وكان يذكر أنه من ولد هانىء بن قُبيصة بن هانىء بن مسعود الشيباني ، وكان سبب خروجه أن المأمون لما صرف طاهراً عما كان إليه من الأعمال التي افتتحها ، ووجه الحسن بن سهل إليها تحدث الناس بالعراق أن الفضل بن سهل قد غلب على المأمون وأنه أنزله قصراً حجبه فيه عن أهل بيته وقواده ، وأنه يستبد بالأمر دونه ، فغضب لذلك بنو هاشم ووجوه الناس ، واجترؤوا على الحسن بن سهل ، وهاجت الفتن في الأمصار فكان أول من ظهر ابن طباطبا بالكوفة .

وقيل : كان سبب اجتماع ابن طباطبا بأبي السرايا أن أبا السرايا كان يكري الحمير ثم قوي حاله ، فجمع نفراً فقتل رجلاً من بني تميم بالجزيرة وأخذ ما معه ، فطلب، فآختفى وعبر الفرات إلى الجانب الشامي ، فكان يقطع الطريق في تلك النواحي ، ثم لحق بيزيد بن الشيباني بأرمينية ومعه ثلاثون فارساً فقوده فجعل يقاتل معه الخرمية ، وأثر فيهم وفتك ، وأخذ منهم غلامه أبا الشوك. فلما عزل أسد عن أرمينية صار أبو السرايا إلى أحمد بن مزيد، فوجهه أحمد طليعة إلى عسكر هرثمة في فتنة الأمين والمأمون ـ وكانت شجاعته قد اشتهرت ـ فراسله هرثمة يستميله فمال إليه ، فانتقل إلى عسكره وقصده العرب من الجزيرة واستخرج لهم الأرزاق من هرثمة معه نحو ألفي فارس وراجل ، فصار يخاطب بالأمير، فلما قتل الأمين نقصه هرثمة من أرزاقه

وأرزاق أصحابه فاستأذنه في الحج فأذن له وأعطاه عشرين ألف درهم ، ففرقها في أصحابه ومضى وقال لهم : اتبعوني متفرقين، ففعلوا فاجتمع معه منهم نحو من مائتي فارس. فسار بهم إلى عين التمر وحصر عاملها وأخذ ما معه من المال وفرقه في أصحابه، وسار فلقي عاملاً آخر ومعه مال على ثلاثة بغال فأخذها وسار ، فلحقه عسكر قد سيره هرثمة خلفه فعاد إليهم وقاتلهم فهزمهم ودخل البرية وقسم المال بين أصحابه ، وانتشر جنده فلحق به من تخلف عنه من أصحابه وغيرهم فكثر جمعه ، فسار نحو دقوقاً ـ وعليها أبو ضِرغامة العِجلي ـ في سبعمائة فارس فخرج إليه فلَقيه فاقتتلوا فانهزم أبو ضِرغامة ودخل قصر دقوقا فحصره أبو السرايا وأخرجه من القصر بالأمانِ وأخذ ما عنده من الأموال ، وسار إلى الأنبار وعليها إبراهيم الشروي مولى المنصور فقتله أبو السرايا وأخذ ما فيها وسار عنها ، ثم عاد إليها بعد إدراك الغلال فاحتوى عليها ، ثم ضجر من طول السري في البلاد فقصد الرقة فمر بطوْق بن مالك التغلبي ـ وهو يحارب القيسية ـ فأعانه عليهم وأقام معه أربعة أشهر يقاتل على غير طمع إلا للعصبية للرَّبعِية على المضرِيّة فظفر طوق وانقادت له قَيس وسار عنه أبو السرايا إلى الرقة فلما وصلها لقيه محمد بن ابراهيم المعروف بابن طباطبا فبايعه وقال له ؛ انحدر أنت في الماء وأسير أنا على البر حتى نوافي الكوفة فدخلاها وابتدأ أبو السرايا بقصر العباس بن موسى بن عيسى فأخذ ما فيه من الأموال والجواهر وكان عظيماً لا يحصى وبايعهم أهل الكوفة .

وقيل : كان سبب خروجه أن أبا السرايا كان من رجال هرثمة فمطله بأرزاقه فغضب ومضى الى الكوفة فبايع ابن طباطبا ، وأخذ الكوفة واستوثق له أهلها وأتاه الناس من نواحي الكوفة ، والأعراب فبايعوه؛ وكان العامل عليها للحسنِ بن سهل سليمانَ بن المنصور فلاَمَهُ الحسن ووجه زهير بن المسيب الضَبي إلى الكوفة في عشرة آلاف فارس وراجل فخرج إليه ابن طباطبا وأبو السرايا ، فواقعوه في قرية شاهي فهزموه واستباحوا عسكره ، وكانت الوقعة سلخ جمادى الآخرة ، فلما كان الغد مستهل رجب مات محمد بن ابراهيم بن طباطبا فجأة سمه أبو السرايا .

وكان سبب ذلك أنه لما غنم ما في عسكر زهير منع عنه أبا السرايا ـ وكان الناس له مطيعين ـ فعلم أبو السرايا أنه لا حكم له معه فسمَّه فمات ، وأخذ مكانه غلاماً أمرد يقال

له : محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فكان الحكم إلى أبي السرايا : ورجع زهير إلى قصر ابن هبيرة فأقام به ووجه الحسن بن سهل عبدوس بن محمد بن أبي خالد المرووذي في أربعة آلاف فارس ، فخرج إليه أبو السرايا فلقيه بالجامع لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب فقتل عبدوساً ولم يفلتْ من أصحابه أحدٌ كانوا بين قتيلٍ وأسير ، وانتشر الطالبيون في البلاد ؛ وضرب أبو السرايا الدراهم بالكوفة[1] وسير جيوشه إلى البصرة وواسط ونواحيهما ، فولي البصرة العباس بن محمد بن عيسى بن محمد الجعفري ، وولى مكة الحسين بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي الذي يقال له الأفطس وجعل اليه الموسم ، وولي اليمن ابراهيم بن موسى بن جعفر ، وولى فارس اسماعيل بن موسى بن جعفر ، وولي الأهواز زيد بن موسى بن جعفر فسار إلى البصرة وغلب عليها وأخرج عنها العباس بن محمد الجعفري ووليها مع الاهواز ، ووجه أبو السرايا محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي إلى المدائن وأمره أن يأتي بغداد من الجانب الشرقي فأتى المدائن وأقام بها وسيَّر عسكره إلى ديالىٰ ، وكان بواسط عبد الله بن سعيد الحرشي والياً عليها من قبل الحسن بن سهل فانهزم من أصحاب أبي السرايا إلى بغداد، فلما رأى الحسن أن أصحابه لا يلبثون لأصحاب أبي السرايا أرسل إلى هرثمة يستدعيه لمحاربة أبي السرايا ـ وكان قد سار إلى خراسان مغاضباً للحسن ـ فحضر بعد امتناع وسار الى الكوفة في شعبان .

وسير الحسن الى المدائن ، وواسط علي بن سعيد فبلغ الخبر أبا السرايا ـ وهو بقصر ابن هبيرة ـ فوجه جيشاً الى المدائن فدخلها اصحابه في رمضان ، وتقدم حتى نزل بنهر صَرْصَر ، وجاء هرثمة فعسكر بإزائه بينهما النهر ، وسار علي بن سعيد في شوال إلى المدائن فقاتل بها أصحاب أبي السرايا فهزمهم واستولى على المدائن ، وبلغ الخبر أبا السرايا فرجع من نهر صرصر إلى قصر ابن هبيرة فنزل به ، وسار هرثمة في طلبه فوجد جماعة من أصحابه فقتلهم ووجه رؤوسهم الى الحسن بن سهل، ونازل هرثمة أبا السرايا فكانت بينهما وقعة قتل فيها جماعة من أصحاب ابي السرايا ، فانحاز الى الكوفة، ووثب من معه من الطالبيين على دور بني العباس ، ومواليهم واتباعهم

---

(١) قال ابن جرير الطبري : ونقش عليها إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيانٌ مرصوص .

فهدموها وانتهبوها وخربوا ضياعهم وأخرجوهم من الكوفة وعملوا أعمالاً قبيحة ، واستخرجوا الودائع التي كانت لهم عند الناس ؛ وكان هرثمة يخبر الناس أنه يريد الحج وحبس من قدم للحج من خراسان وغيرها ليكون هو أمير الموسم ، ووجه إلى مكة داود بن عيسى بن موسى بن عيسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم ، وكان الذي وجهه أبو السرايا إلى مكة حسين بن حسن الأفطس بن علي بن علي بن الحسين بن علي ، ووجه ايضاً إلى المدينة محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن علي فدخلها ولم يقاتله بها أحد ، ولما بلغ داود بن عيسى توجيه ابي السرايا حسين بن حسن الى مكة لإقامة الموسم جمع أصحاب بني العباس ومواليهم .

وكان مسرور الكبير قد حج في تلك السنة في مائتي فارس . فتعبىٰ للحرب وقال لداود : أقم إلى شخصك أو بعض ولدك وأنا أكفيك . فقال : لا أستحل القتال في المحرم والله لئن دخلوها من هذا الفج لأخرجن من غيره[1] ، وانحاز داود إلى ناحية المشاش وافترق الجمع الذي كان داود بن عيسى جمعهم وخاف مسرور أن يقاتلهم فخرج في أثر داود راجعاً إلى العراق، وبقي الناس بعرفة فصلى بهم رجل من عرض الناس بغير خطبة ودفعوا من عرفة بغير إمام .

وكان حسين بن حسن بسرف يخاف دخول مكة حتى خرج إليه قوم أخبروه أن مكة قد خلت من بني العباس فدخلها في عشرة أنفس فطافوا بالبيت وبين الصفا والمروة ومضوا إلى عرفة فوقفوا ليلاً ثم رجعوا إلى مزدلفة فصلىٰ بالناس الصبح وأقام بمنىٰ أيام الحج وبقي بمكة إلى أن انقضت السنة ؛ وكذلك أيضاً أقام محمد بن سليمان بالمدينة حتى انقضت السنة . وأما هرثمة فإنه نزل بقرية شاهي ورد الحاج واستدعى منصور بن المهدي إليه وكاتب رؤساء أهل الكوفة . وأما علي بن سعيد فإنه توجه من المدائن إلى واسط فأخذها وتوجه الى البصرة فلم يقدر على أخذها هذه السنة .

---

(١) في الطبري « فقال له مسرور : تسلم ملكك وسلطانك الى عدوك ومن لا يأخذه فيك لومة لائم في دينك ولا حرمك ولا مالك قال له داود : أي ملك لي والله لقد أقمت معهم حتى شيخت فما ولوني ولاية حتى كبرت سني وفني عمري فولوني من الحجاز ما فيه القوت إنما هذا الملك لك وأشباهك فقاتل ان شئت أو دع اهـ .

ذكر قوة نصر بن شبث العُقيلي

وفيها قوي أمر نصر بن شبث العُقيلي بالجزيرة وكَثُرَ جمعه وحصر حرَّان ، وأتاه نفر من شيعة الطالبيين فقالوا له : قد وترت بني العباس وقتلت رجالهم وأعلقت عنهم العرب فلو بايعت لخليفة كان أقوى لأمرك فقال : من أي الناس ؟ فقالوا : تبايع لبعض آل علي بن أبي طالب . فقال : أبايع بعض أولاد السوداوات، فيقول: إنه هو خلقني ورزقني ،قالوا: فبايع لبعض بني أمية . فقال : أولئك قد أدبر أمرهم والمدبر لا يقبل أبداً ولو سلم على رجل مدبر لأعداني إدباره وانما هواي في بني العباس وانما حاربتهم محاماة عن العرب لأنهم يقدمون عليهم العجم.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة توفي الحسين بن مصعب بن زريق أبو طاهر بن الحسين بخراسان وكان طاهر بالرقة ، وحضر المأمون جنازته ونزل الفضل بن سهل قبره ، ووجه المأمون إلى طاهر يعزيه بأبيه . وفيها توفي أبو عون معاوية بن أحمد الصمّادحي مولىٰ آل جعفر بن أبي طالب الفقيه المغربي الزاهد . وفيها توفي سهل بن شاذويه أبو هارون ، وعبد الله بن نمير الهمداني الكوفي وكنيته أبو هاشم وهو والد محمد بن عبد الله بن نميرشيخ البخاري ومسلم .

ثم دخلت سنة مائتين

ذكر هرب أبي السرايا

في هذه السنة هرب أبو السرايا من الكوفة وكان قد حصره فيها ومن معه هرثمة وجعل يلازم قتالهم حتى ضجروا وتركوا القتال ، فلما رأى ذلك أبو السرايا تهيأ للخروج من الكوفة فخرج في ثمانمائة فارس ومعه محمد بن محمد بن زيد، ودخلها هرثمة فأمن أهلها ولم يتعرض إليهم ، وكان هربه سادس عشر المحرم وأتى القادسية وسار منها إلى السوس بخوزستان فلقي مالاً قد حمل من الأهواز فأخذه وقسمه بين أصحابه ، وأتاه الحسن بن علي المأموني فأمره بالخروج من عمله وكره قتاله، فأبى أبو السرايا إلا قتاله فقاتله فهزمه المأموني وجرحه وتفرق أصحابه، وسار هو ومحمد بن محمد، وأبو الشوك نحو منزل أبي السرايا برأس عين ، فلما انتهوا إلى جَلولاء ظَفِر بهم حمّاد الكندَغوش فأخذهم وأتى بهم الحسن بن سهل وهو بالنَهْرَوان ، فقتل أبا السرايا وبعث رأسه إلى المأمون ونصبت جثته على جسر بغداد، وسير محمد بن محمد إلى المأمون، وأما هرثمة فإنه أقام بالكوفة يوماً واحداً وعاد واستخلف بها غسان بن أبي الفرج أبا ابراهيم بن غسان صاحب حرس والي خراسان ، وسار علي بن سعيد إلى البصرة فأخذها من العلويين وكان بها زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي عليه السلام ـ وهو الذي يُسمىٰ زَيدُ النار ـ وإنما سمي بها لكثرة ما أحرق بالبصرة من دور العباسيين وأتباعهم ، وكان إذا أتى رجل من المسودة أحرقه وأخذ أموالاً كثيرة من أموال التجار سوى أموال بني العباس ، فلما وصل علي إلى البصرة استأمنه زيد فأمنه وأخذه، وبعث الى مكة ، والمدينة، واليمن جيشاً فأمرهم بمحاربة من بها من العلويين ، وكان بين خروج أبي السرايا وقتله عشرة أشهر.

ذكر ظهور ابراهيم بن موسى بن جعفر

في هذه السنة ظهر ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد وكان بمكة ، فلما بلغه خبر أبي السرايا وما كان منه سار إلى اليمن وبها إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عاملاً للمأمون ، فلما بلغه قرب ابراهيم من صنعاء سار منها نحو مكة فأتى المشاش فعسكر بها واجتمع بها إليه جماعة من أهل مكة هربوا من العلويين ، واستولى ابراهيم على اليمن وكان يسمى الجزار لكثرة من قتل باليمن من الناس وسبى وأخذ الأموال .

ذكر ما فعله الحسين بن الحسن الأفطس بمكة والبيعة لمحمد بن جعفر

وفي هذه السنة في المحرم نزع الحسين كسوة الكعبة وكساها كسوة أخرى أنفذها أبو السرايا من الكوفة من القَزّ، وتتبع ودائع بني العباس واتباعهم وأخذها وأخذ أموال الناس بحجة الودائع فهرب الناس منه ، وتطرق أصحابه إلى قلع شبابيك الحرم وأخذ ما على الأساطين من الذهب وهو نَزْرٌ حقير . وأخذ ما في خزانة الكعبة فقسمه مع كسوتها على أصحابه ، فلما بلغه قتل أبي السرايا ورأى تغير الناس لسوء سيرته وسيرة أصحابه أتى هو وأصحابه إلى محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام ، وكان شيخاً محبباً للناس مفارقاً لما عليه كثير من أهل بيته من قبح السيرة وكان يروي العلم عن أبيه جعفر رضي الله عنه ، وكان الناس يكتبون عنه وكان يظهر زهداً ، فلما أتوه قالوا له : تعلم منزلتك من الناس فهلم نبايع لك بالخلافة فإن فعلت لم يختلف عليك رجلان ، فامتنع من ذلك فلم يزل به ابنه علي والحسين بن الحسن الأفطس حتى غلباه على رأيه وأجابهم وأقاموه في ربيع الأول فبايعوه بالخلافة وجمعوا له الناس فبايعوه طوعاً وكرهاً وسموه أمير المؤمنين ، فبقي شهوراً وليس له من الأمـر شيء وابنه علي والحسين بن الحسن وجماعتهم أسوأ ما كانوا سيرة وأقبح فعلاً ، فوثب الحسين بن الحسن على امرأة من بَني فهر كانت جميلة وأرادها على نفسها فامتنعت منه فأخاف زوجها ـ وهو من بني مخزوم ـ حتى توارى عنه ثم كسر باب دارها وأخذها اليه مدة ثم هربت منه ، ووثب علي بن محمد بن جعفر على غلام أمرد ـ وهو ابن قاضي مكة ـ يقال له : اسحاق بن محمد ـ وكان جميلاً ـ فأخذه قهراً .

فلما رأى ذلك أهل مكة ومن بها من المجاورين اجتمعوا بالحرم واجتمع معهم

جمع كثير فأتوا محمد بن جعفر فقالوا له : لنخلعنك أو لنقتلنـك أو لتردن إلينـا هذا الغلام ، فأغلق بابه وكلمهم من شباك وطلب منهم الأمان ليركب الى ابنه ويأخذ الغلام وحلف لهم أنه لم يعلم بذلك فأمنوه فركب إلى ابنه وأخذ الغلام منه وسلمه إلى أهله ، ولم يلبثوا إلا يسيراً حتى قـدم اسحاق بن مـوسى العباسي من اليمن فنـزل المشاش واجتمع الطالبيون إلى محمد بن جعفر وأعلموه وحفـروا خندقـاً وجمعوا النـاس من الأعراب وغيرهم فقاتلهم اسحاق ، ثم كره القتال فسار نحو العراق فلقيه الجند الذين أنفذهم هرثمة إلى مكة ومعهم الجلودي ، ورجاء بن جميل فقالوا لإسحاق : آرجع معنا ونحن نكفيك القتال ، فرجع معهم فقاتلوا الطالبيين فهزموهم ؛ فأرسل محمد بن جعفر يطلب الأمان فأمنوه ودخل العباسيون مكة في جمادى الآخرة وتفرق الطالبيون من مكة ، وأما محمد بن جعفر فسار نحو الجُحْفَة فأدركه بعض موالي بني العباس فأخذ جميع ما معه وأعطاه دريهمات يتوصل بها فسـار نحو بـلاد جُهينة فجمـع بها وقـاتل هارون بن المسيب والي المدينة عند الشجرة وغيرهـا عدة دفعـات ، فانهـزم محمد وفقئت عينه بنشابة وقتل من أصحابه بشرٌ كثير ورجع إلى موضعه ، فلما انقضى الموسم طلب الأمان من الجلودي ، ومن رجاء بن جميل ـ وهو ابن عمة[1] الفضل بن سهل ـ فأمنه وضمن له الرجاء عن المأمون وعن الفضل الوفاء بالأمان فقبل ذلك، فأتى مكة لعشر بقين من ذي الحجة فخطب الناس وقال : إنني بلغني أن المأمون مات ، وكانت له في عنقي بيعة ، وكانت فتنة عمّت الأرض فبايعني الناس ثم إنـه صح عنـدي أن المأمون حي صحيح وأنا أستغفـر الله من البيعة، وقـد خلعت نفسي من البيعة التي بايعتموني عليها كما خلعت خاتمي هذا من إصبعي فلا بيعة لي في رقابكم ثم نزل ، وسار سنة احدى ومائتين إلى العراق فسيّره الحسن بن سهل الى المأمون بمَرو ، فلما سار المأمون إلى العراق صحبه فمات بجرجان على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر ما فعله ابراهيم بن موسى

وفي هذه السنة وجه ابراهيم بن موسىٰ بن جعفر من اليمن رجلاً من ولد عقيل بن أبي طالب في جند ليحج بالناس ، فسار العقيلي حتى أتى بستان ابن عامر ، فبلغه ان

(١) في الطبري « ابن عم الفضل » .

أبا اسحاق المعتصم قد حج في جماعة من القواد فيهم حمدويه بن علي بن عيسى بن ماهان ، وقد استعمله الحسن بن سهل على اليمن فعلم العقيلي أنه لا يقوى لهم فأقام ببستان ابن عامر ، فاجتازت به قافلة من الحاج ومعهم كسوة الكعبة وطيبها فأخذ أموال التجار وكسوة الكعبة وطيبها وقدم الحجاج مكة عراة منهوبين ، فاستشار المعتصم أصحابه فقال الجلودي : أنا أكفيك ذلك فانتخب مائة رجل وسار بهم إلى العقيلي فصحبهم فقاتلهم فانهزموا وأسر أكثرهم وأخذ كسوة الكعبة وأموال التجار إلا ما كان مع من هرب قبل ذلك فرده ، وأخذ الأسرى فضرب كل واحد منهم عشرة أسواط وأطلقهم فرجعوا إلى اليمن يستطعمون الناس فهلك أكثرهم في الطريق جوعاً وعرياً .

ذكر مسير هرثمة إلى المأمون وقتله

لما فرغ هرثمة من أبى السرايا رجع فلم يأتِ الحسن بن سهل وكان بالمدائن بل سار على عَقْرَقُوف[1] حتى أتى البَرَدَان[2] والنهروان وأتى خراسان، فاتته كتب المأمون في غير موضع لأن يأتي إلى الشام والحجاز فأبى وقال: لا أرجع حتى ألقىٰ أمير المؤمنين ، إدلالاً منه عليه، ولما يعرف من نصيحته له ولآبائه. وأراد أن يعرف المأمون ما يدبر عليه الفضل بن سهل وما يكتم عنه من الأخبار وأنه لا يدعه حتى يرده إلى بغداد ليتوسط سلطانه ، فعلم الفضل بذلك فقال للمأمون : إن هرثمة قد أثقل عليك البلاد والعباد ودسَّ أبا السرايا وهو من جنده ، ولو أراد لم يفعل ذلك ، وقد كتبت إليه عدة كتب ليرجع الى الشام والحجاز فلم يفعل ، وقد جاء مشاقّاً يُظهر القول الشديد فإن أطلق هذا كان مفسدة لغيره ، فتغير قلب المأمون .

وأبطأ هرثمة إلى ذي القعدة فلما بلغ مروخشي أن يكتم قدومه عن المأمون فأمر بالطبول فضربت لكي يسمعها المأمون فسمعها فقال : ما هذا؟ قالوا : هرثمة قد أقبل يرعد ويبرق ، فظن هرثمة ان قوله المقبول فأمر المأمون بإدخاله فلما دخل عليه قال له المأمون : مالأتَ أهل الكوفة العلويين ووضعت أبا السرايا ولو شئت أن تأخذهم جميعاً لفعلت ، فذهب هرثمة يتكلم ويعتذر فلم يقبل منه فأمر به فديس بطنه وضرب أنفه

---

(١) عقرقوف : قرية من نواحي دجيل بينها وبين بغداد أربعة فراسخ .

(٢) البردان : بالتحريك مواضع كثيرة : من قرى بغداد على سبعة فراسخ منها قرب صَرِفين وهي من نواحي دجيل .

وسحب من بين يديه ، وقد أمر الفضل الأعوان بالتشديد عليه فحبس فمكث في الحبس أياماً ثم دس إليه من قتله وقالوا مات .

ذكر وثوب الحربية ببغداد

وفيها كان الشغب ببغداد بين الحربية ، والحسن بن سهل ، وكان سبب ذلك أن الحسن بن سهل كان بالمدائن حين شخص هرثمة إلى المأمون فلما اتصل ببغداد وسمع ما صنعه المأمون بهرثمة بعث الحسن بن سهل إلى علي بن هشام ـ وهو والي بغداد من قبله ـ أنْ ماطل الجند من الحربية أرزاقهم ولا تعطهم ، وكانت الحربية قبل ذلك حين خرج هرثمة إلى خراسان قد وثبوا وقالوا : لا نرضى حتى نطرد الحسن وعماله عن بغداد فطردوهم وصيروا إسحاق بن موسى الهادي خليفة المأمون ببغداد ، واجتمع أهل الجانبين على ذلك ورضوا به ، فدسّ الحسن إليهم وكاتب قوادهم حتى يبعثوا[1] من جانب عسكر المهدي ، فحول الحربية اسحاق إليهم وأنزلوه على دُجَيل .

وجاء زهيرُ بن المسيبِ فنزل في عسكر المهدي وبعث الحسن علي بن هشام في الجانب الآخر هو ومحمد بن أبي خالد ودخلوا بغداد ليلاً في شعبان وقاتل الحربية ثلاثة أيام على قنطرة الصراة ثم وعدهم رزق ستة أشهر إذا أدركت الغلة فسألوه تعجيل خمسين درهماً لكل رجل منهم ينفقونها في رمضان فأجابهم إلى ذلك وجعل يعطيهم ، فلم يتم العطاء حتى أتاهم خبر زيد بن موسى من البصرة المعروف بزيد النار وكان هرب من الحبس ، وكان عند علي بن سعيد فخرج بناحية الأنبار هو وأخو أبي السرايا في ذي القعدة سنة مائتين فبعثوا إليه فأُتِيَ به إلى علي بن هشام ، وهرب علي بن هشام بعد جمعة من الحربية ونزل بِصَرْصَر لأنه لم يَفِ لهم بإعطاء الخمسين إلى أن جاء الأضحى وبلغهم خبر هرثمة وأخرجوه ؛ وكان القيّم بأمر هرثمة محمد بن أبي خالد لأن علي بن هشام كان يستخف به ، فغضب من ذلك وتحول إلى الحربية فلم يقرّبهم علي ، فهرب إلى صَرْصَر ثم هزموه من صرصر .

وقيل : كان السبب في شغب الابناء أن الحسن بن سهل جلد عبد الله بن علي بن ماهان الحد فغضب الابناء وخرجوا .

---

(١) في الطبري « حتى وثبوا » .

ذكر الفتنة بالموصل

وفيها وقعت الفتنة بالموصل بين بني سامة وبني ثعلبة ، فاستجارت ثعلبة بمحمد بن الحسين الهمداني ـ وهو أخو علي بن الحسين أمير البلد ـ فأمرهم بالخروج إلى البرية ففعلوا فتبعهم بنو سامة في ألف رجل إلى العوجاء وحصروهم فيها ، فبلغ الخبر علياً ومحمداً ابني الحسين فأرسلا الرجال إليهم واقتتلوا قتالاً شديداً فقتل من بني سامة جماعة وأسر جماعة منهم ومن بني تغلب ـ وكانوا معهم ـ فحبسوا في البلد ، ثم إن أحمد بن عمر بن الخطاب العدوي التغلبي أتىٰ محمداً وطلب إليه المسالمة فأجابه إليه وصلح الأمر وسكنت الفتنة .

ذكر الغزاة إلى الفرنج

وفي هذه السنة جهز الحكم أمير الأندلس جيشاً مع عبد الكريم بن مُغيث إلى بلاد الفرنج بالأندلس فسار بالعساكر حتى دخل بأرضهم وتوسط بلادهم فخربها ونهبها وهدم عدة من حصونها، كلّما أهلك موضعاً وصل إلى غيره، فاستنفذ خزائن ملوكهم، فلما رأى ملكهم فعل المسلمين ببلادهم كاتب ملوك جميع تلك النواحي مستنصراً بهم فاجتمعت إليه النصرانية من كل أوْبٍ فأقبل في جموع عظيمة بإزاء عسكر المسلمين بينهم نهر فاقتتلوا قتالاً شديداً عدة أيام المسلمون يريدون أن يعبروا النهر وهم يمنعون المسلمين من ذلك ، فلما رأى المسلمون ذلك تأخروا عن النهر فعبر المشركون إليهم فاقتتلوا أعظم قتال فانهزم المشركون إلى النهر فأخذهم السيف والأسر فمن عبر النهر سلم ، وأسر جماعة من كُنودهم ومُلوكهم وقمامصتهم، وعاد الفرنج ولزموا جانب النهر يمنعون المسلمين من جوازه فبقوا كذلك ثلاثة عشر يوماً يقتتلون كل يوم فجاءت الأمطار وزاد النهر وتعذر جوازه فقفل عبد الكريم عنهم سابع ذي الحجة .

ذكر خروج البربر بناحية مَوْرُور

وفي هذه السنة خرج خارجي من البربر بناحية مورور من الأندلس ومعه جماعة ، فوصل كتاب العامل إلى الحكم بخبره ، فأخفى الحكم خبره واستدعى من ساعته قائداً من قواده فأخبره بذلك سراً وقال له : سر من ساعتك الى هذا الخارجي فائتني برأسه والا فرأسك عوضه وأنا قاعد مكاني هذا إلى أن تعود، فسار القائد الى الخارجي فلما

قاربه سأل عنه فأخبر عنه باحتياط كثير واحتراز شديد، ثم ذكر قول الحكم إن قتلته وإلا فرأسُك عوضه ، فحمل نفسه على سبيل سلوك المخاطرة فأعمل الحيلة حتى دخل عليه وقتله، وأحضر عند الحكم فرآه بمكانه ذلك لم يتغير منه ـ وكانت غيبته أربعة أيام ـ فلما رأى رأسه أحسن إلى ذلك القائد ووصله وأعلى محله .

(مورور) بفتح الميم وسكون الواو وضم الراء وسكون الواو الثانية وآخره راء ثانية .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة وجه المأمون رجاء بن أبي الضحاك لإحضار علي بن موسى بن جعفر بن محمد ، وأُحصِيَ في هذه السنة ولد العباس فبلغوا ثلاثة وثلاثين ألفاً ما بين ذكر وأنثى .

وفي هذه السنة قتلت الروم ملكها أليون[1] وكان ملكه سبع سنين وستة أشهر وملكوا عليهم ميخائيل بن جورجيش[2] ثانية . وفيها خالف علي بن أبي سعيد على الحسن بن سهل فبعث المأمون إليه بسراج الخادم وقال له : إن وضع يده في يد الحسن بن سهل أو شخص إليّ بمرو وإلا فآضرب عنقه. فسار إليه سراج فأطاع وتوجه إلى المأمون بمرو مع هرثمة ؛ وفيها قتل المأمون يحيى بن عامر بن إسماعيل لأنه قال له : يا أمير الكافرين .

وحج بالناس هذه السنة المعتصم وفيها توفي القاضي أبو البختري وهب بن وهب ، ومعروف الكرخي الزاهد، وصفوان بن عيسى الفقيه ، والمعافى بن داود الموصلي وكان فاضلاً عابداً .

---

(١) في الطبري « ليون » بدون ألف

(٢) في الطبري « جورجس » .

ثم دخلت سنة احدى ومائتين

ذكر ولاية منصور بن المهدي ببغداد

وفي هذه السنة أراد أهل بغداد أن يبايعوا المنصور بن المهدي بالخلافة فامتنع عن ذلك، فأرادوه على الإمرة عليهم على أن يدعو للمأمون بالخلافة فأجابهم إليه، وكان سبب ذلك ما ذكرناه قبل من إخراج أهل بغداد علي بن هشام من بغداد، فلما اتصل إخراجه من بغداد بالحسن بن سهل سار من المدائن إلى واسط وذلك أول سنة احدى ومائتين، فلما هرب إلى واسط تبعه محمد بن أبي خالد بن الهندوان مخالفاً له وقد تولى القيام بأمر الناس، وولى سعيد بن الحسن بن قحطبة الجانب الغربي، ونصر بن حمزة بن مالك الجانب الشرقي، وكان[1] ببغداد منصور بن المهدي، والفضل بن الربيع، وخزيمة بن خازم، وقدم عيسى بن محمد بن أبي خالد من الرقة من عند طاهر في هذه الأيام فوافق أباه على قتال الحسن بن سهل فمضيا ومن معهما إلى قرية أبي قريش قريب واسطٍ ولقيهما في طريقهما عساكر الحسن في غير موضع فهزماهم، ولما انتهى محمد إلى دير العاقول أقام به ثلاثاً وزهير بن المسيب مقيم بإسكاف بني الجُنيد عاملاً للحسن على جوخى، وهو يكاتب قواد بغداد، فركب إليه محمد وأخذه أسيراً، وأخذ كل ماله وسيره أسيراً إلى بغداد، وحبسه عند أبيه جعفر، ثم تقدّم محمد إلى واسط، ووجه محمد ابنه هارون من دير العاقول إلى النيل، وبها نائب للحسن، فهزمه هارون، وتبعه إلى الكوفة، ثم سار المنهزمون من الكوفة إلى الحسن بواسط، ورجع هارون إلى أبيه وقد استولى على النيل، وسار محمد وهارون نحو واسط، فسار الحسن عنها ونزل خلفها، وكان الفضل بن الربيع مختفياً كما تقدّم إلى الآن، فلما رأى أن محمداً قد بلغ واسطاً طلب منه الأمان فأمّنه وظهر. وسار محمد إلى الحسن

---

(١) في الطبري « وكنفه ».

على تعبية فوجّه إليه الحسن قواده وجنده ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم أصحاب محمد بعد العصر وثبت محمد حتى جرح جراحاتٍ شديدةً وانهزموا هزيمةً قبيحةً ، وقُتِلَ منهم خلقٌ كثيرٌ ، وغنموا مالهم ، وذلك لسبع بقين من شهر ربيع الأول ، ونزل محمد بفم الصلح ، وأتاهم الحسن فاقتتلوا، فلما جنَّهُمُ الليلُ رحل محمد وأصحابه ، فنزلوا المبارك فأتاهم الحسن ، فاقتتلوا فلما جَنّهم الليل ارتحلوا حتى أتوا جبل فأقاموا بها .

ووجَّه محمد ابنه عيسى إلى عرنايا فأقامَ بها ، وأقام محمد بجرجرايا ، فاشتدت جراحات محمد ، فحمله ابنه أبو زنبيل إلى بغداد، وخلف عسكره لست خلون من ربيع الآخر ، ومات محمد بن أبي خالد فدفن في داره سراً ، وأتى أبو زنبيل خزيمةَ بن خازم فأعلمه حالَ أبيه وأعلم خزيمة ذلك الناس ، وقرأ عليهم كتاب عيسى بن محمد إليه يبذل فيه القيامَ بأمر الحرب مقام أبيه ، فرضوا به ، وصار مكان أبيه ، وقتل أبو زنبيل زهير بن المسيب من ليلته، ذبحه ذبحاً وعلق رأسه في عسكر أبيه ، وبلغ الحسن بن سهل موت محمد ، فسار إلى المبارك فأقام به ، وبعث في جمادى الآخرة جيشاً له ، فالتقوا بأبي زنبيل بفم الصراة فهزموه، وانحاز إلى أخيه هارون بالنيل ، فتقدم جيش الحسن إليهم فلقوهم، فاقتتلوا ساعة، وانهزم هارون وأصحابه فأتوا المدائن ، ونهب أصحاب الحسن النيل ثلاثة أيام وما حولها من القرى ، وكان بنو هاشم والقواد حين مات محمد بن أبي خالد قالوا : نصير بعضنا خليفة ونخلع المأمون ، فأتاهم خبر هارون وهزيمته ، فجدوا في ذلك ، وأرادوا منصور بن المهديّ على الخلافة فابى ، فجعلوه خليفة للمأمون ببغداد والعراق وقالوا : لا نرضى بالمجوسيّ ابن المجوسيّ الحسن بن سهل .

وقيل : إن عيسى لما ساعده أهل بغداد على حرب الحسن بن سهل علم الحسن أنه لا طاقة له به فبعث إليه وبذل المصاهرة ومائة ألف دينار والأمان له ولأهل بيته ولأهل بغداد، وولاية أي النواحي أحب ، فطلب كتاب المأمون بخطه .

وكتب عيسى إلى أهل بغداد أني مشغول بالحرب عن جباية الخراج، فولُّوا رجلاً من بني هشام فولَّوا منصور بن المهديّ ، وقال : أنا خليفة أمير المؤمنين المأمون حتى يقدم أو يولّي من أحب ، فرضي به الناس .

وعسكر منصور بكلواذي ، وبعث غسان بن عباد بن أبي الفرج إلى ناحية

الكوفة ، فنزل بقصر ابن هبيرة ، فلم يشعر غسان إلا وقد أحاط به حميد الطوسيّ فأخذه أسيراً وقتل من أصحابه وذلك لأربع خلون من رجب ، وسير منصور بن المهديّ محمد بن يقطين في عسكر إلى حميد، فسار حتى أتى كوثى ، فلم يشعر بشيء حتى هجم عليه حميد ـ وكان بالنيل ـ فقاتله قتالاً شديداً ، وانهزم ابن يقطين وقتل من أصحابه وأسر وغرق بشر كثير ، ونهب حميد ما حول كوثى من القرى ، ورجع حميد إلى النيل وابن يقطين أقام بنهر صرصر .

وأحصى عيسى بن محمد بن أبي خالد من في عسكره ، وكانوا مائة ألف وخمسة وعشرين ألفاً بين فارس وراجل فأعطى الفارس أربعين درهماً والراجل عشرين درهماً .

ذكر أمر المتطوعة بالمعروف

وفي هذه السنة تجرّدت المتطوعة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان سببُ ذلك أنَّ فسّاق بغداد والشطّار آذَوا الناس أذىً شديداً ، وأظهروا الفسْق ، وقطعوا الطريق ، وأخذوا النساء والصبيان علانية ، وكانوا يأخذون ولد الرجل وأهله فلا يقدر أن يمتنع منهم ، وكانوا يطلبون من الرجل أن يُقرِضَهُمْ أو يَصِلَهُمْ فلا يقدر على الامتناع ؛ وكانوا ينهبون القرى لا سلطان يمنعهم ولا يقدر عليهم ، لأنه كان يغريهم وهم بطانته ، وكانوا يمسكون المجتازين في الطريق ولا يعدي عليهم أحد، وكان الناس معهم في بلاء عظيم ، وآخر أمرهم أنهم خرجوا إلى قطربُّل وانتهبوها علانية وأخذوا العين[1] والمتاع، والدواب فباعوها ببغداد ظاهراً ، واستعدى أهلها السلطان فلم يُعْدِهِمْ وكان ذلك آخر شعبان ، فلما رأى الناس ذلك قام صُلحَاء كل رُبَضٍ ودَرْبٍ، ومشى بعضهم إلى بعض وقالوا : إنما في الدرب الفاسق والفاسقان إلى العشرة وقد غلبوكم، وأنتم أكثر منهم، فلو اجتمعتم لَقَمَعْتُمْ هؤلاء الفسّاق ، ولعجزوا عن الذي يفعلونه .

فقام رجل يقال له : خالد الدريوش ، فدعا جيرانه وأهل محلته على أن يعاونوه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فأجابوه إلى ذلك ، فشد على من يليه من الفساق والشطّار ، فمنعهم ، وامتنعوا عليه ، وأرادوا قتاله فقاتلهم فهزموهم ،

(١) العين : الذهب والفضة .

وضرب من أخذه من الفساق وحَبَسَهُم ورَفَعَهُم إلى السلطان إلا أنه كان لا يرى أن يغير على السلطان شيئاً .

ثم قام بعده رجل من الحربية يقال له : سهل بن سلامة الأنصاري من أهل خراسان ـ ويكنى أبا حاتم ـ فدعا الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بالكتاب والسنّة ، وعلق مصحفاً في عنقه ، وأمر أهل محلته ونهاهم ، فقبلوا منه ، ودعا الناس جميعاً الشريف والوضيع من بني هاشم وغيرهم ، فأتاه خلق عظيم فبايعوه على ذلك ، وعلى القتال معه لمن خالفه ، وطاف ببغداد وأسواقها .

وكان قيام سهل لأربع خلون من رمضان وقيام الدريوش قبله بيومين أو ثلاثة ، وبلغ خبر قيامهما إلى منصور بن المهديّ ، وعيسى بن محمد بن أبي خالد ، فكسرهما ذلك ، لأن أكثر أصحابهما كان الشطار ومن لا خير فيه ، ودخل منصور بغداد ، وكان عيسى يكاتب الحسن بن سهل في الأمان ، فأجابه الحسن إلى الأمان له ولأهل بغداد وأن يعطي جنده وأهل بغداد رزق ستة أشهر إذا أدركت الغلة ، ورحل عيسى فدخل بغداد لثلاث عشرة ليلة خَلَتْ من شوّال ، وتفرقت العساكر ، فرضي أهل بغداد بما صالح عليه ، وبقي سهل على ما كان عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ذكر البيعة لعلي بن موسى عليه السلام بولاية العهد

في هذه السنة جعل المأمون علي بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وليَ عهدِ المسلمين والخليفة من بعده ، ولقبه الرضا من آل محمد ﷺ ، وأمر جنده بطرح السواد ولبس الثياب الخضرة ، وكتب بذلك إلى الآفاق ، وكتب الحسن بن سهل إلى عيسى بن محمد بن أبي خالد بعد عوده إلى بغداد يعلمه أن المأمون قد جعل عليّ بن موسى وليّ عهده من بعده ، وذلك أنه نظر في بني العباس ، وبني عليّ فلم يجد أحداً أفضلَ ولا أوْرَعَ ولا أعلم منه ، وأنه سماه الرضا من آل محمد ﷺ ، وأمره بطرح السواد ولبس الخضرة ، وذلك لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين ، وأمر محمداً أن يأمر مَنْ عنده مِنْ أصحابه ، والجند والقواد ، وبني هاشم بالبيعة له ولبس الخضرة ، ويأخذ أهل بغداد جميعاً بذلك فدعاهم محمد إلى ذلك ، فأجاب بعضهم وامتنع بعضهم ، وقال : لا تخرج الخلافة من ولد العباس ، وإنما هذا من الفضل بن سهل . فمكثوا كذلك أياماً

وتكلم بعضهم وقالوا : نولي بعضنا، ونخلع المأمون، فكـان أشدهم فيـه منصور، وابراهيم ابنا المهدي .

ذكر الباعث على البيعة لابراهيم بن المهدي

وفي هذه السنة في ذي الحجة خاض النـاس في البيعة لإبـراهيم بن المهديّ بالخلافة ، وخلع المأمون ببغداد ، وكان سبب ذلك ما ذكرناه من إنكار الناس لولاية الحسن بن سهل والبيعة لعليّ بن موسى ، فأظهر العباسيـون ببغداد أنهم قد كانـوا بايعوا لإبراهيم بن المهديّ لخمس بقين من ذي الحجة ، ووضعوا يوم الجمعة رجلاً يقول : إنا نريد أن ندعو للمأمون ومن بعده لإبراهيم ، ووضعوا من يجيبه بأننا لا نرضى إلا أن تبايعوا لإبراهيم بن المهديّ بالخلافة، ومن بعده لإسحاق بن موسى الهادي ، وتخلعوا المأمون ففعلوا ما أمروهم به ، فلم يُصَلِّ الناسُ جمعة ، وتفرقوا ، وكان ذلك لليلتين بقيتا من ذي الحجة من السنة .

ذكر فتح جبال طبرستان والديلم

في هذه السنة افتتح عبد الله بن خرداذبه والي طبـرستان الـلارز والشيـزر من بـلاد الديلم ، وافتتح جبال طبرستان ، فأنزل شهريار بن شروين عنها ، وأشخص مازيار بن قارن إلى المأمون ، وأسر أبا ليلى ملكَ الديلم .

ذكر ابتداء بابك الخُرَّمِيّ

وفيها تحرك بابك الخُرَّمِيّ في الجاويدانية أصحاب جاويدان بن سهل صاحب البـذ[١] ، وادعى أن روح جاويـدان دخلت فيه وأخـذ في العبث والفساد ، وتفسيـر جاويدان الدائم الباقي ، ومعنى خُرَّم فَرْج ، وهي مقالات المجوس ، والرجل منهم ينكح أمَّهُ وأخته وابنته ، ولهذا يسمونه دِينَ الفَرْجِ ويعتقدون مذهب التنـاسخ ، وأن الأرواحِ تتنقل من حيوان إلى غيره .

ذكر ولاية زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب أفريقية

وفي هذه السنة سادس ذي الحجة تـوفي أبو العبـاس عبد الله بن إبـراهيم بن

---

(١) البذ : كورة بين أذربيجان .

الأغلب أمير أفريقية وكانت إمارته خمس سنين ونحو شهرين ، وكان سبب موته أنه حَدَّدَ على كل فدّان في عمله ثمانية عشر ديناراً كل سنة ، فضاق الناس لذلك ، وشكا بعضهم إلى بعض ، فتقدم اليه رجل من الصالحين اسمه حفص بن عمر الجزريّ مع رجال من الصالحين فنهوه عن ذلك ووعظوه ، وخوفوه العذاب في الآخرة ، وسوء الذكر في الدنيا وزوال النعمة فإن الله تعالى اسمه وجل ثناؤه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مَرَدَّ له ، ومالهم من دونه من والٍ ، فلم يجبهم أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب أمير أفريقية المذكور إلى ما طلبوا ، فخرجوا من عنده إلى القيروان ، فقال لهم حفص : لو أننا نتوضأ للصلاة ونصلي ونسأل الله تعالى أن يخفف عن الناس ، ففعلوا ذلك ، فما لبث إلا خمسة أيام حتى خرجت قرحة تحت أذنه فلم ينشب أن مات منها وكان من أجمل أهل زمانه ، ولما مات ولي بعده أخوه زيادة الله بن إبراهيم ، وبقي أميراً رَخِيَّ البال وادعاً والدنيا عنده آمنة ، ثم جَهَّزَ جيشاً في أسطول البحر ، وكان مراكب كثيرة إلى مدينة سردانية ، وهي للروم ، فعطب بعضها بعد أن غنموا من الروم وقتلوا كثيراً ، فلما عاد من سلم منهم أحسن إليهم زيادة الله ووصلهم ، فلما كان سنة سبع ومائتين خرج عليه زياد بن سهل المعروف بابن الصقلبية وجمع جمعاً كثيراً وحَصَرَ مدينة باجه ، فسير اليه زيادة الله العساكر ، فأزالوه عنها ، وقتلوا من وافقه على المخالفة .

وفي سنة ثمان ومائتين نقل إلى زيادة الله أن منصور بن نصير[١] الطنبذي يريد المخالفة عليه بتونس وهو يسعى في ذلك ، ويكاتب الجند ، فلما تحققه سَيَّرَ إليه قائداً اسمه محمد بن حمزة في ثلاثمائة فارس وأمره أن يخفي خَبَرَهُ ويجدَّ السير الى تونس ، فلا يشعر به منصور حتى يأخذه فيحمله إليه ، فسار محمد ، ودخل تونس ، فلم يجد منصوراً بها ، كان قد توجه إلى قصره بطنبذة ، فأرسل إليه محمد قاضي تونس ومعه أربعون شيخاً يقبحون له الخلاف ، وينهونه عنه ، ويأمرونه بالطاعة ، فساروا إليه ، واجتمعوا به ، وذكروا له ذلك ، فقال منصور : ما خالفت طاعة الأمير وأنا سائر معكم إلى محمد ومن معه إلى الأمير ، ولكن أقيموا معي يومنا هذا حتى نعمل له ولمن معه ضيافة ، فأقاموا عنده ، وسير منصور لمحمد ولمن معه الإقامة الحسنة الكثيرة من الغنم ،

---

(١) في معجم البلدان لياقوت « منصور بن نصر » .

والبقر ، وغير ذلك من أنواع ما يؤكل ، فكتب إليه يقول : إنني صائرٌ إليك مع القاضي والجماعة ، فركن محمد إلى ذلك ، وأمر بالغنم فذبحت، وأكل هو ومن معه ، وشربوا الخمر ، فلما أمسى منصور سجن القاضي ومن معه وسار مُجدّاً فيمن عنده من أصحابه سِرّاً إلى تونس ، فدخلوا دار الصناعة ـ وفيها محمد وأصحابه ـ فأمر بالطبول فضربت ، وكبر هو وأصحابه ، فوثب محمد وأصحابه إلى سلاحهم وقد عمل فيهم الشراب ، وأحاط بهم منصور ومن معه ، وأقبلت العامة من كل مكان فرجموهم بالحجارة ، واقتتلوا عامة الليل ، فقتل من كان مع محمد ولم يسلم منهم إلا من نجا إلى البحر فسبح حتى تخلص، وذلك في صفر، وأصبح منصور فاجتمع عليه الجند وقالوا : نحن لا نثق بك ، ولا نأمن أن يخليك زيادة الله ويستميلك بدنياه فتميل إليه ، فإن أحببت أن نكونَ معك فاقتلْ أحداً من أهله ممن عندك ، فأحضر اسماعيل بن سفيان بن سالم بن عقال ـ وهو من أهل زيادة الله ـ فكان هو العامل على تونس ، فلما حضر أمر بقتله .

فلما سمع زيادة الله الخبر سيَّرَ جيشاً كثيفاً ، واستعمل عليهم غلبون واسمه الأغلب بن عبد الله بن الأغلب ـ وهو وزير زيادة الله ـ إلى منصور الطنبذي ، فلما ودعهم زيادة الله تهددهم بالقتل إن انهزموا .

فلما وصلوا إلى تونس خرج إليهم منصور ، فقاتلهم، فانهزم جيش زيادة الله عاشر ربيع الأول ؛ فقال القواد الذين فيه لغلبون : لا نأمن زيادة الله على أنفسنا ، فإن أخذت لنا أماناً حضرنا عنده. وفارقوه واستولوا على عدة مدن ، فأخذوها ، منها باجه ، والجزيرة ، وصطفورة ، ومنير، والأربس ، وغيرها ، فاضطربت أفريقية، واجتمع الجند كلهم إلى منصور وأطاعوه لسوء سيرة زيادة الله كانت معهم ، فلما كثر جمع منصور سار إلى القيروان فحصرها في جمادى الاولى وخندق على نفسه وكان بينه وبين زيادة الله وقائع كثيرة ، وعَمَّرَ منصور سُورَ القَيْرَوَان ، فوالاه أهلُها فبقي الحصارُ عليه أربعين يوماً ، ثم إن زيادة الله عبى أصحابه وجمعهم وسار معهم الفارس والراجل ، فكانوا خلقاً كثيراً ، فلما رآهم منصور راعه ما رأى ، وهاله ، ولم يكن يعرف ذلك من زيادة الله لما كان فيه من الوهن ، فزحف منصور إليه بنفسه أيضاً فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً ، وانهزم منصور ومن معه ، ومضوا هاربين ، وقتل منهم خلق كثير ، وذلك منتصف جمادى الآخرة .

وأمر زيادة الله أن ينتقم من أهل القيروان بما جَنَوْهُ من مساعدة منصور والقتال معه ، وبما تقدم أولاً من مساعدة عمران بن مجالد لما قاتل أباه إبراهيم بن الأغلب فمنعه أهل العلم والدين فكفَّ عنهم ، وخرب سور القيروان ، ولما انهزم منصور فارقه كثير من أصحابه الذين صاروا معه ، منهم عامر بن نافع ، وعبد السلام بن المفرج إلى البلاد التي تغلبوا عليها .

ثم إن زيادة الله سيَّرَ جيشاً سنة تسع ومائتين إلى مدينة سبيبة ، واستعمل عليهم محمد بن عبد الله بن الأغلب وكان بها جمعٌ من الجند الذين صاروا مع منصور عليهم عمر بن نافع ، فالتقوا في العشرين من المحرم ، واقتتلوا فانهزم ابن الأغلب ، وعاد هو ومن معه إلى القيروان ، فعظم الأمر على زيادة الله ، وجمع الرجال ، وبذل الأموال وكان عيال الجند الذين مع منصور بالقيروان ، فلم يعرض لهم زيادة الله ، فقال الجند لمنصور : الرأي أن تحتال في نقل العيال من القيروان لنأمن عليهم ، فسار بهم منصور إلى القيروان ، وحصر زيادة الله ستة عشر يوماً ، ولم يكن منهم قتال ، وأخرج الجند نساءهم وأولادهم من القيروان ، وانصرف منصور إلى تونس ، ولم يبق بيد زيادة الله من أفريقية كلها إلا قابس ، والساحل ، ونفزاوة ، وطرابلس ، فإنهم تمسكوا بطاعته ، وأرسل الجند إلى زيادة الله أن ارحل عنا وخلّ أفريقية ولك الأمان على نفسك ومالك وما ضمَّه قصرك، فضاق به وغمَّه الأمر ؛ فقال له سفيان بن سوادة : مكِّنِّي من عسكرك لأختار منهم مائتي فارس وأسير بهم إلى نفزاوة، فقد بلغني أن عامر بن نافع يريد قصدهم ، فإن ظفرت كان الذي تحب ، وإن تكن الأخرى عملتْ برأيك ، فأمره بذلك فأخذ مائتي فارس وسار إلى نفزاوة فدعا برابرَها إلى نصرته ، فأجابوه وسارعوا إليه ، وأقبل عامر بن نافع في العسكر إليهم فالتقوا واقتتلوا ، فانهزم عامر ومن معه ، وكثر القتل فيهم ، ورجع عامر إلى قسطيلية ، فجبى أموالها ليلاً ونهاراً في ثلاثة أيام ، وساروا عنها، واستخلف عليها من يضبطها فهرب منها أيضاً خوفاً من أهلها ، فأرسل أهل قسطيلية إلى ابن سوادة وسألوه أن يجيء إليهم ، فسار إليهم وملك قسطيلية وضبطها .

وقد قيل إن هذه الحوادث المذكورة سنة ثمان وتسع ومائتين إنما كانت سنة تسع عشر ومائتين . (طنْبُذة) بضم الطاء المهملة وسكون النون وضم الباء الموحدة،

وبذال معجمة، وآخره هاء، و(صَطْفوره) بفتح الصاد وسكون الطاء وضم الفاء وسكون الواو ، وآخره هاء ، و(سبيبه) بفتح السين المهملة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وفتح الباء الثانية الموحدة ، وآخره هاء ، و (نُفْزَاوَه) بالنون والفاء الساكنة وفتح الزاي وبَعْدَ الألف واو ثم هاء .

ذكر ما فتحه زيادة الله بن الأغلب من جزيرةٍ صقلية وما كان فيها من الحروب إلى أن توفي

في سنة اثنتي عشرة ومائتين جهز زيادة الله جيشاً في البحر وسيَّرهم إلى جزيرة صقلية ، واستعمل عليهم أَسَدَ بن الفرات قاضي القيروان ، وهو من أصحاب مالك ، وهو مصنف الأسدية في الفقه على مذهب مالك ، فلما وصلوا إليها ملكوا كثيراً منها ، وكان سبب إنفاذ الجيش أن ملك الروم بالقسطنطينية استعمل على جزيرة صقلية بطريقاً اسمه قسطنطين سنة إحدى عشرة ومائتين ، فلما وصل إليها استعمل على جيش الأسطول إنساناً رومياً اسمه فيمي كان حازماً شجاعاً ، فغزا أفريقية ، وأخذ من سواحلها تجاراً ونهب ، وبقي هناك مدَيْدَةً، ثم إن ملك الروم كتب إلى قسطنطين يأمره بالقبض على فيمي مقدم الأسطول وتعذيبه ، فبلغ الخبر إلى فيمي فأعلم أصحابه، فغضبوا له ، وأعانوه على المخالفة ، فسار في مراكبه إلى صقلية واستولى على مدينة سرقوسة، فسار إليه قسطنطين فالتقوا واقتتلوا ، فانهزم قسطنطين إلى مدينة قطانية ، فسَيَّرَ إليه فيمي جيشاً ، فهرب منهم فأخذ وقتل وخوطب فيمي بالملك ، واستعمل على ناحية من الجزيرة رجلاً اسمه بلاطه ، فخالف على فيمي وعصى ، واتفق هو وابن عم له اسمه ميخائيل ـ وهو والي مدينة بلزم ـ وجمعا عسكراً كثيراً فقاتلا فيمي ، وانهزم ، فاستولى بلاطه على مدينة سرقوسة ، وركب فيمي ومن معه في مراكبهم إلى أفريقية ، وأرسل إلى الأمير زيادة الله يستنجده ويعده بملك جزيرة صقلية ، فسيَّر معه جيشاً في ربيع الأول سنة اثنتي عشرة ومائتين ، فوصلوا إلى مدينة مازر من صقلية ، فساروا إلى بلاطه الذي قاتل فيمي ، فلقيهم جمع للروم فقاتلهم المسلمون وأمروا فيمي ومن معه أن يعتزلوهم ، واشتد القتال بين المسلمين والروم ، فانهزمت الروم وغنم المسلمون أموالهم ودوابهم ، وهرب بلاطه إلى قلورية فقتل بها .

واستولى المسلمون على عدة حصون من الجزيرة ، ووصل إلى قلعة تعرف

بقلعة الكراث ، وقد اجتمع إليها خلق كثير فخدعوا القاضي أسد بن الفرات أمير المسلمين وذلّوا له ، فلما رآهم فيمي مال إليهم وراسلهم أن يثبتوا ويحفظوا بلدهم ، فبذلوا لأسد الجزية وسألوه أن لا يقرب منهم فأجابهم إلى ذلك ، وتأخر عنهم أياماً فاستعدّوا للحصار ودفعوا إليهم ما يحتاجون إليه فامتنعوا عليه ، وناصبهم الحرب ، وبثَّ السرايا في كل ناحية ، فغنموا شيئاً كثيراً ، وافتتحوا عمراناً كثيرة حول سرقوسة ، وحاصروا سرقوسة برّاً وبحراً ، ولحقته الأمداد من أفريقية ، فسار إليهم والي بلرم في عساكر كثيرة ، فخندق المسلمون عليهم ، وحفروا خارج الخندق حفراً كثيرة ، فحمل الروم عليهم ، فسقط في تلك الحفر كثير منهم فقتلوا ، وضيق المسلمون على سرقوسة فوصل أسطول من القسطنطينية فيه جمع كثير ، وكان قد حل بالمسلمين وباء شديد سنة ثلاث عشرة ومائتين هلك فيه كثير منهم ، وهلك فيه أميرُهم أَسَدُ بن الفرات ، وولي الأمر على المسلمين بعده محمد بن أبي الجواري ، فلما رأى المسلمون شدة الوباء ووصول الروم تحملوا في مراكبهم ليسيروا ، فوقف الروم في مراكبهم على باب المرسى ، فمنعوا المسلمين من الخروج، فلما رأى المسلمون ذلك أحرقوا مراكبهم وعادوا ورحلوا إلى مدينة ميناو فحصروها ثلاثة أيام وتسلموا الحصن ، فسار طائفة منهم إلى حصن جرجنت، فقاتلوا أهله وملكوه ، وسكنوا فيه ، واشتدت نفوس المسلمين بهذا الفتح وفرحوا ، ثم ساروا إلى مدينة قصريانة ومعهم فيمي ، فخرج أهلها إليه ، فقبلوا الأرض بين يديه ، فأجابوه إلى أن يملكوه عليهم ، وخدعوه ثم قتلوه .

ووصل جيش كثير من القسطنطينية مدداً لمن في الجزيرة ، فتصافُّوا هم والمسلمون ، فانهزم الروم وقتل منهم خلق كثير ، ودخل من سلم قصريانه .

وتوفي محمد بن أبي الجواري أمير المسلمين ، وولي بعده زهير بن غوث .

ثم ان سرية المسلمين سارت للغنيمة فخرج عليها طائفة من الروم فاقتتلوا وانهزم المسلمون ، وعادوا من الغد ومعهم جمع العسكر ، فخرج إليهم الروم وقد اجتمعوا وحشدوا وتصافّوا مرة ثانية ، فانهزم المسلمون أيضاً وقتل منهم نحو ألف قتيل ، وعادوا إلى معسكرهم وخندقوا عليهم فحصرهم الروم ، ودام القتال بينهم ، فضاقت الأقوات على المسلمين ، فعزموا على بيات الروم ، فعلموا بهم ، ففارقوا الخيم وكانوا بالقرب منها ، فلما خرج المسلمون لم يَرَوْا أحداً ، وأقبل عليهم الروم من كل ناحية، فأكثروا

القتل فيهم وانهزم الباقون فدخلواميناو ، ودام الحصار عليهم حتى أكلوا الدوابّ والكلاب ، فلما سمع مَنْ في مدينة جرجنت من المسلمين ما هم عليه هدموا المدينة ، وساروا إلى مازر ، ولم يقدروا على نصرة إخوانهم .

ودام الحال كذلك إلى أن دخلت سنة أربع عشرة ومائتين ، وقد أشرف المسلمون على الهلاك ، وإذ قد أقبل أسطول كثير من الأندلس خرجوا غزاة ، ووصل في ذلك الوقت مراكب كثيرة من أفريقية مدداً للمسلمين ، فبلغت عدة الجميع ثلاثمائة مركب، فنزلوا إلى الجزيرة ، فانهزم الروم عن حصار المسلمين وفرج الله عنهم ، وسار المسلمون إلى مدينة بلرم فحصروها ، وضيقوا على من بها ، فطلب صاحبها الأمان لنفسه ولأهله ولماله فأجيب إلى ذلك، وسار في البحر إلى بلاد الروم .

ودخل المسلمون البلد في رجب سنة ست عشرة ومائتين فلم يَرَوْا فيه إلا أقلّ من ثلاثة آلاف إنسان، وكان فيه لما حصروه سبعون ألفاً وماتوا كلهم ، وجرى بين المسلمين أهل أفريقية وأهل الأندلس خلف ونزاع ، ثم اتفقوا وبقي المسلمون إلى سنة تسع عشرة ومائتين .

وسار المسلمون إلى مدينة قصريانة فخرج من فيها من الروم فاقتتلوا أشدَّ قتال ، ففتح الله على المسلمين وانهزم الروم إلى معسكرهم، ثم رجعوا في الربيع فقاتلوهم فنصر المسلمون أيضاً ، ثم ساروا سنة عشرين ومائتين وأمرهم محمد بن عبد الله إلى قصريانة ، فقاتلهم فانهزموا ، وأسرت امرأة لبطريقهم وابنه ، وغنموا ما كان في عسكرهم وعادوا إلى بلرم ، ثم سيَّر محمد بن عبد الله عسكراً إلى ناحية طبرمين عليهم محمد بن سالم ، فغنم غنائم كثيرة ، ثم عدا عليه بعض عسكره فقتلوه ولحقوا بالروم ، فأرسل زيادة الله من أفريقية الفضل بن يعقوب عوضاً منه ، فسار في سرية إلى ناحية سرقوسة ، فأصابوا غنائم كثيرة وعادوا .

ثم سارت سرية كبيرة فغنمت وعادت فعرض لهم البطريق ملك الروم بصقلية وجمع كثير فتحصنوا من الروم في أرض وعرة وشجر كثيف ، فلم يتمكن من قتالهم ووافقهم إلى العصر ، فلما رأى أنهم لا يقاتلونهم عاد عنهم ، فتفرق أصحابه وتركوا التعبية ، فلما رأى المسلمون ذلك حملوا عليهم حملة صادقة ، فانهزم الروم ، وطعن البطريق ، وجرح عدة جراحات ، وسقط عن فرسه ، فأتاه حماة أصحابه واستنقذوه

جريحاً ، وحملوه، وغنم المسلمون ما معهم من سلاح ، ومتاع ، ودوابّ ، فكانت وقعة عظيمة .

وسيَّر زيادة الله من أفريقية إلى صقلية أبا الأغلب إبراهيم بن عبد الله أميراً عليها ، فخرج إليها ، فوصل إليها منتصف رمضان ، فبعث اسطولاً آخر إلى قوصرة فظفر بحراقة فيها رجال من الروم ورجل متنصر من أهل افريقية فأُتِيَ بهم فضرب رقابهم ، وسارت سرية أخرى إلى جبل النار والحصون التي في تلك الناحية، فأحرقوا الزرع وغنموا وأكثروا القتل .

ثم سير أبو الأغلب سنة إحدى وعشرين ومائتين سرية إلى جبل النار أيضاً فغنموا غنائم عظيمة حتى بيع الرقيق بأبخس الأثمان وعادوا سالمين ، وفيها جهز أسطولاً فساروا نحو الجزائر فغنموا غنائم عظيمة ، وفتحوا مدناً ومعاقل وعادوا سالمين ، وفيها سير أبو الأغلب أيضاً سرية ألى قسطلياسة فغنموا وسبوا ، ولقيهم العدو فكانت بينهم حرب استظهر فيها الروم .

وسير سرية إلى مدينة قصريانة فخرج إليهم العدو فاقتتلوا ، فانهزم المسلمون ، وأصيب منهم جماعة .

ثم كانت وقعة أخرى بين الروم والمسلمين فانهزم الروم ، وغنم المسلمون منهم تسعة مراكب كبار برجالها وشلندس ، فلما جاء الشتاء وأظلم الليل رأى رجل من المسلمين غفلة من أهل قصريانة فقرب منه ، ورأى طريقاً فدخل منه ولم يعلم به أحد ، ثم انصرف إلى العسكر فأخبرهم ، فجاؤوا معه ، فدخلوا من ذلك الموضع ، وكبَّرُوا ، وملكوا ربضه ، وتحصن المشركون منهم بحصنه فطلبوا الأمان فأمّنوهم ، وغنم المسلمون غنائم كثيرة وعادوا إلى بلِرم .

وفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين وصل كثير من الروم في البحر إلى صقلية ـ وكان المسلمون قد حاصروا جفلوذي ، وقد طال حصارها ـ فلما وصل الروم رحل المسلمون عنها ، وجرى بينهم وبين الروم الواصلين حروب كثيرة ، ثم وصل الخبر بوفاة زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب أمير أفريقية ، فوهن المسلمون ، ثم تشجعوا ، وضبطوا أنفسهم (سَرقوسة) بسين مفتوحة وقاف وواو وسين ثانية ، (وبَلَرْم) بفتح الباء

الموحدة واللام وتسكين الراء وبعدها ميم ، (وميناو) بميم وياء تحتها نقطتان ونون وبعد الألف واو ، و(جرجنت) بجيم وراء وجيم ثانية مفتوحة وتاء فوقها نقطتان ، (وقصريانة) بالقاف والصاد المهملة والراء والياء تحتها نقطتان ، وبعد الألف نون مشددة وهاء .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة مات محمد بن محمد صاحب أبي السرايا وفيها أصاب أهل خراسان ، واصبهان ، والريّ مجاعة شديدة ، وكثر الموت فيهم .

وحج بالناس هذه السنة إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبد اللهبن عباس .

ثم دخلت سنة اثنتين ومائتين

ذكر بيعة ابراهيم بن المهدي

في هذه السنة بايع أهلُ بغداد إبراهيم بن المهديّ بالخلافة ، ولقبوه المبارك ، وكانت بَيْعَتُهُ أولَ يومٍ من المحرم ، وقيل : خامسه ، وخلعوا المأمون ، وبايعه سائر بني هاشم ، فكان المتولي لأخذ البيعة المطلب بن عبد الله بن مالك ، فكان الذي سعى في هذا الأمر السندي ، وصالح صاحب المصلى ، ونصير الوصيف ، وغيرهم غضباً على المأمون حين أراد إخراج الخلافة من ولد العباس ، ولتركه لباس آبائه من السواد ، فلما فرغ من البيعة وعد الجند رزق ستة أشهر ، ودافعهم بها ، فشغبوا عليه ، فأعطاهم لكل رجل مائتي درهم ، وكتب لبعضهم إلى السواد بقيمة مالهم حنطة وشعيراً، فخرجوا في قبضها ، فانتهبوا الجميع وأخذوا نصيب السلطان وأهل السواد ، واستولى إبراهيم على الكوفة والسواد جميعه وعسكر بالمدائن، واستعمل على الجانب الغربي[١] من بغداد العباس بن موسى الهادي . وعلى الجانب الشرقي[٢] منها إسحاق بن موسى الهادي ، وخرج عليه مهديّ بن علوان الحروري وغلب على طساسيج نهر بوق والراذانين ، فوجه إليه إبراهيم أبا اسحاق بن الرشيد ، وهو المعتصم ، في جماعة من القواد، فلقوه فاقتتلوا ، فطعن رجل من أصحابه ابن الرشيد، فحامى عنه غلام تركيّ يقال له : أشناس، وهزم مهديّ إلى حولايا ، وقيل : كان خروج مهدي سنة ثلاث ومائتين .

---

(١) في الطبري « الجانب الشرقي » .

(٢) في الطبري « الجانب الغربي » .

ذكر استيلاء إبراهيم على قصر ابن هبيرة

وكان بقصر ابن هبيرة حميد بن عبد الحميد عاملاً للحسن بن سهل، ومعه من القواد سعيد بن الساجور، وأبو البط، وغسان بن أبي الفرج، ومحمد بن ابراهيم الأفريقي، وغيرهم فكاتبوا إبراهيم على أن يأخذوا له قصر ابن هبيرة، وكانوا قد تحرفوا[1] عن حميد، وكتبوا إلى الحسن بن سهل يخبرونه أن حميداً يكاتب إبراهيم وكان حميد يكتب فيهم بمثل ذلك، فكتب الحسن إلى حميد يستدعيه إليه، فلم يفعل، خاف أن يسير إليه فيأخذ هؤلاء القواد ماله وعسكره ويسلمونه إلى إبراهيم، فلما ألح الحسن عليه بالكتب سار إليه في ربيع الآخر، وكتب أولئك القواد إلى إبراهيم لينفذ إليهم عيسى بن محمد بن أبي خالد، فوجهه إليهم، فانتهبوا ما في عسكر حميد، فكان مما أخذوا له مائة بدرة وأخذ ابن حميد جواري أبيه، وسار إليه وهو بعسكر الحسن.

ودخل عيسى القصر، وتسلمه لعشر خلون من ربيع الآخر، فقال حميد للحسن: ألم أعلمك؟ لكنك خُدِعْتَ، وعاد إلى الكوفة، فأخذ أمواله، واستعمل عليها العباس بن موسى بن جعفر العلويّ، وأمره أن يدعو لأخيه عليّ بن موسى بعد المأمون، وأعانه بمائة ألف درهم، وقال له: قاتل عن أخيك فإن أهل الكوفة يجيبونك إلى ذلك وأنا معك، فلما كان الليل خرج حميد إلى الحسن، وكان الحسن قد وجه حكيماً الحارثيّ إلى النيل، فسار إليه عيسى بن محمد، فاقتتلوا، فانهزم حكيم، فدخل عيسى النيل، ووجه إبراهيم إلى الكوفة سعيداً، وأبا البط لقتال العباس بن موسى، وكان العباس قد دعا أهل الكوفة، فأجابه بعضهم، وأما الغلاة من الشيعة فإنهم قالوا: ان كنت تدعونا لاخيك وحده فنحن معك، وأما المأمون فلا حاجة لنا فيه، فقال: إنما أدعو للمأمون وبعده لأخي، فقعدوا عنه، فلما أتاه سعيد، وأبو البط، ونزلوا قرية شاهي بعث إليهم العباسُ ابنَ عمه عليّ بن محمد بن جعفر ـ وهو ابن الذي بويع له بمكة ـ وبعث معه جماعة منهم أخو أبي السرايا، فاقتتلوا ساعة، فانهزم عليّ بن محمد العلويّ، وأهل الكوفة، ونزل سعيد وأصحابه الحيرة، وكان

---

(١) في الطبري «وكان قد تباعد ما بينهم وبين حميد».

ذلك ثاني جمادى الأولى ، ثم تقدموا فقاتلوا أهل الكوفة وخرج إلى شيعة بني العباس ومواليهم ، فاقتتلوا إلى الليل ، وكان شعارهم : يا أبا ابراهيم يا منصور ، لا طاعة للمأمون، وعليهم السواد، وعلى أهل الكوفة الخضرة ، فلما كان الغد اقتتلوا ، وكان كل فريق منهم إذا غلب على شيء أحرقه ونهبه ، فلما رأى ذلك رؤساء أهل الكوفة خرجوا إلى السعيد فسألوه الأمان للعباس وأصحابه فأمّنَهُمْ على أن يخرجوا من الكوفة ، فأجابوه إلى ذلك ، ثم أتوا العباس فأعلموه ذلك ، فقبل منهم ، وتحول عن داره ، فشغب أصحاب العباس بن موسى على من بقي من أصحاب سعيد وقاتلوهم ، فانهزم أصحاب سعيد إلى الخندق ، ونهب أصحاب العباس دور عيسى بن موسى وأحرقوا وقتلوا من ظفروا به . فأرسل العباسيون إلى سعيد ـ وهو بالحيرة ـ يخبرونه أن العباس بن موسى قد رجع عن الأمان ، فركب سعيد وأصحابه وأتوا الكوفة عتمة فقتلوا من ظفروا به ممن انتهب ، وأحرقوا ما معهم من النهب ، فمكثوا عامة الليل ، فخرج إليهم رؤساء الكوفة فأعلموهم أن هذا فعل الغوغاء ، وأن العباس لم يرجع عن الأمان فانصرفوا عنه ، فلما كان الغد دخلها سعيد ، وأبو البطّ ونادَوْا بالأمان ولم يعرضوا إلى أحد ، وولَّوْا على الكوفة الفضل بن محمد بن الصباح الكنديّ ، ثم عزلوه لميله إلى أهل بلده ، واستعملوا مكانه غسان بن أبي الفرج ، ثم عزلوه بعد ما قتل أبا عبد الله أخا أبي السرايا ، واستعملوا الهول ابن أخي سعيد ، فلم يزل عليها حتى قدمها حميد بن عبد الحميد فهرب الهول ، وأمر ابراهيم بن المهديّ عيسى بن محمد أن يسير إلى ناحية واسط على طريق النيل ، وأمر ابن عائشة الهاشمي ، ونعيم بن حازم أن يسيرا جميعاً ، ولحق بهما سعيد ، وأبو البط ، والأفريقي ، وعسكروا جميعاً بالصيادة قرب واسط عليهم جميعاً عيسى بن محمد ، فكانوا يركبون ويأتون عسكر الحسن بواسط، فلا يخرج إليهم منهم أحد، وهم متحصنون بالمدينة ، ثم إن الحسن أمر أصحابه بالخروج إليهم فخرجوا إليهم لأربع بقين من رجب ، فاقتتلوا قتالاً شديداً إلى الظهر، وانهزم عيسى وأصحابه حتى بلغوا طرنايا والنيل وغنموا عسكر عيسى وما فيه .

ذكر الظفر بسهل بن سلامة

وفي هذه السنة ظفر إبراهيم بن المهديّ بِسَهْلِ بن سلامة المطوعيّ فحبسه وعاقبه ، وكان سبب ظَفَرِهِ به أن سهلاً ، كان مقيماً ببغداد يدعو إلى الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر ، فاجتمع إليه عامة أهل بغداد ، فلما انهزم عيسى أقبل هو ومن معه نحو سهل بن سلامة لأنه كان يذكرهُم بأقبح أعمالهم ، ويسمِّيهم الفساق، فقاتلوه أياماً حتى صاروا إلى الدروب ، وأعطوا أصحابه الدراهم الكثيرة ، حتى تنحَّوْا عن الدروب ، فأجابوا إلى ذلك ؛ فلما كان السبت لخمس بقين من شعبان قصدوه من كل وجه ، وخذله أهل الدروب لأجل الدراهم التي أخذوها، حتى وصل عيسى وأصحابه إلى منزل سهل ، فاختفى منهم واختلط بالنظارة فلم يروه في منزله، فجعلوا عليه العيون ، فلما كان الليل أخذوه وأتوا به إسحاق بن الهادي ، فكلمه فقال : إنما كانت دعوتي عباسية ، وإنما كنت أدعو إلى العمل بالكتاب والسنة ، وأنا على ما كنت أدعوكم إليه الساعة ، فقالوا له : أخرج إلى الناس ، فقل لهم : إن ما كنت أدعوكم إليه باطل ، فخرج فقال : أيها الناس قد علمتم ما كنت أدعوكم إليه من العمل بالكتاب والسنة ، وأنا أدعوكم إليه الساعة ، فضربوه وقيدوه وشتموه وسيروه إلى إبراهيم بن المهديّ بالمدائن ، فلمادخل عليه كلمه بما كلم به اسحاق بن الهادي ، فضربه وحبسه ، وأظهر أنه قتل خوفاً من الناس لئلا يعلموا مكانه فيخرجوه؛ وكان ما بين خروجه وقبضه اثنا عشر شهراً .

ذكر مسير المأمون إلى العراق وقتل ذي الرياستين

وفي هذه السنة سار المأمون من مرو إلى العراق ، واستخلف على خراسان غسّان بن عُبادة ، وكان سبب مسيره أنَّ عليَّ بن موسى الرضا أخبر المأمون بما الناس فيه من الفتنة والقتال مذ قتل الأمين ، وبما كان الفضل بن سهل يستر عنه من أخبار ، وأن أهل بيته والناس قد نقموا عليه أشياء ، وأنهم يقولون : مسحور مجنون ، وانهم قد بايعوا إبراهيم بن المهديّ بالخلافة ، فقال له المأمون : لم يبايعوه بالخلافة ، وإنما صيروه أميراً يقوم بأمرهم على ما أخبر به الفضل ، فأعلمه أن الفضل قد كذبه ، وأن الحرب قائمة بين الحسن بن سهل وإبراهيم ، والناس ينقمون عليك مكانه ومكان أخيه الفضل ومكاني ومكان بيعتك لي من بعدك ، فقال : ومن يعلم هذا ؟ قال : يحيى بن معاذ ، وعبد العزيز بن عمران ، وغيرهما من وجوه العسكر ، فامر بإدخالهم ، فدخلوا فسألهم عما أخبره به عليّ بن موسى ، ولم يخبروه حتى يجعل لهم الأمان من الفضل أن لا يعرض إليهم فضمن لهم ذلك وكتب لهم خطّه به ، فأخبروه بالبيعة لإبراهيم بن

المهديّ ، وأن أهل بغداد قد سَمُّوهُ الخليفة السنيّ ، وأنهم يتهمون المأمون بالرفض لمكان عليّ بن موسى منه ، وأعلموه بما فيه النـاس وبما مَـوَّه عليه الفَضْـلُ من أمر هَرْثمة ، وأنّ هرثمة إنما جاءه لينصحه فقتله الفضل ، وإن لم يتدارك أمره وإلا خرجت الخلافة من يده ، وأن طاهر بن الحسين قد أبلى في طاعته ما يعلمه فأخرج من الأمر كله وجعل في زاوية من الأرض بالرقة لا يستعان به في شيء حتى ضعف أمره وشغب عليه جنده ، وأنه لو كان ببغداد لضبط الملك ، وأن الدنيا قد تفتقت من أقطارها ، وسألوا المأمون الخروج إلى بغداد ، فإن أهلها لـو رأوك لأطاعـوك ؛ فلما تحقّق ذلـك أمر بالرحيل فعلم الفضل بالحال فبغتهم حتى ضرب بعضهم ، وحبس بعضهم ، ونتف لحىٰ بعضهم ، فقال عليّ بن موسى للمأمون في أمـرهم ، فقال : أنـا أداري ، ثم ارتحل فلما أتى سرخس وثب قوم بالفضل بن سهل فقتلوه في الحمام ، وكـان قتله لليلتين خلتا من شعبان ، وكان الذين قتلوه أربعة نفر أحدهم غالب المسعودي الأسود ، وقسطنطين الرومي ، وفرج الديلمي ، وموفق الصقلبي وكان عمره ستين سنة ، وهربوا فجعل المأمون لمن جاء بهم عشرة آلاف دينار فجاء بهم العباس بن الهيثم الدينوري فقالوا للمأمون : أنت أمرتنا بقتله فأمر بهم فضربت رقابهم .

وقيل : إن المأمون لما سألهم فمنهم من قال : إن علي بن ابي سعيد بن أخت الفضل بن سهل وضعهم عليه ومنهم من أنكر ذلك فقتلهم ، ثم أحضر عبد العزيز بن عمران ، وعلياً ، وموسى وخلقاً فسألهم فانكروا أن يكونوا علموا بشيء من ذلك فلم يقبل منهم وقتلهم وبعث برؤوسهم إلى الحسن بن سهـل وأعلمه مـا دخل عليـه من المصيبة بقتل الفضل وأنه قد صيره مكانه فوصله الخبر في رمضان ، ورحل المأمون إلى العراق فكان ابراهيم بن المهدي ، وعيسى ، وغيرهما بالمدائن ، وكان أبو البط ، وسعيد بالنيل يراوحون القتال ويغادونه ، وكان المطلب بن عبد اللهبن مالك قد عاد من المدائن فاعتل بأنه مريض فاتى بغداد وجعـل يدعـو في السر الى المـأمون على أن المنصور بن المهدي خليفة المأمون ويخلعون ابراهيم فأجابه منصـور بن المهدي ، وخزيمة بن خازم ، وغيرهما من القواد ؛ وكتب المطلب إلى علي بن هشام ، وحميد أن يتقدما فينزل حميد نهر صَرصر وينزل على النهروان ، فلما علم ابراهيم بن المهدي بذلك عاد عن المدائن نحو بغداد فنزل زَنْدَوَرْد منتصف صفر ، وبعث إلى المطلب ،

ومنصور ، وخزيمة يدعوهم فاعتلوا عليه، فلما رأى ذلك بعث عيسى اليهم ، فأما منصور وخزيمة فاعطوا بأيديهما وأما المطلب فمنعه مواليه وأصحابه فنادى منادي ابراهيم من أراد النهب فليأت دار المطلب ، فلما كان وقت الظهر وصلوا الى داره فنهبوها ونهبوا دور أهله ولم يظفروا به وذلك لثلاث عشرة بقيت من صفر ، فلما بلغ حميداً وعلي بن هشام الخبر أخذ حميد المدائن ونزلها وقطع الجسر وأقاموا بها ، وندم ابراهيم حيث صنع بالمطلب ما صنع ثم لم يظفر به .

ذكر قتل علي بن الحسين الهمداني

في هذه السنة قتل علي بن الحسين الهمداني وأخوه أحمد وجماعة من أهل بيته وكان متغلباً على الموصل .

وسبب قتله أنه خرج ومعه جماعة من قومه ومن الأزد فلما نظر إلى رستاق نينوى والمرج قال : نعم البلاد لإنسان واحد . فقال بعض الأزد : فما نصنع نحن ؟ قال: تلحقون بعُمان فانتشر الخبر،ثم إن علياً أخذ رجلاً من الأزد يقال له : عون بن جبلة فبنىٰ عليه حائطاً فمات فيه وظهر خبره فركبت الأزد وعليهم السيد بن أنس فاقتتلوا ، واستنصر علي بن الحسين بخارجي يقال له : مهدي بن علوان فأتاه فدخل البلد وصلى بالناس ودعا لنفسه واشتدت الحرب وكانت أخيراً على علي بن الحسين وأصحابه فخرجوا عن البلد إلى الحديثة فتبعهم الأزد إليها فقتلوا علياً وأخاه أحمد وجماعة من أهلهما وسار أخوهما محمد إلى بغداد فنجا ، وعادت الازد إلى الموصل وغلب السيد عليها وخطب للمأمون وأطاعه ،(الهمداني) ههنا نسبة إلى همدان بسكون الميم وبالدال المهملة وهي قبيلة من اليمن .

ذكر عدة حوادث

وفيها تزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل . وفيها أيضاً زوج المأمون ابنته أم حبيب من علي بن موسى الرضا وزوج ابنته أم الفضل من محمد بن علي الرضا بن موسى .

وحج بالناس هذه السنة ابراهيم بن موسى بن جعفر ودعا لأخيه بعد المأمون بولاية العهد ومضى إلى اليمن وكان حمدويه بن علي بن عيسى بن ماهان قد غلب على

اليمن ، وفيها في ربيع الآخر ظهرت حمرة في السماء ليلة السبت رابع عشر ربيع الآخر وبقيت إلى آخر الليل وذهبت الحمرة وبقي عمودان أحمران إلى الصبح ، وفيها توفي أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي اليزيدي المقرىء صاحب أبي عمرو بن العلاء ، وإنما قيل له : اليزيدي لأنه صحب يزيد بن منصور خال المهدي وكان يعلم ولده ، وفيها توفي والد ذي الرياستين بعد قتل ابنه بستة أشهر وعاشت أمه حتى أدركت عرس بوران ابنة ابنها .

ثم دخلت سنة ثلاث ومائتين

ذكر موت علي بن موسى الرضا

في هذه السنة مات علي بن موسى الرضا عليه السلام ، وكان سبب موته أنه أكل عنباً فأكثر منه فمات فجأة وذلك في آخر صفر ، وكان موته بمدينة طوس فصلى المأمون عليه ودفنه عند قبر أبيه الرشيد ، وكان المأمون لما قدمها قد أقام عند قبر أبيه .

وقيل : إن المأمون سمّه في عنب وكان علي يحب العنب وهذا عندي بعيد ، فلما توفي كتب المأمون إلى الحسن بن سهل يعلمه موت علي وما دخل عليه من المصيبة بموته وكتب إلى أهل بغداد ، وبني العباس ، والموالي يعلمهم موته وأنهم إنما نقموا ببيعته وقد مات ويسألهم الدخول في طاعته فكتبوا إليه أغلظ جواب ، وكان مولد علي بن موسى بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة .

ذكر قبض ابراهيم بن المهدي على عيسى بن محمد

وفي هذه السنة في آخر شوال حبس ابراهيم بن المهدي عيسى بن محمد بن أبي خالد ، وسبب ذلك أن عيسى كان يكاتب حميداً ، والحسن بن سهل وكان يظهر لإبراهيم الطاعة ، وكان كلما قال له ابراهيم ليخرج إلى قتال أحمد يعتذر بأن الجند يريدون أرزاقهم ومرة يقول : حتى تدرك الغلة ، فلما توثق عيسى بما يريد فارقهم على أن يدفع إليهم إبراهيم بن المهدي يوم الجمعة سلخ شوّال ، وبلغ الخبر ابراهيم أبلغه هارون بن محمد أخو عيسى ، وجاء عيسى الى باب الجسر فقال للناس : إني قد سألت حميداً أن لا يدخل عملي ولا أدخل عمله ثم أمر بحفر خندق بباب الجسر وباب الشام ، وبلغ ابراهيم قوله وفعله ـ وكان عيسى قد سأله إبراهيم أن يصلي الجمعة بالمدينة فأجابه إلى ذلك ـ فلما تكلم عيسى بما تكلم حذر ابراهيم وأرسل إلى عيسى

يستدعيه فاعتل عليه فتابع الرسل بذلك فحضر عنده بالرصافة فلما دخل عليه عاتبه ساعة وعيسى يعتذر إليه وينكر بعضه فأمر به إبراهيم فضرب وحبس؛ وأخذ عدة من قواده وأهله فحبسهم ونجا بعضهم وفيمن نجا خليفته العباس ، ومشى بعض أهله إلى بعض وحرضوا الناس على إبراهيم وكان أشدهم العباس خليفة عيسى ـ وكان هو رأسهم ـ فاجتمعوا وطردوا عامل ابراهيم على الجسر ، والكرخ وغيره، وظهر الفساق والشطار وكتب العباس الى حميد يسأله أن يقدم عليهم حتى يسلموا إليه بغداد.

ذكر خلع ابراهيم بن المهدي

وفي هذه السنة خلع أهل بغداد ابراهيم بن المهدي ، وكان سبب ذلك ما ذكرنا من قبضه على عيسى بن محمد على ما تقدم ، فلما كاتب أصحابه ـ ومنهم العباس ـ حميداً بالقدوم عليهم سار حتى أتى نهر صَرصَر فنزل عنده وخرج إليه العباس وقواد أهل بغداد فلقوه ، وكانوا قد شَرَطوا عليه أن يعطي كل جندي خمسين درهماً فأجابهم إلى ذلك ، ووعدهم أن يصنع لهم العطاء يوم السبت في الياسِريَّة على أن يدعوا للمأمون بالخلافة يوم الجمعة ويخلعوا إبراهيم فأجابوه إلى ذلك ، ولما بلغ ابراهيم الخبر أخرج عيسى ومن معه من أخوته من الحبس وسأله أن يرجع إلى منزله ويكفيه أمر هذا الجانب فأبى عليه .

فلما كان يوم الجمعة احضر العباس بن محمد بن أبي رجاء الفقيه فصلى بالناس الجمعة ودعا للمأمون بالخلافة ، وجاء حميد إلى الياسرية فعرض جند بغداد وأعطاهم الخمسين التي وعدهم فسألوه أن ينقصهم عشرة عشرة لما تشاءموا به من علي بن هشام حين أعطاهم الخمسين وقطع العطاء عنهم فقال حميد : بل أزيدكم عشرة وأعطيكم ستين درهماً لكل رجل ، فلما بلغ ذلك ابراهيم دعا عيسى وسأله أن يقاتل حميداً فأجابه إلى ذلك فخلى سبيله وأخذ منه كفلاء ، وكلم عيسى الجند ووعدهم أن يعطيهم مثل ما أعطاهم حميد فأبوا ذلك عليه فعبر إليهم عيسى وقواد الجانب الشرقي ووعد أولئك الجند أن يزيدهم على الستين فشتموه وأصحابه وقالوا : لا نريد بإبراهيم فقاتلهم ساعة ثم ألقى نفسه في وسطهم حتى أخذوه شبه الأسير فأخذه بعض قواده فأتى به منزله ، ورجع الباقون الى ابراهيم فأخبروه الخبر فاغتم لذلك ، وكان المطلب بن عبد الله بن مالك قد اختفى من ابراهيم كما ذكرنا فلما قدم حميد أراد العبور إليه فعلموا به فأخذوه

وأحصروه عند ابراهيم فحبسه ثلاثة أيام ثم خلىٰ عنه لليلة خلت من ذي الحجة .

ذكر اختفاء ابراهيم بن المهدي

وفي هذه السنة اختفى ابراهيم بن المهدي ، وكان سبب ذلك أن حميداً تحول فنزل عند ارحاء عبد الله بن مالك فلما رأى أصحاب ابراهيم وقواده ذلك تسللوا إليه فصار عامتهم عنده وأخذوا له المدائن ، فلما رأى ابراهيم فعلهم أخرج جميع من بقي عنده حتى يقاتلوا فالتقوا على جسر نهر ديالىٰ فاقتتلوا فهزمهم حميد وتبعهم أصحابه حتى دخلوا بغداد وذلك سلخ ذي القعدة ، فلما كان الأضحى اختفى الفضل بن الربيع ثم تحول إلى حميد وجعل الهاشميون والقواد يأتون حميداً واحداً بعد واحد ، فلما رأى ذلك ابراهيم سقط في يديه وشقّ عليه ، وكاتب المطلب حميداً ليسلم إليه ذلك الجانب وكان سعيد بن الساجور ، وأبو البط ، وغيرهما يكاتبون علي بن هشام على أن يأخذوا له ابراهيم ، فلما علم ابراهيم بأمرهم وما اجتمع عليـه كل قـوم من أصحابـه جعل يداريهم فلما جَنَّهُ الليل اختفى ليلة الأربعاء لثلاث عشرة بقيت من ذي الحجة .

وبعث المطلب إلى حميد يعلمه أنه قد أحدَقَ بدارِ ابراهيم وكتب ابن الساجور إلى علي بن هشام ، فركب حميد من ساعته من أرحاء عبد الله فأتى باب الجسر وجاء علي بن هشام حتى نزل نهر بَيْن ثم تقدم إلى مسجد كَوْثر، وأقبل حميد إلى دار ابراهيم فطلبوه فلم يجدوه فيها فلم يزل ابراهيم متوارياً حتى جاء المأمون وبعد ما قدم حتى كان من أمره ما كان ، وكانت أيام ابراهيم سنة واحد عشر شهراً واثني عشر يوماً ، وكان بعده علي بن هشام على شرقي بغداد وحميد على غربيها ، وكان ابراهيم قد أطلق سهل بن سلامة من الحبس ـ وكان الناس يظنونه قد قتل ـ فكان يدعو في مسجد الرصافة الى ما كان عليه فإذا جاء الليل يرد إلى حبسه ثم إنه أطلقه وخلى سبيله لليلة خلت من ذي الحجة فذهب فاختفى ثم ظهر بعد هرب ابراهيم فقربه حميد وأحسن إليه ورده إلى أهله فلما جاء المأمون أجازه ووصله .

ذكرة عدة حوادث

في هذه السنة انكسفت الشمس لليلتين بقيتا من ذي الحجة حتى ذهب ضوءها وغاب أكثر من ثلثيها ، ووصل المأمون إلى همذان في آخر ذي الحجة ، وحج بالناس

سليمان بن عبد الله بن سليمان بن علي ، وكانت بخراسان زلازل عظيمة ودامت مقدار سبعين يوماً وكان معظمها ببلخ والجوزجان والفارياب والطالقان وما وراء النهرَ فخرِبت البلاد وتهدمت الدور وهلكَ فيها خلقٌ كثير . وفيها غلبت السوداء على الحسن بن سهل فتغير عقله حتى شُدّ في الحديد وحُبس وكتب القواد الى المأمون بذلكَ فجعل على عسكره دينار بن عبد الله وأرسل إليهم يعرفهم أنه واصل . وفيها ظهر بالأندلس رجل يعرف بالولد وخالف على صاحبها فسير إليه جيشاً فحصروه بمدينة باجة وكان استولى عليها فضيقوا عليه فملكوها وقيد ؛ وفيها ولي أسد بن الفرات الفقيه القضاء بالقيروان ؛ وفيها توفي محمد بن جعفر الصادق بجرجان وصلى عليه المأمون ـ وهو الذي بايعه الناس بالخلافة بالحجاز ، وفيها توفي خزيمة بن خازم التميمي في شعبان وهو من القواد المشهورين وقد تقدم من أخباره ما يعرف به محله ، ويحيى بن آدم بن سليمان وأبو أحمد الزبيري ومحمد بن بشير العبدي الفقيه بالكوفة والنضر بن شميل اللغوي المحدث وكان ثقة .

ثم دخلت سنة أربع ومائتين

ذكر قدوم المأمون بغداد

في هذه السنة قدم المأمون بغداد وانقطعت الفتن ، وكان قد أقام بجرجان شهراً وجعل يقيم بالمنزل اليوم واليومين والثلاثة ، وأقام بالنهروان ثمانية أيام فخرج إليه أهل بيته والقواد ووجوه الناس وسلموا عليه ، وكان قد كتب إلى طاهر ـ وهو بالرقة ـ ليوافيه بالنهروان فأتاه بها ، ودخل بغداد منتصف صفر ولباسه ولباس أصحابه الخضرة ، فلما قدم بغداد نزل الرصافة ثم تحول ونزل قصره على شاطىء دجلة وأمر القواد أن يقيموا في معسكرهم وكان الناس يدخلون عليه في الثياب الخضر وكانوا يخرقون كل ملبوس يرونه من السواد على انسان ، فمكثوا بذلك ثمانية أيام فتكلم بنو العباس وقواد أهل خراسان ، وقيل : إنه أمر طاهر بن الحسين أن يسأله حوائجه فكان أول حاجة سأله أن يلبس السواد فأجابه إلى ذلك وجلس للناس وأحضر سواداً فلبِسَهُ ودعا بخلعة سوداء فألبسها طاهراً وخلع على قواده السواد فعاد الناس إليه وذلك لسبع بقين من صفر ، ولما كان سائراً قال له احمد بن أبي خالد الأحول : يا أمير المؤمنين فكرت في هجومنا على أهل بغداد وليس معنا إلا خمسون ألف درهمٍ مع فتنة غلبت قلوب الناس فكيف يكون حالنا إذا هاج هائج أو تحرك متحرك ؟ فقال : يا أحمد صدقت ، ولكن أُخبرك أن الناس على طبقاتٍ ثلاث في هذه المدينة ظالمٌ ومظلوم ، ولا ظالم ولا مظلوم . فأما الظالم فلا يتوقع إلا عفونا ، وأما المظلوم فلا يتوقع إلا أن ينتصف بنا وأما الذي ليس بظالم ولا مظلوم فبيته يسعه وكان الأمر على ما قال .

ذكر عدة حوادث

وفيها أمر المأمون بمقاسمة أهل السواد على الخمسين وكانوا يقاسمون على

النصف ، واتخذ القفيز الملحم[١] وهو عشرة مكاكيك بالمكوك الهاروني كيلاً مرسلاً ، وفيها واقع يحيى بن معاذ بابك فلم يظفر واحد منهما بصاحبه ، وولى المأمون أبا عيسى أخاه الكوفة ، وصالحاً أخاه البصرة ، واستعمل عبيد الله بن الحسين[٢] بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب الحرمين ، وحج بالناس عبيد الله ؛ وفيها انحدر السيد بن أنس الأزدي من الموصل إلى المأمون فتظلم منه محمد بن الحسن بن صالح الهمداني وذكر أنه قتل إخوته وأهل بيته فأحضره المأمون فلما حضر قال : أنت السيد ؟ قال: أنت السيد يا أمير المؤمنينَ وأنا ابن أنس فاستحسن ذلك فقال : أنت قتلت إخوة هذا ؟ قال : نعم ، ولو كان معهم لقتلته لأنهم ادخلوا الخارجي بلدك وأعلوه على منبرك وأبطلوا دعوتك فعفا عنه واستعمله على الموصل ، وكان على القضاء بها الحسن بن موسى الأشيب .

وفي هذه السنة مات الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه وكان مولده سنة خمسين ومائة ، والحسن بن زياد اللؤلؤي الفقيه أحد أصحاب أبي حنيفة ، وأبو داود سليمان بن داود الطيالسي صاحب المسند ومولده سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وهشام بن محمد السائب الكلبي النسّابة ، وقيل : مات سنة ست ومائتين ، وفيها توفي محمد بن عبيد بن أبي أمية المعروف بالطنافسي ، وقيل : سنة خمس ومائتين .

---

(١) في الطبري « الملجم » بالجيم وكذا في النجوم الزاهرة .

(٢) في الطبري « الحسن » .

ثم دخلت سنة خمس ومائتين

ذكر ولاية طاهر خراسان

وفي هذه السنة استعمل المأمون طاهرَ بن الحسين علىٰ المشرق من مدينة السلام الى أقصىٰ عمل المشرق وكان قبل ذلك يتولى الشرط بجانبي بغداد ومعاون السواد .

وكان سبب ولايته خراسان أن طاهراً دخل على المأمون وهو يشرب النبيذ وحسين الخادم يسقيه فلما دخل طاهر سقاه رطلين وأمره بالجلوس فقال : ليس لصاحب الشرطة أن يجلس عند سيده فقال المأمون : ذلك في مجلس العامة وأما في مجلس الخاصة فله ذلك فبكى المأمون وتغرغرت عيناه بالدموع فقال طاهر : يا أمير المؤمنين لم تبكي لا أبكىٰ الله عينك ؟ والله لقد دانت لك البلاد وأذعن لك العباد وصرت إلى المحبة في كل أمرك ، قال : أبكي لأمر ذكره ذل وستره حزن ولن يخلو أحد من شجن ، وانصرف طاهر فدعا هارون بن جيعونة[1] وقال له : إن أهل خراسان يتعصب بعضهم لبعض فخذ معك ثلاثمائة ألف درهم فاعط حسيناً الخادم مائتي ألف وكاتبه محمد بن هارون مائة ألف وسله أن يسأل المأمون لِمَ بكىٰ ؟ ففعل ذلك ، فلما تغدى المأمون قال : آسقني يا حسين فقال : لا والله حتى تقول لي لم بكيت حين دخل عليك طاهر ؟ فقال : وكيف عنيت بهذا الأمر حتى سألتني عنه ؟ فقال : لغمي لذلك ،قال : هو أمر إن خرج من رأسك قتلتك قال : يا سيدي ومتى أخرجت لك سراً ؟ قال : إني ذكرت محمداً أخي وما ناله من الذلّ فخنقتني العبرة فاسترحت إلى الإفاضة ولن يفوت طاهراً مني ما يكره ، فأخبر حسين طاهراً بذلك فركب طاهر إلى أحمد بن أبي خالد فقال له : إن الثناء مني ليس

---

(١) في الطبري « جغويه » .

برخيص وإن المعروف عندي ليس بضائع فغيبني عن عينه فقال له : سأفعل ذلك ، وركب أحمد إلى المأمون فلما دخل عليه قال له : ما نمتُ البارحة قال : ولم ؟ قال : لأنك وليت غسان خراسان وهو ومن معه أكلة رأس وأخاف أن تخرج عليه خارجة من الترك فتهلكه فقال : لقد فكرت فيما فكرت فيه فمن ترى ؟ قال: طاهر بن الحسين قال: ويلك هو والله خالع ، قال: أنا الضامن له ، قال: فَوَلِّهِ فدعا طاهراً من ساعته فعقد له فشخص في يومه فنزل طاهر البلد فأقام شهراً فحمل إليه عشرة آلاف ألف درهم التي تحمل لصاحب خراسان وسار عن بغداد لليلة بقيت من ذي القعدة .

وقيل : كان سبب ولايته أن عبد الرحمن المطوعي جمع جموعاً كثيرة بنيسابور ليقاتل بهم الحرورية بغير أمرِ والي خراسان فتخوفوا أن يكون ذلك لأصل عمل عليه ، وكان غسان بن عباد يتولى خراسان من قبل الحسن بن سهل ـ وهو ابن عمه ـ فلما استعمل طاهر على خراسان كان صارماً للحسن بن سهل ، وسبب ذلك أن الحسن ندبهُ لمحاربة نصر بن شبث فقال : حاربت خليفة وسقت الخلافة الى خليفة وأؤمر بمثل هذا إنما كان ينبغي أن يتوجه إليه قائد من قوادي وصارمه .

ذكر عدة حوادث

وفيها قدم عبد الله بن طاهر بن الحسين بغداد من الرقة ، وكان أبوه استخلفه بها وأمره بقتال نصر بن شَبَث فلما قدم إلى بغداد جعله المأمون على الشرطة بعد مسير أبيه ، وولى المأمون يحيى بن معاذ الجزيرة ، وولى عيسى بن محمد بن أبي خالد أرمينية ، وأذربيجان ومحاربة بابك ، وفيها مات السري بن الحكم بمصر وكان واليها ، وفيها مات داود بن يزيد عامل السند فولاها المأمون بشير[1] بن داود على أن يحمل كل سنة ألف ألف درهم ، وفيها ولى المأمون عيسى بن يزيد الجلوذي[2] محاربة الزط ، وحج بالناس عبيدالله بن الحسن أمير مكة ، والمدينة ، وفيها زادت دجلة زيادة عظيمة فتهدمت المنازل ببغداد وكثر الخراب بها .

وفي هذه السنة توفي يزيد بن هارون الواسطي ومولده سنة تسع عشرة ومائة ،

---

(١) في الطبري « بشر » بدون ياء مثناة من تحت .

(٢) في الطبري « الجلودي » بالدال المهملة .

والحجاج بن محمد الأعور الفقية ، وشبابة بن سوار الفزاري الفقيه ، وعبد اللهبن نافع الصائغ ، ومُحاضر بن الموزع ، وأبو يحيى ابراهيم بن موسى الزيات الموصلي سمع هشام بن عروة وغيره .

ثم دخلت سنة ست ومائتين

ذكر ولاية عبد الله بن طاهر الرقة

وفي هذه السنة ولى المأمون عبد اللهبن طاهر من الرقة الى مصر وأمره بحربِ نَصر بن شَبَث ، وكان سبب ذلك أن يحيى بن معاذ الذي كان المأمون ولّاه الجزيرة مات في هذه السنة واستخلف ابنه أحمد ، فاستعمل المأمون عبد الله مكانه ، فلما أراد توليته أحضره وقال له : يا عبد الله استخيرُ الله تعالى منذ شهر وأكثر وأرجو أن يكون قد خارَ لي ورأيتُ الرجلَ يصف ابنه لرأيه فيه[١] ورأيتك فوق ما قال أبوك فيك وقد مات يحيى واستخلف ابنه[٢] وليس بشيء ، وقد رأيت توليتك مصر[٣] ومحاربة نصر بن شبث . فقال : السمع والطاعة وأرجو أن يجعل الله لِأمير المؤمنين الخيرة وللمسلمين[٤] فعقد له ، وقيل : وكانت ولايته سنة خمس ومائتين ، وقيل : سبع ومائتين ، ولما سار استخلف على الشرطة إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب وهو ابن عمه .

ولما استعمله المأمون كتب إليه أبوه طاهر كتاباً[٥] جمع فيه كل ما يحتاج إليه الأمراء من الآداب والسياسة وغير ذلك ، وقد أثبت منه أحسنه لما فيه من الآداب والحث على مكارم الأخلاق ومحاسن الشِّيَمِ لأنه لا يستغني عنه أحد من ملك وسوقة وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له ، وخشيته ومراقبته عَز وجَل ، ومزايلة سخطه ، وحفظ رعيتك في الليل والنهار، والزم ما ألبسك

---

(١) في الطبري « ليطريه لرأيه فيه » .

(٢) هو أحمد بن يحيى .

(٣) في الطبري « مضر » بالضاد المعجمة .

(٤) في الطبري « لأمير المؤمنين وللمسلمين » .

(٥) جاء تفصيله في الطبري أكثر مما عليه هنا .

الله من العافية بالذكر لمعادك وما أنت سائر إليه وموقوف عليه ومسؤول عنه ، والعمل في ذلك كله بما يَعصمكَ الله عز وجل ويُنجيكَ يوم القيامة من عقابه وأليم عذابه . فإن الله سبحانه وتعالى قد أحسن إليك وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من عباده وألزمكَ العدل عليهم والقيام بحقه وحدوده فيهم والذبِّ عنهم والدفع عن حريمهم وبيضتهم والحقن لدمائهم والأمن لسبيلهم وإدخال الراحة عليهم في معايشهم ومؤاخِذُكَ بما فرض عليك وموقفك عليه ومُسائلُكَ عنه ومُثيبَك عليه بما قَدمتَ وأخرتَ ، ففرِّغْ لذلك فهمك وعقلك ونظرك ولا يشغلك عنه شاغل ، وأنه رأس أمرك وملاك شأنك وأول ما يوفقك الله عز وجل به لرشدك .

وليكن أول ما تُلزم به نفسكَ وتنسِب إليه أفعالكَ المواظبةُ على ما افترض الله عز وجل عليكَ من الصلواتِ الخمس والجماعة عليها بالناس فأتِ بها في مواقيتها على سننها وفي اسباغ الوضوء لها ، وافتتاح ذكر الله عز وجل فيها وترَتَّل في قراءتك وتمكنْ في ركوعك وسجودك وتشهدك وليصدق فيه رأيك ونيتك[١] واحضض عليها جماعة من معك وتحت يدكَ وادأب عليها فإنها كما قال الله عز وجل : ﴿ ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾[٢] ، ثم أتبع ذلك بالأخذ بسنن رسول الله ﷺ والمثابرة على خلافته[٣] واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده ، وإذا ورد عليك أمرٌ فاستعنْ عليه باستخارة الله عز وجل وتقواه ولزوم ما أنزل الله عز وجل في كتابه من أمره ونهيه وحلاله وحرامه وائتمام ما جاءت به الآثار عن رسول الله ﷺ ثم قم فيه بما يحق لله عزّ وجل عليك ، ولا تملْ من العدل فيما أحببتَ أو كرهتَ لقريب من الناس أو بعيد .

وآثِر الفقه وأهله والدين وحَمَلتهُ وكتاب الله عز وجل والعاملين به فإن أفضل ما تزين به المرء الفقهُ في الدين والطلب له والحث عليه والمعرفة بما يتقرب به إلى الله عز وجل فإنه الدليل على الخير كله والقائد له والآمر به والناهي عن المعاصي والموبقات كلها ومع توفيق الله عز وجل يزداد العبد معرفة لله عز وجل واجلالاً له ودركاً للدرجات العُلا في المعاد مع ما في ظهوره للناس من التوقير لأمرك والهيبة لسلطانك والأنسة بك والثقة بعدلك ، وعليك بالاقتصاد في الأمور كلها فليس شيء أبين نفعاً ولا

---

(١) في الطبري « ولتصدق فيها لربك نيتك » .

(٢) سورة العنكبوت ٤٥ .

(٣) في الطبري « خلائقه » .

أخص[١] أمناً ولا أجمع فضلاً منه ، والقصد داعية الى الرشد ، والرشد دليل على التوفيق ، والتوفيق قائد الى السعادة وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد وآثره في دنياك كلها ولا تقصر في طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة والسنن المعروفة ومعالم الرشد ، ولا غاية للاستكثار في البر والسعي له إذ كان يطلب به وجه الله تعالى ومرضاته ومرافقة أوليائه في دار كرامته .

واعلم أن القصد في شأن الدنيا يورث العزَّ ويحصن من الذنوب وأنه لن تحوط لنفسك ومن يليك ولا تستصلح أمورك بأفضل منه فأته واهتد به تتم أمورك وتزد مقدرتك وتصلح خاصتك وعامتك ، وأحسن الظن بالله عز وجل تستقيم لك رعيتك ، والتمس الوسيلة إليه في الأمور كلها تستدم به النعمة عليك ، ولا تتهمنَّ أحداً من الناس فيما توليه من عملك قبل أن تكشف أمره فإن ايقاع التهم بالبداء[٢] والظنون السيئة بهم مأثم ، فاجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك واطرد عنك سوء الظن بهم وارفضه فيهم يغنك[٣] ذلك عن اصطناعهم ، ورياضتهم ، ولا يجدن عدو الله الشيطان في أمرك مغمزا فإنه إنما يكتفي بالقليل من وهنك ويدخل عليك من الغم في سوء الظن ما ينغصك لذاذة عيشك .

واعلم أنك تجد بحسن الظن قوة وراحة وتكتفي به ما أحببت كفايته من أمورك وتدعو به الناس إلى محبتك والاستقامة في الأمور كلها لك ، ولا يمنعنك حسن الظن بأصحابك والرأفة برعيتك أن تستعمل المسألة والبحث عن أمورك ، ولتكن المباشرة لأمور الأولياء والحياطة للرعية والنظر فيما يقيمها ويصلحها والنظر في حوائجهم وحمل مؤوناتهم آثر عندك مما سوى ذلك فإنه أقوم للدين وأحيا للسنة ، وأخلص نيتك في جميع هذا وتفرد بتقويم نفسك تفرد من يعلم أنه مسؤول عما صنع ومجزى بما أحسن ومأخوذ بما أساء فإن الله عز وجل جعل الدين حرزاً وعزاً ورفع من اتبعه وعززه ، فاسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقة الهدى، وأقم حدود الله عز وجل في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ولا تعطل ذلك ولا تهاون به ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة

---

(١) في الطبري « ولا أحضر أمناً » .

(٢) في الطبري « بالبراء » .

(٣) في الطبري « يعنك » .

فإن في تفريطك في ذلك ما يفسد عليك حسن ظنك ، واعتزمْ على أمرِك في ذلك بالسنن المعروفة وجانب البدع والشبهات يسلم لك دينك وتقم لك مروءتك ، وإذا عاهدت عهدا فَفِ به وإذا وعدت خيراً فأنجزه واقبل الحسنة وادفع بها وأغمض عن عيب كل ذي عيب من رعيتك واشدد لسانك عن قول الكذب والزور وأبغض أهله ، وأقص أهل النميمة فإن أول فساد أمورك في عاجلها وآجلها تقريب الكذوب والجراءة على الكذب لأن الكذب رأس المآثم والزور والنميمة خاتمتها لان النميمة لا يسلم صاحبها وقائلها ولا يسلم له صاحب ولا يستتم لمطيعها أمر ، وأحب أهل الصلاح والصدق وأعن الاشراف بالحق ، وواسِ الضعفاء وصل الرحم وابتغ بذلك وجه الله تعالى واعزاز أمره والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة ، واجتنب سوء الأهواء والجور ، واصرفْ عنهما رأيك وأظهرْ براءتك في ذلك رعيتك وانعم بالعدل سياستهم وقُمْ بالحق فيهم وبالمعرفة التي تنتهي بك إلى سبيل الهدى .

واملك نفسك عند الغضب وآثر الوقار والحلم وإياك والحِدّة والطيرة والغرور فيما أنت بسبيله ، وإياك أن تقول : أنا مسلط أفعل ما أشاء فان ذلك سريع إلى نقص الرأي وقلة اليقين بالله عز وجل، واخلص لله وحده لا شريك له النية فيه واليقين به، واعلم أن الملك لله سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء ، ولن تجد تغير النعمة وحلول النقمة إلى أحد أسرع منه إلى حملة النعمة من أصحاب السلطان والمبسوط لهم في الدولة إذا كفروا نعم الله عز وجل واحسانه واستطالوا بما آتاهم الله عز وجل من فضله ، ودعْ عنك شره نفسك ولتكن ذخائرك وكنوزك التي تدخر وتكنز البر والتقوى والمعدلة واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم والتفقد لامورهم والحفظ لدهمائهم ، والإغاثة لملهوفهم ، واعلم أن الأموال إذا كثرت وذخرت في الخزائن لا تنمو ، وإذا كانت في صلاح الرعية واعطاء حقوقهم وكفِّ مؤنةٍ عنهم رَبَتْ وزَكَتْ ونَمَتْ وصلحت به العامة وتزينت به الولاية وطاب به الزمان واعتقد فيه العز والمنعة . فليكن كنز خزائنك تفريق الأموال في عمارة الاسلام وأهله ووفر منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم وأوف رعيتك من ذلك حصصهم وتعهد ما يصلح أمورهم ومعاشهم فإنك إذا فعلت ذلك قرت النعمة عليك واستوجبت المزيد من الله عز وجل وكنت بذلك على جباية خراجك ، وجمع أموال رعيتك وعملك أقدر وكان الجميع لما شملهم من عدلك واحسانك أسلس لطاعتك واطيب نفساً بكل ما أردت .

واجهد نفسك فيما حددت لك في هذا الباب ولتعظم حسنتك[١] فيه وإنما يبقى من المال ما أنفق في سبيل الله واعرف للشاكرين شكرهم وأثبهم عليه . وإياك أن تنسيك الدنيا وغرورها هول الآخرة فتتهاون بما يحق عليك فإن التهاون يورث التفريط والتفريط يورث البوار .

وليكن عملك لله عز وجل وارج الثواب فيه فإن الله سبحانه قد اسبغ عليك نعمته واسبغ لديك فضله ، واعتصم بالشكر وعليه فاعتمد يزدك الله خيراً واحساناً فإن الله عز وجل يثيب بقدر شكر الشاكرين وسيرة المحسنين ، ولا تُحقرنَّ ذنباً ولا تمالِئَنَّ حاسداً ولا ترحمنَّ فاجراً ولا تصلَنَّ كفوراً ولا تداهنَنَّ عدواً ولا تصدقنَّ نماماً ، ولا تأمَنَنَّ غداراً ، ولا توالينَّ فاسقاً ولا تبتغينَّ عادياً[٢] ، ولا تحمدنَّ مرائياً ولا تحقرنَّ انساناً ولا تردنَّ سائلاً فقيراً ولا تحبنَّ باطلاً ، ولا تُلاحظنَّ مضحكاً ، ولا تخلفنَّ وعداً ، ولا تُرهقنَّ هجراً ولا تركبنَّ سفهاً ولا تظهرنَّ غضباً ولا تأسنَّ مدحاً ولا تمشينَّ مرحاً ولا تفرطنَّ في طلب الآخرة ولا تدفع الأنام عتاباً[٣] ولا تغمضنَّ عن ظالم رهبة منه أو محاباة ولا تطلبنَّ ثوابَ الآخرة في الدنيا .

وأكثر مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم وخذْ عن أهل التجارب وذوي العقل والرأي والحكمة ، ولا تدخلنَّ في مشورتك أهل الذمة[٤] والنحل ولا تسمعن لهم قولاً فإن ضررهم أكثر من منفعتهم، وليس شيء أسرع فساداً لما استقبلت فيه أمر رعيتك من الشح ، واعلم أنك إذا كنت حريصاً كنت كثير الأخذ قليل العطية وإذا كنت كذلك لم يستقمْ لك أمرك إلا قليلاً فإن رعيتك إنما تعقد على محبتك بالكفِّ عن أموالهم وترك الجور عليهم ، وابتدىء من صفا لك من أوليائك بالإفضال عليهم وحسن العطية لهم واجتنب الشح واعلم أنه أول ما عصى الانسان به ربه ، وأن العاصي بمنزلة خزي ، وتدبر قول الله عز وجل﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾[٥]

---

(١) في الطبري « حسبتك فيه » .

(٢) في الطبري « ولا تتبعن غاويا » .

(٣) في الطبري « الأيام عيانا » .

(٤) في الطبري « أهل الدقة والبخل » .

(٥) الآية .

واجعل للمسلمين كلهم من بينك[١] حظاً ونصيباً وأيقن أن الجود من أفضل أعمال العباد فاعدده لنفسك خلقاً وسهل طريق الجود بالحق وارض به عملاً ومذهباً .

وتفقد أمور الجند في دواوينهم ومكاتبهم وادرر عليهم أرزاقهم ووسع عليهم في معايشهم يذهب الله عز وجل بذلك فاقتهم فيقوى لك أمرهم وتزيد به قلوبهم في طاعتك وأمرك خلوصاً وانشراحاً ، وحسب ذي السلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته رحمة في عدله وحيطته وإنصافه وعنايته وشفقته وبره وتوسيعه فزايل مكروه إحدى البليتين باستشعار فضيلة[٢] الباب الآخر ولزوم العمل به تَلْقَ ان شاء الله تعالى نجاحاً وصلاحاً وفلاحاً ، واعلم أن القضاء بالعدل من الله تعالى بالمكان الذي ليس يعدل به شيء من الأمور لأنه ميزان الله الذي يعتدل عليه أحوال الناس في الأرض وبإقامة العدل في القضاء والعمل تصلح أحوال الرعية وتأمن السبل وينتصف المظلوم ويأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة ويؤدي حق الطاعة ويرزق الله العافية والسلامة ويقوم الدين وتجري السنن والشرائع على مجاريها ، واشتد في أمر الله عز وجل وتورع عن القصف[٣] وامض لإقامة الحدود واقلل العجلة وابعد عن الضجر والقلق واقنع بالقسم وانتفع بتجربتك وانتبه في صمتك وسدد في منطقك وأنصف الخصم وقف عند الشبهة وأبلغ في الحجة ، ولا يأخذك في أحد من رعيتك محاباة ولا محاماة ولا لوم لائم وتثبت وتأن وراقب وانظر الحق على نفسك ، فتدبر وتفكر واعتبر وتواضع لربك وارأف بجميع الرعية فتسلط[٤] الحق على نفسك ، ولا تسرعن إلى سفك دم فان الدماء من الله عز وجل بمكان عظيم انتهاكاً لها بغير حقها .

وانظر هذا الخراج الذي استقامت عليه الرعية وجعله الله للإسلام عزاً ورفعة ولأهله توسعة ومنعة ولعدوه وعدوهم كبتاً وغيظاً ولأهل الكفر من معانديهم[٥] ذلاً وصغاراً فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم فيه ولا ترفعن منه شيئاً عن

---

(١) في الطبري « من نيتك » .

(٢) في الطبري « تكملة » .

(٣) في الطبري « عن النطف » .

(٤) في الطبري « وسلط » .

(٥) في الطبري « من معاهدتهم » .

شريف لشرفه ولا عن غنّي لغناه ولا عن كاتب ولا عن أحد من خاصتك وحاشيتك ولا تأخذن منه فوق الاحتمال له ، ولا تكلف أمراً فيه شطط واحمل الناس كلهم على مر الحق فإن ذلك أجمع لأفتهم[١] وألزم لرضا العامة ، واعلم أنك جعلت بولايتك خازناً وحافظاً وراعياً وإنما سُمِّي أهل عملك رعيتك لأنـك راعيهم وقيمهم تأخـذ منهم ما أعـطوك من عفوهم ومقـدرتهم وتنفذه في قـوام أمرهم وصـلاحهم وتقـويم أودهم ، فاستعمل عليهم ذوي الرأي والتدبير والتجربة والخبرة بالعمل والعلم بالسياسة والعفاف ووسع عليهم في الرزق فإن ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت وأسند إليك ولا يشغلك عنه شاغـل ولا يصرفـك عنه صـارف فإنـك متى آثرتـه وقمت فيه بـالواجب استـدعيت بـه زيـادة النعمـة من ربـك وحسن الأُحـدوثـة في عملك وأحـرزت بـه المحبة[٢] من رعيتك واعنت على الصلاح ودرت الخيرات في بلدك وفشت العمارة بناحيتك وظهر الخصب في كورك وكثر خراجك وتوفرت أموالك وقويت بذلك على ارتباط جندك وارضاء العامة بإفاضة[٣] العطاء فيهم من نفسك وكنت محمود السياسة مرضى العدل في ذلك عند عدوك وكنت في أمورك كلها ذا عدل وآلة وقوة وعدة فنافس في ذلك ولا تقدم عليه شيئاً تحمد فيه مغبة أمرك ان شاء الله تعالى ، واجعل في كل كورة من عملك أميناً يخبرك أخبار عمالك ويكتب إليك بسيرتهم وأعمالهم حتى كأنك مع كل عامل في عمله معاين لأموره كلها ، فإن أردت أن تأمرهم بأمر فانظر في عواقب ما أردت من ذلك فإن رأيت السلامة فيه والعافية ورجوت فيه حسن الدفاع والصنع فأمضه وإلا فتوقف عنه وراجع أهل البصيرة والعلم به ثم خذ فيه عدته فإنه ربما نظر الرجل في أمر من اموره قدره وأتاه[٤] على ما يهوى فاغواه[٥] ذلك وأعجبه فإن لم ينظر في عواقبه أهلكه ونقض عليه أمره ، فاستعمل الحزم في كل ما أردت وباشره بعد عون الله عز وجل بالقوة وأكثر في استخارة ربك في جميع أمورك ؛ وافرغ من عمل يومك ولا تؤخره لغدك واكثر مباشرته بنفسك فان لغد أموراً وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذي أخرت ،

---

(١) في الطبري « لألفتهم » .

(٢) في الطبري « واحترزت النصيحة » .

(٣) في الطبري « باقامة » .

(٤) في الطبري « قد واتاه » .

(٥) في الطبري « فقواه » .

واعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه وإذا أخرت عمله اجتمع عليك أمور يومين فيشغلك ذلك حتى تعرض عنه وإذا أمضيت لكل يوم عمله ارحت نفسك وبدنك وأحكمت أمور سلطانك .

وانظر أحرار الناس وذوي السنّ منهم ممن تستيقن صفاء طويتهم وشهدت مودتهم لك ومظاهرتهم بالنصح والمخالصة على أمرك فاستخلصهم وأحسن إليهم ، وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة فاحتمل مؤنتهم وأصلح حالهم حتى لا يجدوا لخلتهم مساً ، وافرد نفسك بالنظر في أمور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على رفع مظلمة إليك ، والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه فَسَلْ عنه أحفىٰ مسألة ووكل بأمثاله أهل الصلاح من رعيتك ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم إليك لتنظر فيها بما يصلح الله به أمرهم ، وتعاهد ذوي البأساء وأيتامهم وأراملهم واجعل لهم أرزاقاً من بيت المال اقتداء بأمير المؤمنين أعزه الله في العطف عليهم والصلة لهم ليصلح الله بذلك عيشهم ويرزقك به بركة وزيادة، وأجر للاضراب من بيت المال وقدم حملة القرآن منهم والحافظين لأكثره في الجرائد[١] على غيرهم .

وانصب لمرضى المسلمين دوراً تؤويهم وقواماً يرفقون بهم وأطباء يعالجون أسقامهم وأسعفهم بشهواتهم ما لم يؤدِ لك الى سرف في بيت المال ، واعلم أن الناس إذا أعطوا حقوقهم وفضل أمانيهم لم يرضهم ذلك ولم تطب أنفسهم دون رفع حوائجهم إلى ولاتهم طمعاً في نيل الزيادة وفضل الرفق منهم ، وربما تبرم[٢] المتصفح لأمور الناس لكثرة ما يرد عليه ويشغل فكره وذهنه قليله عما يناله به من مؤنة ومشقة ، وليس من يرغب في العدل ويعرف محاسن أموره في العاجل وفضل ثواب الآجل كالذي يستثقل بما يقربه إلى الله تعالى ويلتمس رحمته وأكثر الإذن للناس عليك وأبرز لهم وجهك وسكن لهم حواسك[٣] واخفض لهم جناحك وأظهر لهم بشرك ولن لهم في المسألة والمنطق واعطف عليهم بجودك وفضلك .

وإذا أعطيتَ فاعطِ بسماحة وطيب نفس والتماس للصنيعة والأجر من غير تكدير

---

(١) في الطبري « في الجراية » .

(٢) في الطبري « برم » .

(٣) في الطبري « احراسك » .

ولا امتنان فان العطية على ذلك تجارة مربحة إن شاء الله تعالى ، واعتبر بما ترى من أمور الدنيا ومن مضى قبلك من أهل السلطان والرياسة في القرون الخالية والأمم البائدة ثم اعتصم في أحوالك كلها بأمر الله والوقوف عند محبته والعمل بشريعته وسنته وإقامة دينه وكتابه واجتنب ما فارق ذلك ، وخالف ما دعا إلى سخط الله عز وجل ، واعرف ما تجمع عمالك من الأموال وينفقون منها ولا تجمع حراماً ولا تنفق إسرافاً ، وأكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم ، وليكن هواك اتباع السنن وإقامتها وإيثار مكارم الأمور ومعاليها ، وليكن أكرم دخلائك وخاصتك عليك من إذا رأى عيباً فيك لم تمنعه هيبتك عن إنهاء ذلك إليك في سرك وإعلانك وما فيه من النقص[1] فإن أولئك أنصح أوليائك ومظاهرين لك ، وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتابك فوقت لكل رجل منهم في كل يوم وقتاً يدخل فيه عليك بكتبه ومؤامراته وما عنده من حوائج عمالك وأمور كورك ورعيتك ، ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك وكرر النظر فيه والتدبر له فما كان موافقاً للحق والحزم فأمضه واستخر الله عز وجل فيه وما كان مخالفاً لذلك فاصرفه إلى التثبت فيه والمسألة عنه ، ولا تمتن على رعيتك ولا غيرهم بمعروف تؤتيه اليهم ولا تقبل من أحد منهم إلا الوفاء والاستقامة والعون في أمور أمير المؤمنين ولا تضعن المعروف إلا على ذلك ، وتفهم كتابي إليك وأكثر النظر فيه والعمل به . واستعن بالله على جميع أمورك واستخره فإن الله عز وجل مع الصلاح وأهله . وليكن أعظم سيرتك وأفضل عيشك ما كان فيه لله عز وجل رضا ولدينه نظاماً ولأهله عِزاً وتمكيناً وللذمة وللملة عدلاً وصلاحاً ، وأنا أسأل الله أن يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءتك والسلام .

فلما رأى الناس هذا الكتاب تنازعوه وكتبوه وشاع أمره وبلغ المأمون خبره فدعا به فقرىء عليه فقال : ما أبقى أبو الطيب ـ يعني طاهراً ـ شيئاً من أمر الدنيا والدين والتدبير والرأي والسياسة ، واصلاح الملك والرعية ، وحفظ السلطان وطاعة الخلفاء ، وتقويم الخلافة إلا وقد أحكم وأوصى به ، وأمر المأمون فكتب به إلى جميع العمال في النواحي ، فسار عبد الله إلى عمله فاتبع ما أمر به وعهد إليه وسار بسيرته .

---

(١) في الطبري « في سر واعلامك ما فيه من نقص » .

ذكر موت الحكم بن هشام

وفي هذه السنة مات الحكم بن هشام بن عبد الرحمن صاحب الأندلس لأربع بقين من ذي الحجة ، وكانت بيعته في صفر سنة ثمانين ومائة ، وكان عمره اثنتين وخمسين سنة ، وكنيته أبو العاص وهو لام ولد ، وكان طويلاً اسمرَ نحيفاً ، وكان له تسعة عشر ذكراً وله شعر جيد . وهو أول من جند بالأندلس الأجناد المرتزقين وجمع الأسلحة والعدد واستكثر من الحشم والحواشي وارتبط الخيول على بابه وشابه الجبابرة في أحواله . واتخذ المماليك وجعلهم في المرتزقة فبلغت عدتهم خمسة آلاف مملوك وكانوا يسمون الخرس لعجمة ألسنتهم . وكانوا يوماً على باب قصره وكان يطلع على الأمور بنفسه وما قرب منها وبعد .

وكان له نفر من ثقات أصحابه يطالعونه بأحوال الناس فيردّ عنهم المظالم وينصف المظلوم ، وكان شجاعاً مقداماً مهيباً ، وهو الذي وطأ لعقبه الملك بالأندلس وكان يقرب الفقهاء وأهل العلم .

ذكر ولاية ابنه عبد الرحمن

لما مات الحكم بن هشام قام بالملك بعده ابنه عبد الرحمن ويكنى أبا المطرف واسم أمه حلاوة وكان بكر والده ولد بطليطلة أيام كان أبوه الحكم يتولاها لأبيه هشام ولد لسبعة أشهر وجد ذلك بخط أبيه . وكان جسيماً وسيماً حسن الوجه . فلما ولي خرج عليه عم أبيه عبد الله البلنسي وطمع بموت الحكم وخرج من بلنسية يريد قرطبة فتجهز له عبد الرحمن ، فلما بلغ ذلك عبد الله خاف وضعفت نفسه فرجع إلى بلنسية ثم مات في أثناء ذلك سريعاً ووقى الله ذلك الطرف شره .

فلما مات نقل عبد الرحمن أولاده وأهله إليه بقرطبة وخلصت الأمارة بالاندلس لولد هشام بن عبد الرحمن .

ذكر عدة حوادث

وفيها عزل الحسن بن موسى الأشيب عن قضاء الموصل فانحدر الى بغداد وتولى

القضاء بها عليّ بن أبي طالب الموصلي ، وفيها ولى المأمون داود بن ماسحور[١] محاربة الزّط ، وأعمال البصرة ، وكور دجلة ، واليمامة ، والبحرين ، وفيها كان المدُّ عظيماً غرق فيه السواد ، وكسكر ، وقطيعة[٢] أم جعفر وهلك فيه من الغلات كثير ، وفيها نكب بابك الخرمي عيسى بن محمد بن أبي خالد.

وحج بالناس هذه السنة عبيد الله بن الحسن العلوي وهو أمير الحرمين ، وفيها غزا المسلمون من أفريقية جزيرة سردانية فغنموا وأصابوا من الكفار وأصيب منهم ثم عادوا ، وفيها توفي الهيثم بن عدي الطائي الاخباري وكان عابداً ضعيفاً في الحديث ، وعبد الله بن عمرو بن عثمان بن أبي أمية الموصلي وهو من أصحاب سفيان الثوري ، وفيها توفي محمد بن المستنير المعروف بقطرب النحوي أخذ النحو من سيبويه . وفيها توفي أبو عمرو اسحاق بن مرار الشيباني اللغوي. (مرار) بكسر الميم وبراءين مخففتين .

(١) في الطبري « ماسجور » بالجيم .

(٢) القطيعة أرض يقطعها لمن أراد ليعمرها وقد جاء في معجم البلدان لياقوت أن المنصور لما عمر بغداد اقطع قواده ومواليه قطائع وكذلك غيره من الخلفاء ، وذكر ياقوت قطيعة أم جعفر هذه فقال : محلة ببغداد عند باب التبن .

ثم دخلت سنة سبع ومائتين

ذكر خروج عبد الرحمن بن أحمد باليمن

في هذه السنة خرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ببلاد عك في اليمن يدعو إلى الرضا من آل محمد ﷺ، وكان سبب خروجه أن العمال باليمن أساؤوا السيرة فيهم فبايعوا عبد الرحمن هذا ، فلما بلغ المأمون ذلك وجه إليه دينار بن عبد الله في عسكر كثيف وكتب معه بامانه، فحضر دينار الموسم وحج ثم سار الى اليمن فبعث الى عبد الرحمن بامانه فقبله ودخل في طاعة المأمون ووضع يده في يد دينار فخرج به إلى المأمون ، فمنع المأمون عند ذلك الطالبيين من الدخول عليه وأمرهم بلبس السواد وذلك لليلتين بقيتا من ذي القعدة.

ذكر وفاة طاهر بن الحسين

وفي هذه السنة في جمادى الأولى مات طاهر بن الحسين من حمًّى أصابته وأنه وجد في فراشه ميتاً ، وقال كلثوم بن ثابت بن أبي سعيد : كنت على بريد خراسان فلما كانت سنة سبع ومائتين حضرت الجمعة فصعد طاهر المنبر فخطب فلما بلغ إلى ذكر الخليفة أمسك عن الدعاء له وقال : اللهم أصلح أمة محمد بما أصلحت به أولياءك واكفنا مؤنة من بغىٰ علينا ، وحشد فيها بلمِّ الشعث وحقن الدماء وإصلاح ذات البين قال: فقلت في نفسي أنا أول مقتول لأني لا أكتم الخبر، قال: فانصرفت فاغتسلت غسل الموتى وتكفنت وكتبت الى المأمون فلما كان العصر دعاني وحدث به حادث في جفن عينه وسقط ميتاً فخرج إلى ابنه طلحة قال : هل كتبت بما كان؟ قلت: نعم، قال: فاكتب بوفاته فكتبت بوفاته وبقيام طلحة بأمر الجيش ، فوردت الخريطة على المأمون بخلعه، فدعا أحمد بن أبي خالد فقال: سر فائت بطاهر كما زعمت وضمنت، فقال:

أبيت الليلة . فقال : لا ، فلم يزل حتى أذن له في المبيت ، ووافت الخريطة الأخرى ليلاً بموته فدعا ، فقال: قد مات طاهر فمن ترى ؟ قال:ابنه طلحة، قال : اكتب بتوليته فكتب بذلك ، فأقام طلحة والياً على خراسان في أيام المأمون سبع سنين ثم توفي وولي عبد الله خراسان ، ولما ورد موت طاهر على المأمون قال : لليدين وللفم الحمد لله الذي قدمه وأخرنا ، وكان طاهر أعور وفيه يقول بعضهم :

يا ذا اليمينين وعين واحدة   نقصان عين ويمين زائدة

يعني أن لقبه كان ذا اليمينين وكانت كنيته أبا الطيب.

وقد قيل : إن طاهراً لما مات انتهب الجند بعض خزائنه فقام بأمرهم سلام الأبرش الخصي وأعطاهم رزق ستة أشهر ، وقيل : استعمل المأمون على عمله جميعه ابنه عبد الله بن طاهر فسير إلى خراسان أخاه طلحة وكان عبد الله بالرقة على حرب نصر بن شَبَث ، فلما توجه طلحة الى خراسان سير المأمون إليه أحمد بن أبي خالد ليقوم بأمره ؛ فعبر أحمد إلى ما وراء النهر وافتتح أشروسنة واسر كاوس بن صارخره[1] وابنه الفضل وبعث بهما إلى المأمون ، ووهب طلحة لأحمد بن أبي خالد ثلاثة آلاف ألف درهم وعروضاً بألفي ألف درهم ، ووهب لإبراهيم بن العباس كاتب أحمد خمسمائة ألف درهم .

ذكر ما كان بالأندلس في هذه السنة

وفي هذه السنة وقع عبد الرحمن بن الحكم صاحب الأندلس بجند البصراة وأهلها وهي الوقعة المعروفة بوقعة بالس .

وكان سببها أن الحكم كان قد بلغه عن عامل اسمه ربيع أنه ظلم أبناء أهل الذمة فقبض عليه وصلبه قبل وفاته ، فلما توفي وولي ابنه عبد الرحمن سمع الناس بصلب ربيع فأقبلوا إلى قرطبة من النواحي يطلبون الأموال التي كان ظلمهم بها ظناً منهم أنها ترد إليهم ، وكان أهل البيرة أكثرهم طلباً وإلحاحاً فيه وتألبوا فبعث إليهم عبد الرحمن من يفرقهم ويسكتهم فلم يقبلوا ودفعوا من أتاهم ، فخرج إليهم جمع من الجند وأصحاب عبد الرحمن فقاتلوهم فانهزم جند البيرة ومن معهم وقتلوا قتلاً ذريعاً ونجا

---

(١) في الطبري « خاراخره » .

الباقون منهزمين ثم طلبوا بعد ذلك فقتلوا كثيراً منهم . وفيها ثارت بمدينة تدمير فتنة بين المضرية واليمانية فاقتتلوا بلورقة وكان بينهم وقعة تعرف بيوم المضارة قتل منهم ثلاثة آلاف رجل ، ودامت الحرب بينهم سبع سنين فوكل بكفهم ومنعهم يحيى بن عبد الله بن خالد وسيره في جميع الجيش فكانوا إذا أحسوا بقرب يحيى تفرقوا وتركوا القتال وإذا عاد عنهم رجعوا الى الفتنة والقتال حتى عيي أمرهم . وفيها كان بالأندلس مجاعة شديدة وذهب فيها خلق كثير وبلغ المد في بعض البلاد ثلاثين ديناراً .

ذكر عدة حوادث

وفيها غلا السعر بالعراق حتى بلغ القفيز من الحنطة بالهاروني أربعين درهماً إلى الخمسين ؛ وفيها ولي محمد بن حفص طبرستان ، والرُويان ، ودُنباوند.

وحج بالناس أبو عيسى بن الرشيد وفيها أمر المأمون السيد بن أبي أنس والي الموصل بقصد بني شيبان وغيرهم من العرب لإفسادهم في البلاد فسار إليهم وكبسهم بالدسكرة فقتلهم ونهب أموالهم وعاد .

وفيها توفي وهب بن جرير الفقيه ، وعمر بن حبيب العدوي القاضي ، وعبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد ، وعبد العزيز بن أبان القرشي قاضي واسط، وجعفر بن عون بن جعفر بن عمرو بن حريث المخزومي الفقيه ، وبشر بن عمر الزاهد الفقيه ، وكثير بن هشام، وأزهر بن سعيد السمّان ، وأبو النضر هشام بن القاسم الكناني ، وفيها توفي محمد بن عمربن واقد الواقدي وكان عمره ثمانياً وسبعين سنة وكان عالماً بالمغازي واختلاف العلماء وكان يضعف في الحديث، وفيها توفي محمد بن أبي رجاء القاضي وهو من أصحاب أبي يوسف صاحب أبي حنيفة ، وفيها توفي محمد بن أبي عبد الله بن عبد الأعلى المعروف بابن كناسة وهو ابن أخت ابراهيم بن أدهم وكان عالماً بالعربية والشعر ، وايام الناس ، وفيها توفي يحيى بن زياد أبو زكريا الفراء النحوي الكوفي(١) ، وأبو غانم الموصلي ، وزيد بن علي بن أبي خداش الموصلي وهو من أصحاب المعافى كثير الرواية عنه .

---

(١) كان يقال له : أمير المؤمنين في النحو ، أمره المأمون بوضع كتاب في النحو فأملاه وكتبه الناس عنه وأمر المأمون بكتبه في الخزائن وأنه كان يؤدب ولديه وليي العهد من بعده .

ثم دخلت سنة ثمان ومائتين

في هذه السنة سار الحسن بن الحسين بن مصعب من خراسان إلى كُرمان فعصى بها، فسار إليه أحمد بن أبي خالد فأخذه وأتى به المأمون فعفا عنه ، وفيها استقضي إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة ، وفيها عزل محمد بن عبد الرحمن المخزومي عن قضاء عسكر المهدي، ووليه بشر بن الوليد الكندي فقال بعضهم :

يا أيّها الرجلُ(١) الموحدُ رَبهُ ... قاضيكَ بشرُ بنُ الوليدِ حمارُ
يَنفي شَهادَةَ من يَدينُ بما به ... نَطقَ الكتابُ وجاءتِ الآثارُ(٢)
ويَعُدُّ عدلاً من يقولُ بأنه ... شيخٌ يحيطُ بجِسمِهِ الأقطارُ

وفيها مات موسى بن الامين والفضل بن الربيع في ذي القعدة ، وحج بالناس صالح بن الرشيد ، وفيها هلك اليسع بن أبي القاسم صاحب سجلماسة فولى أهلها على أنفسهم أخاه المنتصر بن أبي القاسم ، وأسول المعروف بِمدْرَار وقد تقدم ذكرهم ، وفيها سير عبد الرحمن بن الحكم صاحب الاندلس جيشاً الى بلاد المشركين واستعمل عليه عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث فساروا إلى إلية والقلاع فنهبوا بلاد إلية(٣) وأحرقوها وحصروا عدة من الحصون ففتحوا بعضها وصالحه بعضها على مال وإطلاق الأسرى من المسلمين فغنم أموالاً جليلة القدر واستنقذوا من أسارى المسلمين وسبيهم كثيراً فكان ذلك في جمادىٰ الآخرة وعادوا سالمين ، وفيها توفي عبد الله بن عبد

---

(١) في الطبري « يا أيها الملك » .
(٢) في الطبري « وجاءت الأخبار » .
(٣) الية : في نسخة ألبة بالباء، وفي معجم البلدان أُلِيَة بالياء اسم اقليم في نواحي إشبيلية .

الرحمن الأموي المعروف بالبلنسي صاحب بلنسية من الأندلس ، وقد تقدم من أخباره مع أخبار هشام ابن أخيه الحكم بن هشام كثير، وفيها توفي عبد الله بن أبي بكر بن حبيب السهمي الباهلي ، ويونس بن محمد المؤدب ، والقاسم بن الرشيد ، وسعيد بن تمام بالبصرة ، وعبد الله بن جعفر بن سليمان بن علي ، والحسن بن موسى الأشيب ، وقد كان سار ليتولى قضاء طبرستان فمات بالري ، وتوفي علي بن المبارك الأحمر النحوي صاحب الكسائي ، وقيل : توفي في سنة ست وثمانين .

ثم دخلت سنة تسع ومائتين

ذكر الظفر بنصر بن شبث

وفي هذه السنة حصر عبد الله بن طاهر نصر بن شَبَث بكَيْسوم وضيّق عليه حتى طلبَ الأمان ، فقال محمد بن جعفر العامري : قال المأمون لثُمامة بن أسرس ألا تدلني على رجل من أهل الجزيرة له عقل وبيان يؤدي عني ما أوجهه إلى نصر ؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين ، محمد بن جعفر العامري . فأمر بإحضاري فحضرت ، فكلمني بكلام أمرني أن أبلغه نصراً ـ وهو بكفر عزون بسروج ـ فأبلغته نصراً فأذعن وشرط شروطاً منها أن لا يطأ بساطه فلم يجبه المأمون إلى ذلك وقال : ما باله ينفر مني قلت : لجرمه وما تقدم من ذنبه قال : أفتراه أحكم جرماً من الفضل بن الربيع ، ومن عيسى بن محمد بن أبي خالد ؟ أما الفضل فأخذ قوادي ، وأموالي ، وسلاحي وجميع ما أوصى به الرشيد لي فذهب به إلى محمد أخي وتركني بِمَرو فريداً وحيداً وسلمني وأفسد عليَّ أخي حتى كان من أمره ما كانَ فكان أشد عليَّ من كل شيء ، وأما عيسى بن أبي خالد فإنه طرد خليفتي من مدينتي ومدينة آبائي وذهب بخراجي وفيئي وأخرب عليّ داري وأقعد ابراهيم خليفة دوني .

قال : قلت يا أمير المؤمنين أتأذن لي في الكلام ؟ قال : تكلم، قال:قلت أما الفضل بن الربيع فإنه صنيعكم ومولاكم وحال سلفه حالهم فترجع إليه بضروب كلها تردك إليه ، وأما عيسى فرجل من دولتك وسابقته وسابقة من مضى من سلفه معروفة يرجع عليه بذلك ، وأما نصر فرجل لم يكن له يد قط فيحتمل كهؤلاء لمن مضى من سلفه وإنما كانوا من جند بني أمية قال : أنه كما تقول ولست أقلع عنه حتى يطأ بساطي قال : فأبلغت نصراً ذلك فصاح بالخيل فجالت إليه فقال : ويلي عليه وهو لم يقوَعلى أربعمائة ضفدع تحت جناحه ـ يعني الزط ـ يقوى عليّ بحلبة العرب ، فجاده

عبدالله بن طاهر القتال وضيق عليه فطلب الأمان فأجابه إليه وتحول من معسكره إلى الرقة إلى عبدالله وكان مدة حصاره ومحاربته خمس سنين فلما خرج إليه أخرب عبدالله حصن كَيسوم وسير نصراً إلى المأمون فوصل إليه في صفر سنة عشر ومائتين .

ذكر عدة حوادث

وفيها ولى المأمون علي بن صدقة[١] المعروف بزريق على أرمينية وأذربيجان وأمره بمحاربة بابك ، وأقام بأمره أحمد بن الجنيد[٢] الإسكافي فأسره بابك فولى ابراهيم بن الليث بن الفضل أذربيجان ، وحج بالناس صالح بن العباس بن محمد بن علي ، وفيها مات ميخائيل بن جورجيس[٣] ملك الروم وكان ملكه تسع سنين وملك ابنه توفيل ، وفيها خرج منصور بن نصير بأفريقية عن طاعة الأمير زيادة الله وكان منه ما ذكرناه سنة اثنتين ومائتين .

وفيها توفي أبو عبيدة معمر بن المثني اللغوي ، وقيل : سنة عشر وكان يميل إلى مقالة الخوارج وكان عمره ثلاثاً وتسعين سنة ؛ وقيل : مات سنة ثلاث عشرة وعمره ثمان وتسعون سنة ، وفيها توفي يعلى بن عُبيد الطنافسي أبو يوسف ، والفضل بن عبد الحميد الموصلي المحدث .

---

(١) في الطبري « صدقة بن علي المعروف بزريق » .
(٢) في الطبري « أحمد بن الجنيد بن فرزندي الإسكافي» .
(٣) في الطبري « ميخائيل بن جورجس » .

ثم دخلت سنة عشر ومائتين

ذكر ظفر المأمون بابن عائشة

فيها ظفر المأمون بإبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الامام المعروف بابن عائشة ، ومحمد بن ابراهيم الافريقي ، ومالك بن شاهي[١] ، ومن كان معهم ممن كان يسعى في البيعة لإبراهيم بن المهدي ، وكان الذي أطلعه عليهم وعلى صنيعهم عمران القطرَبُليّ ، وكانوا اتعدوا أن يقطعوا الجسر إذا خرج الجند يتلقون نصر بن شبث فنمَّ عليهم عمران فأخذوا في صفر ، ودخل نصر بن شَبَث بغداد ولم يلقه أحد من الجند فأخذ ابن عائشة فأقيم على باب المأمون ثلاثة أيام في الشمس ثم ضربه بالسياط وحبسه وضرب مالك بن شاهي وأصحابه فكتبوا للمأمون بأسماء من دخل معهم في هذا الأمر من سائر الناس فلم يعرض لهم المأمون وقال : لا آمن أن يكون هؤلاء قذفوا قوماً براء ، ثم إنه قتل ابن عائشة وابن شاهي ورجلين من أصحابهما ، وكان سبب قتلهم أن المأمون بلغه أنهم يريدون أن ينقبوا السجن وكانوا قبل ذلك بيوم قد سدوا باب السجن فلم يدعوا أحداً يدخل عليهم ، فلما بلغ المأمون خبرهم ركب إليهم بنفسه فأخذهم فقتلهم صبراً وصلب ابن عائشة وهو أول عباسي صلب في الإسلام ثم أنزل وكفن وصلي عليه ودفن في مقابر قريش .

ذكر الظفر بابراهيم بن المهدي

وفي هذه السنة في ربيع الاول أخذ ابراهيم بن المهدي وهو متنقب مع امرأتين وهو في زي امرأة أخذه حارس أسود ليلاً فقال : من أين أنتنَّ وأين تُرِدْنَ هذا الوقت ؟ فأعطاه ابراهيم خاتم ياقوت كان في يده له قدر عظيم ليخليهن ولا يسألهن ، فلما نظر

(١) وزاد في الطبري « وفرج البعواري » .

الحارس الى الخاتم استرابهن[١] وقال : خاتم رجل له شان ورفعهن إلى صاحب المسلحة فأمرهن أن يسفِرْنَ فامتنع ابراهيم فجذَبَه فبدتْ لحيتُهُ فدفعه إلى صاحب الجسر فعرفَه فذهبَ به إلى بابِ المأمون وأعلمه به فأمر بالاحتفاظ به إلى بكرة ، فلما كان الغد أقعد ابراهيم في دار المأمون والمقنعة التي تقنع بها في عنقه والملحفة على صدره ليراه بنو هاشم والناس ويعلموا كيف أخذ، ثم حوله إلى أحمد بن أبي خالد فحبسه عنده ، ثم أخرجه معه لما سار في الصلح إلى الحسن بن سهل فشفع فيه الحسن ، وقيل : ابنته بوران .

وقيل : إن ابراهيم لما أخذ حمل إلى دار أبي إسحاق المعتصم ـ وكان المعتصم عند المأمون ـ فحمل رديفاً لفرح التركي ، فلما دخل على المأمون قال له : هيه يا ابراهيم فقال : يا أمير المؤمنين وليّ الثار محكم في القصاص والعفو أقرب للتقوى ومن تناوله الاغترار بما مدّ له من أسباب الشقاءِ أمكنَ عادية الدهر من نفسه ، وقد جعلك الله فوق كلّ ذي ذنب كما جعل كل ذي ذنب دونك فإن تعاقب فبحقك وإن تَعْفُ فبفضلك قال : بل أعفو يا ابراهيم فكبّر وسجد ، وقيل : بل كتب ابراهيم هذا الكلام الى المأمون وهو متخف فوقع المأمون في حاشية رقعته :القدرة تذهب الحفيظة والندم توبة ، وبينهما عفو الله عز وجل وهو أكبر ما يسأله ، فقال ابراهيم يمدح المأمون :

يا خيرَ من رَفَلتْ[٢] يمانيةٌ به ... بعد النبيِ لآيسٍ أو طائع[٣]
وابرَّ من عَبَدَ الإلـه على التقى ... غيباً[٤] وأقوَلِهِ بحقٍ صادعِ
عسل الفَوارعِ ما أُطِعتَ فإن تهج ... فالصّابُ يُمزَجُ بالسَّمامِ الناقعِ
متيقظاً حَذِراً وما تخشى العِدى ... نَبَهانُ من وَسَنان[٥] ليلِ الهاجعِ
مُلئتْ قلوبُ الناسِ منك مخافةً ... وتَبيتُ تَكلؤهم بقلبٍ خاشعِ
بأبي وأمي فدية وأبيهما[٦] ... من كل مُعضِلةٍ وذنبٍ[٧] واقعِ

---

(١) في الطبري « استراب بهن » .

(٢) في الطبري « زملت » .

(٣) في الطبري : « بعد الرسول لآيس ولطامع » .

(٤) في الطبري « عيناً » .

(٥) في الطبري « وسنان » .

(٦) في الطبري « وبنيهما » .

(٧) في الطبري « وريب » .

مـا ألينَ الكَنفَ الـذي بـوَّأتَنِي وظنـاً وأمـرَعَ رتعَـهُ لـلراتـعِ
للصـالحـاتِ أخـاً جُعِلتُ وللتقى وأبـاً رؤوفـاً للفقيـرِ القـانـعِ
نفسي فـداؤكَ إذ تضِلُّ معـاذري والـوذُ منـك بفضـل حلمٍ واسـعِ
أمَـلا لفضلك والفـواضـلُ شيمـةٌ رَفَعَت بنـاءَك للمحـل اليـافـعِ
فَبـذَلتَ أفضـلَ مـا يضيقُ ببـذلـه وسـع النفوس من الفعـالِ البارعِ
وعفـوتَ عمن لم يكنْ عن مِثْلِهِ عفـوٌ ولم يشفـعْ إليـكَ بشـافـعِ
إلا العلوّ عن العقـوبـة بعـد مـا ظَفَـرتْ يـداكَ بِمُستكينٍ خـاضـعِ
فـرَحمتَ أطفـالاً كـأفـراخِ القَطَا وعَـويلَ عَـانِسَـةٍ كقـوسِ النـازعِ
وَعَطَفتَ آمِرَةً[1] عليَّ كما وَهَى[2] بعد انهياضِ الـوثي عَظمُ الـظالع
الله يعلم مـا أقـولُ كـأنـهـا[3] جهـدُ الأليَّـةِ من حنيفٍ راكـعِ
مـا ان عصيتـك والغُـوَاة تَقُودني أسبـابـهـا إلا بـنـيـةِ طـائـعِ
حتى إذا علقت حَبائـلُ شقـوتي بَـرَدى إلى حَفر المهـالك هَـائـعِ
لم أدر أن لمثـل جُـرمي غـافـرًا فوقفت أنظر أيُّ حَتفٍ صارِعي[4]
رَدَّ الحيـاة عليَّ بعـد ذهـابهـا وَرَعُ الإمـام القَادرِ المتـواضـعِ
أحيـاكَ من ولاكَ أفضـل[5] مُـدَّةٍ ورمى عَـدُوَّكَ في الوَتين بقـاطـعِ
كم من يَـدٍ لـك لم تحَـدثني بهـا نـفسي إذا آلَتْ إلـيَّ مـطامـعي
أسـديتَهـا عـفـواً إليَّ هـنيئـةً وشكـرتُ مُصطنعـاً لأكرمَ صـانعِ
الا يـسيـراً عـنـد مـا أوليتَـنَـي وهـو الكبيرُ لـديّ غيرُ الضائع[6]
ان أنت جِـدتَ بها عليَّ تكن لهـا أهـلاً وان تمنع فـأكـرَمَ[7] مـانـعِ
ان الـذي قَسَمَ الخلافـةَ حـازَهَـا من صلب آدَمَ لـلإمـام السابـعِ
جمعَ القلوبَ عليك جَـامع أمـرِها وحـوى رِدَاؤك كـلَّ خيـرٍ جـامـعِ

---

(١) في الطبري « آصرة » .
(٢) في الطبري « وعى » .
(٣) في الطبري « فانها » .
(٤) في نسخة « ضارع » .
(٥) في الطبري « أطول » .
(٦) في الطبري « الكثير » .
(٧) في الطبري « فاعدل » .

فذكر أن المأمون قال حين أنشده هذه القصيدة : أقول كما قال يوسف لأخوته : ﴿ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾[١].

ذكر بناء المأمون ببوران

وفي هذه السنة بنى المأمون بِبُورَان بنت الحسن بن سهل في رمضان ، وكان المأمون سارَ من بغداد إلى فمِّ الصلح الى معسكر الحسن بن سهل فَنزله وزُفتْ إليه بوران ، فلما دخل إليها المأمون كان عندها حمدونة بنت الرشيد ، وأم جعفر زبيدة أم الأمين ، وجدتها أم الفضل ، والحسن بن سهل ، فلما دخلَ نثرتْ عليه جَدّتها ألفَ لؤلؤة من أنفسِ ما يكون فـأمر المـأمون بجمعـه فجمع فـأعطاه بـوران وقال : سلي حوائجك فأمسكت ، فقالت جدتها : سلي سيدك فقد أمرك فسألته الرضا عن ابراهيم بن المهدي فقال : قد فعلت وسألته الإذن لأم جعفر في الحج فأذنَ لها ، وألبستها أم جعفر البدلة[٢] اللؤلؤية الأموية وابتنى بها في ليلته ، وأوقد في تلك الليلة شمعة عنبر فيها أربعون مناً ، وأقام المأمون عند الحسن سبعة عشر يوماً يعدُّ له كل يوم ولجميع من معه ما يحتاج إليه ، وخلع الحسن على القواد على مراتبهم وحمّلهم ووصلَهم ، وكان مبلغ ما لزمه خمسين ألف ألف درهم ، وكتب الحسن أسماء ضياعه في رقاع ونثرها على القواد فمن وقعت بيده رقعة منها فيها اسم ضيعة بعث فتسلمها .

ذكر مسير عبد الله بن طاهر إلى مصر

في هذه السنة سار عبد الله بن طاهر إلى مصر وافتتحها واستأمن إليه عبد الله بن السري .

وكان سبب مسيره ان عبيد الله قد تغلب على مصر وخلع الطاعة وخرج جمعٌ من الأندلس فتغلبوا على الاسكندرية ، واشتغل عبد الله بن طاهر عنهم بمحاربة نصر بن شَبَث فلما فرغ منه سار نحو مصر ، فلما قرب منها على مرحلة قدم قائداً من قواده إليها لينظر موضعاً يعسكر فيه ، وكان ابن السري قد خندق على مصر خندقاً فاتصل الخبر به من وصول القائد إلى ما قرب منه فخرج إليه في أصحابه فالتقى هو والقائد فاقتتلوا قتالاً

---

(١) يوسف ٩٢ .

(٢) في الطبري « البدنة » بالنون .

شديداً ـ وكان القائد في قلة ـ فجال أصحابه وسير بريداً الى عبد الله بن طاهر بخبره فحمل عبد الله الرجال على البغال وجنبوا الخيل وأسرعوا السير فلحقوا بالقائد وهو يقاتل ابن السري ، فلما رأى ابن السري ذلك لم يصبر بين أيديهم وانهزم عنهم وتساقط أكثرُ أصحابه في الخندق فمن هلك منهم بسقوط بعضهم على بعض كان أكثر ممن قتله الجند بالسيف .

ودخل ابن السري مصر وأغلق الباب عليه وعلى أصحابه وحاصره عبد الله فلم يعد ابن السري يخرج إليه وأنفذ اليه ألف وصيف ووصيفة مع كل واحد منهم ألف دينار فسيرهم ليلاً فردهم ابن طاهر وكتب إليه لو قبلت هديتك نهاراً لقبلتها ليلاً بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع إليهم ﴿ فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ﴾[٢] قال : فحينئذ طلب الأمان ، وقيل : كان سنة احدى عشرة .

وذكر أحمد بن حفص بن أبي الشماس ، قال : خرجنا مع عبد الله بن طاهر إلى مصر حتى إذا كنا بين الرملَة ودمشق إذ نحن بأعرابي قد اعترض فإذا شيخ على بعيرٍ له فسلم علينا فرددنا عليه السلام قال: وكنت أنا واسحاق بن ابراهيم الرافقي ، واسحاق بن أبي ربعي ، ونحن نسايرُ الأمير وكنا أفْرَهَ منه دابة وأجودَ كسوة . قال : فجعل الأعرابي ينظرُ إلى وجوهنا . قال : فقلت : يا شيخ قد ألَححت في النظر أعرفت شيئاً أنكرته؟ قال: لا والله ما عرفتكم قبل يومي هذا ولكني رجل حسن الفراسة في الناس قال : فأشرت الى اسحاق بن أبي ربعي وقلت : ما تقول في هذا ؟ فقال:

أرى كاتباً داهي الكتابة بيّنٌ ... عليه وتأديبُ العراقِ مُنِيرُ
له حَرَكاتٌ قد يُشاهِدْن أنَهُ ... عليمٌ بتقسيطِ الخراجِ بصيرُ

ونظر الى اسحاق بن ابراهيم الرافقي فقال :

ومُظهرُ نُسْك ما عليه ضميرُهُ ... يُحِبُّ الهدايا بالرِّجالِ مكورُ
أخالُ به جُبْناً وبُخلاً وشيمَةً ... تُخبِّرُ عنه أنَهُ لوزِيرُ

ثم نظر إليّ وقال :

وهذا نديمٌ للأمير ومؤنسٌ ... يكونُ له بالقرْبِ منهُ سرورُ

وأحسبُهُ للشعرِ[١] والعلمِ رَاوياً ... فَبعْضُ نـديم مَـرَّةً وسـميـرُ

ثم نظر الى الأمير وقال :

وهـذا الأميرُ المـرتجىٰ سَيْبُ كَفِّه ... فمـا إن له في العـالمين[٢] نـظيـرُ
عليـه رِداءٌ من جـمـالٍ وهيْبَـةٌ ... ووجـهٌ بـإدراكِ النجـاحِ بشيـرُ
لقد عظمَ الإسلامُ منه بـذي يدٍ[٣] ... فقـد عـاشَ معـرُوفٌ ومـاتَ نكيـرُ
ألا إنمـا عبدُ الالـه بنُ طـاهِـر ... لـنـا وَالـدٌ بَـرٌّ بـنـا وأمـيـرُ

قال : فوقع ذلك من عبد الله أحسن موقع وأعجبه وأمر للشيخ بخمسمائة دينار وأمره أن يصحبه .

ذكر فتح عبد الله الاسكندرية

وفي هذه السنة أخرج عبد الله مَن كان تغلَّب على الاسكندرية من أهل الاندلس بأمان ، وكانوا قد أقبلوا في مراكب من الأندلس في جمع والناس في فتنة ابن السري وغيره فأرسـوا بالاسكندرية ورئيسهم يدعى أبا حفص فلم يزالوا بها حتى قدم ابن طاهر فأرسل يؤذنهم بالحرب إن هم لم يدخلوا في الطاعة فأجابوه وسألوه الامـان على أن يرتحلوا عنها إلى بعض أطراف الروم التي ليست من بلاد الاسلام فأعطاهم الأمان على ذلك فرحلوا ونزلوا بجزيرة أَقريطش[٤] واستوطنوها وأقاموا بها فأعقبوا وتناسلوا .

قال يونس بن عبد الأعلى : اقبل الينا فتى حَدَثٌ من المشرق ـ يعني ابن طاهر ـ والدنيا عندنا مفتونة قد غلبَ على كل ناحية من بلادنا غالبٌ والناس في بلاءٍ فأصلح الدنيا وأمَّن البريء وأخاف السقيم واستوثق له الرعية بالطاعة .

---

(١) في الطبري « للاشعار » .
(٢) في الطبري « فيمن رأيت » .
(٣) في الطبري « لقد عصم الاسلام منه بذابد » .
(٤) هي بفتح الهمزة وتكسر القاف ساكنة والراء مكسورة وياء ساكنة وطاء مكسورة وشين معجمة جزيرة كبيرة في بحر المغرب يقابلها من بر افريقية لوبيا .

ذكر خلع أهل قُمّ[1]

في هذه السنة خلع أهل قم المأمونَ ومنعوا الخراج ، فكان سببه أن المأمون لما سار من خراسان إلى العراق أقام بالري عدة أيام وأسقط عنهم شيئاً من خراجهم فطمع أهل قُمْ أن يصنع بهم كذلك فكتبوا إليه يسألونه الحطيطة وكان خراجهم ألفي ألف درهم فلم يجبهم المأمون إلى ما سألوا فامتنعوا من أدائه، فوجه المأمون إليهم علي بن هشام ، وعجيف بن عنبسة فحارباهم فظفرا بهم وقتل يحيى بن عمران وهدم سور المدينة وجباها على سبعة آلاف ألف درهم وكانوا يتظلمون من ألفي ألف .

ذكر ما كان بالأندلس من الحوادث

وفي هذه السنة سيّر عبد الرحمن بن الحكم سريةً كبيرة الى بلاد الفرنج واستعمل عليها عبيدالله المعروف بابن البلَنسي فسار ودخل بلاد العدو وتردد فيها بالغارات والسبي والقتل والأسر ، ولقي الجيوش الاعداء في ربيع الأول فاقتتلوا فانهزم المشركون وكثر القتل فيهم وكان فتحاً عظيماً ، وفيها افتتح عسكر سيره عبد الرحمن أيضاً حصن القلعة من أرض العدو وتردد فيها بالغارات منتصف شهر رمضان .

وفيها أمر عبد الرحمن ببناء المسجد الجامع بجيّان ، وفيها أخذ عبد الرحمن رهائن أبي الشماخ محمد بن ابراهيم مقدم اليمانية بتدمير ليسكن الفتنة بين المضرية واليمانية فلم ينزجروا ودامت الفتنة ، فلما رأى عبد الرحمن ذلك أمر العامل بتدمير أن ينقل منها ويجعل مرسية منزلاً ينزله العمال ففعل ذلك وصارت مرسية هي قاعدة تلك البلاد من ذلك الوقت ودامت الفتنة بينهم الى ثلاث عشرة ومائتين فسير عبد الرحمن اليهم جيشاً فاذعن ابو الشماخ وأطاع عبد الرحمن وسار اليه وصار من جملة قواده وأصحابه وانقطعت الفتنة من ناحية تدمير . (تدمير بالتاء فوقها نقطتان والدال المهملة والياء تحتها نقطتان ثم راء) .

---

(١) قم ـ بضم القاف وتشديد الميم ـ هي مدينة عليها سور وهي حصينة وماؤها من الآبار وأهلها شيعة وهي بين أصبهان وبين ساوة بنيت في سنة ثلاث وثمانين للهجرة .

ذكر عدة حوادث

مات في هذه السنة شهريار بن شروين صاحب جبال طبرستان ، وصار في موضعه ابنه سابور فقاتله مازيار بن قارن فأسره وقتله وصارت الجبال في يد مازيار .

وحج بالناس في هذه السنة صالح بن العباس بن محمد وهو والي مكة .

وفيها توفيت علية بنت المهدي[1] مولدها سنة ستين ومائة وكان زوجها موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس فولدت منه .

---

(١) وكانت من أجمل النساء وأظرفهن وأكملهن أدباً وعقلاً وصيانة وكان في جبهتها سعة تشين وجهها فاتخذت العصابة المكللة بالجوهر لتستر جبينها بها وهي أول من اتخذتها وسميت شد جبين لذلك .

ثم دخلت سنة احدى عشرة ومائتين

وفي هذه السنة أُدخل عبيدالله بن السري بغداد وأنزل مدينة المنصور وأقام ابن طاهر بمصر والياً عليها وعلى الشام ، والجزيرة[١] ، وقال للمأمون بعض إخوته : إن عبدالله بن طاهر يميل الى ولد علي بن أبي طالب وهكذا كان أبوه قبله فأنكر المأمون ذلك فعاوده أخوه فوضع المأمون رجلاً قال له : امش في هيئة القراء والنساك إلى مصر فادع جماعة من كبرائها الى القاسم بن ابراهيم بن طباطبا ثم صر الى عبدالله بن طاهر فادعه اليه واذكر له مناقبه ورغبه فيه وابحث عن باطنه وائتني بما تسمع ، ففعل الرجل ذلك فاستجاب له جماعة من أعيانه ، فقعد بباب عبدالله بن طاهر فلما ركب قام إليه فأعطاه رقعة فلما عاد الى منزله أحضره قال : قد فهمت ما في رقعتك فهات ما عندك فقال : ولي أمانك ؟ قال : نعم فدعاه الى القاسم وذكر فضله وزهده وعلمه فقال عبدالله : اتنصفني ؟ قال : نعم قال : هل يجب شكر الله على العباد ؟ قال : نعم قال : فتجيء إلي وأنا في هذه الحال لي خاتم في المشرق جائز وخاتم في المغرب جائز وفيما بينهما أمري مطاع ثم ما التفت عن يميني ولا شمالي وورائي وأمامي إلا رأيت نعمة لرجل أنعمها علي ومنة ختم بها رقبتي ويداً لائحة بيضاء ابتدأني بها تفضلاً وكرماً تدعوني الى أن أكفر بهذه النعم وهذا الإحسان وتقول : اغدر بمن كان أولى لهذا وأحرى وآسعَ في إزالة خيط عنقه وسفك دمه تراك لو دعوتني الى الجنة عياناً أكان الله

---

(١) ذكر ابن جرير الطبري ان المأمون كتب إلى عبدالله بن طاهر وهو بمصر حين فتحها في أسفل كتاب له :

أخي أنت ومولايَ ومن أشكُرُ نعماهُ
فما أحبَبْتَ من أمر فإنْي الدَّهر أهواهُ
وما تكرَهُ من شيء فإنّي لستُ أرضاهُ
لك الله على ذاكَ لك الله لك الله

يوجب علي أن أغدر به وأكفر إحسانه وأنكث بيعته ؟ فسكت الرجل فقال له عبدالله : ما أخاف عليك إلا نفسك فارحل عن هذا البلد فإن السلطان الأعظم إن بلغه ذلك كنت الجاني على نفسك ونفس غيرك ، فلما أيس منه جاء الى المأمون فأخبره فاستبشر وقال : ذلك غرس يدي وألف أدبي وقراب يلفحي[١] ولم يظهر ذلك ولا علمه ابن طاهر الا بعد موت المأمون ، وكان هذا القائل للمأمون المعتصم فإنه كان منحرفاً عن عبدالله .

ذكر قتل السيد بن أنس

وفيها قتل السيد بن أنس الأزدي أمير الموصل ، وسبب قتله أن زُريق بن علي بن صدقة الأزدي الموصلي كان قد تغلب على الجبال ما بين الموصل وأذربيجان وجرى بينه وبين السيد حروب كثيرة ، فلما كان هذه السنة جمع زريق جمعاً كثيراً قيل : كانوا أربعين ألفاً وسيرهم إلى الموصل لحرب السيد فخرج إليهم في أربعة آلاف فالتقوا بسوق الأحد فحين رآهم السيد حمل عليهم وحده وهذه كانت عادته ان يحمل وحده بنفسه وحمل عليه رجل من أصحاب زُريق فاقتتلا فقتل كل واحد منهما صاحبه لم يقتل غيرهما ، وكان هذا الرجل قد حلف بالطلاق إن رأى السيد أن يحمل عليه فيقتله أو يقتل دونه لأنه كان له على زريق كل سنة مائة ألف درهم فقيل له : بأي سبب تأخذ هذا المال ؟ فقال : لأنني متى رأيت السيد قتلته وحلف على ذلك فوفى به ؛ فلما بلغ المأمون قتله غضب لذلك وولى محمد بن حميد الطوسي حرب زريق وبابك الخرمي واستعمله على الموصل .

ذكر الفتنة بين عامر ومنصور وقتل منصور بأفريقية

وفي هذه السنة وقع الاختلاف بين عامر بن نافع وبين منصور بن نصر بأفريقية ، وسبب ذلك أن منصوراً كان كثير الحسد وسار بهم من تونس إلى منصور ـ وهو بقصره بطنبذة ـ فحصره حتى فني ما كان عنده من الماء ، فراسله منصور وطلب منه الأمان على أن يركب سفينة ويتوجه إلى المشرق فأجابه إلى ذلك فخرج منصور أول الليل مختفياً يريد الأُرْبُس[٢] ، فلما أصبح عامر ولم ير لمنصور أثراً طلبه حتى أدركه فاقتتلوا

---

(١) في الطبري « وترب تلقيحي » .

(٢) الأربس : مدينة وكورة بإفريقية ، وكورتها واسعة ، وبينها وبين القيروان ثلاثة أيام من جهة المغرب .

وانهزم منصور ودخل الأربس فتحصن بها ، وحصره عامر ونصب عليه منجنيقاً ، فلما اشتد الحصار على أهل الأربس قالوا لمنصور : إما أن تخرج عنا وإلا سلمناك إلى عامر فقد أضرَّ بنا الحصار فاستمهلهم حتى يصلح أمره فأمهلوه ؛ وأرسل الى عبد السلام بن المفرج ـ وهو من قواد الجيش ـ يسأله الاجتماع به فأتاه فكلمه منصور من فوق السور واعتذر وطلب منه أن يأخذ له أماناً من عامر حتى يسير إلى المشرق ، فأجابه عبد السلام الى ذلك واستعطف له عامر فأمنه على أن يسير الى تونس ويأخذ أهله وحاشيته ويسير بهم الى المشرق فخرج إليه فسيّره مع خيل الى تونس وأمر رسوله سراً أن يسير به الى مدينة جَرْبة[1] ويسجنه بها ففعل ذلك وسجن معه أخاه حمدون ، فلما علم عبد السلام ذلك عظم عليه ، وكتب عامر إلى أخيه ـ وهو عامله على جربة ـ يأمره بقتل منصور وأخيه حمدون ولا يراجع فيهما فحضر عندهما وأقرأهما الكتاب فطلب منصور منه دواة وقرطاساً ليكتب وصيته فأمر له بذلك فلم يقدر أن يكتب وقال : فاز المقتول بخير الدنيا والآخرة ثم قتلهما وبعث برأسيهما الى أخيه واستقامت الأمور لعامر بن نافع ، ورجع عبد السلام بن المفرج الى مدينة باجة وبقي عامر بن نافع بمدينة تونس وتوفي سلخ ربيع الآخر سنة أربع عشرة ومائتين فلما وصل خبره الى زيادة الله قال : الآن وضعت الحرب أوزارها ، وأرسل بنوه الى زيادة الله يطلبون الأمان فأمنهم وأحسن إليهم .

ذكر عدة حوادث

وفيها قدم عبدالله بن طاهر مدينة السلام من المغرب فتلقاه العباس بن المأمون ، والمعتصم ، وسائر الناس ، وفيها مات موسى بن حفص فولي ابنه طبرستان ، وولي حاجب بن صالح السند[2] فهزمه بشر بن داود فانحاز الى كرمان ، وفيها أمر المأمون منادياً فنادى برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير أو فضله على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ .

---

(١) جَرْبة : بالفتح ثم السكون : قرية بالمغرب ، قال أبو عبيد البكري : وعلى مقربة من قابس جزيرة جربة ، وفيها بساتين كثيرة .

(٢) في الطبري « الهند » .

وفيها مات أبو العتاهية الشاعر[١] ، وحج بالناس صالح بن العباس وهو والي مكة ، وفيها خرج بأعمال تاكرنا من الأندلس طوريل فقصد جماعة من الجند قد نزلوا ببعض قرى تاكرنا ممتارين فقتلهم وأخذ دوابهم وسلاحهم وما معهم فسار إليه عاملها ، وفيها مات الأخفش النحوي البصري . وفيها مات طلق بن غنام النخعي[٢] ، واحمد بن اسحق الحضرمي ، وعبد الرحيم بن عبد الرحمن بن محمد المحاربي . وفيها توفي عبد الرزاق بن همام الصنعاني المحدث وهو من مشايخ احمد بن حنبل وكان يتشيع . وفيها توفي عبدالله بن داود الخريبي البصري وكان يسكن الخريبة بالبصرة فنسب اليها .

---

(١) اسماعيل بن القاسم بن سريد بن كيسان ، أصله من الحجاز وهو أحد فحول الشعراء .

(٢) من مشايخ البخاري .

ثم دخلت سنة اثنتي عشرة ومائتين

ذكر استيلاء محمد بن حميد على الموصل

في هذه السنة وجه المأمون محمد بن حميد الطوسي الى بابك الخرمي لمحاربته وأمره أن يجعل طريقه على الموصل ليصلح أمرها ويحارب زريق بن علي ، فسار محمد الى الموصل ومعه جيشه وجمع ما فيها من الرجال من اليمن والربعية ، وسار لحرب زريق ومعه محمد بن السيد بن أنس الأزدي فبلغ الخبر الى زريق فسار نحوهم فالتقوا على الزاب ، فراسله محمد بن حميد يدعوه الى الطاعة فامتنع فناجزه محمد واقتتلوا واشتد قتال الأزدي مع محمد بن السيد طلباً بثأر السيد فانهزم زريق وأصحابه ؛ ثم أرسل يطلب الأمان فأمنه محمد فنزل إليه فسيره الى المأمون ، وكتب المأمون الى محمد يأمره بأخذ جميع مال زريق من قرى ، ورستاق ، ومال وغيره فأخذ ذلك لنفسه ، فجمع محمد أولاد زريق واخوته وأخبرهم بما أمر به المأمون فأطاعوا لذلك فقال لهم : إن أمير المؤمنين قد أمرني به وقد قبلت ما حباني منه ورددته عليكم فشكروه على ذلك ، ثم سار الى أذربيجان واستخلف على الموصل محمد بن السيد وقصد المخالفين المتغلبين على أذربيجان فأخذهم منهم يعلى بن مرة ونظراؤه وسيّرهم إلى المأمون وسار نحو بابك الخرمي لمحاربته .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة خلع احمد بن محمد العمريّ المعروف بالأحمر العين المأمون باليمن فاستعمل المأمون على اليمن محمد بن عبد الحميد المعروف بأبي الرازي وسيره إليها . وفيها أظهر المأمون القول بخلق القرآن وتفضيل علي بن أبي طالب على

جميع الصحابة وقال : هو أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وذلك في ربيع الأول[١] ، وحج بالناس عبدالله بن عبيدالله بن العباس بن محمد .

وفيها كانت باليمن زلزلة شديدة فكان أشدها بعدن فتهدمت المنازل وخربت القرى وهلك فيها خلق كثير . وفيها سير عبد الرحمن صاحب الأندلس جيشاً الى بلد المشركين فوصلوا الى برشلونة ثم ساروا الى جرندة وقاتل أهلها في ربيع الأول فأقام الجيش شهرين ينهبون ويخربون . وفيها كانت سيول عظيمة وأمطار متتابعة بالأندلس فخربت أكثر الأسوار بمدائن ثغر الأندلس وخربت قنطرة سَرْقُسْطة ثم جددت عمارتها وأحكمت.(برشلونة) بالباء الموحدة والراء والشين المعجمة واللام والواو والنون والهاء . وفيها توفي محمد بن يوسف بن واقد بن عبدالله الضبي المعروف بالفريابي وهو من مشايخ البخاري .

---

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية : وفي ربيع الأول اظهر المأمون في الناس بدعتين فظيعتين احداهما أطم من الأخرى وهي القول بخلق القرآن والثانية تفضيل علي بن أبي طالب على الناس بعد رسول الله ﷺ وقد أخطأ في كل منهما خطأ كبيراً فاحشاً وأَثِمَ إثماً عظيماً .
انظر جـ ١٠ / ٢٧٨ ط . دار الكتب العلمية ببيروت .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائتين

وفيها ولى المأمون ابنه العباس الجزيرة والثغور والعواصم ، وولى أخاه أبا اسحاق المعتصم الشام ومصر ، وأمر لكل واحد منهما ولعبد الله بن طاهر بخمسمائة ألف درهم فقيل : لم يفرق في يوم من المال مثل ذلك .

وفي هذه السنة خلع عبد السلام وابن جليس المأمون بمصر في القيسية واليمانية وظهرا بها ثم وثبا بعامل المعتصم وهو ابن عميرة بن الوليد الباذغيسي فقتلاه في ربيع الأول سنة أربع عشرة ومائتين فسار المعتصم الى مصر وقاتلهما فقتلهما وافتتح مصر فاستقامت أمورها واستعمل عليها عماله.

وفيها مات طلحة بن طاهر بخراسان ، وفيها استعمل المأمون غسان بن عباد على السند ، وسبب ذلك أن بشر بن داود خالف المأمون وجبى الخراج فلم يحمل منه شيئاً فعزم على تولية غسان فقال لأصحابه : أخبروني عن غسان فإني أريده لأمر عظيم فاطنبوا في مدحه فنظر المأمون الى أحمد بن يوسف وهو ساكت فقال : ما تقول يا أحمد ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ذلك رجل محاسنه أكثر من مساويه لا يصرف به الى طبقة الا انتصف منهم فمهما تخوفت عليه فإنه لن يأتي أمراً يعتذر منه فأطنب فيه فقال : لقد مدحته على سوء رأيك فيه قال : لاني كما قال الشاعر :

كفى شكْراً لما[1] أسدَيتُ أنّي ... صدقْتُك في الصَّديق وفي عِدَاتي

قال : فأعجب المأمون من كلامه وأدبه .

وحج بالناس في هذه السنة عبدالله بن عبيدالله بن العباس بن محمد بن علي .

---

(١) في الطبري « بما » .

وفيها قتل أهل ماردة من الأندلس عاملهم فثارت الفتنة عندهم فسير إليهم عبد الرحمن جيشاً فحصرهم وأفسد زرعهم وأشجارهم فعاودوا الطاعة وأخذت رهائنهم وعاد الجيش بعد أن خربوا سور المدينة ، ثم أرسل عبد الرحمن إليهم بنقل حجارة السور إلى النهر لئلا يطمع أهلها في عمارته فلما رأوا ذلك عادوا إلى العصيان وأسروا العامل عليهم وجددوا بناء السور وأتقنوه ؛ فلما دخلت سنة أربع عشرة سار عبد الرحمن صاحب الأندلس في جيوشه إلى ماردة ومعه رهائن أهلها فلما بارزها راسله أهلها وافتكوا رهائنهم بالعامل الذي أسروه وغيره وحصرهم وأفسد بلدهم ورحل عنهم ؛ ثم سير إليهم جيشاً سنة سبع عشرة ومائتين فحصروها وضيقوا عليها ، ودام الحصار ثم رحلوا عنهم ، فلما دخلت سنة ثمان عشرة سيّر إليها جيشاً ففتحها وفارقها أهل الشر والفساد ، وكان من أهلها إنسان اسمه محمود بن عبد الجبار الماردي فحصره عبد الرحمن بن الحكم في جمع كثير من الجند وصدقوه القتال فهزموه وقتلوا كثيراً من رجاله وتبعتهم الخيل في الجبل فأفنوهم قتلاً وأسراً وتشريداً، ومضى محمود بن عبد الجبار الماردي فيمن سلم معه من أصحابه إلى منت سالوط، فسيّر إليه عبد الرحمن جيشاً سنة عشرين ومائتين فمضوا هاربين عنه الى حَلقب في ربيع الآخر منها ، فأرسل سرية في طلبهم فقاتلهم محمود فهزمهم وغنم ما معهم ومضوا لوجهتهم ، فلقيهم جمع من أصحاب عبدالرحمن مصادفة فقاتلوهم ثم كف بعضهم عن بعض وساروا ، فلقيهم سرية أخرى فقاتلوهم فانهزمت السرية وغنم محمود ما فيها ، وسار حتى أتى مدينة مينة فهجم عليها وملكها وأخذ ما فيها من دواب وطعام وفارقوها ، فوصلوا الى بلاد المشركين فاستولوا على قلعة لهم فأقاموا بها خمسة أعوام وثلاثة أشهر فحصرهم اذفونس ملك الفرنج فملك الحصن وقتل محموداً ومن معه وذلك سنة خمس وعشرين ومائتين في رجب وانصرف من فيها .

وفيها توفي ابراهيم الموصلي المغني وهو ابراهيم بن ماهان والد اسحاق بن إبراهيم وكان كوفياً وسار إلى الموصل فلما عاد قيل له : الموصلي فلزمه ، وعلي بن جبلة بن مسلم أبو الحسن الشاعر وكان مولده سنة ستين ومائة وكان قد أضر ، ومحمد بن عرعرة بن البوند ، وأبو عبد الرحمن المقري المحدث ، وعبدالله بن موسى العبسي الفقيه ـ وكان شيعياً ـ وهو من مشايخ البخاري في صحيحه (البوند) بكسر الباء الموحدة والواو وتسكين النون وآخره دال مهملة .

ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائتين

ذكر قتل محمد الطوسي

فيها قتل محمد بن حميد الطوسي قتله بابك الخرمي ، وسبب ذلك أنه لما فرغ من أمر المتغلبين على طريقه إلى بابك سار نحوه وقد جمع العساكر والآلات والميرة فاجتمع معه عَالم كثير من المتطوعة من سائر الأمصار فسلك المضائق إلى بابك ، وكان كلما جاوز مضيقاً أو عقبة ترك عليه من يحفظه من أصحابه إلى أن نزل بهشتادسر وحفر خندقاً وشاور في دخول بلد بابك فأشاروا عليه بدخوله من وجه ذكروه له، فقبل رأيهم وعبى أصحابه ، وجعل على القلب محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الطائي المعروف بأبي سعيد ، وعلى الميمنة السعدي بن أصرم ، وعلى الميسرة العباس بن عبد الجبار اليقطيني ، ووقف محمد بن حميد خلفهم في جماعة ينظر إليهم ويأمرهم بسد خلل إن رآه ، فكان بابك يشرف عليهم من الجبل وقد كمن لهم الرجال تحت كل صخرة ، فلما تقدم أصحاب محمد وصعدوا في الجبل مقدار ثلاثة فراسخ خرج عليهم الكمناء وانحدر بابك اليهم فيمن معه وانهزم الناس فأمرهم أبو سعيد ومحمد بن حميد بالصبر فلم يفعلوا ومروا على وجوههم والقتل يأخذهم وصبر محمد بن حميد مكانه وفر من كان معه غير رجل واحد وسارا يطلبان الخلاص فرأى جماعة وقتالاً فقصدهم فرأى الخُرمية يقاتلون طائفة من أصحابه فحين رآه الخُرمية قصدوه لما رأوا من حسن هيئته فقاتلهم وقاتلوه وضربوا فرسه بمزراق فسقط إلى الأرض وأكبوا على محمد بن حميد فقتلوه ، وكان محمد ممدوحاً جواداً فرثاه الشعراء وأكثروا منهم الطائي ، فلما وصل خبر قتله الى المأمون عظم ذلك عنده واستعمل عبدالله بن طاهر على قتال بابك فسار نحوه .

ذكر حال أبي دلف مع المأمون

كان أبو دلف من أصحاب محمد الأمين وسار مع علي بن عيسى بن ماهان إلى

حرب طاهر بن الحسين ، فلما قتل علي عاد أبو دلف إلى همذان فراسله طاهر يستميله ويدعوه الى بيعة المأمون فلم يفعل وقال : إن في عنقي بيعة لا أجد الى فسخها سبيلاً ولكني سأقيم مكاني لا أكون مع أحد الفريقين إن كففت عني فأجابه إلى ذلك فأقام بكرج ، فلما خرج المأمون الى الري راسل ابا دلف يدعوه اليه فسار نحوه مجداً وهو خائف شديد الوجل فقال له أهله ، وقومه ، وأصحابه : أنت سيد العرب وكلها تطيعك فإن كنت خائفاً فأقم ونحن نمنعك فلم يفعل وسار وهو يقول :

أجـودُ بنفسي دونَ قومي دافعـاً ... لما نابَهم قدماً وأغشى الدواهيا
واقتحمُ الأمرَ المخوّف اقتحامه ... لأدرك مجـداً أو أعـاود ثـاويـا

وهي أبيات حسنة فلما وصل الى المأمون أكرمه وأحسن اليه وأمنه وأعلى منزلته .

ذكر استعمال عبدالله بن طاهر على خراسان

في هذه السنة استعمل المأمون عبدالله بن طاهر على خراسان فسار اليها .

وكان سبب مسيره إليها أن أخاه طلحة لما مات ولي خراسان علي بن طاهر خليفة لأخيه عبدالله ، وكان عبدالله بالدينور يجهز العساكر إلى بابك ، وأوقع الخوارج بخراسان بأهل قرية الحمراء من نيسابور فأكثروا فيهم القتل ، واتصل ذلك بالمأمون فأمر عبدالله بن طاهر بالمسير الى خراسان فسار إليها ، فلما قدم نيسابور وكان أهلها قد قحطوا فمطروا قبل وصوله اليها بيوم واحد ، فلما دخلها قام إليه رجل بزاز فقال :

قـد قَحطَ النـاسُ في زمـانهم ... حـتـى إذا جِئـتَ بـالـدررِ
غيثـان في سـاعـة لنا قـدمـا ... فمـرحبـاً بـالأميـرِ والمـطرِ

فأحضره عبدالله وقال له : أشاعـرٌ أنت ؟ قال : لا ، ولكني سمعتهـا بالـرقة فحفظتها فأحسن إليه وجعل إليه أن لا يشترى له شيء من الثياب إلا بأمره .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة خرج بلال الغساني الشاري فوجه إليه المأمون ابنه العباس في جماعة من القواد فقتل بلال ، وفيها قتل أبو الرازي باليمن ، وفيها تحرك جعفر بن داود القمي فظفر به عزيز مولى عبدالله بن طاهر وكان هرب من مصر فرد إليها .

وفيها ولي علي بن هشام الجبل ، وقُمَّ ، واصبهان ، وأذربيجان . وفيها توفي إدريس بن إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام بالمغرب وأقام بعده ابنه محمد بأمر مدينة فاس فولى أخاه القاسم البصرة ، وطنجة وما يليهما واستعمل باقي إخوته على مدن البربرة. وفيها سار عبدالرحمن الأموي صاحب الأندلس إلى مدينة باجة وكانت عاصية عليه من حين فتنة منصور إلى الآن فملكها عنوة ، وفيها خالف هاشم الضراب بمدينة طليطلة من الأندلس على صاحبها عبد الرحمن ، وكان هاشم ممن خرج من طليطلة لما أوقع الحكم بأهلها فسار الى قرطبة ، فلما كان الآن سار الى طليطلة فاجتمع إليه أهل الشر وغيرهم فسار بهم إلى وادي نحويبه وأغار على البربر وغيرهم فطار اسمه واشتدت شوكته واجتمع له جمع عظيم ، وأوقع بأهل شَنت بَرية وكان بينه وبين البربر وقعات كثيرة ، فسيّر إليه عبد الرحمن هذه السنة جيشاً فقاتلوه فلم تستظهر إحدى الطائفتين على الأخرى ، وبقي هاشم كذلك وغلب على عدة مواضع وجاوز بركة العجوز وأغذت غارة خيله ، فسيّر إليه عبد الرحمن جيشاً كثيفاً سنة ست عشرة ومائتين فلقيهم هاشم بالقرب من حصن سَمْسطا بمجاورة رورية فاشتدت الحرب بينهم ودامت عدة أيام ثم انهزم هاشم وقتل هو وكثير ممن معه من أهل الطمع والشر وطالبي الفتن وكفى اللهُ الناسَ شرَّهم .

وحج بالناس إسحاق بن العباس بن محمد .

وفيها توفي أبو هاشم النبيل ـ واسمه الضحاك بن محمد الشيباني ـ وهو إمام في الحديث . وفيها توفي أبو أحمد حسين بن محمد البغدادي .

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائتين

ذكر غزوة المأمون الى الروم

في هذه السنة سار المأمون الى الروم في المحرم ، فلما سار استخلف على بغداد اسحاق بن ابراهيم بن مصعب وولاه مع ذلك السواد وحلوان وكوردجلة ، فلما صار المأمون بتكريت قدم عليه محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام من المدينة فلقيه بها فأجازه وأمره بالدخول بابنته أم الفضل وكان زوجها منه فأدخلت عليه ، فلما كان ايام الحج سار بأهله الى المدينة فأقام بها ، وسار المأمون على طريق الموصل حتى صار الى منبج ثم الى دابق ثم الى أنطاكية ثم الى المصيصة وطرسوس ، ودخل منها الى بلاد الروم في جمادى الأولى ، ودخل ابنه العباس من ملطية فأقام المأمون على حصن قرة حتى افتتحه عنوة وهدمه لأربع بقين من جمادىٰ الأولى .

وقيل : إن أهله طلبوا الأمانَ فأمنهم المأمون وفتح قبله حصن ماجدة بالأمان ، ووجه اشناس الى حصن سندس فاتاه برئيسه ، ووجه عجيفاً وجعفراً الخياط الى صاحب حصن سناذ[1] فسمع وأطاع .

وفيها عاد المعتصم من مصر فلقي المأمون قبل دخوله الموصل ولقيه منويل ، وعباس بن المأمون برأس عين . وفيها توجه المأمون بعد خروجه من بلاد الروم الى دمشق ، وحج بالناس عبدالله بن عبيدالله بن العباس بن محمد . وفيها توفي قبيصة بن عقبة السوائي وأبو يعقوب إسحاق بن الطباخ الفقيه ، وعلي بن الحسن بن شقيق صاحب ابن المبارك ، وثابت بن محمد الكندي العابد المحدث ، وهوذة بن خليفة بن

(١) في الطبري « حصن سنان » بالنون .

عبدالله بن عبيدالله بن أبي بكرة أبو الأشهب ، وأبو جعفر محمد بن الحرث الموصلي ، وأبو سليمان الداردائي الزاهد توفي بداريا ، ومكي بن ابراهيم التيمي البلخي ببلخ ـ وهو من مشايخ البخاري في صحيحه ـ وقد قارب مائة سنة ـ، وأبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري اللغوي النحوي وكان عمره ثلاثاً وتسعين سنة ، وفيها توفي عبد الملك بن قريب بن عبد الملك أبو سعيد الأصمعي اللغوي البصري ، وقيل : سنة ست عشرة ، ومحمد بن عبدالله بن المثنى بن عبدالله بن أنس بن مالك الأنصاري قاضي البصرة .

ثم دخلت سنة ست عشرة ومائتين

ذكر فتح هرقلة

في هذه السنة عاد المأمون الى بلاد الروم؛ وسبب ذلك أنه بلغه أن ملك الروم قتل الفاً وستمائة من أهل طرسوس ، والمصيصة فسار حتى دخل أرض الـروم في جمادى الأولى فأقام الى منتصف شعبان ، وقيل : كان سبب دخوله اليها أن ملك الروم كتب اليه بدأ بنفسه فسار اليه ولم يقرأ كتابه ، فلما دخل أرض الروم أناخ على أنطيعوا فخرجوا على صلح ثم سار إلى هرقلة فخرج أهلها على صلح ، ووجه أخاه أبا إسحاق المعتصم فافتتح ثلاثين حصناً ومطمورة ، ووجه يحيى بن أكثم من طوانة فأغار وقتل وأحرق فأصاب سبياً ورجع ، ثم سار المأمون الى كيسوم فأقام بها يومين ثم ارتحل الى دمشق .

ذكر عدة حوادث

وفيها ظهر عبدوس الفهري بمصر فوثب على عمال المعتصم ، فقتل بعضهم في شعبان ، فسار المأمون من دمشق الى مصر منتصف ذي الحجة ، وفيها قدم الأفشين من برقة فأقام بمصر ، وفيها كتب المأمون الى اسحاق بن إبراهيم يأمره بأخذ الجند بالتكبير إذا صلوا فبدأ بذلك منتصف رمضان فقاموا قياماً وكبروا ثلاثاً ثم فعلوا ذلك في كل صلاة مكتوبة .

وفيها غضب المأمون على علي بن هاشم ووجه عجيفاً وأحمد بن هاشم[1] وأمر بقبض أمواله وسلاحه . وفيها ماتت أم جعفر زبيدة أم الأمين ببغداد . وفيها قدم

---

(١) في الطبري « ابن هشام » .

غسان بن عباد من السند ومعه بشر بن داود مستأمناً وأصلح السند واستعمل عليها عمران بن موسى العتكي [١] .

وفيها هرب جعفر بن داود القمي إلى قُمّ وخلع الطاعة بها ، وحج بالناس في قول بعضهم سليمان بن عبدالله بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس ، وقيل : حج بهم عبدالله بن عبيدالله بن العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس رضي الله عنهم وكان المأمون ولاه اليمن وجعل إليه ولاية كل بلد يدخله فسار من دمشق فقدم بغداد فصلى بالناس يوم الفطر وسار عنها فحج بالناس . وفيها توفي أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر الغساني ببغداد ، ومحمد بن عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب المهلبي أمير البصرة بها ، ويحيى بن يعلى المحاربي ، وإسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي .

---

(١) في الطبري « البرمكي » فقال الشاعر :

سيفُ غسانَ رونقُ الحرب فيه	وسمام الحُتوفِ في ظُبَتَيه
فإذا جرَّه إلى بلدِ السندِ	فألقي المَقادَ بشر إليه
مُقسِماً لا يعودُ ما حجَّ لله	مُصَلٍّ وما رمَى جَمْرَتَيه
غادِراً يخلع الملوك ويغتا	لُ جنوداً تأوي الى ذُروَتَيه

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائتين

في هذه السنة ظفر الأفشين بالفرما[١] من أرض مصر ونزل أهلها بأمان على حكم المأمون ، ووصل المأمون الى مصر في المحرم من هذه السنة فأُتِيَ بعبدوس الفهري فضرب عنقه وعاد الى الشام ، وفيها قتل المأمون عليًّ بن هشام ، وكان سبب ذلك أن المأمون كان استعمله على أذربيجان وغيرها كما تقدم ذكره فبلغه ظلمه وأخذه الأموال وقتله الرجال فوجه إليه عجيف بن عنبسة فثار به علي بن هشام وأراد قتله واللحاق ببابك ، وظفر به عجيف وقدم به على المأمون فقتله وقتل أخاه حبيباً في جمادى الأولى ، وطيف برأس علي في العراق وخراسان ، والشام ، ومصر ثم ألقي في البحر[٢] .

وفيها عاد المأمون الى بلاد الروم فأناخ على لؤلؤة مائة يوم ثم رحل عنها وترك عليها عجيفاً فخدعه أهله وأسروه فبقي عندهم ثمانية أيام وأخرجوه ، وجاء توفيل ملك الروم فأحاط بعجيف فيه فبعث المأمون إليه الجنود فارتحل توفيل قبل موافاتهم وخرج أهل لؤلؤة الى عجيف بأمان وأرسل ملك الروم يطلب المهادنة فلم يتم ذلك ، وفيها سار المأمون الى سلغوس . وفيها بعث علي بن عيسى القمي إلى جعفر بن داود القمي فقتل ، وحج بالناس سليمان بن عبدالله بن سليمان بن علي . وفيها توفي الحجاج بن المنهال بالبصرة، وسريج بن النعمان . (سريج) بالسين المهملة والجيم ، وسعدان بن بشر الموصلي يروي عن الثوري ، وفيها توفي الخليل بن أبي رافع المزني الموصلي وكان عالماً عابداً وأبوه جعفر بن محمد بن أبي يزيد الموصلي وكان فاضلاً .

---

(١) في الطبري« بالبيما » .

(٢) في الطبري وذكر أن المأمون لما قتل علي بن هشام أمر أن يكتب رقعة وتعلق على رأسه ليقرأها الناس .

الفهرس